المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

خمس رسائل في الاعتقاد لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

(1)معارج الوصول (2)الصفات الاختيارية
(3)مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو
(4)مسألة في الاستواء والنزول
(5)إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى

دراسة وتحقيقا

(032)

رسالة علميّة مقدّم لنيل درجة العالميّة (الماجستير)

إعداد الطالب
مصعب شريف بن محمد شريف بلغاري

إشراف فضيلة الدكتور
عبد العزيز بن جليدان الظفيري

العــام الجامعي
1435هـ / 1436هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ[1].

ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ[2].

ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ[3].

أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[4].

فإن العلم بالله سبحانه، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى من أشرف العلوم وأجلها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه خلق الجن والإنس ليؤمنوا به ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم، كما قال سبحانه: ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[5]، وقال عز وجل: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ

---

1) آل عمران 3

2) النساء 1

3) الأحزاب 70

4 () أخرجه مسلم في صحيحه (2/592)، رقم الحديث: (867)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، وأحمد في مسنده (4/148)، رقم الحديث: (4115)، وابن ماجه في سننه(1892)، رقم الحديث: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، وصححه الألباني، انظر: مشكواة المصابيح، تحقيق الألباني، (2/941)، رقم الحديث: (3149)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.

5) الذاريات 56

ﭽ ﭼ ﭻ [1] فحاجة العبد إلى معرفة الرب سبحانه وتعالى أعظم من جميع الحوائج؛ لأنه لا سبيل إلى الإيمان به إلا بمعرفته، ومعرفة الرب لا تكون إلا بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولذلك اهتم الشرع بها اهتماما بالغا، ففي كتاب الله سبحانه وتعالى آيات كثيرة يدعو فيها إلى معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ [2]، وقال سبحانه: [3] ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ [4]، وقال جل وعلا: ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ [5]، وقال سبحانه: ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ [6].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يعلموا أنه جل وعلا متصف بالأسماء الحسنى والصفات العلى كما قال سبحانه: ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ [7]، وقال: ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ [8]، وقال: ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ [9]، وقال: ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ [10]، وقال: ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ [11]، وقال: ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ [12] وغيرها من الآيات التي فيها أمرٌ بتعلم الأسماء والصفات.

---

1) النحل 36
2) الأعراف 180
3
4) الأسراء 110
5) طه 8
6) الحشر 23، 24
7) البقرة 235
8) البقرة 244
9) البقرة 267
10) الأنفال 25
11) البقرة 231
12) البقرة 235

ثم إن معرفة الله بمعرفة أسمائه وصفاته تدعو إلى طاعته وعبوديته، ومحبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العبادة له، (فإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوف المحبوب المطاع المعبود، ولما كان مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الرب تعالى قال أفضل الداعين إليه لمعاذ بن جبل وقد أرسله إلى اليمن: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم)[1]، وهو في الصحيحين واللفظ لمسلم، وقد نزه سبحانه نفسه عن غير ما يصفه به المرسلون فقال: [illegible][2] فنزه نفسه عما يصفه به الخلق، ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب، ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد)[3]، فـ (مفتاح دعوة الرسل، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة جميعها)[4].

(والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته، أعظم قدراً من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي

---

1) أخرجه البخاري في صحيحه (9/114)، رقم الحديث: 7372، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم في صحيحه (1/51)، رقم الحديث: (19)، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

2) الصافات 180 - 182

3) مختصر الصواعق المرسلة (ص: 7) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

4) الصواعق المرسلة لابن القيم (1/150)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، 1408هـ.

المتضمنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الـذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب: ((أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: [1]، فضرب بيده في صدره، وقال ليهنك العلم أبا المنذر))[2].

وأفضل سورة أم القرآن، كما ثبت ذلـك في حـديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيح، قـال لـه النـبي صـلى اللـه عليه وسلم: ((إنه لم ينزل في التوراة ولا الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، وهي السبع المثاني والقـرآن العظيم الذي أوتيته))[3] وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد.

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسـلم من غير وجه أن: [4] تـعدل ثـلثي القرآن[5]، وثبت في الصحيح أنه بَشَّرَ الذي كان يقرؤها ويقـول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن: بأن الله يـحبه[6]، فبين أن اللــه

---

1) البقرة 255

2) أخرجه مسلم في صحيحه (1/556)، رقم الحديث: (810)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بـاب فضـل سـورة الكهـف، وآية الكرسي.

3) أخرجــه البخــاري في صــحيحه (6/51)، رقم الحــديث: (4703)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله:

4) الإخلاص 1

5 () أخرجــه البخــاري في صــحيحه (6/189)، رقم الحــديث: 5013، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو اللــه أحد، وأخرجه مسـلم في صـحيحه (1/556)، رقم الحـديث: 811، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قـراءة قـل هـو الله أحد.

6 () أخرجـه البخـاري في صـحيحه (9/115)، رقم الحـديث: (7375)، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليـه وسـلم أمتـه إلى توحيـد اللـه تبـارك وتعـالى، وأخرجـه مسـلم في صـحيحه (1/557)، رقم الحـديث: 813، كتـاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى)[1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة)[2]، فالإحصاء لها ثلاث مراتب، المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وأسمائها وعددها، المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها، المرتبة الثالثة دعاؤه بها كما في الآية، وهو نوعان: دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذا لا يسأل إلا بها[3].

فيتضح جليا من خلال الأدلة السابقة من الكتاب والسنة، أن لله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى كما يليق بجلاله، وقد التزم السلف الصالح وأئمة الدين بهذا الباب أشد التزام وفق ما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فهم يثبتون لله سبحانه وتعالى من الأسماء الحسنى والصفات العلى كما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

وفي هذا يقول ابن خزيمة: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين)[4]، وقال الإمام الآجري رحمه الله تعالى: (اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من

---

1) درء تعارض العقل والنقل (5/310)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1411 هـ.

2) صحيح البخاري (9/118)، رقم الحديث: 7392، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، ومسلم (4/2061)، رقم الحديث: 2677، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

3 () تيسير العزيز الحميد (ص: 555)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، 1423هـ.

القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع)[1]، وقال الإمام الأوزاعي: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات)[2]،

وهكذا السلف الصالح وأئمة الدين يثبتون لله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى والصفات العلى، هذا وأول نشأة الاختلاف في الأمة المحمدية كانت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه حيث حدثت بدعة الخوارج والتشيع نتيجة لمقتله رضي الله عنه، وفي أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية ثم حدثت بدعة المعتزلة، ثم حدثت بدعة الجهمية الجامعة لمجمل ضلالات من تقدم من نفي القدر ونفي الصفات ونحوها، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن البدع إنما يظهر منها أولا فأولا الأخف فالأخف، كما حدث في آخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والشيعة، ثم في آخر عصر الصحابة بدعة المرجئة والقدرية، ثم في آخر عصر التابعين بدعة الجهمية معطلة الصفات)[3].

ومن رحمة الله عز وجل بهذه الأمة أن قيض لها علماء مصلحين، يحفظون عقيدتها، وينفون عنها تأويلات المنحرفين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين، فهم

---

4 () التوحيد لابن خزيمة (1/26)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض 1414هـ.

1 () الشريعة للآجري (2/1051)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1420 هـ.

2 () انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (2/304)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، 1413 هـ.

3 () مجموع الفتاوى (8/458)

المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[2]، فهم ظاهرون دائما بالحجة والبيان، والدليل والبرهان على المنحرفين المؤولين، وقد صنف أئمة السنة مصنفات كثيرة في الرد عليهم، كالإمام أحمد بن حنبل،

---

[1] () أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (10/17)، رقم الحديث: 3884، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في دفعه ميراث المتوفى في زمنه إلى مولاه الأسفل الذي كان أعتقه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1415 هـ، والآجري في الشريعة (1/268)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/353)، تحقيق: حمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ، وابن بطة في الإبانة الكبرى (1/198)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ، وأبو يعلى إبطال التأويلات (1/69)، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت، نقل ابن كثير عن أبي نعيم أنه قال: (كذا رواه الوليد بن مسلم وإسماعيل بن عياش عن معان، ورواه عمرو بن هاشم عن محمد بن سليمان بن أبي كريمة عن معان عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد، ورواه بقية أيضا عن مسلمة بن علي عن أبي محمد السلامي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة، قال: وكلها مضطربة غير مستقيمة) انظر: جامع المسانيد لابن كثير(1/68)، تحقيق: الدكتور عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، وقال البزار: (قال البزار: خالد بن عمرو منكر الحديث، قد حدث بأحاديث لم يتابع عليها، وهذا منها) انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي(1/86)، مؤسسة رسالة بيروت، 1399هـ، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (1/82).

[2]) أخرجه البخاري في صحيحه (4/207)، رقم الحديث: 3641، كتاب المناقب، ومسلم (2/1523)، رقم الحديث 1920، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا

وابنه عبد الله، وأبي بكر الخلال، وأبي بكر الأثرم، وعثمان بن سعيد الدارمي، والإمام محمد بن خزيمة، وأبي عثمان الصابوني.

ومن هؤلاء الأعلام الذين أفنوا أعمارهم في العلم والتعليم، والجهاد والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى، الناصر للسنة، القامع للبدعة، فلم يعرف في زمنه أكثر منه علما وجهادا، وشجاعة وكرما، ومتمسكا بمنهج السلف، وقمعا لأهل البدع، فكم جاهد في تبيين العقيدة الصحيحة، حيث ألف مؤلفات كثيرة من الكتب والرسائل والفتاوى من أهمها: كتاب بيان تلبيس الجهمية، وكتاب درء تعارض العقل والنقل، وكتاب التدمرية، وكتاب شرح العقيدة الأصفهانية، والفتوى الحموية، وكتاب الإيمان، وكتاب النبوات، وكتاب الصفدية، وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وكتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وغير ذلك من الكتب والرسائل الكثيرة في هذا الكتاب.

ورغبة مني في الاستفادة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتحقيق شيء منها؛ اخترت بعض الرسائل لتكون موضوع بحثي لنيل درجة العالمية (الماجستير) وعنوان هذا المشروع:

(تحقيق خمس رسائل في الاعتقاد لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى –

(1) معارج الوصول
(2) الصفات الاختيارية
(3) مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو
(4) مسألة في الاستواء والنزول

تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

(5) إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى
دراسة وتحقيقا)

سائلا الله عز وجل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها.

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

أولا: أن هذه الرسائل لمصنف واحد.

ثانيا: يوجد وحدة موضوعية بين الرسائل الأربعة لأنها تتعلق بأهم مسائل العقيدة وهي مسألة أسماء الله وصفاته فرسالة (إثبات العلو الذاتي لله سبحانه) يتكلم فيها شيخ الإسلام عن باب عظيم من أبواب الصفات ألا وهو إثبات العلو الذاتي لله سبحانه، فذكر فيه مذهب أهل السنة والجماعة وردَّ على أهل البدع ردا كافيا شافيا، ثم بعد ذلك رسالة (مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو) أيضا يتعلق بنفس الموضوع حيث ذكر فيها الأدلة والبراهين في إثبات الصفات لله جل وعلا وخصص موضوع إثبات العلو له سبحانه. ورسالة: (مسألة في الاستواء والنزول) حيث تتكلم عن أهم المسائل في باب الصفات لله جل وعلا وهي التي وقع فيها كثير من أهل البدع في التأويل الباطل والتحريف، ورسالة: (الصفات الاختيارية) فيها أيضا بيان قسم من أقسام الصفات ألا وهي الصفات الاختيارية لله سبحانه، فهذه الرسائل كلها مرتبطة فيما بينها بوحدة موضوعية. وأما رسالة: (معارج الوصول) فاخترتها لعظم فوائدها وعلو شأنها لأنها تتكلم عن قاعدة أساسية وعظيمة في باب الاعتقاد وهي: (أصل أصول العلم والإيمان) فهي أصل عظيم للمسائل الموجودة في هذه الرسائل، واختيار هذه الرسالة مع الرسائل المذكورة الأخرى فيه تقوية للموضوع وبيان منهج السلف الصالح في هذه الباب، فهذه الرسالة كما قال عنها شيخ الإسلام: (أن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا).

ثالثا: حاجة هذه الرسائل أن تخدم خدمة علمية حيث يسهل للناس الوصول إليها ونشرها وفهمها.

رابعا: أن تلك الرسائل التي اخترتها تحمل علما جما، وقواعد نافعة، وما فيها من البراهين القاطعة، والدلائل

البينة التي تبين عقيدة أهل السنة والجماعـة وقواعـدهم، وما تشتمل عليه من الردود الواضحة على أهـل الباطـل، فضـروري جـدا أن تخـدم مثـل هـذه الكتب وتنشـر في المجتمع.

خامسا: لما لكتب شـيخ الإسـلام من أهميـة بالغـة ومكانـة عالية بين أهـل السـنة والجماعـة فقـد نشـر الكثيـر منهـا والـذي اخترتـه لم يحقـق تحقيقـا علميـا على حسـب علمي[1]، ولكنـه طبـع ضـمن مجمـوع فتـاوى ابن تيميـة فأردت تحقيقه ودراسته.

سادسا: أن كتاب (معارج الوصول) فيه بيان جامع لعقيـدة أهل السنة والجماعة المبني على أصل عظيم وردّ واضـح على أهل التأويـل والإلحـاد في بـاب الأسـماء والصـفات، وهذا الأصـل: (أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـد بين جميع الدين أصوله وفروعه) فلا داعي لأحد أن يحدث فيه شيئا كائنا من كان بأي اسم أو طريقة، وهذا كما قال ابن تيمية رحمـه اللـه تعـالى: (أصـل أصـول العلم والإيمـان)، وبهذا لا يستطيع أهل الباطل أن يأتوا بتأويلاتهم المخترعة وتحريفـاتهم الباطلـة لنصـوص الكتـاب والسـنة في بـاب الأسماء والصفات وغيرها.

سـابعا: أن هـذه الرسـائل تنـاقش مسـائل عظيمـة من أهم مسائل الأسـماء والصـفات والـرد على من خالفهـا، ودحض باطل من يحاول التشكيك فيها ذاهبا إلى التأويل والتحريـف،

---

[1]) هـذا على حسـب مـا اطلعت عليـه أولا، ثم إني وجـدت أن رسالة (مسـألة الإثبـات للصـفات والجـزم بإثبـات العلـو) قـد حققت وطبعت باسـم آخـر لم أكن قـد اطلعت عليـه، وهي: (القاعـدة المراكشـية) حققهـا الـدكتور دغش العجمي، وهي ليست رسالة علمية، ويلاحظ أنه مـع اجتهـاد الـدكتور سـدده اللـه في إخـراج النص، إلا أنـه فاتـه شـيء ليس بالقليـل في المقارنة بين النسخ، بالإضافة إلى أنه لم يـترجم للأعلام، ولم يحل على كثير من الأقوال التي ينقلها شيخ الإسـلام، ولـذلك آثرت أن أبقي على هذه الرسالة وبخاصة أنها ليسـت رسـالة علمية.

فإخراج هذه الرسائل بتحقيق علمي فيه نصرة للمذهب الحق ومنفعة للمسلمين إن شاء الله.

ثامنا: إن أقوال من رد عليهم شيخ الإسلام ما زالت موجودة بين أظهرنا، ولا زال محبوها ومعتنقوها يعملون لإبقاء آرائهم الفاسدة ولا ريب أن إخراج مثل هذه الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية يساعد على إطفاء نار الباطل ووقف انتشارها.

تاسعا: أن لها نظائر حيث كان هناك عددا من الرسائل التي هي ضمن مجموع الفتاوى فحققت برسائل علمية مثل: التدمرية، والحموية، والإيمان، والإيمان الأوسط، والعبودية، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والتوسل والوسيلة وغير ذلك.

عاشرا: ومع أنها طبعت ضمن مجموع الفتاوى إلا أنها تحتاج خدمة علمية أكثر مثل التعليق على ما يغمض رسمه أو معناه أو لفظه، وتوضيح المصطلحات، والعبارات الغامضة، والكلمات الغريبة، وتخريج الأحاديث والآثار، وترجمة الأعلام، والتعريف بالفرق والنحل وغير ذلك.

إحدى عشر: إضافة إلى ذلك رغبتي الشديدة في الاستفادة من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

خطة البحث

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وقسمين وخاتمة، أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية هذا البحث، والأسباب التي دفعتني إلى تحقيقه، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

القسم الأول: الدراسة، وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر المؤلف وحياته، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصره. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية في عصر المؤلف.

المطلب الثاني: الحالة العلمية والفكرية في عصر المؤلف.

المطلب الثالث: الحالة الدينية والاجتماعية في عصر المؤلف.

المبحث الثاني: حياته الشخصية والعلمية وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلاميذه.

المطلب الخامس: مؤلفاته.

المطلب السادس: أقوال العلماء فيه.

المطلب السابع: وفاته.

الفصل الثاني: دراسة الرسائل المحققة وفيه مباحث:

المبحث الأول: دراسة كتاب (معارج الوصول)

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب

المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف

المطلب الثالث: وصف المخطوط

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب

المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب

المبحث الثاني: دراسة كتاب (الصفات الاختيارية)

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب
المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف
المطلب الثالث: وصف المخطوط
المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب
المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب
المبحث الثالث: دراسة كتاب (مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو)
المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب
المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف
المطلب الثالث: وصف المخطوط
المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب
المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب
المبحث الرابع: دراسة كتاب (مسألة في الاستواء والنـزول)
المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب
المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف
المطلب الثالث: وصف المخطوط
المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب
المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب
المبحث الخامس: دراسة كتاب (إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى)
المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب
المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف
المطلب الثالث: وصف المخطوط
المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب
المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب
القسم الثاني: النص المحقق.

سأسير بإذن الله تعالى في تحقيق الرسائل على المنهج التالي:

- التعليق على ما يغمض رسمه أو معناه أو لفظه في المخطوطة.

- المقارنة بين النسخ المخطوطة المتوفرة لدي وبين النسخ المطبوعة.
- ما لقيت من سقط في المخطوطات أضعه بين معقوفين [ ] وأبين ذلك في الحاشية.
- توضيح المصطلحات والعبارات الغامضة والكلمات الغريبة.
- عزو الآيات بذكر السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان مخرجا في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما، وإلا ذكرت من خرجها مع ذكر الحكم عليه مختصرا من أقوال العلماء أهل الشأن في ذلك.
- تخريج الآثار الواردة في المتن.
- ترجمة الأعلام غير المشهورين الذي ورد ذكرهم في الكتاب.
- التعريف بالفرق والنحل الواردة في الكتاب.
- عمل الفهارس العلمية.

شكر وتقدير

أحمد لله حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضي وأشكره جل وعلا على إتمام هذا البحث، ثمّ الصّلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن سار على نهجه واتبع أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما منّ عليّ من نعمٍ كثيرة، أجلّها وأعظمها نعمة الإسلام والعقيدة السليمة التي لا تقارن بأي نعمة في الدنيا، وكذلك نعمة الالتحاق بهذه الجامعة (الجامعة الإسلامية) النيّرة المباركة والتي تحتضن أبناء المسلمين من جميع أنحاء العالم؛ بهدف تعليمهم العقيدة الصحيحة والعلوم الشرعية؛ لكي ينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

ثم بعد ذلك انطلاقا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[1]، فإني أتقدم وافر شكري وتقديري للمملكة العربية السعودية قيادة وشعبًا وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين؛ على ما قدّموا لي من خدمات واحتياجات كثيرة، منذ أن كنت طالبًا في الكلية إلى يومنا هذا، ففضلهم عليّ كثيرٌ جدًا والمثيب هو الله عز وجل، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء، وأن يديم للمملكة العربية السعودية أمنها ورخاءها واستقرارها، وأن يحفظها من كل سوء ومكروه، ويجعلها شامخة عزيزة إلى يوم الدين.

---

[1]) أخرجه الترمذي في سننه (4/339)، رقم الحديث: 1954، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ، و أبو داود في سننه (4/255)، رقم الحديث: 4811، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، المكتبة العصرية، بيروت، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/776) رقم الحديث: 416، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ.

ثم أتوجّه بعد ذلك ببالغ الشكر والتقدير لوالدي الشيخ محمد شريف بلغاري -حفظه الله- ووالدتي على ما بذلوا من جهودٍ قيّمة في تربيتي وتوجيهي منذ صغري إلى يومنا هذا، سائل الله سبحانه وتعالى أن يحفظهما من كلّ سوء ومكروه، وأن يطيل عمرهما على البر والتقوى ويكتب لهما السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثم أتوجه بجزيل الشكر والتقدير لمعالي مدير الجامعة الإسلامية ولجميع المشايخ الذين تلقيت عنهم العلم منذ التحاقي بالجامعة إلى يومنا هذا، وعلى رأسهم عميد كلية الدعوة وأصول الدين، ورئيس قسم العقيدة، فجزاهم الله جميعًا عني خير الجزاء، ويمنّ عليهم بالصحة والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

كما أتوجه بجزيل الشكر والعرفان، وجليل التقدير والاحترام لشيخي ومشرفي فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن جليدان الظفيري حفظه الله تعالى ورعاه وبارك في علمه وعمله، فله الشكر الخاص مني على كلّ ما قدم لي من نصح، وتوجيه، وإرشاد، لأنه كان خير معين بعد الله عز وجل على إتمام هذه الرسالة وإخراجها بهذه الصورة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في علمه وعمره إنه جواد كريم.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير للجنة المناقشة على قبول مناقشة هذه الرسالة، وما يأتيني منهما من توجيهات نافعة ومباركة.

وكذلك الشكر موصول لكل من ساعدني في إعارة كتاب أو الدلالة على معلومة، فللجميع مني أجمل التحية والثناء، وأخلص الدعاء.

وصلى الله وسلم على قدوتنا وسيدنا وحبيبنا محمّد وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

القسم الأول: الدراسة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر المؤلف وحياته، وفيه مبحثان.

الفصل الثاني: دراسة الرسائل المحققة، وفيه خمسة مباحث.

الفصل الأول: عصر المؤلف وحياته.

وفيه مبحثان.

المبحث الأول: عصره.
المبحث الثـــاني: حياتـــه الشخصـــية, والعلمية.

المبحث الأول: عصره.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية في عصر المؤلف:

لقد مر عصر شيخ الإسلام ابن تيمية بأزمات ونكبات عديدة، حيث كثرت الأحداث والفتن، وانتشرت البدع والضلالات والشبهات، وكثر التعصب والتقليد الأعمى، وغُزيت بلاد المسلمين من قبل التتار والصليبيين، فبعد أن ضعفت الدولة العباسية تدهورت أحوالها السياسية وتفرقت إلى مماليك ودويلات صغيرة، وكل واحدة تصارع الأخرى، وتترقب الفرصة للقضاء عليها، فأصبحت الأمور مضطربة، وتفكك العالم الإسلامي، وانطبق على المسلمين قوله عليه السلام: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا، وكراهية الموت)[1].

ويظهر جليا الحالة السياسة وأثرها في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية بدراسة العصر الذي سبقه شيخ الإسلام ابن تيمية والعصر الذي عاشه، ففي عصره حصل الغزو الصليبي من الشرق، والغزو المغولي (التتار) من الغرب، ولعل ذلك كان من أشد وأقسى النكبات التي مرت بها العالم الإسلامي، ومن الداخل أيضا المنافقون والخونة، الذين كانوا يدلون على عورات المسلمين،

[1] () أخرجه أبو داود في سننه (4/111)، رقم الحديث: (4297)، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام. وأحمد في مسنده (5/278)، رقم الحديث: (8698)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/647)، رقم الحديث: (985).

وعلى رأسهم الروافض الذين كانوا عونا للتتار في إسقاط الخلافة العباسية، وكذلك عونا للصليبيين في الهجوم على المسلمين.

فهذه الهجمات الصليبية على بلاد المسلمين، قارب عصرها عصر شيخ الإسلام ابن تيمية ورأى آثارها بل شارك في صدها، ويقول ابن الأثير رحمه الله: (كان ابتداء ظهور دولة الفرنج، واشتداد أمرهم، وخروجهم إلى بلاد الإسلام، واستيلائهم على بعضها، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس، وقد تقدم ذكر ذلك، ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها، وقد ذكرته أيضاً، وتطرقوا إلى أطراف إفريقية، فملكوا منها شيئاً وأخذ منهم، ثم ملكوا غيره على ما تراه، فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام)[1].

وكانت الهجمات الصليبية انكسرت في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ثم تواصلت الحرب على الصليبيين بعده في دولة المماليك، إلى أن جاء عصر ابن تيمية فشارك في بعضها، ففي سنة تسعين وستمائة من الهجرة فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج، ولم يبق لهم فيها حجر واحد ولله الحمد والمنة[2].

وأما هجوم التتار على بلاد المسلمين فهي كانت الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، وفي هذا يقول ابن الأثير مع أنه - لم يشهد ما فعله المغول ببغداد عاصمة الخلافة العباسية-[3]

1 () الكامل في التاريخ (8/415)، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ.

2) انظر: البداية والنهاية (17/631)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والاعلان، 1424هـ.

3 () توفي ابن الأثير سنة 630هـ، وأما ما حصل في بغداد من التتار ففي عام 656هـ، وفي هذا يقول ابن كثير: (ثم دخلت

يقول: (لقد بقيتُ عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أُقْـدم إليـه رجلا وأؤخـر أخـرى، فمن الـذي يسـهل عليـه أن يكتب نعي الإسـلام والمسلمين؟ ومن الذي يهـون عليـه ذكـر ذلـك؟ فيـا ليت أمي لم تلـدني، ويـا ليتـني مت قبـل حـدوثها وكنت نسـيا منسيا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا، فنقـول: هـذا الفعـل يتضـمن ذكـر الحادثـة العظمى، والمصـيبة الكـبرى الـتي عقت الأيـام والليـالي عن مثلهـا، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مـذ خلق الله سبحانه وتعـالى آدم إلى الآن، لم يبتلـوا بمثلهـا؛ لكان صادقا، فإن التـواريخ لم تتضـمن مـا يقاربهـا ولا مـا يدانيها)[1]، وقال: (ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المـدة بمصـائب لم يبتـل بهـا أحـد من الأمم، منهـا هـؤلاء التتر، قبحهم اللـه، أقبلـوا من المشـرق، ففعلـوا الأفعـال الـتي يسـتعظمها كـل من سـمع بهـا، وسـتراها مشـروحة متصلة، إن شاء الله تعـالى، ومنهـا خـروج الفـرنج، لعنهم اللـه، من المغـرب إلى الشـام، وقصـدهم ديـار مصـر، وملكهم ثغـر دميـاط منهـا، وأشـرفت ديـار مصـر والشـام وغيرهـا على أن يملكوهـا لـولا لطـف اللـه تعـالى ونصـره عليهم، وقد ذكرنـاه سـنة أربـع عشـرة وسـتمائة، ومنهـا أن الذي سـلم من هـاتين الطـائفتين فالسـيف بينهم مسـلول، والفتنة قائمة على ساق)[2].

وقـال ابن كثـير فيهم: (ثم دخلت سـنة سـبع عشـرة وستمائة في هـذه السـنة عم البلاء وعظم العـزاء بجنكـز خان المسمى بتمـوجين لعنـه اللـه تعـالى، ومن معـه من التتـار قبحهم اللــه أجمعين، واسـتفحل أمـرهم واشـتد

سنة ست وخمسين وستمائة فيها أخذت التتار بغـداد، وقتلـوا أكثر أهلها حتى الخليفـة، وانقضـت دولـة بـني العبـاس منهـا) البداية والنهاية (17/356).

1) الكامل في التاريخ (10/333).

2 () المصدر السابق (10/355).

إفســـادهم من أقصـــى بلاد الصـــين إلى أن وصـــلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالهـا، فملكـوا في سـنة واحـدة - وهي هـذه السـنة - سـائر الممالـك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر، وقهروا جميـع الطوائـف التي بتلك النواحي الخوارزميـة والقفجـاق والكـرج واللان والخـزر وغـيرهم، وقتلـوا في هـذه السـنة من طوائـف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبـار مـا لا يحـد ولا يوصف، وبالجملة فلم يدخلوا بلدا إلا قتلوا جميـع من فيـه من المقاتلـة والرجـال، وكثـيرا من النسـاء والأطفـال، وأتلفوا ما فيه بـالنهب إن احتـاجوا إليـه، وبـالحريق إن لم يحتاجوا إليه، حتى إنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير الـذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار، وهم ينظرون إليه، ويخربون المنازل، وما عجزوا عن تخريبه يحرقـوه، وأكـثر ما يحرقون المساجد والجوامع، وكـانوا يأخـذون الأسـارى من المسـلمين فيقـاتلون بهم ويحاصـرون بهم، وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم)[1].

فأما عقيدة هـؤلاء التتـار فكمـا قـال ابن الأثـير: (وأمـا ديـانتهم، فـإنهم يسـجدون للشـمس عنـد طلوعهـا، ولا يحرمون شيئاً، فإنهم يأكلون جميع الدواب، حـتى الكلاب، والخنازير، وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غـير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه)[2].

وبسـبب مـا لاقـاه المسـلمون من اضـطهادات فـإنهم جاهدوهم وعملوا على إخراجهم من بلاد المسلمين؛ وإننـا لنجد أن شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه قـد شـارك في قتـال التتار كما أخبر بذلك تلميـذه الحافـظ الـبزار بقولـه: (لمـا ظهر السلطان غازان على دمشق المحروسة جاءه ملـك الكُرْج وبذل لـه أمـوالاً كثـيرة جزيلـة على أن يمكنـه من الفتـك بالمسـلمين من أهـل دمشـق، ووصـل الخـبر إلى الشـيخ - يعـني: ابن تيميَّة - فقـام من فـوره، وشـجع المسلمين، ورغبهم في الشـهادة، ووعـدهم على قيـامهم بالنصـر والظفـر والأمن وزوال الخـوف، فانتُـدب منهم

1 () البداية والنهاية (17/88).
2 () الكامل لابن الأثير (10/335).

رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم، فخرجوا معـه إلى حضـرة السـلطان غـازان فلمـا رآهم السـلطان قـال: من هـؤلاء؟ فقيـل: هم رؤسـاء دمشـق فـأذن لهم، فحضروا بين يديه، فتقدم الشيخ رضي الله عنه أولاً، فلما رآه أوقـع اللـه لـه في قلبـه هيبـة عظيمـة حـتى أدنـاه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه أولاً في عكس رأيـه عن تسليط المخذول ملك الكُرْج على المسلمين، وضمن لـه أمـوالاً، وأخـبره بحرمـة دمـاء المسـلمين، وذكـره ووعظـه، فأجابـه إلى ذلـك طائعـاً، وحقنت بسـببه دمـاء المسلمين، وحميت ذراريهم، وصين حريمهم)[1].

ففي هـذه الظـروف الصـعبة والانحطـاط والتـدهور والتشـتت الـتي كـانت فيـه الأمـة الإسـلامية؛ ولـد شـيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعـالى وعـاش فيـه، فـأثرت على حياته حتى جعلتـه يفكـر في أسـباب هـذا الانحطـاط والتدهور، وبالتالي اشتعل في قلبـه نـور الهمـة والعزيمـة لإيقاظ الأمة من الغفلة عن الله، والبعد عن الدين، فبـذل وقتـه وجهـده في سـبيل تعلم الـدين الصـحيح، والعقيـدة الصحيحة وقام بالدعوة إلى اللـه متمسـكا بمنهج السـلف الصالح، لتعود الأمـة إلى عزهـا وتمكينهـا وذلـك بـالرجوع إلى دين اللـه سـبحانه وتعـالى كمـا ظهـر في كثـير من رسائله وفتاواه وكتبه.

وقد ذكر الإمام ابن تيمية هذه الحروب وسـبب نصـرة الأعداء على المسلمين فقال: (فلما ظهـر النفـاق والبـدع والفجور المخالف لدين الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم؛ سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مـرة، وأخـذوا الثغـور الشـامية شـيئاً بعـد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشـق، وكـان أهـل الشـام بأسـوئ

[1] () الأعلام العليــة في منــاقب ابن تيمية، (ص: 69)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1400هـ.

حال بين الكفار النصارى، والمنافقين الملاحدة)[1].

ولابن تيميـة مواقـف جريئـة مـع التتـار حيث قـابلهم وقاتلهم، وفي ذلك يقول ابن رجب الحنبلي: (ولقد أقامـه الله تعالى في نوبـة قـازان، والتقي أعبـاء الأمـر بنفسـه، وقام وقعد وطلع، ودخل وخـرج، واجتمـع بالملـك - يعـني قازان - مرتين، وبقطلوشاه، وبولاي. وكان قيجـق يتعجب من إقدامه وجراءته على المغول)[2]، وقال لقـازان: (أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنـون، وقـاض، وإمـام، وشـيخ على مـا بلغنـا، فغزوتنـا، وبلغت بلادنـا على مـاذا؟ وأبـوك وجـدك هلاكـو كانـا كـافرين ومـا غـزوا بلاد الإسـلام، بـل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت)[3].

وتكلم مع قازان بدون أدنى خوف حتى يقول أبو عبـد الله محمد بن الشـيخ أحـد الحاضـرين مـع ابن تيميـة في لقائه مع قازان: (وقرب إلى الجماعة طعامـا فـأكلوا منـه إلا ابن تيمية، فقيـل لـه: ألا تأكـل؟ فقـال: كيـف آكـل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بمـا قطعتم من أشجار الناس، قـال: ثم إن قـازان طلب منـه الدعاء فقال في دعائه: "اللهم إن كان هذا عبـدك محمـود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا، وليكون الـدين كلـه لـك فانصره وأيده، وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قـام ريـاء وسـمعة وطلبـا للـدنيا ولتكـون كلمتـه هي العليـا، وليـذل الإسلام وأهله؛ فاخذ له وزلزله ودمره واقطع دابـره" قـال: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديـه، قـال: فجعلنـا نجمـع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله)[4].

ومن آثار الأحوال السياسـية على حيـاة شـيخ الإسـلام ابن تيميـة جعلـه يتواصـل مـع السـلاطين لكشـف أعـداء الإسـلام وتـرغيب الملـوك إلى نصـرة الـدين ومن تلـك

---

1) مجموع الفتاوى (13/178).

2) ذيـل طبقـات الحنابلـة لابن رجب (4/507،ـ 517)، مكتبـة العبيكان، الرياض، 1425هـ.

3 () البداية والنهاية (18/182).

4) المصدر السابق (18/183)

الجهود رسالته إلى السلطان الملك الناصر بعد وقعة جبل كسروان حيث قال:

(من الداعي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين، ومن أيد الله في دولته الدين، وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيى به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان)

- ثم كشف عن أعداء الله المارقين من الدين - وبين أن لهم صنفين:

(الصنف الأول: أهل الفجور والطغيان، وذوو الغي والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان، طلباً للعلو في الأرض والفساد، وتركا لسبيل الهدى والرشاد، وهؤلاء هم التتار، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين، أو ببعض سياسة الإسلام.

والصنف الثاني: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن السنة والجماعة، المفارقون للشرعة والطاعة، مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبل، والجرد، والكسروان، فإن ما منّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام، هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك: أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين، فإن اعتقادهم: أن أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر، وبيعة الرضوان وجمهور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الإسلام وعلماؤهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام وعبادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم. كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون، أكفر من اليهود والنصارى. لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شر من الكافر الأصلي، ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر

المسلمين ما لا يحصى من الفساد، وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصى عدده إلا الله، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوماً يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص، وفرحوا بمجيء التتار، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جزين وما حواليها، وجبل عامل ونواحيه)[1].

ففي هذه الأجواء المضطربة والنكبات التاريخية وتفكك العالم الإسلامي عاش ابن تيمية، فما زاده إلا همة عالية وعزيمة صادقة وصبرا وتوكلا على الله، وكأن الله تعالى قد أراد بالأمة خيرا إذ هيأه لرد الباطل بشتى أنواعه، فله مواقف وردود على اليهود والنصارى حيث كشف عورتهم وفضحهم، وله جهود في تصدي التتار، وكذلك له ردود على الروافض والباطنية وأهل الكلام والفلسفة، فأوضح الحق بالحجج النقلية والعقلية، فرحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة ورفع درجاته في جنات النعيم.

[1] () العقود الدرية (ص: 198-201)، دار الكتاب العربي، بيروت.

المطلب الثاني: الحالة العلمية والفكرية في عصر المؤلف.

أثرت الحالة السياسية المتدهورة على الحالة العلميــة والفكرية بشكل مباشر، حيث انتشــرت النزعــة الطائفيــة والعصبية المذهبية، فأنتجت أموراً سـلبية كثـيرة، وركـدت الأذهــان، وقــل الإنتــاج العلمي، وأقفــل بــاب الاجتهــاد، فأصـبحت الأفكـار متضـاربة والمنـاهج مختلفـة، وانتشـر التقليد الأعمى والجمود الطائفي، فكل شـخص مقيـد في دائرة مذهبه ورأيه.

وبســبب التقليــد الطــائفي والتعصــب المــذهبي قــل الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة، وقام الجــدل والكلام على أشــده، فأصــبح للفلســفة والكلام والتصـوف قيمـة وشأن في أوساط المسـلمين، واتبعـوا الرجـال والآراء بلا دليـل ولا برهـان، وقـد امتـاز هـذا العصـر بكـثرة الكلام، والقيــــل والقــــال، وانتشــــر السفســــطات الفلســــفية والشطحات الصـوفية، دون الرجـوع إلى الكتـاب والسـنة ومنهج السلف الصالح.

ولا ينكــــر هــــذا وجــــود بعض العلمــــاء المجتهــــدين والمتمسكين بمنهج السلف الصـالح الـذين ناصـروا شـيخ الإسلام ابن تيمية ووافقوا بدعوته مثل الشيخ تقي الــدين بن دقيق العيد وغيره ولكن هؤلاء قلة قليلة[1].

وهناك فقهـاء متعصـبون وأهـل الكلام حيث حكم على شيخ الإسلام في مجلس نائب دمشق الأفرم[2] فيما كتبـه في الفتوى الحموية فانتصر عليهم، ووقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد وبعضهم قال ذلك كرهـا، ثم شـكوا إلى الأمــير ركن الــدين الجاشــنكير[3]، فطلب إلى مصــر

---

1) انظر: المصدر السابق (4/503)

2 ()الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشـق عـام ثمـان وتسعين وستمائة الهجرية، انظر: البداية والنهايــة (11/708-711).

3)) الملك المظفر ركن الدين بيبرس، بويع عليـه بالسـلطنة

على البريـد فثـاني يـوم دخولـه اجتمـع القضـاة والفقهـاء بقلعة مصر وانتصب ابن عدلان[1] له خصما، وادعى عليــه عند ابن مخلـوف القاضـي المـالكي[2]، أن هـذا (أي شـيخ الاسلام ابن تيميـة) يقـول: إن اللـه تكلم بـالقرآن بحـرف وصوت وأنه تعالى على العرش بذاته وأن الله يشـار إليـه الإشارة الحسية، وقـال: أطلب عقوبتـه على ذلـك، وعلى إثـر هـذه الوقعـة سـجن بقلعـة الجبـل وبقي فيـه سـنة ونصفا[3].

وهنـاك أيضـا الصـوفيون الاتحـاديون القـائلون بوحـدة الوجـود، أتبـاع ابن سـبعين[4] وابن عـربي[5]، والقونـوي[6]

في الثـالث والعشـرين من شـوال يـوم السـبت، عـام ثمـان وسبع مائة الهجرية، بعد العصر بدار الأمير سيف الدين سلار، انظر: البداية والنهاية (18/78).

[1]) شـمس الـدين محمـد بن أحمـد بن عـدلان أحـد الفقهـاء المتعصبين في زمن شيخ الإسـلام ابن تيميـة، انظـر: البدايـة والنهاية (18/224).

[2]) القاضـي زين الـدين بن مخلـوف المـالكي، تـولى قضـاء المالكية بمصر عوضا عن القاضي تقي الدين بن شاس الذي تـوفي بهـا عـام خمس وثمـانين وسـتة مائـة، انظـر: البدايـة والنهاية (18/6).

[3]) انظر: العقود الدرية بتصرف (ص: 211).

[4]) عبد الحق بن ابرهيم بن سبعين المرسـي، قطب الـدين، الفيلسوف، مات بمكة في شوال سنة سبع وستين وستمائة، عن خمس وخمسـين سـنة. انظـر: طبقـات الأوليـاء لابن الملقن، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1415هـ

[5]) محمـد بن علي بن محمـد محي الـدين أبـو بكـر الطـائي المعـروف بـابن عـربي، صـاحب التصـنيفات في التصـوف وغيره، توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمـان وثلاثين وستمائة. انظر: فوات الوفيـات لصـلاح الـدين محمـد بن شاكر(3/435)، دار صادر بيروت.

[6]) محمـد بن إسـحاق، صـدر الـدين القونـوي، شـيخ أهـل الوحدة، توفي في سابع عشر المحرم سنة ثلاث. انظر تاريخ الإسلام للذهبي(15/266).

وأشباههم، فلما تكلم الشيخ عنهم وقام بدحض باطلهم تحزب عليه الصوفية وسعوا فيه وأنه تكلم في صفوة الأولياء فعمل له محفل ثم اخرجوه على البريد، ثم ردوه على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم في اعتقاله فسجنوه في حبس القضاة سنة ونصفا[1].

فالناظر لهذا العصر وقبله يجد كثرة الفرق المخالفة لمعتقد أهل السنة وفي أحيان عديدة يجد نصر السلطان لبعض هذه الفرق مما كان له أبلغ الآثار لانتشارها فمن هذه الفرق المنتشرة: الفلاسفة[2]، وأهل الكلام[3]،

---

1) انظر: العقود الدرية بتصرف (ص: 213)

2 () الفلاسفة: اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم فى عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل فى زعمه، وأخص من ذلك: أنه فى عرف المتأخرين اسم لأتباع إرسْطو، وهم المشاؤون خاصة. وهم الذين هذب ابن سيْنا طريقتهم وبسطها، وقررها، وهى التى يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين. انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (2/257)، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، والفلاسفة أنواع فمنهم الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم وأنكروا الصانع وبه قال منهم بيثاغورس وقاوذروس، ومنهم الفلاسفة الذين أقروا بصانع قديم ولكنهم زعموا أن صنعه قديم معه وقالوا بقدم الصانع والمصنوع كما ذهب إليه ابن قلس، ومنهم الفلاسفة الذين قالوا بقدم الطبائع الأربع والعناصر الأربعة التى هي الأرض والماء والنار والهواء، ومنهم الذين قالوا بقدم هذه الأربعة وقدم الأفلاك والكواكب معها وزعم أن الفلك طبيعة خامسة وأنها لا تقبل الكون والفساد لا فى الجملة ولا فى التفصيل. انظر: الفرق بين الفرق (ص: 347)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1402هـ.

3 () وأهل الكلام يقصد بهم: الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية، وسيأتي تعريفهم.

والصـوفية[1]، والـروافض[2]، والبـاطنية[3].

فأما الفلاسفة فأفكارهم موجـودة في عصـر شـيخ الإسـلام ابن تيميـة لأن الفـرق الكلاميـة تـأثرت بشـكل مباشر بأفكار الفلاسفة لأن (شيوخ المعتزلة طـالعوا كتب الفلاسـفة حيث نشـرت أيـام المـأمون فخلطت مناهجهـا بمنـاهج الكلام، وأفردتهـا فنـا من فنـون العلم، وسـمتها باسم الكلام، إما لأن أظهر مسـألة تكلمـوا فيهـا وتنـاقلوا

1 () مر التصوف بمراحل، فأول مـا نشـأ كـان زهـدًا في الـدنيا وانقطاعـا للعبـادة ثم تطـور شـيئا فشـيئا حـتى صـار إلحـادا وضــلالاً، وقــال أصــحابه بــالحلول ووحــدة الوجــود وإباحــة المحرمات يـرون في أنفسـهم أحـوالا عجيبـة وليس لهم من العلـوم العقليـة نصـيب وافـر فيتوهمـون أنـه قـد حصـل لهم الحلول أو الاتحاد فيـدعون دعـاوى عظيمـة، وأول من أظهـر هذه المقالة في الإسلام الروافض فـإنهم ادعـوا الحلـول في حق أئمتهم، ومنهم من يـدعون محبـة اللـه تعـالى وليس لهم نصيب من شيء من الحقائق بل يخالفون الشريعة، ويقولون إن الحبيب رفع عنه التكليف، وهو الأشر من الطوائف. انظر: أعتقادات فرق المسلمين والمشـركين (ص: 72)، دار الكتب ا لعلمية، بيروت.

2 () الـروافض بـدايتهم في زمن عبـد اللـه بن سـبأ اليهـودي وجماعته الـذين أظهـروا بـدعتهم في زمـان على رضـي اللـه عنه، فقال بعضهم لعلي أنت الإله، فـأحرق علي قومـا منهم، ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، وهذه الفرقـة ليسـت من فرق أمة الاسلام لتسميتهم عليا إلها ثم افترقت الرافضة بعد زمـان علي رضـي اللـه عنـه أربعـة أصـناف زيديـة وإماميـة وكيسانية وغلاة وافترقت الزيدية فرقا والإمامية فرقا والغلاة فرقا كل فرقة منهـا تكفـر سـائرها وجميـع فـرق الغلاة منهم خـارجون عن فـرق الإسـلام، والإمامية هم القـائلون بإمامـة علي رضي الله عنـه بعـد النـبي عليـه السـلام؛ نصـا ظـاهرا، وتعيينـا صـادقا، من غـير تعـريض بالوصـف بـل إشـارة إليـه بالعين. انظر: الفرق بين الفرق (ص: 27)، والملل والنحـل (1/162).

3 () الباطنية هم: أتباع ميمـون بن ديصـان المعـروف بالقـداح، وانتسب نفسه إلى عقيل بن أبي طالب وزعم أنـه من نسـله

عليهـا، هي مسـألة الكلام، فسـمي النـوع باسـمها، وإمـا لمقـابلتهم الفلاسـفة في تسـميتهم فنـا من فنـون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان.

فشـاركوا الفلاسـفة في بعض أصـولهم، وأخـذوا عنهم القواعـد المنطقيـة والمنـاهج الكلاميـة، وتـأثروا بهـا إلى درجة كبيرة، وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المســلك العقلاني على حـــد زعمهم، وهم وإن كـــانوا يخـــالفون الفلاســفة في قــولهم، إلا أنهم شــاركوهم في تحريــف وتأويل نصوص الكتاب والسنة.

وكـان أبـو الهـذيل العلاف[1] شـيخهم الأكـبر؛ وافــق

فلما دخل فى دعوتـه قـوم من غلاة الـرفض والحلوليـة منهم ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفـر الصـادق، ثم ظهـر فى دعوتـه إلى دين الباطنيـة رجـل يقـال لـه حمـدان قرمـط لقب بـذلك لقرمطـه فى خطـه او فى خطـوه وإليـه تنسب القرامطة ثم ظهـر بعـده فى الـدعوة الى البدعـة أبـو سـعيد الجنـابى، وذكـر أصـحاب التـواريخ أن دعـوة الباطنيـة ظهرت أولا فى زمان المأمون وانتشرت فى زمان المعتصم، وذكر أيضا أن الـذين وضـعوا أسـاس دين الباطنيـة كـانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين أسـلافهم ولم يجسـروا على إظهـاره خوفـا من سـيوف المسـلمين فوضـع الأعمـال منهم صار فى البـاطن إلى تفصـيل أديـان المجـوس وتـأولوا آيات القرآن وسنن النبى عليه السلام على موافقة أساسهم، وذكر زعماء الباطنية فى كتبهم أن الإلـه خلـق النفس فالإلـه هو الأول والنفس هو الثانى وهما مدبرا هذا العالم وسموهما الأول والثانى وربما سـموهما العقـل والنفس ثم قـالوا إنهمـا يدبران هـذا العـالم بتـدبير الكـواكب السـبعة والطبـائع الأول وقــولهم إن الاول والثـانى يـدبران العـالم هـو بعينـه قــول المجـوس باضـافة الحـوادث صـانعين أحـدهما قـديم والآخـر محدث إلا أن الباطنيـة عـبرت عن الصـانعين بـالأول والثـانى وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن فهذا هو الذى يدور في قلوب الباطنية. انظر: الفرق بين الفرق (ص: 265-270)

[1] أبـو الهـذيل العلاف محمـد بن الهـذيل البصـري، رأس المعتزلة، الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن، حتى لا ينطقون بكلمـة، وأنكـر

الفلاسفة في أن الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، وكذلك قادر بقدرة، وقدرته ذاته، وأبدع بدعا في الكلام، والإرادة، وأفعال العباد، والقول بالقدر، والآجال، والأرزاق، وإنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه، وإنما الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته، بل هي ذاته، وترجع إلى السلوب أو اللوازم، ثم إبراهيم بن سيار النظام في أيام المعتصم كان قد غلا في تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في القدر والرفض، ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر[1] من القول بالتولد والإفراط فيه والميل إلى الطبيعيين من الفلاسفة، والقول بأن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل، وإذا فعل ذلك فهو ظالم، إلى غير ذلك مما تفرد به عن أصحابه، ومن الذين أخذوا من الفلاسفة أفكارهم ومعتقداتهم أصحاب إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام[2]، قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام

الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة، وكان أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل؛ تلميذ واصل بن عطاء الغزال، وطال عمر أبي الهذيل، وجاوز التسعين، وانقلع في سنة سبع وعشرين ومائتين، ويقال: بقي إلى سنة خمس وثلاثين، أخذ عنه: علي بن ياسين، وغيره من المعتزلة. انظر: سير أعلام النبلاء (10/542).

[1]) بشر بن المعتمر أبو سهل الكوفي ثم البغدادي، شيخ المعتزلة، مات: سنة عشر ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (10/203).

[2]) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد، الضبعي، البصري، المتكلم، شيخ المعتزلة، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ، وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادرا، لكنا لا نأمن وقع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق، مات في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (10/541).

المعتزلة)[1].

وقال الشهرستاني[2]: (أن هؤلاء الـذين وصـفنا قـولهم من المعتزلة في الصـفات لم يسـتطيعوا أن يظهـروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره فـأظهروا معنـاه بنفيهم أن يكون للبارئ علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ولأفصحوا بــه غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك)[3].

من هنـا يتضـح جليـا مـدى نفـوذ الفلاسـفة وكتبهم في فــرق المســلمين فلا بــد من تصــدي بطلانهم وكشــف أسرارهم والرد على شبهاتهم ودحض بـاطلهم، وقـد خـبر شيخ الإسلام هـؤلاء ومعتقـداتهم فقـرأ كتبهم وفنـدها في مؤلفات عظيمة منها: كتاب الصفدية، وكتاب بغية المرتاد في الرد على المتفلسـفة والقرامطـة والباطنيـة، وكتـاب درء تعارض العقل والنقل، وكتاب الـرد على المنطقـيين، وهذا الكتاب الأخير الذي قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإني كنت دائما أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتـاج إليـه الذكي ولا ينتفع به البليـد، ولكن كنت أحسـب أن قضـاياه صادقة لما رأينا من صدق كثير منها ثم تبين لي فيما بعــد خطأ طائفة من قضاياه وكتبت في ذلك شـيئا، ولمـا كنت بالإســكندرية اجتمــع بي من رأيتــه يعظم المتفلســفة بالتهويـل والتقليـد فـذكرت لـه بعض مـا يسـتحقونه من التجهيل والتضليل، واقتضى ذلك أني كتبت في قعـدة بين

[1] () كتاب الملل والنحل للشهرستاني (1/29)

[2] ()) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرسـتاني، أبـو الفتح، شيخ أهـل الكلام، وصـاحب التصـانيف، وصـنف كتـاب (نهايـة الإقدام) ، وكتاب (الملل والنحـل)، تـوفي سـنة تسـع وأربعين وخمس مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (20/286).

[3] () انظر: مقالات الإسلاميين (ص: 483)

الظهـر والعصـر من الكلام على المنطـق مـا علقتـه تلـك الساعة)[1].

أما بدعة الجهمية[2] **والمعتزلة**[3] فكـانت منتشـرة في زمن شـيخ الإسـلام ابن تيميـة ويظهـر هـذا جليـا من خلال كتبه ورسائله التي كتبها في الرد عليهم، فكثـيرا مـا جرت المباحثة والمناظرة بينه وبين حـاملي أفكـار هـؤلاء أمثال الصدر بن المرحل [4] [5].

---

1 () انظر: الرد على المنطقيين (ص: 3)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

2) الجهـــمية هم: أتبـــاع جهم بن صـــفوان وهـــو من الجبريـــة الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحـوز المـازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وقـال بالإجبـار والإضـطرار إلى الأعمـال، وأنكـر الاسـتطاعات كلهـا، وزعم أن الجنـة والنـار تبيـدان وتفنيـان، وزعم أيضـا أن الايمـان هـو المعرفـة باللـه تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقـط، وقـال لافعـل ولا عمـل لأحـد غـير اللـه تعـالى، وإنمـا تنسـب الأعمـال إلى المخلـوقين على المجـاز كمـا يقـال زالت الشـمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به، وزعم أيضا أن علم الله تعالى حادث، وامتنع من وصـف اللـه تعـالى بأنـه شـيء أو حي أو عـالم أو مريـد، وقـال لا أصـفه بشيء يجوز إطلاقه على غـيره كشـىء موجـود وحى وعـالم ومريد ونحو ذلك، ووصفه بأنه قـادر وموجـود وفاعـل وخـالق ومحيى ومميت لأن هذه الأوصـاف مختصـة بـه وحـده، وقـال بحدوث كلام الله تعـالى كمـا قالتـه القدريـة، ولم يسـم اللـه تعالى متكلما به. انظر: الفرق بين الفرق(ص: 119)، الملـــل والنحـــل للشهرســـتاني (1/86)، ومقـــالات الإســـلاميين (ص: 279).

3 () المعـتزلة هم: أتباع واصل بن عطاء الغـزال، وكـان تلميـذ الحسـن البصـري، ثم اعـتزل عنـه بـالقول منـه بالمنزلـة بين المنزلتين، فسمي هـو وأصـحابه معتزلـة، ويسـمون أصـحاب العـدل والتوحيـد، ويلقبـون بالقدريـة، والعدليـة، ومن جملـة عقائدهم القول بأن اللـه تعـالى قـديم، والقـدم أخص وصـف ذاته، ونفوا الصفات القديم أصلا، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا بعلم وقدرة وحيـاة، وهي صـفات قديمـة، ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هـو أخص الوصف لشاركته في الإلهية، واتفقوا على أن كلام الله

وقد قيل فيه[6]:

ورد على جهم وجعد بن درهم. . . وبشر المريس عمدة الجهمية

زنادقة كم أهلكوا من عوالم. . . بسوء اعتقادات النفوس السقيمة

وجادل أهل الإعتزال جميعهم. . . وسل عليهم سيفه بالأدلة

يقولون قول الله من بعض خلقه. . . لقد كبكبوا في قعر نار حمية

وقد رد عليهم بكتاب بيان تلبيس الجهمية في تأســيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية، وقد قـال عنـه ابن عبـد الهـادي[2]: (ومن مصـنفاته كتـاب بيـان تلـبيس الجهمية في تأسيس بـدعهم الكلاميـة في سـت مجلـدات

محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت كتب أمثالــه في المصـاحف حكايـات عنـه، واتفقـوا على أن الإرادة والسـمع والبصر ليست معـاني قائمـة بذاتـه، واتفقـوا على نفي رؤيـة اللـه تعـالى بالأبصـار في دار القـرار، واتفقـوا على أن العبـد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، انظر: الملل والنحل(1/43)، الفـرق بين الفرق (ص: 94) والمقالات الإسلاميين (ص: 155).

4)) محمد بن عمر بن مكي بن عبـد الصـمد صـدر الـدين بن المرحل، توفي بالقـاهرة في سـنة سـت عشـرة وسـبعمائة. انظـر: طبقـات الشـافعية الكـبرى(9/253)، هجـر للطباعـة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

5) انظر: العقود الدرية (ص: 111)

6) هذه الأشعار ضمن قصيدة نظم الشيخ عبـد اللـه بن خضـر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي الحريري المعروف بالمتيم يرثي الشيخ تقي الدين ابن تيميـة وهـو أحـد أصـحابه رضي الله عنه وأرضاه. انظر: العقود الدرية (ص: 484)

2 () هـو الإمـام محمـد بن أحمـد بن عبـد الهـادي بن قدامـة المقدسي ولد سنة 704هـ، وهو أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية، وعـد لـه ابن رجب في طبقاتـه مـا يزيـد على سـبعين مصنفا، توفي رحمه اللـه سـنة 744هــ. انظـر: ذيـل طبقـات الحنابلة (5/116)، وشذرات الذهب (6/141).

وبعض النسخ منه في أكثر من ذلك، وهو كتاب جليل المقدار معدوم النظير، كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية وهتك أستارهم ولو رحل طالب العلم لأجل تحصيله إلى الصين ما ضاعت رحلته)[1]، وأيضا رد عليهم بكتاب التدمرية[2]، وفي ثنايا كتبه الأخرى.

ومن تلك الفرق الموجودة في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية فرقة **الأشاعرة[3]:** وهذه الفرقة قد انتشرت كثيرا في المسلمين، ومن أسباب انتشارها أنهم قاموا بالرد على المعتزلة والجهمية، كما وافقوا أهل السنة في بعض أصولها، فتوجه الناس إليهم زعما أن مذهبهم هو مذهب أهل السنة، والحقيقة أن هناك اختلاف في الأصول بين أهل السنة والأشاعرة، وشيخ الإسلام ابن تيمية مع اعترافه ببعض الجوانب الإيجابية في الأشعرية

---

1 () العقود الدرية لابن عبد الهادي صـ 22، طبعة المدني.

2 () الكتاب مطبوع عدة طبعات منها طبعة بتحقيق: الدكتور محمد السعوي.

3 () هم الذين ينتمون إلى أبي الحسن الأشعري، لكن مذهبهم بعيد عن أبي الحسن، ومن جملة عقائدهم أنهم لا يثبتون إلا الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام وما عداها من الصفات الثبوتية لا يثبتونها ولهم في نصوصها أحد طريقين إما التأويل أو التفويض وفي هذا يقول قائلهم: وكل نص أوهم التشبيها. . . أوّله أو فوّضه ورم تنزيها، فنصوص الصفات التي وردت في إثبات ما عدا الصفات السبع التي يثبتونها، يسمونها نصوصاً موهمة للتشبيه، فهم يصرفونها عن ظاهرها، ولكنهم تارة يعينون المراد كقولهم استوى: استولى، واليد: بمعنى النعمة والقدرة؛ وتارة يفوضون فلا يحددون المعنى المراد، ويكلون علم ذلك إلى الله عز وجل، ولكنهم يتفقون على نفي الصفة لأن ناظمهم يقول: (ورم تنزيهاً) وشارح الجوهرة يقول: (أو فوض) أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى. انظر: العرش للذهبي (1/111).

إلا أنه قام وأطال في الرد عليها؛ لأنها لبست على الناس وخلطت الحق بالباطـل وادعت أنهـا صـاحبة الحـق، فـرد عليهم في عديد من كتبه، وفي ثنايـا أجوبتـه، وأفـرد للـرد عليهم كتبًا خاصة، مثل: درء تعـارض العقـل والنقل الـذي امتدحــه الإمــام العلامــة شــيخ الإســلام ابن قيم الجوزية فقال في نونيته: -

وأقــــرأ كتـــــاب   لـه نظـير ثـان[1]

(وكتـاب بيـان تلـبيس الجهميـة) رد فيـه على الـرازي، وكتـاب (التسـعينية) الـتي كتبهـا في الأشـهر الأخـيرة من حياتـه - رحمـه اللـه - جوابًـا عن محاكمـة الأشـاعرة لـه، وكتـاب شــرح العقيــدة الأصــفهانية، وهــو شــرح لعقيــدة الشـــمس الأصـــفهاني الـــتي جـــرى فيهـــا على أصـــول الأشاعرة، والفتوى الحموية، والرسالة المدنية، والنبوات، وهـــو رد على البـــاقلاني[2] خاصـــة والأشـــاعرة عامـــة، والقاعــدة المراكشــية، وهي كالبيــان لمــذهب مالــك في العقيـــدة والـــرد على متـــأخري المالكيـــة من المغاربـــة الأشعرية.

وكتــاب المنــاظرة في الواســطية ألفهــا في محاكمــة الأشاعرة لـه بسـبب الواسـطية، وكتـاب الاسـتقامة كتبـه نقضًا لكتاب القشيري الصوفي الأشعري[3].

---

[1] () النونيــة لابن القيم، فصــل في مصــارع النفــاة والمعطلين بأسنة أمراء الإثبات والتوحيـد (ص: 230)، مكتبـة ابن تيميـة، القاهرة، 1417هـ.

[2] () هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضـي المعـروف بابن الباقلاني أو الباقلاني، أخذ القاضي أبو بكر المعقول عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهـد الطـائي صـاحب أبي الحســن الأشــعري، تــوفي ســنة 403هــ انظــر: ســير أعلام النبلاء (17/191).

[3] () هو أبو القاسم عبـد الكـريم بن هـوازن بن عبـد الملـك بن طلحــة النيســابوري القشــيري الشــافعي الصــوفي الأشــعري المفسر صاحب الرسالة المتوفى سـنة 465هــ انظـر: سـير أعلام النبلاء (18/227).

أما الصوفية: فكثرت شطحاتهم في عصر ابن تيمية وانتشــرت القبــور والمشــاهد والاعتكــاف عليهــا، وزادت الغلــو في مشــايخها والاعتقــاد فيهم أنهم يملكــون النفــع والضر وأن مشايخهم قد وصلوا إلى أعلى مرتبة الفنــاء[1] والكشف[2]، فقام شيخ الإسلام رحمــه اللــه تعــالى وتكلم فيهم وبين حقيقتهم وأفســد دلائلهم وأكــاذيبهم، فامتحنــه عدة مرات وشكوا إلى الســلطان فمــا زاد في ابن تيميــة إلا قوة بيان وصدق حجة عليهم وأيــده اللــه ســبحانه على هؤلاء المبتدعين فصار له القبول بين النــاس، ومن جملــة

---

[1]) الفناء هو: سـقوط الأوصـاف المذمومـة، كمـا أن البقـاء وجود الأوصاف المحمودة، والفناء، فناءان: أحـدهما مـا ذكـر، وهو بكـثرة الرياضـة، والثـاني عـدم الإحسـاس بعـالم الملـك والملكـوت، وهـو بالاسـتغراق في عظمـة البـاري ومشـاهدة الحق. انظر: التعريفات للجرجاني (ص: 169).

[2]) الكشف في اللغة: رفعك الشـيء عمـا يواريـه ويغطيـه، انظر: لسان العرب (9/300)، دار صادر، بيروت، 1414 هــ، والمكاشفة عند أهـل التصـوف هي رفـع الحجـاب، الـذي بين الروح الجسماني، الذي لا يمكن إدراكـه بـالحواس الظـاهرة، ولهم في الكشف درجات يبدأ من الكشف النظري، ثم يتقدم السالك نحو الأمام خطوات أخرى حتى تبـدو لـه المكاشـفات السرية التي يقال لها: الكشـف الإلهي، ثم يتقـدم إلى الأمـام أيضا حتى يصل إلى المكاشفة الروحانية وهي التي يقال لها: الكشف الروحاني، ثم يجب أن يجتاز هذه الدرجة حـتى تبـدو لـه المكاشـفات الخفيـة حـتى يجـد بواسـطتها عـالم صـفات الربوبية، وهـذا مـا يقـال لـه المكاشـفة الصـفائية، وفي هـذه الحال إذا كوشف بالصـفة العلميـة فتبـدو لـه من جنس العلم اللدني، كما هو حال الخضر عليه السلام، أما الكشف الـذاتي فدرجة عالية جدا يقصر البيان والإشارة عنها، كذا في مجمــع السلوك. انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلـوم (2/1366)، تقديم وإشراف ومراجعة: الدكتور رفيــق العجم، تحقيــق: الـدكتور علي دحــروج، الترجمــة الأجنبيــة: الـدكتور جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.
وانظــر أيضــا كلام شــيخ الإســلام ابن تيميــة موضــحا معــنى الكشف وأنواعه في مجموع الفتاوى(11/313).

ما كتبه شـيخ الإسـلام في الـرد عليهم كتـاب الاسـتقامة، وفي المجلــد (الحــادي عشــر) من الفتــاوى، ورد عليهم بكتاب الرد على أهل وحدة الوجود، وكتـاب الفرقـان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وكتاب السبعينية الذي رد فيه على ابن سبعين[1]، وأضرابه.

ومن جملة الفرق الضـالة في زمن شـيخ الإسـلام ابن تيميــة رحمــه اللــه تعــالى فرقة **الرافضة:** حيث اشــتد أمرهم في عصـر شـيخ الإسـلام ابن تيميـة لأنهم أظهـروا محبــة آل الــبيت للخــداع مــع المســلمين لبث ســمومهم وكيــدهم ونشــر أبــاطيلهم، ويظهــر خطــرهم جليــا حيث تولــدت منهم الباطنيــة والقرامطــة الــذين أفســدوا في الأرض فسادا كبـيرا وانتهكـوا حرمـات المسـلمين وقتلـوا الرجال والنساء، ومن غدرهم لأهل الإسلام أنهم تعاونوا مـع النصارى والتتار ضد المسلمين حتى استمر غدرهم وكيــدهم ضــد الإســلام في عصــر شــيخ الإســلام ابن تيميــة فقــام بالمقاومــة عليهم وخــرج إلى جبــل كســروان وقــاتلهم مــع جيوش المسلمين[2].

ثم إن الشيخ رحمه الله بعد وقعة جبل كسروان[3] أرسل رسالة إلى السلطان الملك الناصر يـذكر فيهـا مـا أنعم اللـه على السـلطان وعلى أهــل الإســلام بســبب فتــوح الجبــل المذكور وبيان خيانة هؤلاء الروافض مـع المسـلمين، وقتلهم

---

[1] () ابن سبعين هو أبو محمد عبد الحـق بن إبـراهيم بن محمـد بن نصر المعروف بابن سبعين من شـيوخ الصـوفية القـائلين بوحـدة الوجـود، تـوفي بمكـة سـنة 669هــ، انظـر: شـذرات الذهب (5/329، 330)، البداية والنهاية (13/261).

[2] () انظر: العقود الدرية (ص: 195)

[3]) كسروان هي إحدى أقضية محافظـة جبـل لبنـان السـتة. تقع في غرب وسط لبنان وتمتد من مجرى نهـر إبـراهيم في الشمال وحتى مجرى نهـر الكلب في الجنـوب، ومن شـاطئ البحـر الأبيض المتوسـط في الغـرب حـتى قمم جبـل صـنين على ارتفاع 2600 متر. تبلغ مساحتها 342 كيلومـترا مربعـا. مأخوذة من انترنت من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

المسلمين مالا يحصى عدده إلا الله، وفرحهم بمجيء التتار[1].

وأيضا قام بالرد عليهم من خلال كتبه ورسائله منها: كتاب الرد على أهل كسروان الرافضة وهو مجلدان ذكره ابن عبد الهادي[2]، وكتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، رد فيه على ابن المطهر الحلي[3] الرافضي.

وعلى كل فإن العصر الذي عاشه شيخ الإسلام تنوعت فيه الأفكار المضطربة وانتشرت فيه الفرق المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وفي مقابل ذلك نجد أنه بسبب ما حصل في بغداد من تخريب التتار لها، وانتقال كثير من العلماء وحلقات العلم إلى الشام؛ قد هيأ الله شيخ الإسلام للتلقي عن كثير من هؤلاء الأعلام، وأيضا كانت حلقات العلم في المساجد والمدارس، مثل دار الحديث السكرية بدمشق[4]، والمدرسة العادلية الكبرى[5]، والمدرسة الصالحية[6]، والمدرسة الظاهرية بالشام[7]، وغيرها.

---

1 () المصدر السابق (ص: 198، 201)

2 () العقود الدرية (ص: 48).

3 () الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، مات في المحرم سنة ست وعشرين وسبع مائة عن ثمانين سنة، انظر: لسان الميزان (2/317)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، 1390هـ.

4 () هذه المدرسة التى كان يدرس فيها والد شيخ الإسلام ابن تيمية ثم بعد وفاة والده تولى شيخ الإسلام بالتدريس فيها. انظر: الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (1/56)، دار الكتب العلمية، 1410هـ، والبداية والنهاية (17/529).

5 () انظر: البداية والنهاية (18/47) والدارس في تاريخ المدارس(1/271).

6 () انظر: الدارس في تاريخ المدارس(1/239)،

7 () انظر: الدارس في تاريخ المدارس(1/257)، والبداية والنهاية(17/453)

وكــانت أيضــا الموســوعات والــدواوين في العلــوم الشـريعة من التفسـير والحـديث والفقـة وغيرهـا مدونـة ومبسوطة، فكان الرجوع إليها سـهلة وميسـرة، لـذا نجـد أن شيخ الإسلام ابن تيمة استفادة من هذه الفرص مع ما أعطاه الله سـبحانه من قـوة حفـظ وسـرعة فهم، فكـان رحمه الله منذ صغره وهو ابن بضع عشرة سنة؛ قد سمع مسند الإمام أحمد بن حنبـل مـرات وسـمع الكتب السـتة الكبار والأجزاء، ومعجم الطبرابي الكبير، وعني بالحديث، وقرأ ونسخ وتعلم الخـط والحسـاب في المكتب، وحفـظ القـرآن، وأقبـل على الفقـه، وقـرأ العربيـة على ابن عبـد القوى ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حــتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم اصول الفقه وغير ذلك[1].

1 () انظر: العقود الدرية (ص: 19).

المطلب الثالث: الحالة الدينية والاجتماعية:

من المعلوم أن الأحوال السياسية والعلمية لها أثر كبير على الحالة الدينية والاجتماعية فلما كثرت الفتن على البلاد الإسلامية وتفرقت الشعوب والقبائل وامتزج بعضها ببعض وهاجر العلماء وأصحاب الحل والعقد من ديار المسلمين إلى مناطق بعيدة، فأصبح المجتمع في حالة اضطراب نفسي وفقدان للأمن والأمان خاصة بعد زوال الدولة العباسية، حيث بدأت الصراعات الداخلية للوصول إلى السياسة والحكم، وأيضا أصبحت الحياة الاجتماعية صعبة بسبب ما نزل من فيضانات، وفي ذلك يقول ابن كثير في حوادث سنة أربع وعشرين وستة مائة: (وفيها كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة وقل اللحم حتى حكى ابن الأثير: أنه لم يذبح بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في زمن الربيع، قال: وسقط فيها عاشر آذار ثلج كثير بالجزيرة والعراق مرتين فأهلك الأزهار وغيرها، قال: وهذا شئ لم يعهد مثله، والعجب كل العجب من العراق مع كثرة حره كيف وقع فيه مثل هذا)[1].

وقال أيضا يحكي أحوال بداية القرن السابع الهجري: (فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحا شديدا بعد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر، وتحقق عود السلطان إلى مصر، ونادى ابن النحاس[2] متولي البلد في الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق، فتصايح النساء والولدان، ورهق الناس ذلة عظيمة وخمدة، وزلزلوا زلزالا شديدا، وغلقت الأسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل)[3].

---

1 () البداية والنهاية (13/137)

2 () محي الدين بن نحاس تولى وزارة دمشق في زمن منصور عام أربع وثمانين وست مائة. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي(15/420)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ.

3 () المصدر السابق (14/19)

ومن جانب آخر فقد أثرت على حياة الفرد والمجتمع نتيجة اختلاطهم مع الفرنج والتتار فشاعت البدع والفواحش، وانتشر التصوف والجدل وصارت النفوس واهية وأصبحت الأذهان متشتتة، وأصبحت عقول كثير من الناس تقبل أي فكر أو رأي دون التعمق والتحقق فيها.

وفي هذا يقول ابن كثير: (إنه في سنة ثمان وتسعين وستة مائة. . . ضمّن الخَمَّارات، ومواضع الزنا من الحانات وغيرها، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خَمَّارة وحانة أيضا، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم، وهي التي دمرته، ومحقت آثاره، وأخذ أموالا أُخَرَ من أوقاف المدارس وغيرها، ورجع بُولاي[1] من جهة الأغوار، وقد عاث في الأرض فسادا، ونهب البلاد وخرب، ومعه طائفة من التتر كثيرة، وقد خربوا قرى كثيرة، وقتلوا من أهلها وسبوا خلقا من أطفالها، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبوهم، وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ورسم قبجق[2] لخطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيتكلموا مع نائبها في المصالحة فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة، فكلموه وبالغوا معه فلم يجب إلى ذلك.

وفي ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فحلفهم على المناصحة للدولة المحمودية يعني قازان فحلفوا له،

---

[1] () بولاي النوين التتري، أحد مقدمي التتار الذين حضروا مع غازان، اسمه على الصحيح مولاي وإنما الناس يحرفونه تهكما به وبأمثاله كما يقولون في خداي بندا: خربندا. انظر: أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (2/70،ـ 357)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1418هـ، وانظر: تاريخ الإسلام للذهبي(15/702)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ.

[2] () الأمير سيف الدين قبجق المنصور نائب الشام في سنة سبع وتسعين وست مائة، انظر: البداية والنهاية (13/415)، و(17/725)، وانظر: أعيان العصر وأعوان النصر (4/61).

وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مخيم بولاي فاجتمع به في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين. . . وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وشققوا الظروف[1] وأراقوا الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، ففرح الناس بذلك)[2].

وكان التشتت الاجتماعي بين الناس أحيانا بسبب ما يفرض عليهم من أموالهم لمصلحة البلد وأحيانا من خوف التتار وفسادهم، وانتشر بين الناس الخوف واليأس والجبن، وهنا أيضا يبرز دور شيخ الإسلام ابن تيمية كما يحكي ابن كثير:

(إنه في بداية القرن السابع الهجري ولما كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص أجرة أربعة أشهر عن جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق، فهرب أكثر الناس من البلد، وجرت خبطة قوية وشق ذلك على الناس جدا.

وفي مستهل صفر وردت أخبار بقصد التتر بلاد الشام، وأنهم عازمون على دخول مصر، فانزعج الناس لذلك وازدادوا ضعفا على ضعفهم، وطاشت عقولهم وألبابهم، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة، فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمائة، وبيع الجمل بألف والحمار بخمسمائة، وبيعت الأمتعة والثياب والغلات بأرخص الأثمان، وجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما ينفق في

---

[1] () الظرف وعاء كل شيء حتى إن الإبريق ظرف لما فيه. انظر: لسان العرب (9/229).

[2] () انظر: البداية والنهاية (14/12، 13).

أجرة الهـرب إذا أنفـق في سـبيل اللـه كـان خـيرا، وأوجب جهاد التتر حتما في هذه الكـرة، وتـابع المجـالس في ذلـك، ونودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسـوم وورقـة فتوقـف الناس عن السير وسكن جأشهم[1].

فـأثرت هـذه الظـروف والأحـوال الدينيـة والاجتماعيـة على حيـاة شـيخ الإسـلام ابن تيميـة فاستشـعر بواجبـه الديني تجاه المسلمين، ومن هنـا بـرز دور الشـيخ رحمـه اللـــه في العطـــف على العامـــة، وحرصـــه على ســـلامة المجتمـــع وردهم إلى دين اللـــه ردا جميلا ليعم نعم اللـــه وآلائـه على المسـلمين بعـد أن ذاقـوا ذلا وهوانـا بسـبب فسق بعضهم، وبعدهم عن العقيدة الصـحيحة، ووقـوعهم في المنكرات والشركيات التي أبعدتهم عن اللـه سـبحانه وتعالى.

وهـذه الأحـداث أثـرت على معظم النـاس سـلبا ولكن من توفيق الله عز وجل أنها كان بها الأثر البالغ على شيخ الإسلام إيجابا.

---

[1] () المرجع السابق (14/17)

المبحث الثاني: حياته الشخصية والعلمية.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه[1]:

هو شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن الشيخ العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية النميري الحراني نزيل دمشق.

المطلب الثاني: مولده ونشأته:

ولد شيخ الإسلام في أسرة علمية سنة 661هـ بحران[2] في العاشر من شهر ربيع الأول، وفي سنة 667هـ ارتحل به أبوه وأهله وأقاربه خوفا من جور التتار، يحملون الذرية والكتب على عجلة تجرها البقر وقد كلت البقر من ثقل العجلة، وتوقفت عن السير، وكاد يدركهم العدو، ولجأوا إلى الله عز وجل، فسارت البقر، وأنقذهم الله من عدوهم، و وصلوا إلى دمشق آمنين[3].

وكان والده وجده عبد السلام بن عبد الله من العلماء

---

1 () لمزيد من التفصيل حول ترجمته، انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي، والكواكب الدرية لمرعي الحنبلي، والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الحنبلي أيضا، والأعلام العلية للبزار، والرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي.

2)) هي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. انظر: معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله الحموي(2/235)، دار صادر بيروت، 1995، وهي تقع الآن جنوب شرق تركيا عند منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات. مأخوذة من انترنت من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

3 () انظر: العقود الدرية (ص: 18).

الأعلام، قال ابن كثير عن والده وجده: (الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، والد شيخنا العلامة العلم تقي الدين ابن تيمية: مفتي الفرق، الفارق بين الفرق، كانت له فضيلة حسنة، ولديه فوائد كثيرة، وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظهر قلبه، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين، وبها كان مسكنه، ثم درس ولده الشيخ تقي الدين بها بعده في السنة الآتية)[1].

وقال الذهبي عن جده عبد السلام بن عبد الله: (الشيخ، الإمام، العلامة، فقيه العصر، شيخ الحنابلة)[2].

فنشأ شيخ الإسلام ابن تيمية في أسرة عريقة اشتهرت بالعلم والمكانة، وبالفقه والحكمة، فربي تربية حسنة، فكانت لهذه البيئة الطيبة والأسرة العلمية المباركة تأثيرا قويا على شخصيته العلمية مع ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من ذكاء مفرط، وقوة حفظ، وجمال بيان، وسرعة بديهة، قال البزار: (خصّه الله بسرعة الحفظ، وإبطاء النسيان، ولم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء غالباً إلا ويبقى على خاطره إما لفظه، أو معناه، وكان العلم كأنه اختلط بلحمه ودمه)[3]، وقال أيضا: (ولم يزل منذ أبان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد، وختم القرآن صغيرا ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك، مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار، ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية، أما دواوين الإسلام الكبار كمسند أحمد، وصحيح البخاري، ومسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داوود السجستاني، والنسائي، وابن ماجه، والدارقطني، فإنه رحمه الله ورضي عنهم وعنه، فإنه سمع كل واحد منها عدة مرات،

---

1 () البداية والنهاية (17/592).

2 () سير أعلام النبلاء (33/291).

3 () الأعلام العلية (ص: 18)

وأول كتـاب حفظـه في الحـديث الجمـع بين الصـحيحين للإمـام الحميـدي، وقَـلَّ كتـاب من فنـون العلم إلا وقـف عليه)[1].

وذكر ابن عبـد الهـادي أن بعض علمـاء حلب قـدم من دمشق، وقال: (سمعت في البلاد بصبي يقـال لـه: أحمـد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدا لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كتّابه، وهـو إلى الآن مـا جـاء، فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبـا إلى الكتّـاب، فجلس الشيخ الحلـبي قليلا، فمـر صـبيان، فقـال الخيـاط للحلبي: فذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمـد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فناول الشيخ اللوح، فنظـر فيه، ثم قال: يا ولدي امسح هـذا حـتى أملي عليـك شـيئا تكتبه، ففعل فأملى عليه من متون الأحـاديث أحـد عشـر، أو ثلاثة عشر حديثا، وقال له:

اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مـرة بعـد كتابتـه إيـاه ثم دفعـه إليـه، وقـال: اسـمعه عليّ، فقـرأ عليـه عرضـا كأحسن ما أنت سـامع، فقـال لـه: يـا ولـدي امسـح هـذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ثم قال: اقرأ هـذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة فقام الشيخ وهـو يقـول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هـذا لم يـر مثله)[2].

وكان رحمه الله تعالى قد نشأ في عفاف وتألـه وتعبـد وتعلم كما يقول الإمام الـذهبي رحمـه اللـه تعـالى: (نشـأ يعـني الشـيخ تقي الـدين رحمــه اللـه في تصـوّن تـام، وعفـاف، وتألـه، وتعبـد، واقتصـاد في الملبس والمأكـل، وكـان يحضـر المـدارس والمحافـل في صـغره، ويـناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلـد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة بـل أقـل، وشـرع في الجمـع والتـأليف من ذلـك الـوقت، وأكب على الاشـتغال، ومـات والــده وكــان من كبــار الحنابلــة وأئمتهم، فــدرس بعــده

[1] () المرجع السابق (ص: 17)

[2] () العقود الدرية (ص: 20).

بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره وبعُدَ صِيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح)[1].

وكان ملازما لمجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار، وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبرابي الكبير، وعني بالحديث، وقرأ، ونسخ، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوى ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم اصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه[2].

هكذا ترعرع شيخ الإسلام ابن تيمية في بيئة علمية صالحة، وأسرة عريقة في العلم والفقه والحكمة فرحمه الله برحمته الواسعة وجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

---

1 () المرجع السابق (ص: 20)

2 () انظر: المرجع السابق (ص: 19).

المطلب الثالث: شيوخه:

أخذ شيخ الإسلام عن جمع كبير من العلماء والمشـايخ في عصــره، وشــيوخه أكــثر من مــائتي شــيخ[1]، ومن أشهرهم:

1/ والــده الشــيخ عبــد الحليم بن عبــد الســلام بن تيمية[2].

2/ أحمـد بن عبـد الـدائم المقدسي الـذي سـمع منـه الحديث[3].

3/ تقي الــدين إســماعيل بن إبــراهيم بن أبي اليسر التنوخي[4].

4 / فخر الدين بن البخاري[5].

5 / تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر[6].

6 / شرف الدين أبـو العبـاس أحمـد بن الشـيخ كمـال الدين المقدسي الشافعي[7].

7 / شـمس الـدين محمـد بن عبـد القـوي بن بـدران المرداوي الصالحي الحنبلي[8].

---

1 () انظر: المصدر السابق (ص: 19، 39)

2 () انظـر: شـذرات الـذهب (7/656)، دار ابن كثـير، بـيروت، 1406هـ.

3 () انظر: العقود الدرية (ص: 19)

4 () انظر: فوات الوفيات(1/170)، دار صادر، بيروت، وانظـر: شذرات الذهب(7/590).

5 () العقــود الدريــة (ص: 19)، وانظــر: البدايــة والنهايــة (17/640).

6 () فوات الوفيات (1/170)، شذرات الذهب(7/590).

7 () انظر: البداية والنهاية (17/678).

8 () انظـر: ذيـل طبقـات الحنابلـة (4/308)، مكتبـة العبيكـان، الرياض، 1425هـ، وانظر: شذرات الذهب (7/789).

وغيرهم كثير.

المطب الرابع: تلاميذه:

لما كان لشيخ الإسلام مكانة علمية عالية، وقوة ذكاء رفيعة مما جعله مصدر إعجاب لكثير طلاب العلم؛ فقصدوه من نواح شتى وتتلمذوا عنده، فكثر طلابه وملازموه، فمن هؤلاء النابغين:

1 / محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ثم الدمشقي المعروف بابن القيم[1].

2 / إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التفسير وصاحب كتاب البداية والنهاية[2].

3 / محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي[3].

4 / الشيخ عماد الدين أحمد بن إبراهيم الحزامي الواسطي[4].

5 / علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الأسكندراني ثم الدمشقي[5].

6 / شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله المقدسي الأصل ثم الدمشقي المشهور بابن قاضي الجبل[6].

7/ شمس الدين محمد بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن عبد الواحد المقدسي الأصل ثم الدمشقي[7].

1 () وهو من أبرز تلاميذه وأكثرهم أخذا عنه وتأثرا به، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، انظر: ذيل طبقات الحنابة (5/170)

2 () انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر(1/455)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1392هـ.

3 () انظر: ذيل طبقات الحنابلة (5/117)

4 () انظر: ذيل طبقات الحنابلة (4/381)

5 () انظر: البداية والنهاية (14/89)

6 () انظر: ذيل طبقات الحنابلة (5/180)، شذرات الذهب (8/376).

7 () انظر: الوفيات لابن رافع (2/213)، مؤسسة الرسالة،

وغيرهم خلق كثير.

المطلب الخامس: مؤلفاته:

صنف شيخ الإسلام ابن تيمية تصانيف كثيرة في الأصول والفروع لنشر مذهب السلف الصالح وتقرير معتقداتهم والرد على مخالفيهم، فكثرت تصانيفه ورسائله وفتاواه حتى قال تلميذه الإمام الذهبي: (وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر)[1].

وقال أيضا: (جمعت مصنفات شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه فوجدته ألف مصنف ثم رأيت له أيضا مصنفات أخر)[2].

وقال الحافظ البزار: (وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها أو يحضرني جملة أسمائها بل هذا لا يقدر عليه غالبا أحد؛ لأنها كثيرة جدا، كبارا وصغارا، وهي منشورة في البلدان، فقل بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه)[3].

وقال الحافظ ابن رجب: (وأما تصانيفه رحمه الله فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها، ولا ذكرها)[4].

1402هـ، وانظر: شذرات الذهب (8/322).

1 () العقود الدرية (ص: 39)، وانظر: الرد الوافر(ص: 33).

2 () الرد الوافر لابن ناصر الدين (1/35).

3 () الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص: 23)

4 () ذيل طبقات الحنابلة (ص: 344)

ومن أشهر مؤلفاته:

1/ درء تعارض العقل والنقل[1].

2/ كتاب الإيمان[2].

3/ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان[3].

4/ الفتوى الحموية الكبرى[4].

5/ كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري[5].

6/ التدمرية[6].

7/ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[7].

---

1 () مطبوع بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ.

2 () مطبوع بتحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، 1416هـ، كما حققه في رسالة علمية للدكتوراه بتحقيق الدكتور محمد سعيد إبراهيم سيد أحمد، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، 1423هـ.

3 () حققه عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى في رسالته للماجستير من قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود عام 1406هـ، والتحقيق مطبوع في مجلد واحد.

4 () حققه في رسالة الماجستير، الدكتور حمد بن عبد المحسن التويجري من قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود عام1413هـ، والتحقيق مطبوع في مجلد واحد عند دار الصميعي.

5 () حققه الدكتور عبد الله بن دجين السهلي في رسالته للماجستير، جامعة الملك سعود عام 1417هـ.

6 () حققه الدكتور محمد بن عودة السعوي في رسالته للماجستير من قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود عام 1399هـ، وتحقيقه مطبوع.

7 () حققه كل من الدكتور علي بن حسن عسيري، الدكتور حمدان بن محمد الحمدان، الدكتور عبدالعزيز بن ابراهيم العسكر في رسالتهم للدكتوراه من قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود عام 1407هـ، والتحقيق مطبوع.

8/ الأخنائية[1].

9/ اقتضاء الصراط المستقيم[2].

10/ النبوات[3].

11/ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الالحاد ومن القائلين بالحلول والاتحاد[4].

وغيرها من الكتب النافعة.

المطلب السادس: أقوال العلماء فيه

وقد أثنى العلماء على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قديما وحديثا، ومن جملة ذلك ما يلي:

قال الإمام الذهبي: (فريد العصر علما، ومعرفة، وذكاء، وحفظا، وكرما، وزهدا، وفرط شجاعة، وكثرة تآليف)[5].

قال تلميذه الحافظ البزار: (أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته فإنه فيه من الغاية

---

1 () حققه أحمد بن مونس العنزي في رسالته للماجستير من كلية التربية بجامعة الملك سعود.

2 () حققه الدكتور ناصر العقل في رسالته للدكتوراه من قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود عام 1403هـ، طبع عدة مرات.

3 () حققه الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويان في رسالته للدكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1411هـ.

4 () حققه الدكتور موسى الدويش في رسالته للدكتوراة من قسم العقيدة بكلية أصوال الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود عام 1406هـ، وتحقيقه مطبوع.

5 () انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي (1/56)، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية 1408هـ.

التي ينتهى اليها والنهاية التي يعول عليها. . . أما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقواله، وأفعاله، وقضاياه، ووقائعه، وغزواته، وسراياه، وبعوثه، وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، وبقية المنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم، وأفعالهم، وقضاياهم، وفتاويهم، وأحوالهم، وأحوال مجاهداتهم في دين الله، وما خصوا به من بين الأمة فإنه كان رضي الله عنه من أضبط الناس لذلك، وأعرفهم فيه، وأسرعهم استحضارا لما يريده منه)[1].

وقال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[2] أيضا: (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد)، وقال أيضا: (ما كنت أظن أن الله بقي يخلق مثلك)[3].

وقال عنه المزي[4]: (ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسول الله

---

1 () انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار (ص: 20، 22).

2)) محمد بن علي بن وهب تقي الدين أبو الفتح، الإمام العلامة الحافظ القدوة، توفي إلى رحمة الله في صفر سنة اثنتين وسبع مائة. انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي(2/249)، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1408هـ.

3 () انظر: الرد الوافر (ص: 59)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة (4/503)، وانظر: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية (ص: 29)، لمرعى بن يوسف المقدسي الحنبلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ.

4)) جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن عبد الرحمن بن يوسف المزي، العلامة الحافظ البارع أستاذ الجماعة محدث الإسلام الكلبي القضاعي المزي، مولده بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وست مائة. توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة. انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي (2389).

صلى الله عليه و سلم ولا أتبع لهما منه)[1].

وقال السبكي[2]:)والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى فالجاهل لا يدري ما يقول وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به[3].

وقال الشيخ كمال الدين بن الزملكاني[4]:)كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذاك الفن، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا منه في مذهبهم أشياء، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع منه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها[5].

المطلب السابع: وفاته

توفي شيخ الإسلام رحمه الله تعالى برحمته الواسعة

---

1 () انظر: الرد الوافر (ص: 129)، وانظر: شذرات الذهب (8/147)، وانظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لإبراهيم ابن محمد ابن مفلح (1/135)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 1410هـ.

2)) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، ولد سنة 727هـ، ولازم الذهبي وتخرج بتقي الدين ابن رافع وأمعن في طلب الحديث وكتب الأجزاء والطباق مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب، وتوفي في سابع ذي الحجة سنة 771 هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (3/233)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1392هـ.

3 () انظر: الرد الوافر (ص: 24)

4)) محمد بن علي بن عبد الله الواحد، كمال الدين ابن الزملكاني، كبير الشافعية في عصره؛ ولد في شوال سنة سبع وستين وستمائة، في سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مائة. انظر: الوافي بالوفيات(4/152)، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ.

5 () انظر: ذيل طبقات الحنابلة (4/497).

بعد أن عاش حياة عالمٍ رباني مجاهدٍ في الله حق جهـاده متمسكا بمنهج السـلف الصـالح مشـفقا على أمـة محمـد صلى الله عليه وسلم فجاهد في الله بقلمه وبيانه وسيفه حتى سجن في قلعة دمشق، ولم يـزل في معتقلـه حـتى توفاه الله تعالى ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ثمــان وعشـرين وسـبعمائة، وقـد ضـاقت الطـرق يـوم جنازتـه وحضرها المسلمون من كل فج عميق، حتى قيل: إنــه لم يسمع بجنازة مثل هذا إلا جنازة الإمـام أحمـد بن حنبـل -رحمه الله- وقد صلّي عليـه في جـامع دمشـق ولم يتسـع للناس، ثم حمل إلى ساحة متسعة الأطراف وصلى عليـه الناس، قال أحدهم: وكنت أنا قد صليت عليه في الجامع، وكان لي مستشرف على المكـان الـذي صـلي فيـه عليـه بظـاهر دمشـق، فـأحببت أن أنظـر إلى النـاس وكـثرتهم، فأشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت أنظـر يمينـا وشـمالا ولا أرى أواخرهم بل رأيت الناس قـد طبقـوا تلـك الأرض كلهــا، واتفــق جماعــة من حضــر حينئــذ وشــاهد النــاس والمصلين عليه على أنهم يزيدون على خمسمائة ألف[1].

---

[1] () انظر: الأعلام العلية (ص: 81-84)، والعقـود الدريـة (ص: 385).

الفصل الثاني: دراسة الرسائل المحققة.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: دراسة كتاب: (معارج الوصول).

المبحث الثاني: دراسة كتاب: (الصفات الاختيارية).

المبحث الثالث: دراسة كتاب: (مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو).

المبحث الرابع: دراسة كتاب: (مسألة في الاستواء والنزول).

المبحث الخامس: دراسة كتاب: (إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى).

المبحث الأول: دراسة كتاب (معارج الوصول).

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب

إن هذه المخطوطة معروفة بهذا الاسم كما هو مذكور في كتب فهارس المخطوطات وفي مكتبات المخطوطات ومراكزه، مثل ما هو موجود في فهارس المخطوطات بمركز الملك فيصل بنفس الاسم[1].

وقد طبع عدة طبعات بنفس الاسم مثل ما طبعه مكتبة ابن الجوزي، 1407هـ، وطبع أيضا بنفس الاسم ضمن مجموعة الرسائل الكبرى في المطبعة العامرة بمصر.

ومن المعلوم أن كثيرا من رسائل ومؤلفات شيخ الإسلام رحمه لله لم يضع اسما لها وإنما هو من صنيع تلاميذه أو من بعده[2].

وقد جاء اسم الكتاب (معارج الوصول إلى معرفة أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول) في بعض الطبعات، ولم أجده في المخطوط، والعنوان مطابق لمضمونه كما سيأتي، وهناك من سمى الكتاب باسم (معارج الوصول إلى أحكام الإجماع بينها الرسول) كما فعل البابانى[3].

---

1 () انظر: خزانة التراث، الرقم التسلسل: (105815)، إصدار مركز الملك فيصل.

2 () وفي هذا يقول الشيخ بكر أبو زيد: (ولكن عموما إن شيخ الإسلام ابن تيمية لا يضع اسما لرسائله ومؤلفاته إلا القليل، والكثير منها لا سيما أجوبته وفتاويه، ورسائله الصغيرة ووصاياه، فيندر تسميتها، لذا فإن تلاميذه أو من بعدهم على تتابع القرون قد يضعون اسما لها). انظر: المدخل إلى آثار شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 59)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1422هـ.

3 () انظر كتابه إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (4/503)، وكتابه هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (1/106).

المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف

إن نسبة هذا الكتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية نسبة صحيحة، وقد دل على ذلك عدة أدلة، منها:

1/ أن المخطوطات وفهارسها صرحت بنسبة هذا الكتاب للمؤلف، بالإضافة إلى أن النساخ نسبوه له رحمه الله.

2/ أن الأسلوب الذي كتبت فيه هذه الرسالة مطابق لأسلوب شيخ الإسلام رحمه الله المعروف وكذا تقريراته التي سجلها مطابقة لكتبه الأخرى، وقد طبع هذه الرسالة الشيخ عبد الرحمن ابن محمد القاسم رحمه الله ضمن مجموع الفتاوى.

3/ أنه لم ينسب أحد هذا الكتاب لغير شيخ الإسلام رحمه الله.

وكل هذا يدل على صحة نسبة الكتاب لشيخ الإسلام رحمه الله[1].

4/ ومما يدل على صحة نسبة الكتاب للمؤلف أنه أشار إلى مسائل تكلم عنها في مصنفاته الأخرى، وهذا كثير في كتبه، وكذلك ذكر في هذه الرسالة كتابه المشهور (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) قال رحمه الله: (وقد ذكرت في الرد على النصارى. . .)

المطلب الثالث: وصف المخطوط

يقع المخطوط في: (14) لوحة، وعدد الأسطر في كل صفحة (25) سطرا، وأما مصدر المخطوط فهي مصورة لدى مركز الشيباني في الكويت، برقم: 408، وهو مطبوع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله: المجلد (19/155–202)، وطبع أيضا ضمن مجموعة الرسائل الكبرى، المجلد الأول، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

---

[1] () انظر: خزانة التراث، الرقم التسلسل: (105815)، إصدار المركز الملك فيصل. وانظر: قائمة بمؤلفات شيخ الإسلام المطبوعة، جمعه: دكتور عبد السلام بن إبراهيم الحصين.

وتاريخ النسخ: 21محرم، عام 1209هـ.

وجـاء في بدايـة المخطـوط: (بسـم اللـه الـرحمن الرحيم، رب يسـر وأعن، قـال الشـيخ الإمـام العـالم تقي الدين أوحد المجتهدين أحمد بن تيميـة قـدس اللـه روحـه ونوّر ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشـق متـأخرًا: فصـل، في أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بين جميـع الدين)

ونهاية المخطوط: (وكذلك الإجماع الصحيح لا يعـارض كتابًا ولا سنة، تم بحمـد اللـه وعونـه، وصـلواته على خـير بريته محمد وآله، ووافق الفـراغ من كتابـة هـذه النسـخة الشريفة نهار الأحد حادي وعشرين من شهر الله المحرم الذي هو من شهور سنة ألف ومائتين وتسعة من الهجـرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والحمـد للـه رب العالمين).

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب لا يختلف عن منهجه العام الذي سار عليه في سائر مؤلفاتـه، فمن منهجه في هذا الكتاب ما يلي:

1/ يقرر أولا عقيدة السلف الصالح بالأدلـة والـبراهين، ثم يـبين مـذاهب المخـالفين وشـبهاتهم، ثم يـرد عليهم مستدلا بالأدلة العقلية والنقلية.

2/ يذكر أقـوال المخـالفين من كتبهم ثم يـبين موضـع الخلل فيها مستدلا في ذلـك من الكتـاب والسـنة وأقـوال سلف الأمة وأئمة الـدين المشـهورين المتمسـكين بمنهج السلف الصالح.

3/ من منهجـه أنـه صـنف الأقـوال والمـذاهب حسـب معتقداتهم في المسألة، ثم أرجعهـا لقائليهـا من أصـحاب المذاهب، والفرق، مع ذكر حججهم الباطلة ثم ردّ عليها.

4/ ومن منهجه ربط فهم الكتـاب والسـنة بفهم سـلف الأمـة، وقـد وضـح الخلـل الواقـع عنـد المخـالفين بسـبب اسـتقلال فهمهم للنصـوص الشـرعية دون الرجـوع إلى الفهم الصحيح لتلك النصوص.

5/ قعد شيخ الإسلام رحمه الله قاعدة عظيمة ومهمة يحتاجها كل مسلم، وقد جعلها مقدمة لكتابه هذا، وهذه القاعدة سماها أصل أصول العلم والإيمان، وهي: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله).

6/ من منهجه رحمه الله تعالى الاستطراد عند رده على المخالفين، وأحيانا يضرب أمثلة تبين وتوضح المقصود من كلامه وهذا له أهمية كبرى في تجلية البراهين التي يستند إليها، وتعزيز لكلامه.

المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب:

أن هذه الرسالة كتبها شيخ الإسلام وهو في قلعة دمشق، وقد كتبها متأخرا كما في مقدم المخطوط.

قسم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كلامه في هذه الرسالة بذكر فصلين عظيمين:

الفصل الأول: وهو ما يتعلق بأصول الدين والعقائد في ذات الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقام بالرَّد على شبهة عظيمة ألا وهي: شبهة القرامطة والمتفلسفة بأن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الإلهية، فلبيان الحق في هذه المسألة بدأ الكتاب بقاعدة عظيمة سماها أصل أصول العلم والإيمان وهي: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله).

فشيخ الإسلام ابن تيمية بين أن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا ثم ذكر أن من كان أبعد عن الحق علما وعملا كالقرامطة والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الإلهية، ثم ذكر الدرجة الثانية منهم الذين يعترفون بأن الرسل علموا الحقائق لكن يقولون: لم يُبَيِّنها، بل خاطب الجمهور بالتخييل، فيجعلون التخييل في خطابه لا في علمه.

ثم بين الدرجة الثالثة منهم الذين يقولون: بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون: لا يمكن معرفته من كلامهم بل يعرف بطريق آخر: إما المعقول عند طائفة، وإما المكاشفة عند طائفة، إما قياس فلسفي، وإما خيال صوفي، ثم بعد ذلك ينظر في كلام الرسول فما وافق ذلك قُبِل وما خالفه، إما أن يفوض، وإما أن يؤول، وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة.

ثم بدأ بالرد عليهم واحدا بعد واحد بأسلوبه الخاص مستدلا بالكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة مستخدما الأدلة الشرعية والعقلية.

ثم بين أن انحصار الخير والسعادة والصلاح والكمال في العلم النافع والعمل الصالح، وجميع حكماء الأمم يفضلون هذين، مثل حكماء اليونان والهند والعرب.

ثم قال أن الصوفية بنوا أمرهم على الإرادة ولا بد منها، والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضى للعلم ولا بد منه، ثم بين فساد منهجهم وقال: من علم بلا إرادة فهو ضال، ومن طلب هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال، ثم ذكر منهج السلف في ذلك وأنهم يقولون: الدين والإيمان قول وعمل واتباع السنة.

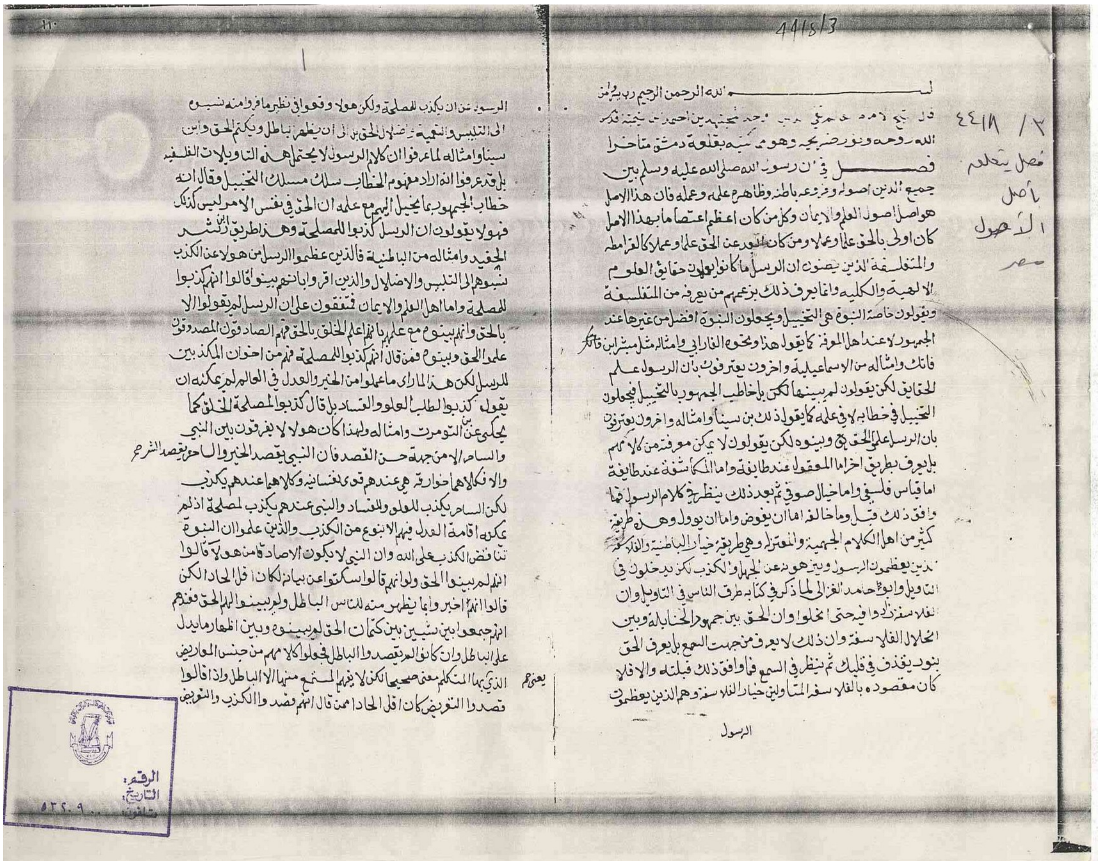
وأما الفصل الثاني ففي العمليات، وهي التي يسميها الناس الفروع، والشرع، والفقه، وأوضح شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين هذا أحسن بيان، فما شيء أمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه إلا بين ذلك، مستدلا بالنصوص الشرعية التي تدل على هذا الأصل.

وتحدث عن الإجماع وحجيته، وعن القياس الصحيح، فبين أن إجماع الأمة حق وأنهم لا تجتمعون على ضلالة، كما قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وغير ذلك من الآيات البينات.

ثم أوضح أنه لا يوجد مسألة مجمع عليها إلا وفيها بيان من الرسول، ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس

ويعلم الإجماع؛ فيستدل به ثم ذكر الأمثلة على ذلك.

ثم بين أن للصحابة فهم في القـرآن يخفى على أكـثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بـأمور من السـنة وأحـوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين، فإنهم شهدوا الرسـول والتنزيـل وعـاينوا الرسـول، وعرفـوا من أقوالـه وأفعالـه وأحواله مما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفـه أكـثر المتـأخرين الـذين لم يعرفـوا ذلـك فطلبـوا الحكم ممـا اعتقدوه من إجماع أو قياس.



صورة اللوحة الأولى من المخطوطة



صورة اللوحة الأخيرة من المخطوطة

المبحث الثاني: دراسة كتاب (الصفات الاختيارية)

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب

يوجد في بداية الكتاب اسمها حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فصل في الصفات الإختيارية).

ثم إن هذا الكتاب معروف بهذا الاسم كما هو مذكور في كتب فهارس المخطوطات وفي مكتبات المخطوطات ومراكزه، مثل ما هو موجود في كتاب الإثبات لمخطوطات الأئمة للدكتور علي بن عبد العزيز الشبل[1].

وأيضا يوجد بنفس الاسم في خزانة التراث، إصدار مركز الملك فيصل[2].

وقد طبع بنفس الإسم ضمن مجموعة جامع الرسائل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم[3].

المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف

يتضح جليا صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف، وذلك لعدة أمور منها: دلالة كتب فهارس المخطوطات ومراكزه على نسبة الكتاب للمؤلف رحمه الله تعالى، مثل: كتاب الإثبات للدكتور علي بن عبد العزيز الشبل، حيث ذكر فيه مؤلفه أنه موجود باسم الشيخ في مكتبة الظاهرية وعنها فلم بالمدينة (8567/9)[4]، كما هو منسوب إلى الشيخ في خزانة التراث وفي مجموعة الرسائل، تحقيق الدكتور رشاد سالم.

---

1 () انظر: الإثبات لمخطوطات الأئمة (ص: 171)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1423هـ.

2 () انظر: خزانة التراث، فهرس المخطوطات، رقم التسلسل: (83763).

3 () انظر: جامع الرسائل لابن تيمية(2/1)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء، الرياض، الطبعة: الأولى 1422هـ.

4 () انظر: الإثبات لمخطوطات الأئمة (ص: 171)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1423هـ.

وقد أدخل هذه الرسالة ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام الشيخُ العالمُ الخبير بكتب شيخ الإسلام عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، يضاف إلى ذلك ما تميز به أسلوب شيخ الإسلام ونفسه المعروف والظاهر في هذه الرسالة.

ومما يدل على صحة نسبة الكتاب لشيخ الإسلام رحمه الله أنه يحيل في عدة مواضع إلى كلام سابق له، كقوله: (كما ذكرنا أقوالهم بألفاظها في غير هذا الموضع).

وأيضا تشابه ما قرره شيخ الإسلام في هذا الموضع مع مواضع أخرى من كتبه، وذلك أنه يحيل على بعض كتبه عند استطراده، فمثلا لما ذكر قول المتكلمين في مسألة حلول الحوادث قال: (وذلك محال لوجوه قد ذكرت في غير هذا الموضع) وهي موجودة فيما دوّنه في بعض كتبه الأخرى كما سترى في التحقيق بإذن الله.

وقال في موضع آخر: (وقد بسطنا القول على عامة ما ذكروه في هذا الباب وبينا فساده وتناقضه على وجه لا تبقى فيه شبهة لمن فهم هذا الباب)، وهذا البسط تناوله شيخ الإسلام في بعض كتبه الأخرى كما سترى في التحقيق بإذن الله تعالى.

وقال في موضع آخر لما ذكر قول الرازي والآمدي في مسألة القرآن: (وقد كشفت هذه الأمور في مواضع) وهذا مذكور كذلك في بعض كتبه كما سترى في التحقيق بإذن الله.

والأمثلة على هذا كثيرة.

المطلب الثالث: وصف المخطوط

يقع المخطوط في (11) لوحة، وعدد الأسطر: (28) سطرا، ومصدر المخطوط: الظاهرية في مجموع برقم: (99)، ولها فلم في الجامعة الإسلامية برقم: (8588)، والرسالة مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (6/217-267)، وهي أيضا مطبوعة ضمن جامع الرسائل بتحقيق الدكتور

محمد رشاد سالم.

وبداية المخطوط: (قال شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه ونوَّر ضريحه: فصل في الصفات الاختيارية، وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل: كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه)، ونهايته: (فالفاتحة اشتملت على الكمال في الإرادة وهو الرحمة، وعلى الكمال في القدرة وهو ملك يوم الدين، وهذا إنما يتم بالصفات الاختيارية كما تقدم، والله سبحانه وتعالى أعلم)

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب

منهج المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب بدأ أولا بتعريف موضوع الكتاب وهو الصفات الاختيارية، ثم بين عقائد المخالفين في ذلك، فبين عقيدة الجهمية والمعتزلة والكلابية والسالمية، ثم بدأ بالرد عليهم ببيان مقالة السلف الصالح وأئمة الدين في ذلك مستدلا على ذلك من الكتاب والسنة.

ومن منهجه بيان موقف السلف والرد على المخالفين في ذلك من خلال الوجوه المتعددة يبينها في نقاط، مثل ما ذكر مواقف النفاة في الصفات الاختيارية وقام بالرد عليها من ستة وجوه، ثم ذكر حجج نفاة حلول الحوادث وقام بالرد عليهم من أربعة وجوه.

ومن منهجه رحمه الله أنه يذكر الأئمة القائلين بالحق في مسألة الصفات الاختيارية مقارنا بين قولهم وقول المتكلمين الذين ضلوا في هذا الباب.

ومن منهجه كذلك أنه ينّوع الأدلة التي تدل على اتصاف الله تعالى بالصفات الاختيارية كاستدلاله على صفة الكلام لله تعالى بالكتاب والسنة وأقوال السلف وكذا الاستدلال بالمعقول كما ستراه في هذه الرسالة بإذن الله تعالى.

من منهجه بيانه لتناقض المخالفين، واختلافهم عن

تقريرهم للأصول التي بنوا عليها نفيهم للصفات فذكر مثلا مسألة حلول الحوادث، حيث أنهم مع قولهم بهذا الأصل إلا أن الرازي لم يعتمد عليه في مسألة القرآن، بل استدل بإجماع مركب وهو دليل ضعيف إلى الغاية.

من منهجه استدلاله بالآيات القرآنية التي تدل على إثبات الصفات الاختيارية لله تعالى التي يسميها المتكلمون حلول الحوادث.

وكذلك الاستدلال بالمعقول الصريح، وهذا ورد كثيرا في هذه الرسالة، ومن ذلك استدلاله لصفة البصر والسمع بأن المعدوم لا يرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء.

المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب

موضوعات الكتاب هو في مسألة الصفات الاختيارية أو الفعلية كما هو ظاهر من اسم الكتاب، لأن الصفات الثبوتية تنقسم عند أهل السنة والجماعة من جهة تعلقها بالله إلى قسمين:

الأول: الصفات الذاتية، وهي التي لا تنفك عن الذات، أو التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها، أو: الملازمة لذات الله تعالى، ومنها: الوجه، اليدين، العينين، الأصابع، القَدَم، العلم، الحياة، القدرة، العزة، الحكمة.

الثاني: الصفات الاختيارية، وضابطها: هي التي تنفك عن الذات، أو: التي تتعلق بالمشيئة والقدرة، ومنها: الاستواء، المجيء، الإتيان، النزول، الخلق، الرزق، الإحسان، العدل، فموضوع الكتاب الذي بين أيدينا هو الصفات الاختيارية.

وقد يسمونه المخالفين باسم حلول الحوادث، ففي هذه الرسالة رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية ردا كافيا شافيا مستدلا على هذا بالأدلة النقلية والعقلية.

واتفق السلف قاطبة والأئمة من بعدهم على إثبات هذه الصفات لله جل وعلا على الوجه اللائق به تعالى، وخالف في ذلك أهل البدع.

وتناول شيخ الإسلام مسألة صفة الكلام لله تعالى وبين معتقد أهل السنة فيها كما ذكر أقوال المخالفين.

والصفات الاختيارية هي التي يسميها المتكلمون بمسألة حلول الحوادث، وذلك أنهم يزعمون أن الرب تعالى لو اتصف بهذه الصفات الحادثة لقامت به الحوادث، ولو قامت به الحوداث لم يخل منها وما لم يخل من الحوداث فهو حادث، قالوا: وبذلك استدللنا على حدوث الأجسام، وبه عرفنا حدوث العالم، وبذلك أثبتنا وجود الصانع وصدق رسله، فلو قدحنا في تلك؛ لزم القدح في أصول الإيمان و التوحيد، وإن لم يكن من لوازم ذاته صار قابلا لها بعد أن لم يكن قابلا، فيكون قابلا لتلك الصفة فيلزم التسلسل الممتنع.

وإنا لنجد أن شيخ الإسلام في هذه الرسالة قسم كلامه إلى فصول:

فأما الفصل الأول: فجعله في تعريف الصفات الاختيارية عند أهل السنة وعند المخالفين لهم، وتطرق بالخصوص لصفتي الاستواء والكلام، مع ذكره للأقوال المخالفين.

وأما الفصل الثاني: فجعله في صفتي الارادة والمحبة وإثباتها لله جل وعلا، وذكر أقوال المعارضين لهم من الجهمية والكلابية وغيرهم، وبين معارضتهم للنصوص الصريحة، وأن المحبة والإرادة هي من الصفات الاختيارية.

وأما الفصل الثالث: فجعله في صفة السمع والبصر النظر، ودلّل عليها من النصوص، وأوضح أنها من الصفات الاختيارية، وذكر أقوال المخالفين وأبطلها.

وأما الفصل الرابع: فذكر فيه أن الأفعال نوعان: متعد ولازم، فالمتعدي مثل: الخلق والإعطاء ونحو ذلك، واللازم: مثل الاستواء والنزول والمجيء والإتيان، وكلاهما حاصل بقدرته ومشيئته، وأن القرآن دل على هذا في أكثر من مائة موضع، وكذا ذكر كثرة الأحاديث.

وأما الفصل الخامس: فذكر فيه أن من المنازعين

للصــفات من ينفي الصــفات مطلقــا، ومنهم من يثبت الصفات، ويقول: لا يقوم بذاتـه شـيء بمشـيئته وقدرتـه، ويقول: إنه لا يفعل فعلا هو الخلق يخلق به المخلـوق، ولا يقدر عنده على فعل يقوم بذاته بـل مقـدوره لا يكـون إلا منفصلا منه، وذكر أن هذا موضع تنازع فيه النفاة. فقيـل: لا يكون مقدوره إلا بائنا عنه، كما يقوله الجهمية والكلابية والمعتزلة، وقيل: لا يكون مقدوره إلا ما يقوم بذاتـه، كمـا يقوله: السالمية والكراميـة. ثم قـام بـالرد عليهم وأوضـح أن الصحيح أن كليهما مقدور له سبحانه وتعالى، واسـتدل على ذلك من الكتاب والسنة والعقل.

ثم بين أدلــة المخــالفين في إنكــار الصــفات حيث يقولـون: إن هـذه الصـفات إن كـانت صـفات نقص وجب تنزيه الرب عنها، وإن كانت صفات كمال فقد كـان فاقـدا لها قبل حدوثها وعدم الكمال نقص؛ فيلزم أن يكون كــان ناقصـا وتنزيهـه عن النقص واجب بالإجمـاع، فقـام بـالرد عليهم من خمسة وجوه.

وأما الفصل السادس: فذكر فيه أن فحول النظـار كأبي عبـد اللـه الـرازي، وأبي الحسـن الآمـدي، وغيرهمـا ذكروا حجج النفاة لحلول الحوادث وبينوا فسادها، فذكروا لهم أربــع حجج، ثم رد على الوجــه الأولى والثانيــة من أربعة وجوه، وكذلك قام بالرد على باقي الوجوه، مسـتدلا في ذلك من الكتاب والسنة والعقل وأقول أهل العلم في ذلك.

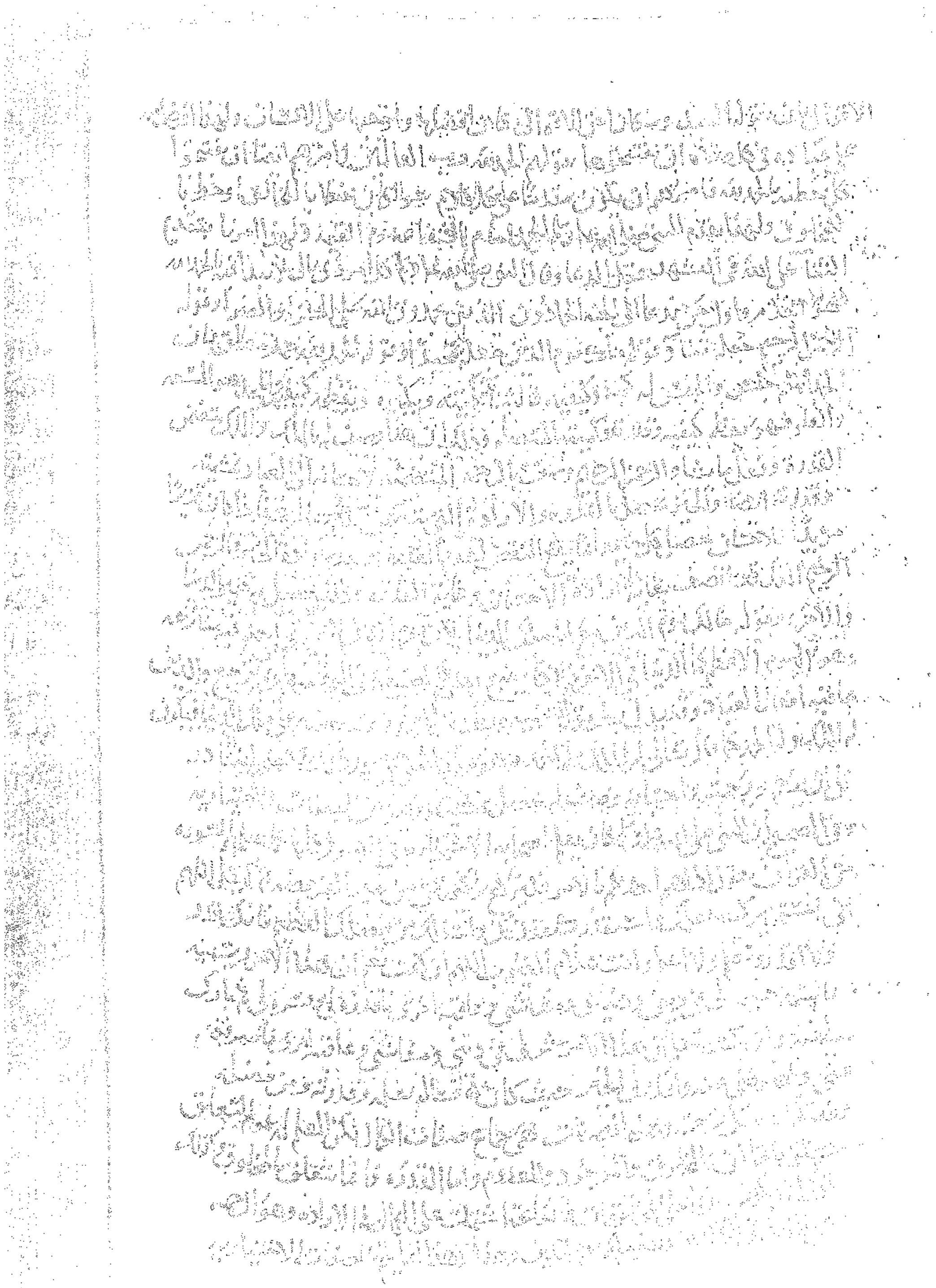
ثم تعــرض لســورة الفاتحــة، وكونهــا اشــتملت على مسألتين عظيمتين حصل فيهما ا لنـزاع:

المسألة الأولى: الصفات الاختيارية، وهي أكثر مسـألة تطرق لها شيخ الإسلام في هذا البحث.

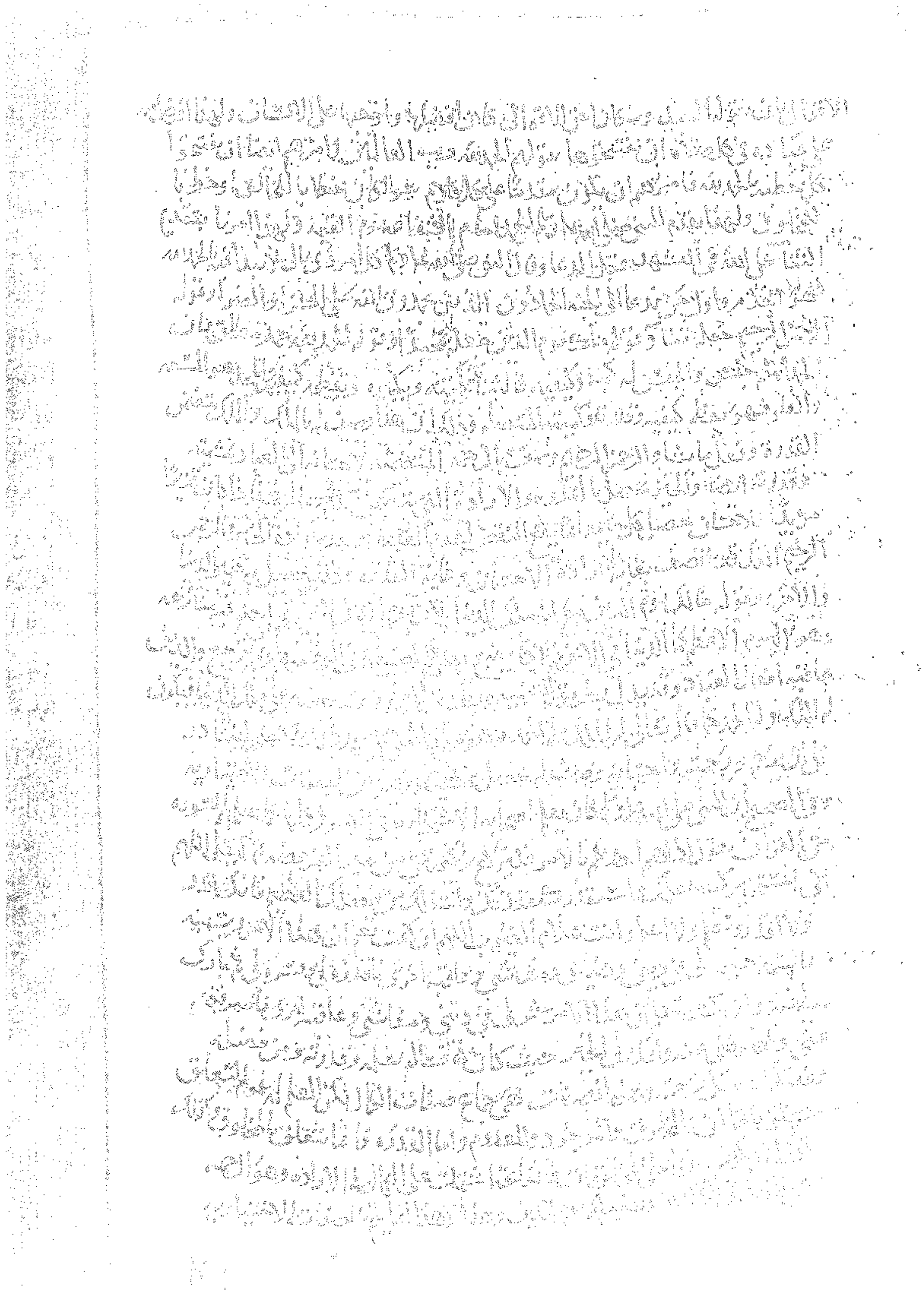
المســألة الثانيــة: بيــان الزيــارة الشــرعية والزيــارة البدعية، والفرق بينهما.

ثم تناول شيخ الإسلام رحمه الله الدعاء بعـد الركـوع: (ربنا ولك الحمـد. . .)إلخ، وأنـه تعـالى المنفـرد بالعطـاء والمنع.

وبين علاقة هذين النصين سورة الفاتحة والدعاء بعد الركوع بمسألة الكتاب وهي الصفات الاختيارية؛ بأن وصف الله تعالى بالرحمة المتضمنة لإحسانه إلى العباد إنما يكون بمشيئته وقدرته أيضا، واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ على الصفات الاختيارية.



صورة اللوحة الأولى من المخطوط



صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط

المبحث الثالث: دراسة كتاب (مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو)[1]

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب

الاســم المــذكور للرســالة مــأخوذ من موضــوع هــذه الرســالة حيث كــانت الرســالة جوابــا لسـؤال: (مـا تقـول السادة الفقهاء أئمة الدين، في رجلين تباحثـا في مسـألة الإثبات للصفات والجزم بإثبـات العلـو)، وقـد طبـع بنفس الاسم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل، تحقيـق محمـد رشـــيد رضا[2]، كمـــا هـــو موجـــود في كتـــاب الإثبـــات لمخطوطـات الأئمـة باسـم: (فتـوى في مسـألة الإثبـات للصفات والجزم بإثبات العلو)[3]، وأيضا في كتـاب خزانـة التراث بنفس الإسم[4].

ولكن هذه الرسـالة معروفـة كـذلك باسـم آخـر وهـو: المراكشية، وجـاء اسـمها واضـحا على المخطوطـة الـتي رمزتها بـ (ب)، وذكرها ابن عبد الهادي بهذا العنوان أيضـا في العقود الدرية[5]، وابن رشيق في أسماء مؤلفـات ابن

---

1. () هذا على حسب مـا اطلعت عليـه أولا، ثم إني وجـدت أن رسالة (مسـألة الإثبـات للصـفات والجـزم بإثبـات العلـو) قـد حققت وطبعت باسم آخـر لم أكن قـد اطلعت عليـه، بسـبب حصولي في بادئ الأمـر على نسـخة واحـدة من المخطـوط، وهي: (القاعـدة المراكشـية) حققهـا الـدكتور دغش العجمي، وهي ليست رسالة علميـة، ويلاحـظ أنـه مـع اجتهـاد الـدكتور سدده الله في إخراج النص إلا أنـه فاتـه شـيء ليس بالقليـل في المقارنة بين النسخ بالإضافة إلى أنــه لم يـترجم للأعلام، ولم يحل على كثـير من الأقـوال الـتي ينقلهـا شـيخ الإسـلام، ولذلك آثرت أن أبقي على هذه الرسالة وبخاصة أنهـا ليسـت رسالة علمية.
2. () انظر: مجموعة الرسـائل والمسـائل لابن تيميـة(1/186)، تحقيق: محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي.
3. () انظر: الإثبات لمخطوطات الأئمة (ص: 163).
4. () انظر: خزانة التراث، الرقم التسلسلي: (59621).
5. () انظر: العقود الدرية (ص: 67).

تيمية[1]، وغيرهم.

المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف

نسبة هذه الرسالة إلى مؤلفها صحيحة وثابتة كما سبق أثناء إثبات اسمها حيث جاء في مقدم الرسالة نسبتها إلى شيخ الإسلام في النسختين الخطيتين.

ثم إن هذه الرسالة ذكرها جماعة من العلماء ونسبوها للشيخ وهم ابن عبد الهادي[2]، وابن رشيق[3]، وغيرهم.

ويتضح أيضا بأسلوب الشيخ المتميز الذي يعلمه من يقرأه.

كما طبع في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، بإعداد الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله.

وأيضا طبع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل، تحقيق: محمد رشيد رضا.

المطلب الثالث: وصف المخطوط

حصلت بفضل الله تعالى على نسختين خطيتين وهما على النحو التالي:

---

1 () انظر: أسماء مؤلفات ابن تيمية (ص: 20)، هذا الكتاب لابن رشيق ولكنه طبع منسوب إلى ابن القيم رحمه الله، طبعه دار الكتب الجديد، بيروت، 1403هـ، وقال المحقق الدكتور عزير الشمس: (أما ابن رشيق فله رسالة في (أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية) نشرت منسوبة لابن القيم بالاعتماد على نسخة خطية منها توجد في دار الكتب الظاهرية بدمشق، وقد عثرت على نسخة أخرى منها، وهي وإن كانت ناقصة إلا أن فيها زيادات على المطبوعة. . . هذا ما يتعلق بالقائمة التي أعذها ابن رشيق، والتي نسبت إلى ابن القيم خطأ، فأوقعت جمهرة من الباحثين والدارسين والمحققين في الوهم خلال خمسة وأربعين عاما)، انظر: جامع المسائل(2/123)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1422هـ.

2 () انظر: العقود الدرية (ص: 67).

3 () انظر: أسماء مؤلفات ابن تيمية (ص: 20)

1/ مخطوطة مكتبة تشستربتي الإيرلندية بـرقم: (3537)، وعدد اللوحات: (17) لوحة، وعدد أسطرها (17) ســطرا لكل صفحة، وهو موجود لدى مركـز الملـك فيصـل بـرقم: (56996)، وهو مطبوع أيضا ضمن مجمـوع الفتـاوى المجلـد الخامس، وهذا المخطوط سميته: (أ)، وهو الأصل.

2/ نسـخة مصـورة من بـرلين، تقـع في (25) لوحـة، وعـدد الأسـطر (15) سـطرا لكـل صـفحة، كتبت بخـط واضح، وهذا المخطوط سميته: (ب).

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب لا يختلف عن منهجه العام الذي سار عليه في سائر مؤلفاتــه، ولأن هذا الكتاب جواب لسؤال سئل به، فبدأ أولاً بتقرير عقيدة السلف الصالح بالأدلة والبراهين من الكتـاب والسـنة، ثم بين مـذاهب المخـالفين وشـبهاتهم، ثم ردَّ عليهم مسـتدلا بالأدلة العقلية والنقلية.

من منهجه أنه يقرر قواعد ثابتـة ومسـتقرة في الـدين ثم يلزم المخالفين بتصديقه والإيمان بمستلزماته، مثل ما ألزم للواقفين الذين لا يثبتون الصفات ولا ينفون ألــزمهم بأربعة أشياء.

من منهجــه أنــه يثبت أن بعض دلائــل المخــالفين من الأحـاديث المكذوبـة على النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فيذكر مكان ضعفها.

ومن منهجــه ربــط فهم الكتــاب والســنة بفهم ســلف الأمــة، وتوضـيح الخلـل الواقـع عنـد المخـالفين بسـبب اسـتقلال فهمهم للنصــوص الشــرعية دون الرجــوع إلى الفهم الصحيح لتلك النصوص.

من منهجه أنـه بين في بدايـة الكتـاب قاعـدة عظيمـة ومهمة وهي: (الإقرار بما جاء بـه النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلــق الإقــرار بــه جملــة وتفصــيلا عنــد العلم بالتفصيل).

من منهجه أيضا نقله لكلام العلماء القدامى من السلف فمن بعدهم في مسألة العلو والاستواء وإثبات صفات الله عز وجل وذمهم للنفاة من الجهمية وغيرهم، مثل نقله كلام الإمام مالك، وأحمد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينه وغيرهم.

المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب

موضوع الكتاب سؤال وجه إليه عن منازعة حصلت بين رجلين في مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو على العرش، فقال أحدهما: لا يجب على أحد معرفة هذا ولا البحث عنه، بل يكره له، وقال الآخر: يجب على الناس أن يعتقدوا إثبات الصفات والعلو على العرش، ويعرفونه.

أما العلو فلا خلاف بين جميع الفرق في إثبات علو القدر وعلو القهر لله، وإنما النزاع في إثبات علو الذات[1].

ولهذا افترقوا في هذا إلى فرق، وخلاصتها أربعة أقوال:

الأول: قول الجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة النفاة، والقرامطة الباطنية، وهو قول طوائف من متأخري الأشاعرة: أن الله ليس هو داخل العالم ولا خارجاً عنه، ولا حالاً فيه.

الثاني: قول الحلولية الجهمية والنجارية: أن الله بذاته في كل مكان.

الثالث: قول طائفة من أهل الكلام والتصوف: إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان.

الرابع: قول أهل السنة والجماعة: أن الله مستو على العرش، بائن من خلقه[2]، وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة والإجماع، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله الأدلة النقلية

---

1 () انظر: مختصر الصواعق (1/275).

2 () انظر: الفتاوى (2/297-298)، (5/122-126، 272، 273).

على هذا وجعلها في عشرين نوعا:

منها التصريح بالاستواء، والفوقية بمن وبدونها، والعروج إليه، والصعود إليه، ورفع بعض المخلوقات إليه، والعلو المطلق، وتنزيل الكتاب منه، واختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأنه في السماء، ورفع الأيدي إليه، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والإشارة إليه حساً، ونحو ذلك[1].

ومن أمثلة الأدلة الاستواء على العرش قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾[3]، وأدلة الصعود إليه كقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح﴾[4]، وأدلة تنزيل الكتاب منه، قال تعالى: ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾[5]، وأدلة نزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا قول النبي صلى الله عليه وسلم (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا. . .)[6]، وغير ذلك من الأدلة الكثيرة على باقي الأنواع.

وشيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذه الرسالة قدم بمقدمة مهمة تتعلق بتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم للرسالة وأدائه للأمانه، وأنه لم يكتم منها شيئا.

ومن موضوعات الكتاب: بيان اهتمام السلف بمعرفة معاني القرآن الكريم، واهتمامهم به لفظا ومعنى وأن

---

[1] () انظر: مختصر الصواعق (2/205) والنونية مع شرح الهراس (1/184-251).

[2] () طه 5

[3] () الفرقان: 59

[4] () فاطر 10

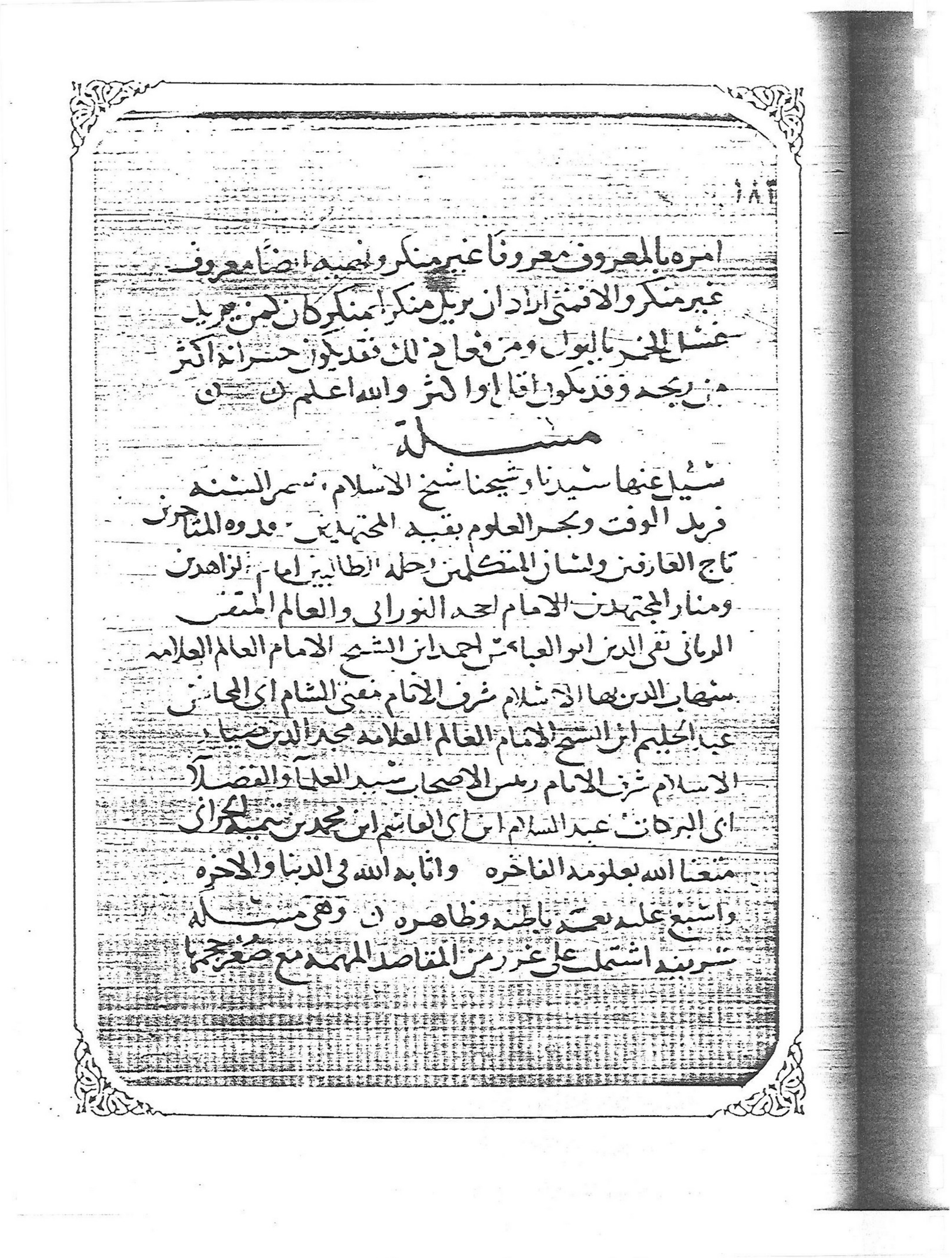
[5] () فصلت: 2

[6] () صحيح البخاري (2/53)، رقم الحديث: (1145)، كتاب بدء الوحي، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، ومسلم (1/521)، رقم الحديث: (758)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

اعتناءهم بالمعنى أوكد، كما ذكر عدة أوجه تؤكد هذا الأمر.

ثم أفاض في وجوب إثبات علو الله تعالى من وجوه عديدة منها:

- إن القرآن، والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة، وكلام السابقين والتابعين، وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات، وأصناف من العبارات.
- أن يقال: كل من فيه أدنى محبة للعلم، أو أدنى محبة للعبادة، لا بد أن يخطر بقلبه هذا الباب، ويقصد فيه الحق، ومعرفة الخطأ من الصواب، فلا يتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا. . . والمقصود هنا: أنهم لا بد أن يسألوه عن ربهم الذي يعبدونه، وإذا سألوه فلا بد أن يجيبهم، ومن المعلوم بالاضطرار أن ما يقوله الجهمية النفاة لم ينقل عن أحد من أهل التبليغ عنه، وإنما نقلوا عنه ما يوافق قول أهل الإثبات، وغيره من الوجوه.



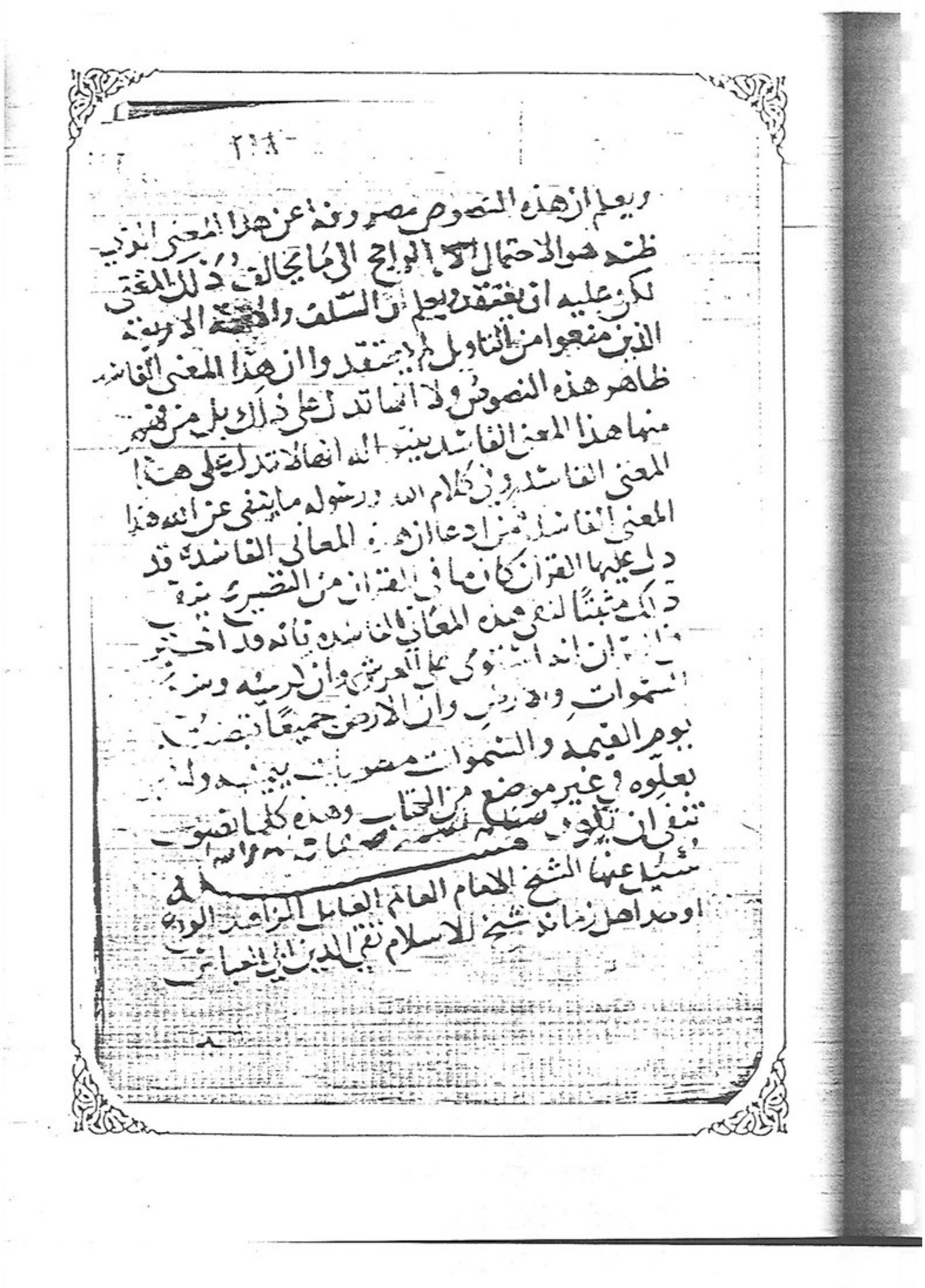
١٨٣

امره بالمعروف معروفا غير منكر ونهيه ايضا معروف
غير منكر والا فمتى اراد ان يزيل منكرا بمنكر كان كمن يريد
غسل الخمر بالبول ومن فعل ذلك فقد يكون خسرانه اكثر
من ربحه وقد يكون اثمه اكبر والله اعلم انتهى

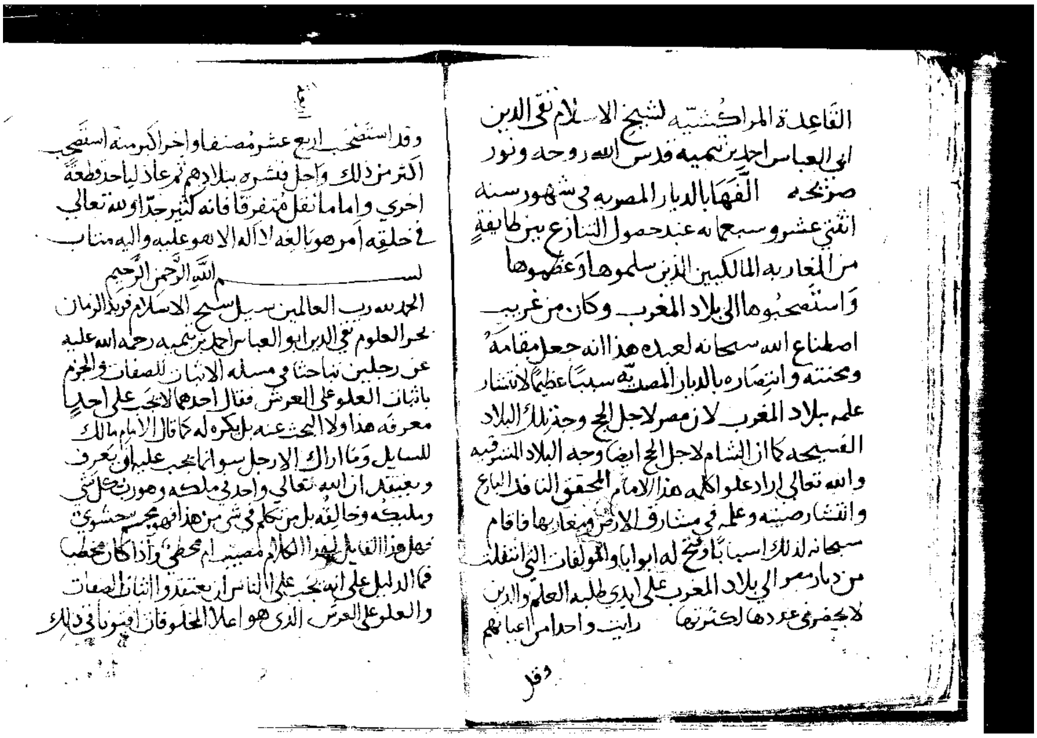
مسألة

سئل عنها سيدنا وشيخنا شيخ الاسلام شمس السنة
فريد الوقت وبحر العلوم بقية المجتهدين قدوة المتأخرين
تاج العارفين ولسان المتكلمين رحلة الطالبين امام الزاهدين
ومنار المجتهدين الامام الحبر النوراني والعالم المتقن
الرباني تقي الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام العالم العلامه
شهاب الدين بهاء الاسلام شرف الانام مفتي الشام ابي المحاسن
عبد الحليم ابن الشيخ الامام العالم العلامه مجد الدين ضياء
الاسلام شرف الانام رئيس الاصحاب سيد العلماء والفضلاء
ابي البركات عبد السلام ابن ابي القاسم ابن محمد بن تيمية الحراني
متعنا الله بعلومه الفاخره واثابه الله في الدنيا والاخره
واسبغ عليه نعمه باطنه وظاهره انتهى وهي مسألة
شريفة اشتملت على غرر من المقاصد المهمة مع صغر حجمها

صورة الوحة الأولى من المخطوطة (أ)

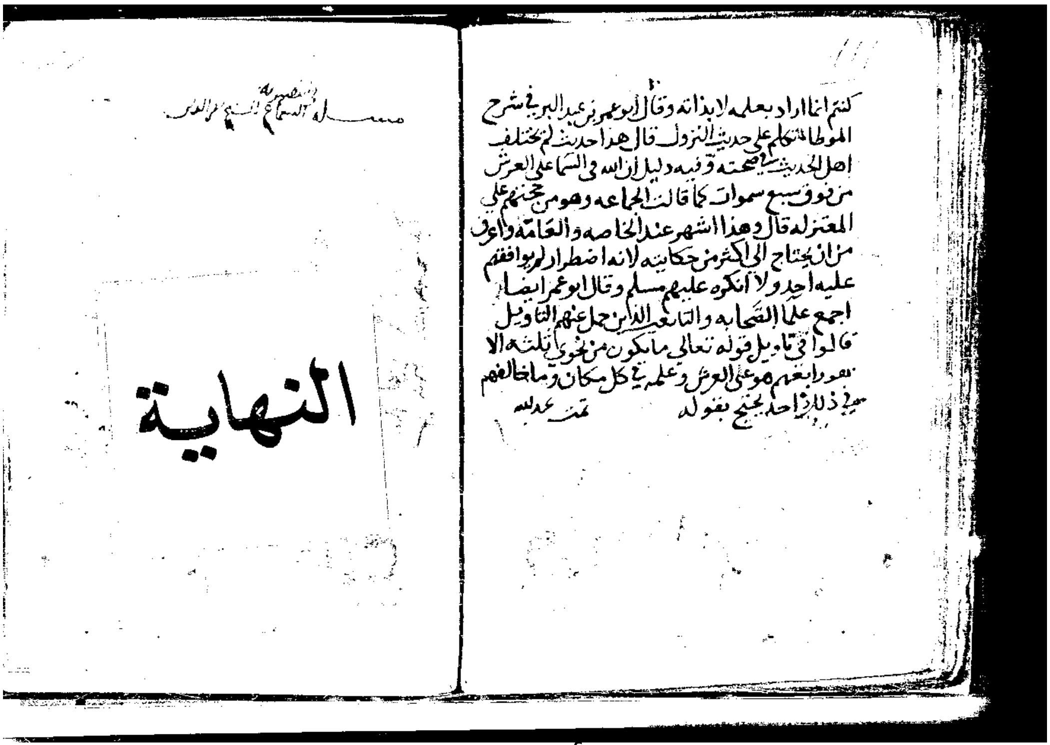


صورة اللوحة الأخيرة من المخطوطة (أ)


القاعدة المراكشية لشيخ الإسلام تقي الدين
أبي العباس أحمد بن تيميه قدس الله روحه ونور
ضريحه الفها بالديار المصريه في شهور سنه
اثني عشر وسبعمايه عند حصول التنازع بين طايفة
من المغاربه المالكيين الذين سلموها وعظموها
واستصحبوها الى بلاد المغرب وكان من غريب
اصطناع الله سبحانه لعبده هذا انه جعل مقامه
ومحنته وانتصاره بالديار المصرية سببا عظيما لانتشار
علمه ببلاد المغرب لان مصر لاجل الحج وجهة تلك البلاد
الفسيحه كما ان الشام لاجل الحج ايضا وجه البلاد المشرقيه
والله تعالى اراد علو كلمه هذا الامام المحقق النافذ البارع
وانتشار صيته وعلمه في مشارق الارض ومغاربها فاقام
سبحانه لذلك اسبابا وفتح له ابوابا والمولفات التي انتقلت
من ديار مصر الى بلاد المغرب على ايدي طلبة العلم والدين
لا يحصى عددها لكثرتها رايت واحدا من اعيانهم
وقد

وقد استصحب اربع عشر مصنفا واخر اكبر منه استصحب
اكثر من ذلك واجل بنشره ببلادهم ثم عاد ليأخذ قطعة
اخرى واما ما نقل متفرقا فانه كثير جدا ولله تعالى
في خلقه امر هو بالغه لا اله الا هو عليه واليه متاب
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين سيل شيخ الاسلام فريد الزمان
بحر العلوم تقي الدين ابو العباس احمد بن تيميه رحمه الله عليه
عن رجلين تباحثا في مسله الاثبات للصفات والجزم
باثبات العلو على العرش فقال احدهما لا يجب على احد
معرفة هذا ولا البحث عنه بل يكره له كما قال الامام مالك
للسايل وما اراك الا رجل سوء انما يجب عليه ان يعرف
ويعتقد ان الله تعالى واحد في ملكه وهو رب كل شي
ومليكه وخالقه بل من تكلم في شي من هذا انه مجسم حشوي
فهل هذا القايل بهذا الكلام مصيب ام مخطي واذا كان مخطي
فما الدليل على انه يجب على الناس ان يعتقدوا اثبات الصفات
والعلو على العرش الذي هو اعلا المخلوقات [illegible] في ذلك

صورة اللوحة الأولى من المخطوطة (ب)



النهاية

كنتم انما اراد بعلمه لا بذاته وقال ابو عمر بن عبد البر في شرح
الموطا لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث لم يختلف
اهل الحديث في صحته وفيه دليل ان الله في السما على العرش
من فوق سبع سموات كما قالت الجماعه وهو من حجتهم على
المعتزله قال وهذا اشهر عند الخاصه والعامة واعرف
من ان يحتاج الى اكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوافقهم
عليه احد ولا انكره عليهم مسلم وقال ابو عمر ايضا
اجمع علما الصحابه والتابعين الذين حمل عنهم التاويل
قالوا في تاويل قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثه الا
هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم
في ذلك احد يحتج بقوله
تمت بحمد الله

صورة اللوحة الأخيرة من المخطوطة (ب)

المبحث الرابع: دراسة كتاب (مسألة في الاستواء والنـزول)

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب

الاسم المذكور مأخوذ من سؤال سائل في بداية هذه الرسالة حيث قال: (هل الاستواء والنزول حقيقة أم لا؟)، وقد ذكر ابن عبد الهادي اسما قريبا من الاسم المذكور من ضمن مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمة حيث قال: (وجواب في الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا تسمى الأربلية)[1]، وأيضا في فهارس المخطوطات بخزانة التراث باسم: (مسألة الاستواء والنزول)[2].

ثم إنني وجدت في كتب التراجم أنهم سموا هذه الرسالة بـ(الأربلية)، مثل ما ذكر صاحب كتاب فوات الوفيات ضمن تصانيف شيخ الإسلام ابن تيمية: (جواب هل الاستواء والنزول حقيقة؟ وهل لازم المذهب مذهب سماه الأربلية)[3]، وذكر أيضا صلاح الدين الصفدي من ضمن مصنفاته: (جواب هل الاستواء والنزول حقيقة، وهل لازم المذهب مذهب، سماه الأربلية)[4].

وأيضا ذكر الدكتور على الشبل في كتابه الإثبات اسما قريبا مما ذكرت: (الاستواء والنزول حقيقة أو مجاز)[5].

والذي يتبين من خلال هذا أن للكتاب اسمين:

1/ مسألة في الاستواء والنزول.

2/ الأربلية.

المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف

أما صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف فيثبت جليا من

---

1 () انظر: العقود الدرية (ص: 68).

2 () انظر: خزانة التراث، الرقم التسلسل: (104899).

3 () انظر: فوات الوفيات (1/77)، دار صادر، بيروت، 1973م.

4 () انظر: أعيان العصر وأعوان النصر (1/241)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.

5 () انظر: الإثبات في مخطوطات الأئمة(49).

خلال ما يلي:

أسلوب الشيخ المتميز الذي يعلمه من يقرأه، ووضوح المطابقة بين ما ذكره الشيخ في هذه الرسالة، وبين ما أحال عليه من رسائل أخرى، مثل ما ذكر: (إنما توهم هذا من توهمه من أهل المنطق اليوناني ومن اتبعهم حين ظنوا أن في الخارج ماهيات مطلقة مشتركة بين الأعيان المحسوسة، ثم منهم من يجردها عن الأعيان كأفلاطن ومنهم من يقول: لا تنفك عن الأعيان: كأرسطو وابن سينا وأمثالهما، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع)، وقد جاء بسطها في الرد على المنطقيين صفحة: (308)، وكذلك مثل ما قال: (وقد وقع بسبب ذلك من الغلط في منطقهم، وفي الإلهيات ما ضل به كثير من الخلق؛ وقد نبهنا على ذلك في غير هذا الموضع بما لا يتسع له هذا الموضع) وقد ذكر تفصيله في الصفدية(1/126).

ثم إن هذه الرسالة نجدها في كتب فهارس المخطوطات معزوة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما سبق بيانه، بالإضافة أنه في بداية المخطوط يوجد التصريح بنسبة الرسالة لشيخ الإسلام رحمه الله.

وأيضا هذه الرسالة أدخلت وطبعت ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية أعده الشيخ الخبير بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: وصف المخطوط

يقع المخطوط في (6) لوحات، وعدد الأسطر في كل صفحة (28) سطرا، ومصدر المخطوط مكتبة قره حصار بتركيا، برقم: (17517)، (الورقة 184ب- 190ب)، وهو مطبوع ضمن مجموع الفتاوى (5/194-225).

ويوجد سقط في المخطوط، وأنني استدركتها من المطبوع، ولم أجد المخطوط التي اعتمدها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جمعه لمجموع الفتاوى.

ويوجد على هامش المخطوط أنها مقابلة على أصله كما في آخر الرسالة.

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب

منهج المؤلف في هذا الكتاب متقاربة من منهجه العام في تأليفاته وردوده وأجوبته، فمن جملة منهجه في هذا الكتاب ما يلي:

1/ يقرر في البداية عقيدة السلف الصالح في إثبات الأسماء والصفات بالأدلة والبراهين، ثم يبين مذهب السلف في إثباتها، ثم يبين مذهب المخالفين في ذلك، ثم يرد عليهم مستدلا بالأدلة العقلية والنقلية.

2/ قام المصنف بإضافة الأقوال إلى المذاهب لسهولة الوصول إليها.

3/ من منهجه في هذا الكتاب تقديم الكتاب والسنة على العقول والرأي والقياس، وقد وضح بما وقع فيه المخالفين بسبب تقدم العقل على النص.

4/ قعّد شيخ الإسلام رحمه الله قاعدة عظيمة ومهمة في إثبات الصفات، وقد جعلها مقدمة لكتابه هذا، وهي: (القول في الاستواء والنزول، كالقول في سائر الصفات).

5/ ينقل أقوال أئمة السنة كنعيم بن حماد وابن عبد البر لتوضيح عقيدة السلف الصالح.

6/ يشرح معاني بعض المصطلحات التي استخدمها المخالفين مثل ما شرح (الحقيقة والمجاز) في هذا الكتاب وبين معانيهما.

7/ يذكر اختلاف المخالفين فيما بينهم كاختلاف الفلاسفة في الأعيان والماهيات، وكاختلاف المتكلمين في أن وجود الرب مطلق بشرط الاطلاق ومنهم من يقول مطلق لا بشرط، وبين اختلافهم أيضا في التفريق بين الصفات الذاتية المتقدمة للماهية وبين الصفات العارضة اللازمة للماهية.

8/ ومن منهجه الاستدلال بلغة العرب لتقوية عقيدة أهل السنة والجماعة في المسألة مثل ما استدل لبيان

معنى الاستواء من لغة العرب وقام بالرد على المخالفين في ذلك، وبين أيضا معاني لفظ (المركب)، وبين معاني لفظ (الجسد).

المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب

موضوع الكتاب في غاية الأهمية حيث إنه يتعلق بمسألتين عظيمتين حصل فيهما النزاع من أهل الكلام وغيرهم، وهي مسألة الاستواء والنزول، وفي هذه الرسالة أوضح شيخ الإسلام مذهب السلف فيهما، مستدلا بنصوص الشرعية، ومحذرا من الطرق البدعية التي سلكها أهل البدع فيهما.

الاستواء في اللغة:

الارتفاع والعلو على الشيء، ومنه قوله تعالى ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ [المؤمنون28].

وهو نوعان في لغة العرب: مطلق ومقيد:

المطلق: مالم يوصل معناه بحرف، مثل: ﴿ولمّا بلغ أشدّه واستوى﴾ أي كمل وتمّ.

المقيد: ثلاثة أقسام:

- مقيد بـ "إلى" كقوله تعالى: ﴿ثمّ استوى إلى السّمآء﴾ [البقرة: 29]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.
- مقيد بـ "على" كقوله تعالى ﴿لتستووا على ظهوره﴾ [الزخرف: 13]. ومعناه أيضاً العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.
- المقرون بواو التي بمعنى مع نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى: ساواها[1].

المذاهب في الاستواء:

فيه ثلاثة مذاهب إجمالاً:

الأول: مذهب المشبهة والمجسمة الذين يصفون

---

[1] () انظر مختصر الصواعق (2/126-127)، تاج العروس (10/188-189)، تفسير القرطبي (1/255).

الله تعالى باستواء كاستواء المخلوق. . . . وإلى هذا ذهب هشام بن الحكم وبعض وأصحابه.

الثاني: مذهب المعطلة النفاة من الجهمية وغيرهم، يقولون: إنه ليس هناك استواء حقيقي أصلاً.

الثالث: قول سلف الأمة وأهل السنة والجماعة: أن الله مستوٍ على عرشه حقيقةً، استواء يليق بجلاله، وهو بائن من خلقه، مستغنٍ عن العرش وحملته.

يثبتونه على حدّ قول الامام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[1].

من موضوعات الكتاب بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب وأن الاستواء والنزول ثابت في حق الباري سبحانه وهو مستو على العرش، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وأن القول في الاستواء والنزول، كالقول في سائر الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات، سمى نفسه: حيا، عليما، حكيما، قديرا، سميعا، بصيرا، غفورا، رحيما، إلى سائر أسمائه الحسنى، وأن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل؛ ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه ﴿ﭞﭟﭠﭡ﴾ [2] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وأما النزول:

---

[1] () انظر: مقالات الإسلاميين ص (210-212) دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) 1400هـ، ومجموع الفتاوى (33/177-178).

[2]) الشورى 11

فأحاديث النزول تدل على العلو أيضا لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل فهي تدل على صفة العلو، قال ابن عبد البر بعد ذكر حديث النزول: (وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش)[1].

نقل ابن تيمية قول ابن أبي الزمنين: (ومن قول أهل السنة إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يَحدُّوا فيه حَدًّا، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره إلى أن قال: وأخبرنا وهب عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال: (من أدركت من المشائخ مالك وسفيان الثوري وفُضَيْل بن عياض وعيسى وابن المبارك ووَكِيع ـ كانوا يقولون: النزول حق)[2].

أما في هذا الكتاب فلم يتكلم ابن تيمية على صفة النزول كما تكلم على صفة الاستواء وإنما تطرق إلى صفة النزول وقام بالرد على المخالفين في ذلك الذين يستدلون بأدلة ضعيفة على أن إثبات الاستواء والنزول يستلزم التجسيم.

من موضوعات الكتاب أيضا:

قاعدة الكمال وأن كل كمال حصل للمخلوق فالخالق أولى به.

وكذلك تكلم على مسألة الحقيقة والمجاز.

وأيضا تكلم حول لفظ (الجسد) و(والجسم) وابطال شبهة التشبيه عند إثبات الصفات لله تعالى.

---

1 () انظر: التمهيد (7/129).

2 () انظر: الفتوى الحموية الكبرى(ص: 355)، درا الصميعي، الرياض، 1425هـ.





صورة اللوحة الأولى من المخطوط



صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط

دراسة كتاب (إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى)

المطلب الأول: تحقيق اسم الكتاب

عنوان الكتـاب هـو: (إثبـات صـفة العلـو الـذاتي للـه سبحانه وتعالى)، ودل على هـذا عـدة أدلـة منهـا مـا في مراكـز المخطوطـات والوثـائق من ذكـر عنـوان الكتـاب، وكمـا جـاء في اللوحـة الأولى للمخطـوط: (هذه رسالة شريفة في إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى...).

وكذلك جاء في خزانة التراث بنفس الإسـم (اثبـات صفة العلو الذاتي)[1].

وأيضا يوجد اسم الكتاب في فهارس المخطوطـات، وكما أن هـذ الكتـاب لم ينسـبها أحـد إلى غـير شـيخ الإسلام رحمه الله، فيما وقفت عليه.

المطلب الثاني: إثبات نسبته إلى المؤلف

أما إثبات نسبته إلى المؤلـف فيظهـر جليـا من خلال ما يلي:

أن هــــذه الرســـالة مــــذكور في كتب فهــــارس المخطوطات وفي مكتبـات المخطوطـات ومراكـزه منسـوب إلى شـيخ الإسـلام ابن تيميـة مثـل خزانـة التراث كما سبق.

وكذلك نسب إليه في اللوحـة الأولى من المخطـوط حيث صرح السائل باسمه.

وأيضا يتضح أسلوب الشيخ المتميز الـذي يعلمـه من يقرأه، ووضـوح المطابقـة بين مـا ذكـره الشـيخ في هذه الرسالة، وبين ما أحال عليه من رسائل أخرى.

أن هــذه الرســالة لم ينســبها أحــد إلى غــير شــيخ الإسلام رحمه الله، فيما وقفت عليه.

---

[1] () انظر: خزانة التراث، رقم التسلسل: (83733)

وقد أدخل هذه الرسالة في ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام الشيخُ العالمُ الخبير بكتب شيخ الإسلام عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله.

المطلب الثالث: وصف المخطوط

يقع المخطوط في (21) لوحة، وعدد الأسطر في صفحة: (20) سطرا، ومصدر المخطوط: مصورة لدى مركز الشيباني في ا لكويت، برقم: (3/44)، واسم الناسخ: عبد المتعال بن محمد المزلاوي، وتاريخ النسخ: 1305هـ.

بداية النسخة: وجاء في بداية المخطوط: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله المنزه عن الحلول والاتحاد بمخلوقاته، المتعالي عن التعطيل والإلحاد والتمثيل في صفاته، وأشهد أن لا إله إلا الله، العليّ بذاته، المستوي على عرشه فوق سماواته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...)

ونهاية المخطوط: (... قال كاتبها أنه نقلها من خط الشيخ الإمام العالم برهان الدين إبراهيم بن الشيخ الإمام العلامة الورع الزاهد العابد أبي العباس أحمد بن محب الدين عبد الله بن محمد المقدسي نفعه الله تعالى ونفع به، آمين، قال الشيخ محمد بن عبد الرزاق المذكور: وقابلتها بمعاونة الأخ محمد محمد عبد العزيز بتاريخ صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من ذي القعدة من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا)

المطلب الرابع: منهج المؤلف في الكتاب

منهج المؤلف في هذا الكتاب لا يختلف كثيرا عن منهجه العام ومنهجه في هذا الكتاب ما يلي:

أولا ذكر شبهات المخالفين وبدأ بالرد عليهم بالأدلة العقلية حيث يلزم المخالف بإلزام يوجبه إثبات الصفات للباري سبحانه وتعالى.

يستدل بقواعـد اللغـة العربيـة في تقريـر المسـألة، حيث استدل أن المباينة من باب المفاعلة التي يلزم من ثبوتها بأحد الجانبين ثبوتها في الجانب الآخر.
يبين معاني بعض المصطلحات ويفصـل فيـه حـتى يوضـح الحق في المسألة مثل ما بين معـاني المباينـة والمحايثـة والمداخلة، وضرب الأمثلة على ذلك.
من منهجـه أنـه يـذكر الأدلـة الفطـرة والضـروية لتقريـر المسألة.
من منهجه بيان ردود بعض المتكلمين على الفلاسفة وأن ردودهم ضعيفة وأن شبهاتهم متقاربة.
ومن منهجه في هذا ا لكتاب أنه بعد تقرير المسألة وبيان مـذهب أهـل السـنة والجماعـة يـذكر شـبهات المخـالفين وأقوالهم ويفندهم بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية.
وأيضا من منهجـه أنـه تنـاول عـددا من الألفـاظ المجملـة والـتي يطلقهـا المتكلمـون، وبيّن الحـق فيهـا وأن هـذه الألفاظ المجملة لا بـد من الاستفصـال عن معانيهـا، فـإن أرادوا بها معنى حقا قبل المعنى وإلا رد.

المطلب الخامس: دراسة موضوع الكتاب

موضوع الكتاب علو اللـه على خلقـه كمـا هـو واضـح من الأبيات التي سئل عنها شيخ الإسلام.
وفي هذا الكتاب ذكر أولا شبهة المخـالفين في علـو اللـه سبحانه وتعـالى ومـا يسـتدل بـه من لـوازم باطلـة، وأنـه رحمه الله تميز في هذه الرسالة بأسلوبه البديع في الـرد على المخالفين حيث قام بالرد عليهم بطريقين: إجمــالي وتفصيلي.
أما لوزمهم الباطلة فيقولون بأن إثبات العلو للـه سـبحانه وتعـالى يسـتلزم القـول بـالتحيز والجهـة وهمـا بـاطلان وبطلان اللازم يقتضي بطلان الملزوم.
فشرع شيخ الإسلام بالرد عليهم بنفس أسلوبهم أولا حتى يفحهمهم، فقال: (فأما استدلاله فإن مضمونه أنك إمـا أن تكون مباينا للخـالق، وإمـا أن لا تكـون مباينـا، فـإن قلت:

إنك مباين لزم أيضا أن يكون مباينا لك؛ فإن قلت: لسـت مباينا له، لزمك القول بالحلول أو الاتحاد؛ فإنه ما لم يكن مباينا لغيره متميزا عنه كان مجامعا لـه مـداخلا لـه بحيث هو يحايثه ويجامعه ويداخله).

ثم ذكـر معـنى المحايثـة والمباينـة والمداخلـة، ثم بين أن للمثبتة جوابان: إجمالي وتفصيلي، أما الجـواب الإجمـالي فإنا نقول قولكم: لا نسلم أن هذه القضية ضـرورية؛ منـع غير مقبول؛ فإن المقدمات الضرورية لا يجوز منعهـا ولـو جاز منع الضروريات لم يمكن الاسـتدلال ولا إقامـة حجـة على منكر، ثم بين تفصيل الرد عليهم.

ثم ذكر مذهب طوائف النفـاة فقـال: إن الخـالق سـبحانه ليس هو جسم ولا متحيز تنازعوا بعد ذلك: هـل هـو فـوق العـالم أم ليس فـوق العـالم؟ فقـال طوائـف كثـيرة: هـو فوق العالم بل هو فوق العرش وهو مع هذا ليس بجســم ولا متحـيز. وهـذا يقولـه طوائـف من الكلابيـة والكراميـة والأشعرية وطوائف من أتباع الأئمة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث والصوفية.

ثم بين الطائفة الثانيـة فقـال: وقـال طوائـف منهم: ليس فوق العالم ولا فوق العالم شـيء أصـلا ولا فـوق العـرش شــيء. وهــذا قــول الجهميــة والمعتزلــة وطوائــف من متأخري الأشعرية والفلاسفة النفاة؛ والقرامطـة الباطنيـة أو أنه في كـل مكـان بذاتـه كمـا يقـول ذلـك طوائـف من عبادهم ومتكلميهم وصوفيتهم وعامتهم.

ثم ذكر الطائفة الثالثة فقال: ومنهم من يقـول: ليس هـو داخلا فيه ولا خارجا عنه ولا حالا فيه وليس في مكـان من الأمكنة؛ فهـؤلاء ينفـون عنـه الوصـفين المتقـابلين جميعـا وهذا قول طوائف من متكلميهم ونظارهم.

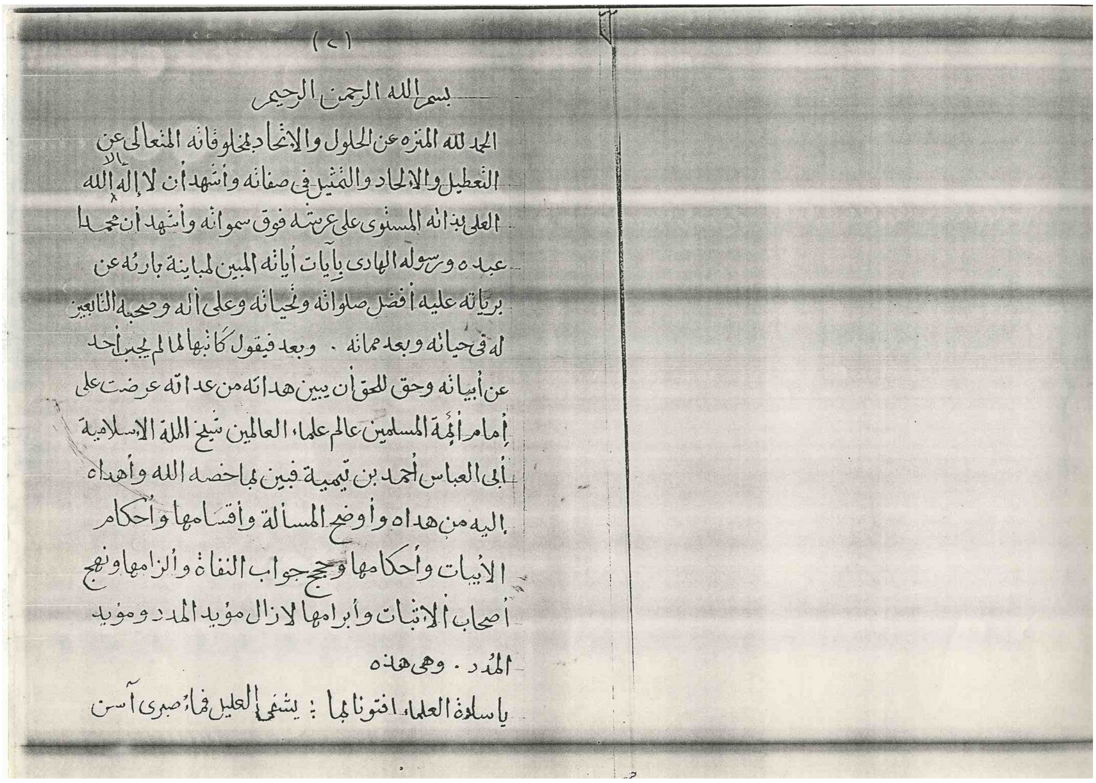
ثم بين أن من أدلة المثبتين للعلو بالفطرة والضرورة، ثم رد على من احتج بــه أهــل الحلــول والاتحــاد كــالقونوي وغيره، وبين أن أهل الكلام يطلقون المباينـة بـإزاء أربعـة معـان، ثم بين أن بعض من ينفي العلـو يجـوز الرؤيـة، ثم

بين أن إثبات ذات مجرد عن جيمع الصفات يمتنع وجودها في الخارج.

من موضوعات الكتاب: الـرد على من قـال لـو كـان اللـه على العرش لكان أكـبر منـه أو أصـغر أو متحـيزا، ثم بين أنـه ليس للنفـاة دليـل اتفقـوا على مقدماتـه، فالفلاسـفة تقدح في دليل المعتزلة على نفي الصفات ونفي الجسـم والتحيز، ثم بين تغلب الحـيرة والشـك والإضـطراب على النفــاة، وعنــدهم شــبهات عقليــة ظنوهــا عقليــات أو برهانيات.

ثم بين أن الشهرستاني والرازي والآمدي ونحوهم ناظروا الفلاسفة مناظرة ضعيفة بخلاف أبي المعالي وأمثاله.

ثم وضح أن ما ورد في الكتاب والسنة من الألفـاظ وجب القول بموجبه فَهِمَ معناه أم لا، بخلاف مـا لم يـرد كلفـظ الحيز والجهة والجِسم.



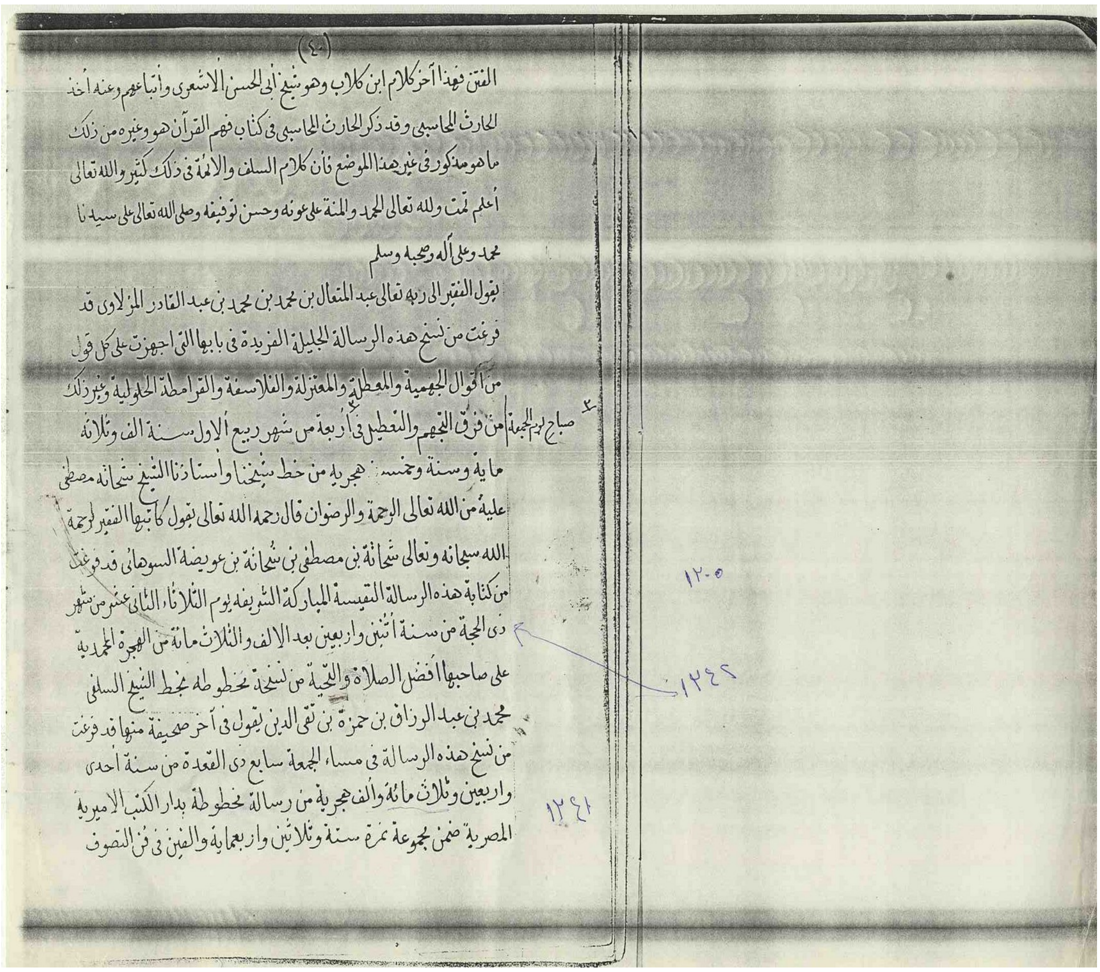
(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه عن الحلول والاتحاد بمخلوقاته المتعالي عن
التعطيل والإلحاد والتمثيل في صفاته وأشهد أن لا إله إلا الله
العلي بذاته المستوي على عرشه فوق سمواته وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله الهادي بآيات أياته المبين لمباينة بارئه عن
برياته عليه أفضل صلواته وتحياته وعلى آله وصحبه التابعين
له في حياته وبعد مماته . وبعد فيقول كاتبها لما لم يجب أحد
عن أبياته وحق للحق أن يبين هداته من عداته عرضت على
إمام أئمة المسلمين عالم علماء العالمين شيخ الملة الإسلامية
أبي العباس أحمد بن تيمية فبين بما خصه الله وأهداه
إليه من هداه وأوضح المسألة وأقسامها وأحكام
الأبيات وأحكامها وصحح جواب النفاة وإلزامها ونهج
أصحاب الإثبات وإبرامها لا زال مؤيد المدد ومؤيد
المدد . وهي هذه

يا سادة العلماء افتونا بما : يشفي العليل فما أصبري آسن

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

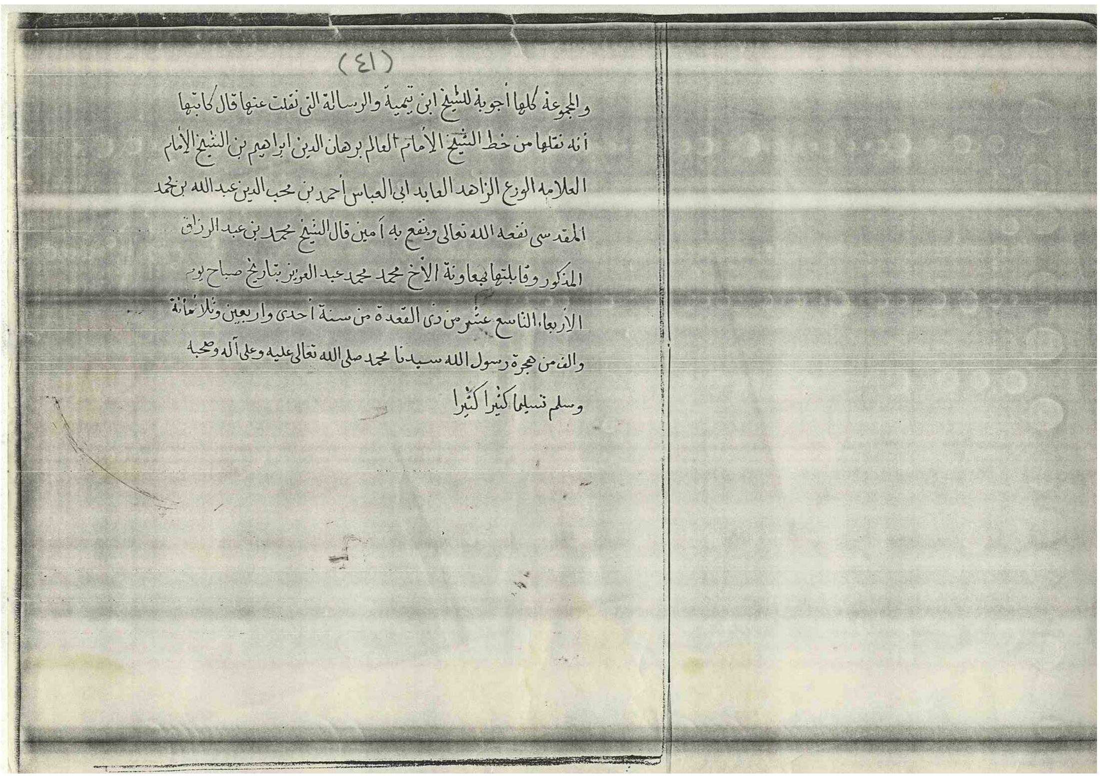


(٤٠)

الفتن فهذا آخر كلام ابن كلاب وهو شيخ أبي الحسن الأشعري وأتباعهم وعنه أخذ
الحارث المحاسبي وقد ذكر الحارث المحاسبي في كتاب فهم القرآن هو وغيره من ذلك
ما هو مذكور في غير هذا الموضع فأن كلام السلف والأئمة في ذلك كثير والله تعالى
أعلم تمت ولله تعالى الحمد والمنة على عونه وحسن توفيقه وصلى الله تعالى على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

يقول الفقير الى ربه تعالى عبد المتعال بن محمد بن محمد بن عبد القادر المزلاوي قد
فرغت من نسخ هذه الرسالة الجليلة الفريدة في بابها التي اجهزت على كل قول
من أقوال الجهمية والمعطلة والمعتزلة والفلاسفة والقرامطة الحلولية وغير ذلك
من فرق التجهم والتعطيل في أربعة من شهر ربيع الاول سنة الف وثلاثة صباح يوم الجمعة
مائة وستة وخمسين هجرية من خط شيخنا وأستاذنا الشيخ شحاته مصطفى
عليه من الله تعالى الرحمة والرضوان قال رحمه الله تعالى يقول كاتبها الفقير لرحمة
الله سبحانه وتعالى شحاتة بن مصطفى بن شحاتة بن عويضة السوهاني قد فرغت
من كتابة هذه الرسالة النفيسة المباركة الشريفة يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر
ذي الحجة من سنة اثنين واربعين بعد الالف والثلاث مائة من الهجرة المحمدية
على صاحبها أفضل الصلاة والتحية من نسخة مخطوطة بخط الشيخ السلفي
محمد بن عبد الرزاق بن حمزة بن تقي الدين يقول في آخر صحيفة منها قد فرغت
من نسخ هذه الرسالة في مساء الجمعة سابع ذي القعدة من سنة احدى
واربعين وثلاث مائة والف هجرية من رسالة مخطوطة بدار الكتب الاميرية
المصرية ضمن مجموعة نمرة ستة وثلاثين واربعمائة والفين في فن التصوف

صورة اللوحة ما قبل الأخير من المخطوط



(٤١)

والمجموعة كلها أجوبة للشيخ ابن تيمية والرسالة التي نقلت عنها قال كاتبها
أنه نقلها من خط الشيخ الإمام العالم برهان الدين ابراهيم بن الشيخ الإمام
العلامه الورع الزاهد العابد ابى العباس أحمد بن محب الدين عبد الله بن محمد
المقدسى نفعه الله تعالى ونفع به آمين قال الشيخ محمد بن عبد الرزاق
المذكور وقابلتها بمعاونة الأخ محمد محمد عبد العزيز بتاريخ صباح يوم
الاربعاء التاسع عشر من ذى القعدة من سنة أحدى واربعين وثلاثمائة
والف من هجرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا كثيرا

صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط

القسم الثاني: التحقيق

ويشتمل على خمس رسائل

(1) معارج الوصول

(2) الصفات الاختيارية

(3) مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو

(4) مسـألـة فـي الاستـواء والـنـزول

(5) إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعـالى

الرسالة الأولى:
معارج الوصول

بسم الله الرحمن الرحيم[1]
[رب يسر وأعن][2]

قال شيخ الإسلام الإمام العالم تقي الدين أوحد المجتهدين أحمد ابن تيمية، قدس الله روحه ونور ضريحه[3]، [وهو مما كتبه بقلعة دمشق[4] متأخرا][5]:

فصل

في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيَّن جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله.

فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الأصل كان أولى بالحق علما وعملا، ومن كان أبعد عن الحق علما وعملا

---

1) تمت مقابلة المخطوط مع ما طبع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله تعالى, طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, المدينة المنورة, 1424 ه.

2) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3) في المطبوع زيادة: (الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما).

4) قلعة دمشق من أعظم القلاع والحصون بالشام، وفي سنة أربعة وستة مائة أمر السلطان العادل بعمارة قلعة دمشق ووصف على صاحب حماة الملك المنصور والملك المجاهد صاحب حمص وغيرهما عمارة أبرجة في قلعة دمشق من أموالهم ففعلوا ذلك. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (44/271)، وانظر: التاريخ المنصوري، تحقيق: الدكتور أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، وانظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423 هـ، عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413 هـ.

5) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

كالقرامطة[1] والمتفلسفة[2] الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الإلهية والكلية، وإنما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة، ويقولون: خاصة النبوة هي التخييل[3]، ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لا عند أهل المعرفة، كما يقول

1 () القرامطة: نسبة إلى حمدان قرمط أحد دعاة الباطنية، ولُقّب بذلك لقرمطة في خطه، أو في خطوه، وهو من أهل الكوفة، مائلا إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريق، وهو متوجه إلى قريته، فاندفع الداعي في تعليمه حتى استدرجه واستغواه، فاستجاب له في جميع ما دعاه، ثم انتدب حمدان للدعوة، وصار أصلا من أصول هذه الدعوة، فسمي أتباعه القرامطة والقرمطية، وهم القائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن احدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة السابق واسم المعلول التالي، ثم قالوا السابق لا يوصف بوجود ولا عدم فإن العدم نفي والوجود سببه فلا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف، وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه. انظر: فضائح الباطنية للغزالي (ص: 29)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: 289).

2 () الفلسفة هي: كلمة يونانيّة مركّبة من فيلو، ومعناها: محبّ، وسوفيا، ومعناها: الحكمة، فالفيلسوف هو محبّ الحكمة، والمتأخرين من الفلاسفة خالفوا الأوائل في أكثر المسائل وكانت مسائل الأولين محصورة في الطبيعيات والإلهيات، وذلك هو الكلام في الباري تعالى والعالم ثم زادوا فيها الرياضيات، فغاية الحكيم: هو أن يتجلى لعقله كل الكون ويتشبه بالإله الحق تعالى وتقدس بغاية الإمكان، وغاية النبي: أن يتجلى له نظام الكون، فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم، وتنتظم مصالح العباد وذلك لا يتأتى إلا بترغيب وترهيب وتشكيل وتخييل. انظر: الملل والنحل للشهرستاني، (2/57)، والصفدية (2/323)، وقال شيخ

هذا ونحوه الفـــارابي[1]، وأمثاله مثل: مبــشر بن فاتــك[2] وأمثاله من الإسمـــاعيلية[3].

وآخــرون يعــترفون بــأن الرســول علم الحقــائق لكن يقولون: لم يُبَيِّنها بل خاطب الجمهور بالتخييل، فيجعلــون

الإسلام ابن تيمية رحمـه اللـه عن الفلسـفة: (والفلسـفة هي باطن الباطنيّة، ولهذا صار في هؤلاء نوع من الإلحاد، فقلّ أن يسلم من دخل مع هؤلاء في نوع من الإلحاد في أسماء اللـــه وآياتــه، وتحريــف الكلم عن مواضــعه)، درء تعــارض العقــل والنقل (2/88)، وانظر: درء التعارض (3/355).

3 () التخييل: هي الخاصة الـتي يتمثـل للإنسـان مـا يعلمـه في نفسه، فيراه ويسـمعه، فـيرى في نفسـه صـورا نورانيـة هي عندهم ملائكة الله، ويسمع في نفسه أصواتا هي عندهم كلام الله، من جنس مـا يحصـل للنـائم في منامـه، ومن جنس مـا يحصـل لبعض أهـل الرياضـة، ومن جنس مـا يحصـل لبعض الممـرورين الـذين يصـرعون، ويقولـون: إن مـا أخـبرت بـه الرسل من أمور الربوبية واليوم الآخر إنما هو تخييـل وأمثـال مضروبة لا أنه إخبـار عن الحقـائق على مـا هي عليـه، انظر: الصفدية (ص: 7).

1 () الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخـان بن أوزلـغ، التركي الفارابي المنطقي، قال الإمـام الـذهبي: لـه تصـانيف مشـهورة، من ابتغى الهـدى منهـا، ضـل وحـار). انظـر: سـير أعلام النبلاء (15/416)، ومن كتبـه: كتـاب البرهـان، وكتـاب القياس الصغير، وكتاب الأوسط، انظر: أخبار العلمـاء بأخيـار الحكمـاء للقفطي (ص: 118)، تـوفى سـنة 339هــ، وانظـر عقيدتـه في لسـان المـيزان، (2/291،ــ 293)، ، وآراء أهـل المدينــه (ص: 29)، وتهـافت الفلاسـفة (ص: 234،ــ 241)، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عنه: أن الفيلوسـوف أكمـل من النـبي وإنمـا خاصـة النـبي جـودة التخييـل للحقـائق، انظـر: مجموع الفتاوى (2/68)، و(7/589).

2 () مبشر بن فاتك أبو الوفاء الأمير أحد أدباء مصر، وكان في

التخييـل في خطابـه لا في علمـه كمـا يقـول ذلـك ابن ســينا[1] وأمثاله.

وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون: لا يمكن معرفته من كلامهم بل يعرف بطريق آخر: إما المعقول عند طائفة[1]، وإما المكـــاشفة[2] عند طائفة، إما قياس فلسفي، وإما خيال صوفي، ثم بعد ذلك ينظر فيكلام الرسول فما وافق

أيـام الظـاهر والمستنصـر، ولـه من التصـانيف: كتـاب سـيرة المستنصـر ثلاث مجلـدات، ولـه تواليـف في علـوم الأوائـل، وملك من الكتب مالا يحصى، وهو من الفلاسفة، وكان يقـول كما ذكر شيخ الإسلام عنه بتفضيل الولاية على النبوة، تـوفي نحو 500 للهجرة. انظـر: معجم الأدبـاء، (5/2271)، وعيـون الأنباء في طبقات الأطباء (ص: 560)، وأخبار العلمـاء بأخيـار الحكماء، ومجموع الفتاوى (7/589).

3 () الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل بن جعفـر، حيث يثبتـون له الإمامة، وهم فرقة من فرق الشـيعة، يزعمـون أن الإمـام بعد جعفر بن محمد ابنه إسماعيل بن جعفـر، وأنكـرت مـوت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا: كان ذلك على جهـة التلـبيس من أبيـه على النـاس لأنـه خـاف فغيبـه عنهم. انظـر: الملـل والنحل للشهرستاني (1/20) و (1/190).

وانظر عقائدهم في تفضيل النفس الـذي بلـغ الكمـال في العقل على النبي في كتاب: الملل والنحـل للشهرسـتاني (1/193)، مؤسسة الحلبي.

1 () ابن سينا هو: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتبـا من دعـاة الإسـماعيلية، ومن كتبـه: الإنصاف، البر والإثم، القانون، الأرصـاد، ولـه كتـاب الشـفاء، وغـيره، وأشـياء لا تحتمـل، وقـد كفـره الغـزالي في كتـاب (المنقذ من الضلال)، توفي 428 هـ. انظر: سـير أعلام النبلاء للـذهبي (17/531)، وانظـر لجملـة عقائـده في الإلهيـات والنبوات كتـاب الملـل والنحـل للشهرسـتاني (3/3)، وانظـر أيضــا كلام شــيخ الإســلام ابن تيميــة في أن المتفلســفة والقرامطة ومن وافقهم يقولون أن النبوة لها ثلاث خصائص،

ذلك قُبِل وما خالفه، إما أن يفــوض[1]، وإما أن يـــؤول[2]، وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة[3]، وهي طريقة خيارالباطنية[4]، والفلاسفة الذين يعظمون الرسول[5]، وينـزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التأويل[6].

انظر: الصفدية (1/5)، وانظر أيضا خصـائص النبـوة عنـد ابن سينا وغيره من المتفلسفة في الفرقـان بين أوليـاء الـرحمن وأوليــاء الشــيطان (ص: 98،ــ 99)، وانظــر أيضــا طريقــة الفلاسفة في المعجزات في كتاب النبوات(1/37).

1) وهم الفلاسـفة والمتكلمـون الـذين يقـدمون العقـول على النقول، ومن هـؤلاء الـرازي، انظـر كلامـه في كتـاب: معـالم أصول الدين (ص: 25،ـ 48)، ودرء تعـارض العقـل والنقـل (1/6-8).

2 () سبق تعريف الكشف وأنواعه.

1 () التفويض: معناه اللغوي: فـوض إليـه الأمـر، أي: رده إليـه، وصيره إليه وجعله الحاكم فيه، وفي حديث الـدعاء: (فوضـت أمري إليك)، أي: رددته إليك، يقال: فوض أمـره إليـه إذا رده إليـه وجعلـه الحـاكم فيـه، ومنـه حـديث الفاتحـة: فـوض إلي عبدي. انظر: الصحاح للجوهري (3/1099)، ولسـان العـرب(7/210). فالتفويض في الأسـماء والصـفات: تفـويض علمهـا ورد معانيها إلى الله، انظر: معالم أصول الدين (ص: 48)

2 () التأويـل: من أول يـؤول تـأويلا وثلاثيـه آل يـؤول أي رجـع وعاد، وسئل أبو العباس أحمـد بن يحـيى عن التأويـل فقـال: التأويل والمعنى والتفسير واحد، وقال الليث: التأول والتأويل تفسـير الكلام الـذي تختلـف معانيـه ولا يصـح إلا ببيـان غـير لفظه. انظر: لسان العرب (11/33)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان التأويل: (لفظ التأويل يراد به التفسير المــبين لمراد الله به فذلك لا يعاب بل يحمد، ويراد بالتأويل الحقيقــة التي استأثر الله بعلمها فـذاك لا يعلمـه إلا هـو، وأمـا التأويـل المذموم والباطل فهـو تأويـل أهـل التحريـف والبـدع، الـذين يتأولونه على غير تأويله، ويدّعون صـرف اللفـظ عن مدلولـه إلى غـير مدلولـه بغـير دليـل يـوجب ذلـك، ويـدّعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيمـا أثبتـوه بالعقل، ويصرفونه إلى معان هي نظير المعـاني الـتي نفوهـا عنه،). انظـر: التدمريـة(ص: 112)، فالفلاسـفة والمتكلمـون

وأبو حامد الغزالي[1] لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل، وأن الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا، وأن الحق بين (جمود)[2] الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة، وأن ذلك لا يعرف من جهة السمع بل (يعرف)[3] الحق بنور يقذف في قلبك، ثم ينظر في السمع، فما وافق ذلك قبلته وإلا فلا[1]،[2]كان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة، وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب

يستخدمون التأويل لإنكار النصوص والتأويلات الباطلة لصفات الباري تعالى، وكثير من أهل العلم وأئمة الدين أنكروا عليهم في تأويلاتهم الباطلة. انظر: ذم الكلام وأهله (5/1).

3 () انظر: عقائد الجهمية والمعتزلة في هذا الباب في كتاب: الملل والنحل(1/86، 43)، ومقالات الإسلاميين (ص: 155، 279).

4 () لأن من الباطنية من يقول كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أن المخالف قد يخالف نصا متواترا، ويزعم أنه مؤول، ولكن ذكر تأويله لا انقداح له أصلا عن اللسان لا على قرب ولا على بعد، فذلك كفر وصاحبه مكذب وإن كان يزعم أنه مؤول.

مثاله: ما رأيته في كلام بعض الباطنية أن الله تعالى واحد بمعنى أنه يعطي الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى أنه يعطي العلم ويخلقه لغيره وموجود بمعنى أنه يوجد غيره). انظر: بغية المرتاد (ص: 346).

5 () انظر كلام الغزالي في ذلك في إحياء علوم الدين (1/104).

6 () ومن هؤلاء الأشاعرة الذين لا يثبتون إلا الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام وما عداها من الصفات الثبوتية لا يثبتونها ولهم في نصوصها أحد طريقين إما التأويل أو التفويض. انظر: العرش للذهبي (1/111)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1424هـ، ومن هؤلاء ابن العربي انظر كلامه في كتاب قانون التأويل(ص: 353)، دراسة وتحقيق: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن بيروت، 1406 هـ.

1 () الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، مولده: سنة خمسين وأربع مائة، ومن أشهر كتبه: كتاب إحياء علوم الدين، والوسيط،

للمصلحة، ولكن هؤلاء وقعوا في نظير ما فروا منه، نسبوه إلى التلبيس والتعمية وإضلال (الخلق)[1]، بل إلى أن يظهر الباطل ويكتم الحق.

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية، بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب؛ سلك مسلك التخييل، وقال: إنه (خاطب)[2] الجمهور بما يخيل إليهم، مع علمه أن الحق في نفس الأمر ليس كذلك.

فهؤلاء يقولون: إن الرسل كذبوا للمصلحة، وهذا طريق ابن رشد الحفيد[3] وأمثاله من الباطنية، فالذين

والبسيط، والوجيز، وغيره من الكتب، ومما نقم عليه ما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتاب (كيمياء السعادة والعلوم) وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الملة، حتى قال أبو بكر بن العربي: (شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع).

وقد ألف في ذم الفلاسفة كتاب التهافت، وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفا وهو داء عضال، وجرب مرد، وسم قتال، توفي سنة 505هـ. انظر: وفيات الأعيان (4/216)، وسير أعلام النبلاء (19/322).

2 () في المخطوط: (جمهور)

3 () في المطبوع: (تعرف)

1 () ذكره في كتابه إحياء علوم الدين، انظر: (1/104) دار المعرفة، بيروت، 1402هـ.

2 () في المطبوع زيادة: (و)

1 () في المخطوط: (الحق).

2 () في المخطوط: (خطاب).

3 () أبو الوليد، محمد بن أبي القاسم أحمد ابن شيخ المالكية

عظمـوا الرسـل من هـؤلاء عن الكـذب نسـبوهم إلى التلبيس والإضلال، والـذين أقـروا بـأنهم بينـوا[الحـق][4] قالوا: إنهم كذبوا للمصلحة.

وأما أهل العلم والإيمان فمتفقـون على أن الرسـل لم يقولوا إلا (بالحق)[3]، وأنهم بينـوه مـع علمهم بـأنهم أعلم الخلق بالحق، فهم الصادقون المصدوقون، علمـوا الحـق وبينـوه، فمن قـال: إنهم كـذبوا للمصـلحة (فهم)[4] من إخوان المكذبين للرسل، لكن هذا لما رأى مـا عَمِلـوا من الخير والعدل في العالم لم يمكنه أن يقول: كـذبوا لطلب العلو والفساد، بل قال: كذبوا لمصلحة الخلق كمـا يحكى عن ابن التـومـرت[5] وأمثالـه، ولهـذا كـان هـؤلاء لا

أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشـد القرطـبي، ولـه من التصانيف: (بدايـة المجتهـد) في الفقـه، و (الكليـات) في الطب، و (مختصر المستصفى) في الأصول، وقيل: لمـا كـان المنصـور صـاحب المغـرب بقرطبـة، إسـتدعى ابن رشـد، واحترمه كثيرا، ثم نقم عليه بعد، يعني لأجـل الفلسـفة، قـال ابن حمويه: لما دخلت البلاد، سألت عن ابن رشد، فقيل: إنـه مهجور في بيته من جهة الخليفة يعقوب، لا يـدخل إليـه أحـد؛ لأنه رفعت عنه أقوال ردية، ونسبت إليـه العلـوم المهجـورة، ومات محبوسا بداره بمراكش سـنة خمس وتسـعين وخمس مائـة، وقـد روى عنـه: أبـو محمـد بن حـوط اللـه، وسـهل بن مالـك، ولا ينبغي أن يـروى عنـه. انظـر: سـير أعلام النبلاء (21/307)، والـوافي بالوفيـات(2/82)، دار إحيـاء الـتراث، بـيروت، 1420هــ، وانظـر تفصـيل مقالـه في كتابـه فصـل المقال (ص: 22، 27).

4 () ما بين المعقوفين سقطت من المخطوط.

3 () في المطبوع: (الحق)

4 () في المطبوع (فهو)

5 () ابن التومرت: هو محمد بن عبد الله بن تـومرت أبـو عبـد اللـه الملقب بالمهـدي المصـمودي الهـرغي بـالراء السـاكنة والغين المعجمة صاحب دعوة السـلطان عبـد المـؤمن ملـك الغـــرب لقي الغـــزالي، والكيـــاء الهراســـي، وأبـــا بكـــر الطرطوشي، المتوفى سنة 524هـ، انظر: الـوافي بالوفيـات

يفرقون بين النبي والساحر إلا من جهة حسن القصد فإن النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر، وإلا (فكلاهما خوارقه)[1] هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب، لكن الساحر يكذب للعلو (وللفساد)[2]، والنبي عندهم يكذب (لمصلحة)[3]، إذ لم يمكنه إقامة العدل فيهم إلا بنوع من الكذب[4].

(3/661)، ووفيات الأعيان (5/45)، وهو المدعي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة، فيها توحيد وخير بانحراف، فحمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين، ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم، وأباح دمه، نعوذ بالله من الغي والهوى. انظر: سير أعلام النبلاء (19/539)، وابن التومرت وأمثاله من الفلاسفة الباطنية، وهم في الأسماء والصفات معتزلة. انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (3/501)، وانظر كلام ابن التومرت والجواب عليه، وما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية كلام ابن التومرت من كتابه الدليل والعلم، في كتاب درء تعارض العقل والنقل (3/438، 439).

1 () في المطبوع: (فلكل منهما خوارق)

2 () في المطبوع: (والفساد)

3 () في المطبوع: (للمصلحة)

4 () انظر جواب شيخ الإسلام لسؤال سأله عن رجل مسلم يقول أن معجزات الأنبياء صلى الله عليهم وسلم قوى نفسانية أفتونا مأجورين، الصفدية (ص: 1)، وانظر أيضا الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(ص: 99)، وانظر طرق النظار في التمييز بين المعجزة وغيرها، وما يختص بالسحرة والكهان في كتاب النبوات (1/129)، (2/991).

وقال الغزالي: (قولهم لا تكون المعجزات إلا في القوة المتخيلة، ولم يثبت الفلاسفة من المعجزات الخارقة للعادات إلا في ثلاثة أمور: أحدها في القوة المتخيلة، فإنهم زعموا أنها إذا استولت وقويت ولم يستغرقها الحواس والاشتغال؛ اطلعت على اللوح المحفوظ، وانطبع فيها صور الجزئيات

والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وأن النبي لا يكون إلا صادقا من هؤلاء قالوا: إنهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا: سكتوا عن بيانه لكان أقل إلحادا، لكن قالوا: إنهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل، ولم يبينوا لهم الحق، فعندهم أنهم جمعوا بين شيئين: بين كتمان (الحق)[1] لم يبينوه، وبين إظهار ما يدل على الباطل، وإن كانوا لم يقصدوا الباطل، فجعلوا كلامهم من جنس (المعاريض)[2] (التي)[3] يعني بها المتكلم معنى صحيحا لكن لا يفهم المستمع منها إلا الباطل، وإذا قالوا: قصدوا التعريض كان أقل إلحادا ممن قال: إنهم قصدوا الكذب، والتعريض (من نوع الكذب)[4]، إذ كان كذبا في الأفهام، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب إبراهيم[5] إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله[6]، وهي

الكائنة في المستقبل، وذلك في اليقظة للأنبياء، ولسائر الناس في النوم، فهذه خاصية النبوة للقوة المتخيلة. . .) تهافت الفلاسفة (ص: 234).

1 () في المطبوع: (حق)

2 () المعاريض من الكلام: ما عرض به ولم يصرح، وأعراض الكلام ومعارضه ومعاريضه، كلام يشبه بعضه بعضا في المعاني، كالرجل تسأله: هل رأيت فلانا؟ فيكره أن يكذب وقد رآه، فيقول: إن فلانا ليرى. انظر: لسان العرب (4/2895).

3 () في المخطوط: (الذي)

4 () في المطبوع (نوع من الكذب)

5 () في المطبوع: (إن إبراهيم لم يكذب)

6 () أخرجه البخاري في صحيحه (4/140)، رقم الحديث: (3358)، كتاب أحاديث الأنبياء، ، باب في باب قول الله تعالى: ﴿ ڻ ڻ ڻ ڻ﴾ (النساء: 125)، ولفظ الحديث في البخاري: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله ﴿ گ گ﴾ (الصافات: 89). وقوله: ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ﴾. وأخرجه مسلم في صحيحه(4/1840)، رقم الحديث: (2371)، كتاب الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام.

معاريض كقوله عن سارة: إنها أختي، إذ كان ليس هناك مؤمن إلا هو وهي، وهؤلاء يقولون: إن كلام إبراهيم وعامة الأنبياء مما أخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض.

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا، بل يقولون: قصدوا البيان دون التعريض، لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم: إن بيان الحق ليس في خطابهم بل إنما في خطابهم ما يدل على الباطل، والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن سلك في إثبات الصانع (طريقة)[1] الأعراض يقولون: إن الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول، إما لشغلهم بالجهاد، أو لغير ذلك، وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع[2]، وبينا أن أصول الدين الحق الذي أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهي الأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك، قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الإلهية، [و][3] بها يعلمون إثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته، وصِدْقَ رسوله، والمعاد وغير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية، بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية وإن كان لا يحتاج إليها، فإن كثيرا من الأمور (يعرف)[4] بالخبر الصادق، ومع هذا فالرسول بين الأدلة العقلية الدالة عليها، فجمع بين الطريقين السمعي والعقلي، وبيّنّا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر[5]، كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم، بل الكتاب والسنة دلا الخلق

---

1 () في المطبوع (طريق)

2 () انظر مثلا: درء تعارض العقل والنقل(1/100)، (1/301).

3 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4 () في المطبوع (تعرف)

5 () انظر مثلا مجموع الفتاوى (3/296)،ـ (19/231)، ومجموعة الرسائل والمسائل(5/40).

(وهداهم)[1] إلى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين.

وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا إذا صنفوا في أصول الدين أحزابا.

حزب يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم، وأن النظر يوجب العلم وأنه واجب، ويتكلمون في جنس النظر، وجنس الدليل، وجنس العلم، بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل[2]، ثم إذا صاروا إلى ما هو الأصل والدليل للذين استدلوا بحدوث الأعراض[3] على حدوث الأجسام[4]،

---

1 () في المطبوع: (وهدياهم)

2 () انظر: الإرشاد للجويني (ص: 6)، فصل بالنظر يحصل العلم.

3 () العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. انظر: التعريفات للجرجاني (ص/147)

4 () قاعدة دليل الأعراض وحدوث الأجسام من أهم القواعد التي يثبتون بها المبتدعة وجود الرب، وأن الأعراض والأجسام حادث، والحوادث مفتقر إلى الفاعل قياسا على أفعالنا المحتاجة إلينا في حدوثها، انظر: المطالب العالية للرازي(1/210)، وانظر في ذلك كلام الجويني في الإرشاد (ص: 17،25).

طريقة الاستدلال بالأعراض مأخوذة في الأصل من المعتزلة نفاة الصفات، وأن الصانع لا يعرف إلا بالنظر والاستدلال المفضي إلى العلم بإثبات الصانع، ولا طريق إلى ذلك إلا بإثبات حدوث العالم، ولا طريق إلى ذلك إلا بإثبات حدوث الأجسام، ولا دليل على ذلك إلا الاستدلال بالأعراض، أو ببعض الأعراض كالحركة والسكون، أو الاجتماع والافتراق، وهي الأكوان، فإن الجسم لا يخلو منها وهي حادثة، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وقالوا: أن هذا الأصل يشتمل على أربعة مقامات، إثبات الأعراض، ثم إثبات حدوثها، ثم إثبات استلزام الجسم لها، أو أنه لا يخلو منها، ثم إبطال حوادث لا أول لها، وحينئذ فيلزم حدوث الجسم، فيلزم

وهو دليل مبتدع في الشرع، وباطل في العقل[1].

والحـزب الثـاني: عرفـوا أن هـذا الكلام مبتـدع، وهـو مستلزم (مخالفة الكتاب)[2] والسنة، وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخـرة، وليس فـوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية، فصـنفوا كتبـا قـدموا فيها ما يدل على وجـوب الاعتصـام بالكتـاب والسـنة من القرآن والحديث وكلام السـلف، وذكـروا أشـياء صـحيحة، لكنهم قد يخلطون الآثار صحيحها بضعيفها، وقد يسـتدلون بمـا لا يـدل على المطلـوب، وأيضـا فهم إنمـا يسـتدلون بالقرآن من جهة إخباره، لا من جهة دلالته، فلا يذكرون ما فيـه من الأدلـة على إثبـات الربوبيـة والوحدانيـة والنبـوة والمعاد، وأنه قد بين الأدلة العقلية الدالة على ذلك، ولهذا سموا كتبهم أصول السنة والشـريعة ونحـو ذلـك، وجعلـوا الإيمـان بالرسـول قـد اسـتقر، فلا يحتـاج أن يـبين الأدلـة الدالة عليـه، فـذمهم أولئـك ونسـبوهم إلى الجهـل، إذ لم يــذكروا الأصــول الدالــة على صــدق الرســول، وهــؤلاء ينسبون أولئك إلى البدعة، بل إلى الكفـر لكـونهم أصـلوا أصولا (تخالف)[3] ما قاله الرسول.

والطائفتان (يلحقها)[4] الملام، (لكونها أعرضـت)[5] عن

حدوث العالم، لأنه أجسام وأعراض، فيلزم إثبـات الصـانع لأن المحـدث لا بـد لـه من محـدث. انظـر: الصـفدية للإمـام ابن تيمية، (1/274).

1 () ومن الذين استدلوا طريقة الاسـتدلال بـالأعراض القاضـى عبد الجبار انظر كلامه في شـرح الأصـول الخمسـة للقاضـى عبد الجبـار (ص: 66، 92)، مكتبـة وهبـة، 1416هــ، وانظـر أيضا صفحة: 104 للكلام حول حـدوث الأعـراض أو الأكـوان، وصـفحة: 111، و 118 حـول الكلام أن الجسـم إذا لم ينفـك عن الأكوان وهي حادثـة، فهـو محـدث مثلهـا، وأنـه إذا كـانت الأجسام محدثة فهي تحتاج إلى محدث.

2 () في المخطوط: (مخالف للكتاب)

3 () في المخطوط: (يخالف)

4 () في المطبوع (يلحقهما).

5 () في المطبوع: (لكونهما أعرضـتا) وهـذه العبـارة صـحيحة،

الأصول التي بينها الله بكتابه، فإنهـا أصـول الـدين وأدلتـه وآياته، فلما أعرض عنها الطائفتـان وقـع بينهمـا العـداوة، كما قال الله تعالى: ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ [1].

وحزب ثالث: قـد عـرف تفريـط هـؤلاء وتعـدي أولئـك وبدعتهم، فذمهم وذم طالب العلم الذكي الـذي اشـتاقت نفسه إلى معرفة الأدلة، والخـروج عن التقليـد، إذا سـلك طـريقهم و[قـال] [2] إن طـريقهم ضـارة، وأن السـلف لم يسـلكوها، ونحـو ذلـك (بمـا)[3] يقتضـي ذمهـا، وهـو كلام صحيح، لكنه إنما يدل على أمر مجمـل لا (تـبين)[4] دلالتـه على المطلوب، بل قد يعتقد طريق المتكلمين مـع قولـه: إنـه بدعـة، ولا يفتح أبـواب الأدلـة الـتي ذكرهـا اللـه في القرآن التي تبين [أن][5] ما جاء به الرسول حـق، ويخـرج الــذكي بمعرفتهــا عن التقليــد وعن الضــلال والبدعــة والجهل، فهؤلاء أضل (بفرقهم أنهم)[6] لم يتدبروا القـرآن وأعرضوا عن آيات الله التي بينها بكتابه، كمـا يعـرض من يعرض عن آيات الله المخلوقة، قال الله تعالى: ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ [7]، وقال تعالى: ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ [8]، وقال تعالى: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ [9]، وقال تعالى: ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ [10]، وقال تعالى: ﮃ

وما أثبتها فهي من المخطوط.

1 () المائدة 14

2 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

3 () في المطبوع (مما)

4 () في المطبوع: (تتبين).

5 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

6 () في المطبوع (أضل بفرقهم، لأنهم) وهذه العبارة صحيحة، وما أثبتها فهي من المخطوط.

7 () يوسف 105

8 () يونس 101

9 () يونس 7، 8

10 () ص 29

ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ﴿ ﴾ ٱ ٻ ٻ ٻ ﴿ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ ﴾[3][4]، ومثل هذا كثير لبسطه مواضع أخر.

والمقصود أن هؤلاء الغالطين الذين أعرضوا (عما)[5] في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية، لا يذكرون (النظر)[6] والدليل والعلم الذي جاء به الرسول، والقرآن مملوء من ذلك، والمتكلمون يعترفون بأن في القرآن من الأدلة العقلية الدالة على أصول الدين ما فيه، لكنهم يسلكون طرقا أخر (كطريق)[7] الأعراض، ومنهم من يظن أن هذه طريق إبراهيم الخليل وهو غالط[8].

والمتفلسفة يقولون: القرآن جاء بالطريق الخطابية والمقدمات الإقناعية التي (يقنع)[9] الجمهور، ويقولون: إن المتكلمين جاءوا بالطرق الجدلية، ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقيني، وهم أبعد عن البرهان في الإلهيات من المتكلمين، والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الإلهيات والكليات، ولكن للمتفلسفة في

---

1 () الروم 58، الزمر 27

2 () النحل 43

3 () في المطبوع: (وقال تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ﴾

4 () فاطر 25

5 () في المطبوع (ما).

6 () في المخطوط (الفطر).

7 () في المخطوط (لطريق).

8 () سيأتي في الصفات الاختيارية كلام المؤلف رحمه الله تعالى في الرد على استدلال المتكلمين بقصة إبراهيم الخليل عليه السلام في أفول الكواكب.

9 () في المطبوع (تقنع)

الطبـــيعيات[1] خـوض وتفصـيل، (تمـيزوا)[2] بـه، بخلاف الإلهيات، فإنهم من أجهل الناس بها، وأبعدهم عن معرفة الحق فيهـا، وكلام أرســـطو[3] معلمهم فيها قليـل؛ كثـير الخطأ، فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سـهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى[4]، وهذا مبسوط في غـير هـذا الموضع[5].

والقرآن جاء بالبينات والهدى؛ بالآيات البينـات، وهي الدلائل اليقينيات، وقد قال الله تعالى لرسوله:

---

1 () (الطبيعة) السجية ومزاج الإنسـان المـركب من الأخلاط والقوة السارية في الأجسام التي بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي وطبيعة النار أو الدواء أو نحوه ما سخر اللـه تعـالى من مزاجه، و (علم الطبيعة) علم يبحث عن طبـائع الأشـياء وما اختصـت بـه من القـوة، والطبـائع الأربـع عنـد الأقـدمين: الحـــرارة والـــبرودة والرطوبـــة واليبوســـة. انظـــر: المعجم الوسيط (2/550).

2 () في المطبوع: (يميزوا).

3 () أرسطو: هـو أرسـطاطاليس الحكيم - وقيـل فيـه أرسـطو طـــاليس - بن الحكيم الفيثـــاغوري، وكـــان تلميـــذ أفلاطـــون الحكيم، وكان أفلاطون يقدمـه على غـيره من تلاميـذه، ومن كتبه: كتاب الحيوان، كتاب النبات، كتاب النفس، كتاب الحس والمحسوس، كتاب الصحة والسقم، كتـاب الشـباب والهـرم، كتاب السـماء والعـالم، كتـاب الآثـار العلويـة. انطـر: (عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء لابن أبي أصـيبعة. وانظـر: بغيـة الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (3/1341)، دار الفكر.

4 () أصـله في حـديث أم زرع، وفيـه: (زوجي لحم جمـل غث، على رأس جبل، لا سهل فيرتقى ولا سـمين فينتقى) أخرجـه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب (حسن المعاشرة مع الأهل)، (7/26)، رقم الحديث: (5189)، وأخرجه مسـلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر حـديث أم زرع (4/1896)، رقم الحــديث: (6458)، ومعنــاه: أي غليــظ حــزن يصــعب الصعود إليه، شـبهته بلحم هزيـل لا ينتفـع بـه، وهـو مـع هـذا، صَـعْبُ الوصـول والمنـال. انظـر: تـاج العـروس من جـواهر القــاموس للزبيــدي(14/366)، مطبعــة حكومــة الكــويت، 1394هـ.

ﯓ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓﯓ[1]، والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية، في البرهان والخطابة والجدل، وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا الموضع[2]، بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به، فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة، فيبين لها الحق علما وعملا، (فتقبله وتعمل)[3] به.

وآخرون[4] يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه، فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، والوعظ: أمر ونهي بترغيب وترهيب، كما قال تعالى: ﯓ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ﯓ[5]، وقال تعالى: ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﭙ ﭘ ﯓ[6]، فالدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق، ومن لم يقبله فإنه يجادل بالتي هي أحسن، والقرآن مشتمل على هذا وهذا، ولهذا إذا جادل يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية، التي لا يمكن أحد أن يجحدها، لتقرير المخاطب بالحق، ولاعترافه بإنكار الباطل، كما في مثل قوله: ﯓ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ﯓ[7]، وقوله: ﯓﯓ ﯓ ﯓﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ی ی ي ﯓ[8]، وقوله: ﯓ ۆ ۈ ۈ ﯓ ۋ ۋ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ[9]، وقوله: ﯓ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ﯓ ﯓ
ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﯓ ﮱ ﯓ ﯓ ﯓ

5 () انظر مثلا الرد على الشاذلي (ص: 209)، وبيان تلبيس الجهمية(2/446).

1 () النحل 125

2 () الفلاسفة يستدلون بالآية الكريمة على أقيستهم البرهانية والخطابية والجدلية، انظر: الرد على المنطقيين(ص: 445، 411)

3 () في المخطوط: (فيقبله ويعمل).

4 () يوجد في المخطوط هذه العلامة (هـ)

5 () النساء 66

6 () النور 17

7 () الطور 35

8 () ق 15

9 () يس 81

ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ﴾[1]، وقوله: ﴿ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾[2]، وقوله: ﴿ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾[3]، وقوله: ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ﴾[4] وقوله: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ﴾[5] وقوله: ﴿ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ﴾[6] إلى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير المتضمن إقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب، فهو من أحسن جدل بالبرهان، فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم المقدمات، وإن لم تكن بينة معروفة، فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية.

والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم، بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس، وهي برهانية، وإن كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها (كقوله)[7]: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ﴾[8]، فإن الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب، ومع من ينكرها من المشركين؛ ذكر ذلك بقوله: ﴿ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ﴾ وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع، وعلى قراءة من قرأ: ﴿يبدونها﴾ كابن كثير وأبي عمرو، جعلوا الخطاب مع المشركين، وجعلوا قوله: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ﴾ احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد، فالحجة على

---

1 () القيامة 36 ـ 40

2 () الواقعة 58

3 () طه 133

4 () العنكبوت 51

5 () الشعراء 197

6 () البلد 8 ـ10

7 () في المخطوط: (لقوله)

8 () الأنعام 91

أولئك نبوة موسى وعلى هؤلاء نبوة محمد، ولكل منهما من البراهين ما قد بين بعضه في غير موضع، وعلى قراءة الأكثرين بالتاء هو خطاب لأهل الكتاب، وقوله: ﴿ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﴾ بيان لما جاءت به الأنبياء مما أنكروه فعلمهم الأنبياء ما لم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الأنبياء وما لم يعرفوه[1].

وقد قص سبحانه قصة موسى، وأظهر براهين موسى وآياته التي هي من أظهر البراهين والأدلة، حتى اعترف بها السحرة الذين جمعهم فرعون، وناهيك بذلك، فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم بالاضطرار أنها من الله، وابتلعت عصاه الحبال والعصي التي أتى بها السحرة، بعد أن جاءوا بسحر عظيم، وسحروا أعين الناس واسترهبوا الناس، ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﴾[2] فقال لهم فرعون: ﴿ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴾[3]– من الدلائل البينات اليقينية القطعية وعلى الذي فطرنا، وهو خالقنا وربنا الذي لا بد لنا منه، ﴿ ﯘ ﯙ ﯚ ﴾ على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية ﴿ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﴾[4].

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من

[1] انظر للقراءات السابقة والتفاسير: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: 262)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1400هـ، وحجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد، بن زنجلة (ص: 260)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ، وانظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ص: 105)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ، وانظر: تفسير الطبري(11/521)، وابن كثير (3/300).

[2] الشعراء 47 ـ 48، الأعراف 121 ـ 122

[3] طه 71، 72

[4] طه 72 ـ 73

القرآن[1]، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر، كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا (تكرير)[2] بل فيه تنويع الآيات مثل: أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة[3]، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة، وكذلك القرآن إذا قيل فيه: إنه قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح؛ فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر.

وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة.

وكذلك في الجمل التامة يعبر عن (القصة)[4] بجمل (تدل)[5] على معان فيها، ثم يعبر عنها بجمل أخرى، تدل على معان أُخَر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة

---

1 () مثل ما ورد في سورة يونس (79-82)، وكذا في سورة الأعراف، وطه، والشعراء كما نقلها المؤلف.

2 () في المطبوع: (تكرار).

3 () انظر: صحيح البخاري (6/151)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الصف: 6]، وصحيح مسلم (4/1828)، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، وسنن ابن ماجه(2/359) أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة، وشرح السنة للبغوي (13/311، 213)، وسنن الترمذي(5/135، 529)، والشريعة للآجري (3/1485)، وشرح مشكل الآثار للطحاوي(3/183)، مؤسسة الرسالة، 1415هـ.

4 () في المخطوط: (القضيه).

5 () في المخطوط: (يدل).

فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الأخر، وليس في القرآن تكرار أصلا، وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع [إمكان][1] الاكتفاء بالواحدة، وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم (تكن)[2] الآيات والقصص مثناة (مكررة)[3]، لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم؛ فأراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، وأن يلقيها إلى كل سمع، فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره.

---

1 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

2 () في المطبوع: (يكن)

3 () في المطبوع: (متكررة)

وأبــو الـــفرج[1] اقتصــر على هـذا الجـواب في قولـه: ق لما قيل: لم (ثنيت)[2][3]، وبسط هذا له موضع آخر، فــإن التثنيــة (هــو)[4] التنويــع والتجــنيس وهي اســتيفاء الأقسـام، ولهـذا يقـول من يقـول من السـلف الأقسـام والأمثال.

والمقصود هنا التنبيـه على أن القـرآن اشـتمل على أصول الـدين الـتي تسـتحق هـذا الاسـم، وعلى الـبراهين والآيـات والأدلـة اليقينيـة، بخلاف مـا أحدثـه المبتـدعون والملحـدون كمـا قـال الـــرازي[5] - مـع خبرتـه بطـرق هؤلاء-: (لقد تأملت الطرق الكلاميـة والمنـاهج الفلسـفية فمـا وجـدتها تشـفي عليلا ولا تـروي غليلا، ورأيت أقـرب

---

1) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، القرشي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، المشهور بابن الجـوزي، الواعـظ، صاحب التصانيف، ولد سنة تسع أو عشـر وخمس مئـة، ومن كتبـه: زاد المسـير، تـذكرة الأريب، الوجـوه والنظـائر، فنـون الأفنان، جامع المسانيد، الموضـوعات، وغيرهـا كثـير، وتـوفي ليلة الجمعـة بين العشـاءين الثـالث عشـر من رمضـان سـنة سبع وتسعين وخمس مئة في داره بقَطُفتا. انظر: سير اعلام النبلاء (22/352).

2 () في المخطوط: (يثبت)

3) انظـر زاد الميسـر(7/175)، المكتب الاسـلامي، الطبعـة الثالثة، 1404هـ، بيروت.

4) في المطبوع: (هي).

5) محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرسـتاني، ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة، واشتغل على أبيه الإمــام ضياء الدين خطيب الري، وانتشرت تواليفـه في البلاد شـرقا وغربـا، وقـد بـدت منـه في تواليفـه بلايـا وعظـائم وسـحر وانحرافـات عن السـنة، واللـه يعفـو عنـه، فإنـه تـوفي على طريقة حميدة، والله يتـولى السـرائر، مـات بهـراة يـوم عيـد الفطر سنة ست وست مئة، وله بضـع وسـتون سـنة. انظـر: سير أعلام النبلاء (21/ 501)

الطرق طريقة القرآن، [أقرأ][1] في الإثبات: ﴿ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﴾[2] ﴿ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﴾[3]، وأقرأ في النفي ﴿ ﭡ ﭢ ﭣ ﴾[4] ﴿ ﯰ ﯱ ﯲ ﴾[5] قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[6].

والخــير والســعادة والكمــال والصــلاح منحصــر في نوعين: في العلم النافع، والعمل الصـالح، وقـد بعث اللـه محمدا بأفضل ذلك وهو الهدى ودين الحق كما قـال: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﴾[7] وقد قال تعالى: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﴾[8] فذكر النوعين.

قال الـــوالبي[9] عن ابن عبـاس يقـول: "أولـوا القـوة في العبادة"[10]، قال ابن أبي حــــاتم[11]:

---

1) ما بين المعوقوفين سقط من المطبوع.

2) فاطر 10

3 () طه 5

4) الشورى 11

5) طه 110

6) انظـر: شـرح العقيـدة الطحاويـة لابن أبي العـز (1/244)، وانظــر: طبقــات الشــافعيين لابن كثــير(ص: 780)، مكتبــة الثقافة الدينية، 1413هـ، وما وجدت كلامه في كتبه.

7) الفتح 28

8) ص 45

9) الوالبي: هو أبو خالد الوالبي الكـوفي اسـمه هرمـز، ويقـال هرم، روى عن ابن عباس وجابر وأبي هريـرة وميمونـة، قـال أبـو حـاتم: صـالح الحـديث، مـات سـنة مائـة، انظـر: تهـذيب التهذيب (12/83)، مطبعة دائرة المعـارف النظاميـة، الهنـد، 1326هـ.

10 () أخرجه الطبري في تفسيره(21/215)،

11) ابن أبي حاتم: هـو عبـد الـرحمن أبـو محمـد بن محمـد بن إدريس، العلامة، الحافظ، ولد سنة: أربعين ومائتين، أو إحدى وأربعين، ولــه كتــاب نفيس في (الجــرح والتعــديل)، أربــع مجلدات، وكتاب (الرد على الجهمية)، وله (تفسير) كبــير في عدة مجلدات، عامته آثار بأسانيده، من أحسن التفاسير، ولـه كتاب (العلل)، مجلد كبير، وتوفي ابن أبي حاتم في المحـرم، سنة سـبع وعشـرين وثلاث مائـة بـالري، ولـه بضـع وثمـانون

وروي عن سعيد بن جبير، وعطاء الخراساني[1]، والحسن، والضحاك[2]، والسدي[3]، وقتادة[4]، وأبي سنان[5]، ومبشر بن عبيد[6] نحو ذلك[7].

ﭽ قال: "الأبصار، الفقه في الدين"، وقال مجاهد[8]: "الأبصار الصواب في الحكم"، وعن سعيد بن جبير قال: "البصيرة بدين الله وكتابه"، وعن عطاء الخراساني[9] : ﭽ ﭽ ﭽ (10)- قال: "أولوا القوة في العبادة والبصر والعلم بأمر الله"، وعن مجاهد، وروي عن

سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (13/264)

[1] عطاء الخراساني: هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، المحدث، الواعظ، نزيل دمشق والقدس، قال سعيد بن عبد العزيز: توفي بأريحا، ودفن ببيت المقدس، وقال ابنه عثمان: مات أبي سنة خمس وثلاثين ومائة. وقيل: مولده سنة خمسين. انظر: سير أعلام النبلاء (6/141).

[2] الضحاك: هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير). حدث عن: ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعنه الأسود، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاووس، وطائفة. وبعضهم يقول: لم يلق ابن عباس والله أعلم. وثقه: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما. وحديثه في السنن، لا في الصحيحين. وقد ضعفه: يحيى بن سعيد. وقيل: كان يدلس. ونقل غير واحد وفاة الضحاك في سنة اثنتين ومائة. وقال أبو نعيم الملائي: توفي سنة خمس ومائة. وقال الحسين بن الوليد، والنيسابوري: توفي سنة ست ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (4/598).

[3] السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن، ابن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، السدي، أحد موالي قريش، حدث عن: أنس بن مالك، وابن عباس، وعبد خير الهمداني، ومصعب بن مسعد، وأبي صالح باذام، ومرة الطيب، وأبي عبد الرحمن السلمي، وعدد كثير، توفي سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (5/264).

[4] قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه. وسدوس: هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، من بكر بن وائل، مولده: في سنة ستين. وعن ابن علية، قال: توفي سنة ثماني عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (5/271).

قتادة قال: "أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين"[1] .

وجميع حكماء الأمم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان والهند والعرب، قال ابن قتيبة[2] : ((الحكمة عند العرب العلم والعمل))[3]، فالعمل الصالح هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الدين، دين الإسلام، والعلم والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك، فالعلم النافع هو الإيمان، والعمل الصالح هو الإسلام، العلم

---

5) أبو سنان: هو أبو سنان البرجمي سعيد بن سنان، الشيخ، الإمام، الزاهد، المحدث، أبو سنان سعيد بن سنان البرجمي، الشيباني، شيخ كوفي، سكن الري، وكان يحج كل عام، حدث عن: الضحاك، وطاووس، والشعبي، وعمرو بن مرة، وجماعة، روى عنه: إسحاق بن سليمان، وأبو داود الطيالسي وآخرون، توفي قبل الستين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (6/406)، وانظر: إكمال تهذيب الكمال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1422 هـ.

6) مبشِّر بن عبيد الكوفي ثم الحمصي، عن الحكم بن عتيبة، والزهري، وقتادة، وعطية العوفي. وعنه: بقية، وأبو اليمان، وأبو حيوة شريح، وأبو المغيرة عبد القدُّوس. قال أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث، وقال الدّارقطنيّ: متروك. وقال البخاريّ: منكر الحديث. وواهاه ابن عدّي وسرد له نحو عشرة أحاديث مناكير. وقال أبو المغيرة: كان عارفاً بالنَّحو والعربيّة. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (4/490).

7 () لم أجد في تفسير ابن أبي حاتم المطبوع، وانظر هذه الآثار في تفسير الطبري (21/215) ، وتفسير البغوي، (4/74)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ، وتفسر ابن كثير (7/76).

8) مجاهد: هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن: أبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، ورافع بن خديج، وأم كرز، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأم هانئ، وأسيد بن ظهير، وعدة، تلا عليه جماعة، منهم: ابن كثير الداري، وأبو عمرو بن العلاء،

النافع من علم الله، والعمل الصالح هو العمل بـأمر اللـه، هذا تصديق الرسول فيما أخـبر، وهـذا طاعتـه فيمـا أمـر، وضد الأول أن يقول على الله ما لا يعلم، وضد الثـاني أن يشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا، والأول أشرف.

فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنـا، ﴿ ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ﴾[1] وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين، لكن الذي جاء به الرسول هـو أفضـل مـا فيهمـا كما قال: ﴿ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ﴾[2] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر تارة ((سورة الإخلاص)) و ﴿ ﴾ ٻ ٻ ﴾[3] ففي ﴿ ﴾ ٻ ٻ﴾ عبادة الله وحده، وهو

وابن محيصن. مات مجاهـد وهـو سـاجد، سـنة ثنـتين ومائـة، وكذا أرخه: الهيثم بن عدي، والمدائني، وجماعة. انظر: سـير أعلام النبلاء (4/451).

9) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، المحـدث، الواعـظ، نزيـل دمشـق والقـدس، تـوفي سـنة خمس وثلاثين ومائـة. وقيـل: مولده سنة خمسين. انظر: سير أعلام النبلاء (6/141).

10 () سورة: (ص: 45)

1 () انظر لجميـع الآثـار السـابقة: تفسـير الطـبري(21/215)، وتفسير ابن كثير (7/76).

2) ابن قتيبـة: هـو أبـو محمـد عبـد اللـه بن مسـلم الـدينوري، العلامة، الكبير، صاحب التصانيف، نزل بغداد، وصنف وجمــع، من تصــانيفه: (غــريب القــرآن)، (غــريب الحــديث)، كتــاب (المعــارف)، وقــال أبــو بكــر الــبيهقي: ((كــان يــرى رأي الكرامية))، توفي سنة سـت وسـبعين ومـائتين. انظـر: سـير أعلام النبلاء (13/298)

3) انظر: غريب القرآن (ص 32).

1) الحجرات 14

2) الإسراء 9

3) أصله حـديث أبي هريـرة في صـحيح مسـلم(1/500) رقم الحديث: (1723)، كتاب صلاة المسـافرين وقصـرها، بـاب: اسـتحباب ركعـتي سـنة الفجـر والحث عليهمـا وتخفيفهمـا والمحافظة عليهما وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهمـا، (حـدثني محمد بن عباد وابن أبى عمـر قـالا حـدثنا مـروان بن معاويـة

دين الإسلام وفي ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾ صفة الرحمن، وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الإيمان، هذا هـو التوحيـد القولي، وذلك هو التوحيد العملي، وكان تارة يقرأ فيهمـا، يقرأ في الأولى بقوله في البقرة: ﴿ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﴾[1] وفي الثانية: ﴿ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﴾ إلى قوله ﴿ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﴾[2][3].

قال أبـــو العــالية[4] في قوله ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﴾[5] قال: "خلتان يسـأل عنهمـا كـل أحـد، مـاذا كنت تعبـد؟ وماذا أجبت المرسلين"[6]؟ فالأولى تحقيق شـهادة أن لا إلـه إلا الله والثانية تحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله.

والصـوفية بنـو أمـرهم على الإرادة ولا بـد منهـا لكن بشــرط أن تكــون إرادة عبــادة اللــه وحــده بمــا أمــر، والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضي للعلم ولا بد منه، لكن بشرط أن يكـون علمـا بمـا أخـبر بـه الرسـول،

عن يزيد - هو ابن كيسان - عن أبى حازم عن أبى هريـرة أن رسول الله -صلى الله عليـه وسـلم- قـرأ في ركعـتي الفجـر ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﴾، و﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾.

1) البقرة 136

2) آل عمران 64

3 () أخرجه مسلم في صحيحه(1/502)، رقم الحديث: (727)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب ركعتي سـنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما وبيان مـا يستحب أن يقرأ فيهما.

4) أبو العالية: هـو أبـــو العــالية رفيـــع بن مهـران الريـاحي البصـري، الإمـام، المقـرئ، الحافـظ، المفسـر، أبـو العاليـة الرياحي، البصري، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي -صلى اللــه عليه وسلم- وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكـر الصـديق، ودخل عليه، مات أبو العالية في شوال، سـنة تسـعين، وقـال البخاري، وغيره: مات سنة ثلاث وتسعين. انظـر: سـير أعلام النبلاء (4/208)

5) الحجر 92، 93

6) أخرجه ابن جرير في تفسيره(17/150).

والنظر في الأدلة التي دل بها الرسـول، وهي آيـات اللـه، ولا بد من هذا وهذا. ومن طلب علما بلا إرادة أو إرادة بلا علم فهو ضال، ومن طلب هذا وهذا بدون اتبـاع الرسـول (فيهـا)[1] فهـو (ضـال)[2] كمـا قـال من قـال من السـلف: "الدين والإيمان قول وعمل واتباع السنة"[3].

وأهــل الفقــه في الأعمــال الظــاهرة يتكلمــون في العبادات الظاهرة، وأهـل التصـوف والزهـد يتكلمـون في قصد الإنسان وإرادته، وأهل النظر والكلام وأهـل العقائـد من أهل الحـديث وغـيرهم يتكلمـون في العلم والمعرفـة والتصديق الذي هو أصل الإرادة، ويقولـون: العبـادة لا بـد فيها من القصد، والقصد لا يصـح إلا بعـد العلم بالمقصـود المعبود، وهذا صحيح، فلا بد من معرفة المعبود ومـا يعبـد به، فالضـالون من المشـركين والنصـارى وأشـباههم لهم عبادات وزهادات؛ لكن لغير اللـه أو بغـير أمـر اللـه، وإنما القصد والإرادة النافعة هو إرادة عبـادة اللـه وحـده، وهـو إنما يُعْبد بما شرع لا بالبدع.

وعلى هذين الأصلين يدور دين الإسـلام: على أن يعبـد الله وحده، وأن (يعبده)[4] بما شـرع، (لا يعبـده)[5] بالبـدع، وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها على أن يعرف ما أخبر به الرسول، ويعرف أن ما أخبر به حـق، إمـا لعلمنـا بأنه لا يقول إلا حقا - وهذا تصـديق عـام - وإمـا (للعلم)[6] بأن ذلك الخبر حق بما أظهر الله من آيـات صـدقه، فإنـه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته في الآفـاق، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق.

---

1) في المطبوع: (فيهما)
2) في المطبوع: (بل)
3 () انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (2/813).
4) في المطبوع: (يعبد)
5) في المطبوع: (ولا يعبد)
6) في المطبوع: لعلمنا)

فصل

وأما (العمليات)[1]وما (تسميه)[2] ناس الفروع، والشرع، والفقه

فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان، (فما بقي كما)[3]أمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه إلا بين ذلك، وقد قال تعالى: ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ... ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ... ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ ... ﴾[8]، فقد بين سبحانه أنه ما أنزل عليه الكتاب إلا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه، كما بين أنه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وقال تعالى: ﴿ ... ﯨ ﯩ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ﴾[10] (قد)[11]بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال: ﴿ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ﴾[12] وقال تعالى: ﴿ ... ﴾[13] وهو الرد إلى كتاب الله

---

[1]) في المخطوط (العلميات)، وقد اخترت ما في المطبوع لأنه هو صحيح.

[2]) في المطبوع: (يسميه)

[3]) وفي المطبوع (فما شيء مما).

[4]) المادة 3

[5]) يوسف 111

[6]) النحل 89

[7]) البقرة 213

[8]) النحل 63، 64

[9]) الشورى 10

[10]) التوبة 115

[11]) في المخطوط (قد)

[12]) الأنعام 123

[13]) النساء 59

أو إلى سنة الرسول بعد موته، وقوله: ﴿ ﯿ ﰀ ﰁ﴾ شـرط، والفعل نكرة في سياق الشرط، فأي شيء تنـازعوا فيـه؛ ردوه إلى الله والرسول، ولو لم يكن بيان الله والرسـول فاصلا للنزاع؛ لم يؤمروا بالرد إليه.

والرسول أنزل الله عليـه الكتـاب والحكمـة كمـا ذكـر ذلك في غير موضع، وقد علم أمته الكتاب والحكمـة كمـا قال: ﴿ ﭿ ﮀ ﮁ﴾[1] وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة، وأمر أزواج نبيه بذكر ذلك فقال: ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ﴾[2] فآيات الله هي القرآن إذ كان نفس القرآن يدل على أنـه مـنزل من اللـه فهـو علامـة ودلالـة على منزلـه و﴿ ﭙ﴾ قال غير واحـد من السـلف: هي السـنة، وقـال أيضا طائفة كمالك وغيره: هي معرفة الدين والعمـل بـه، وقيل غير ذلك[3]، وكل ذلك حق فهي تتضمن التميـيز بين المأمور والمحظور، والحق والباطل، وتعليم العلم بالحق دون الباطـل، وهـذه السـنة الـتي فـرق بهـا بين الحـق والباطل، وبين الأعمال الحسـنة من القبيحـة، والخـير من الشـر وقـد جـاء عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: ((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنهـا بعـدي إلا هالك))[4].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام نحو هذا[5]،

---

1) البقرة 129

2 () الأحزاب 34

3 () انظر: تفسير الطبري (3/86، 87).

4 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (28/367)، رقم الحـديث: (17142)، وابن ماجه في سننه(1/29)، رقم الحـديث: (43)، أبواب السنة، باب اتبـاع سـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين، قال الحاكم في «المستدرك» بعد إيـراده عن طريـق محمـد بن إبراهيم: (إسناده صحيح على شرطهما جميعا، ولا أعـرف له علة) انظـر: مسـتدرك الحـاكم (1/175)، رقم الحـديث: (330). وقال المنـذري: (رواه ابن أبي عاصـم في كتـاب السـنة بإسناد حسن) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري(1/47)، دار الكتب العلمية، بـيروت، 1417هــ، وصـححه الألبـاني، انظـر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/610).

5 () يقصد به المؤلف كلام عمر ابن الخطاب رضي اللـه عنـه

وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه في الكتب التي (تذكر)[1] فيها هذه الآثار، كما يذكر مثل ذلك غير واحد فيما يصنفونه في السنة مثل ابن بطة[2]، واللالكائي[3]، والطلمنكي[4]، وقبلهم المصنفون في السنة كأصحاب أحمد مثل عبد الله[5]، والأثرم[6]، وحرب الكرماني[7]، وغيرهم، ومثل الخلال[8] وغيره، والمقصود هنا تحقيق ذلك وأن الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين.

وأما إجماع الأمة فهو في نفسه حق لا تجتمع الأمة

في أهمية السنة، ومن أقواله رضي الله عنه: (إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها وتفلت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين، والاعتصام للشاطبي (3/302) ـ، وقال أيضا: (اتقوا الرأي في دينكم، قال سحنون: يعني البدع) انظر: الاعصام للشاطبي (3/302).

1 () في المخطوط (يذكر).

2 () ابن بطة: هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة، مصنف كتاب (الإبانة الكبرى)، قال الإمام الذهبي عنه: (الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق)، روى عن: أبي القاسم البغوي، وابن صاعد، وأبي ذر بن الباغندي، وأبي بكر بن زياد النيسابوري، وجماعة، توفي في المحرم سنة سبع وثمانين وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (16/529).

3 () اللالكائي: هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، الشافعي، اللالكائي، مفيد بغداد في وقته، الإمام، الحافظ، المجود، المفتي، سمع عيسى بن علي الوزير، وأبا طاهر المخلص، وجعفر بن فناكي الرازي، روى عنه: أبو بكر الخطيب، وابنه محمد بن هبة الله، وأبو بكر أحمد بن علي الطريثيثي، ومكي الكرجي السلار، وعدة، قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتابا في السنة، توفي شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (17/419).

4 () الطلمنكي: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لبّ بن يحيى المعافري، الأندلسي، الطلمنكي، قال الإمام الذهبي عنه: الإمام، المقرئ، المحقق، المحدث، الحافظ، الأثري، توفي في ذي الحجة، سنة تسع وعشرين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (17/566).

على ضلالة، وكذلك القياس الصحيح حق، فـإن اللــه بعث رسـله بالعـدل، وأنـزل المـيزان مـع الكتـاب، والمـيزان يتضمن العدل وما يعـرف بـه العـدل، وقـد فسـروا إنـزال ذلك بأن ألهم العباد معرفـة ذلـك، واللـه ورسـوله يسـوي بين المتماثلين ويفـرق بين المختلفين، وهـذا هـو القيـاس الصحيح.

وقد ضرب الله في القرآن من كل مثـل وبين القيـاس الصحيح، وهي الأمثال المضروبة مـا بينـه من الحـق، لكن

5 () عبد الله: هو أبو عبد الرحمن ابن الإمـام أحمـــد بن حنبل الذهلي الشـيباني، المـروزي، ثم البغـدادي، الإمـام، الحافـظ، الناقد، محدث بغداد، ولد سنة ثلاث عشرة ومـائتين، روى عن أبيـه شـيئا كثـيرا، من جملتـه (المسـند) كلـه، و(الزهـد)، ولـه كتاب: (الرد على الجهمية)، في مجلد، ولـه كتـاب: (الجمـل)، تــوفي ســنة تســعين ومــائتين. انظــر: ســير أعلام النبلاء (13/516).

6 () الأثرم: هو الإمـام الحافـظ العلامـة، أبـو بـــكر، أحمـــد بن محمد بن هانئ، الاسكافي الاثرم الطائي، وقيل: الكلبي، أحـد الأعلام، ومصنف السـنن، وتلميـذ الإمـام أحمـد، مـات بمدينـة إسكاف في حدود الستين ومائتين. انظر: سـير أعلام النبلاء (12/623).

7 () حـــرب بن إسماعيل الكــرماني هو: أبو محمـد حـرب بن إسماعيل الكرماني، الفقيه، تلميذ أحمد بن حنبل، قال الإمام الـذهبي عنـه: الإمـام العلامـة، ولـه كتـاب مسـائل حـرب من أنفس كتب الحنابلة، وهو كبير في مجلدين، قال الخلال: كان رجلا جليلا، حثـني المـروذي على الخـروج إليـه، تـوفي سـنة ثمانين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (13/244).

8 () الخلال: هو الإمام العلامـة الحافـظ الفقيـه، شـيخ الحنابلـة وعـالمهم، أبـــو بـــكر، أحمـــد بن محمد بن هـارون بن يزيـد البغدادي الخلال، ولـد في سـنة أربـع وثلاثين ومـائتين، أو في الـتي تليهـا، فيجـوز أن يكـون رأى الإمـام أحمـد، ولكنـه أخـذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وصنف كتـاب: (الجـامع في الفقه) من كلام الإمام، بأخبرنا وحدثنا، يكون عشرين مجلدا، وصـنف كتـاب: (العلل) عن أحمـد في ثلاث مجلـدات، وألـف كتـــاب: "الســـنة، وألفـــاظ أحمـــد، والـــدليل على ذلـــك من

القيــاس الصــحيح يطــابق النص، فــإن المــيزان يطــابق الكتـاب، واللـه أمـر نبيـه أن يحكم بمـا أنـزل، وأمـره أن يحكم بالعـدل فهـو أنـزل الكتـاب، وإنمـا أنـزل الكتـاب بالعدل، قال تعالى: ﴿ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ﴾[1] ﴿ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو﴾[2].

وأما إجماع الأمة فهو حق لا تجتمع الأمة - ولله الحمـد - على ضلالة كما وصفها الله بـذلك في الكتـاب والسـنة، فقال تعالى: ﴿ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ﴾[3] وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكـل معـروف وينهـون عن كل منكر، كما وصف نبيّهم بذلك في قوله: ﴿ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ﴾[4]، وبذلك وصف المؤمنين في قوله: ﴿ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ﴾[5] فلو قالت الأمة في الدين بما هو ضلال؛ لكانت لم تـأمر بـالمعروف في ذلك، ولم تنه عن المنكر فيه، وقال تعالى: ﴿ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ﴾[6]، والوسط: العدل، الخيـار[7]، وقـد جعلهم اللــه شـهداء على النـاس وأقـام شهادتهم مقام شهادة الرسول.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليـه وسـلم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقـال: «وجبت وجبت»، ثم مـر عليـه بجنـازة فـأثنوا عليهـا شـرا فقـال: «وجبت وجبت» قالوا: يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت؟ قال: «هذه الجنازة أثنيتم عليها خـيرا فقلت: وجبت لهـا الجنـة،

الأحاديث" في ثلاث مجلدات، توفي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، وله سبع وسبعون سنة. انظر: سـير أعلام النبلاء (14/297).

[1] () المائدة 49

[2] () المائدة 42

[3] () آل عمران 110

[4] () الأعراف 157

[5] () التوبة 71

[6] () البقرة 143

[7] () انظر: لسان العرب (7/427)، مادة وسط.

وهذه الجنازة أثـنيتم عليهـا شـرا فقلت: وجبت لهـا النـار، أنتم شهداء الله في الأرض»[1].

فإذا كان الرب قد جعلهم شـهداء لم يشـهدوا بباطـل، فإذا شهدوا أن الله أمر بشيء فقـد أمـر بـه، وإذا شـهدوا أن الله نهى عن شيء فقد نهى عنه، ولو كـانوا يشـهدون بباطـل أو خطـأ، لم يكونـوا شـهداء اللـه في الأرض، بـل زكاهم الله في شهادتهم، كمـا زكى الأنبيـاء فيمـا يبلغـون عنه أنهم لا يقولون عليه إلا الحق، وكذلك الأمـة لا تشـهد على الله إلا بحق، وقال تعالى: ﴿ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﴾[2] والأمة منيبة إلى الله، فيجب اتباع سبيلها، وقال تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﴾[3] فرضي عمن اتبع السابقين إلى يوم القيامة، فـدل على أن متـابعهم عامـل بما يرضي الله، والله لا يرضى إلا بالحق لا بالباطل، وقال تعالى: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﴾[4].

وكان عمر بن عبـد العزيـز يقـول كلمـات كـان مالـك يأثرها عنه كثيرا قال: ((سن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصـديق لكتـاب الله، واستعمال لطاعة الله، ومعونة على دين اللــه، ليس لأحــد (تغييرهــا)[5]ولا النظــر في رأي من خالفهــا، فمن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ما تــولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا))[6].

---

[1] () أخرجــه البخــاري في صــحيحه(2/97)، رقم الحــديث: (1367)، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، وأخرجــه مسلم في صحيحه(2/655)، كتاب الجنـائز، بـاب فيمن يثـنى عليه خير أو شر من الموتى، رقم الحديث: (949).

[2] () لقمان 15

[3] () التوبة 100

[4] () النساء 115

[5]) في المخطوط (يغيرها). وقد اخترت ما في المطبـوع لأنـه صحيح.

[6] () انظر: الاقتصاد في الاعتقـاد(ص: 216)، وانظـر: السـنة

والشافعي رضي الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه، احتج بهذه الآية على الإجماع كما كان [يسمع][1] هو وغيره من مالك (ذكر ذلك)[2] عن عمر بن عبد العزيز[3]، والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد، كما أن مشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى مستحق للوعيد، ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرده، فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل في ذلك لكان لا فائدة في ذكره.

وهنا للناس ثلاثة أقوال:

قيل: اتباع غير سبيل المؤمنين هو بمجرد مخالفة الرسول المذكورة في الآية.

وقيل: بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم فكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم.

وقيل: بل اتباع غير سبيل المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآية، لكن هذا لا يقتضي مفارقة (للأول)[4] بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو في نفس الأمر مشاق للرسول، وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل المؤمنين، وهذا كما في طاعة الله والرسول فإن طاعة الله واجبة، وطاعة الرسول واجبة، وكل واحد من معصية الله ومعصية الرسول موجب للذم، وهما متلازمان فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله.

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد

لعبد الله بن الإمام أحمد (1/358)، وتفسير ابن أبي حاتم (4/1067) في تفسير قوله تعالى: ﴿ ... ﴾.

[1] ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[2] في المطبوع: (ومالك ذكر).

[3] انظر: تكملة المجموع شرح المهذب للسبكي (10/42)، وانظر أحكام القرآن للشافعي جمعه البيهقي (1/39)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1414هـ.

[4] في المطبوع (الأول).

أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني»[1]، وقال: «إنما الطاعة في المعروف»[2]، يعني: إذا أمر أميري بالمعروف [فطاعته][3] من طاعتي، وكل من عصى الله فقد عصى الرسول، فإن الرسول يأمر بما أمر الله به، بل من أطاع رسولا واحدا فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحدا منهم، فقد عصى الجميع، ومن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع، لأن كل رسول يصدق الآخر ويقول: إنه رسول صادق ويأمر بطاعته، فمن كذب رسولا فقد كذب الذي صدقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته.

ولهذا كان دين الأنبياء واحدا كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[4]، وقال تعالى: ﴿چ ڃ ڄ ڄ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه (9/61)، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿ ی ى ي ﴾، رقم الحديث: (7137)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (3/1466)، رقم الحديث: (1835)، باب: وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها في المعصية.

[2]) أخرجه البخاري في صحيحه (9/63)، رقم الحديث: (7145)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم في صحيحه (3/1469)، رقم الحديث: (1840)، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها في المعصية.

[3]) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

[4] () أخرجه البخاري في صحيحه(4/167)، رقم الحديث: (3443)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ چ﴾ [مريم: 16]، ولفظه: (والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)، وأخرجه مسلم في صحيحه (4/1837)، رقم الحديث: (2365)، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، لفظه: (الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي).

ﮌ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ[1]، وقال تعالى: ﭐﮬ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ
ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ،[2] وقال تعالى: ﭐﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ
ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ
ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ
ﰈ ﰉ[3].

ودين (الأنبياء كلهم الإسلام)[4] كما أخبر الله بـذلك في غير موضع، (وهـذا)[5] الاستسـلام للـه وحـده، وذلـك إنمـا يكون بطاعته فيما أمر بـه في ذلـك الـوقت، فطاعـة كـل نبي هي من دين الإسلام إذ ذاك، واستقبال بيت المقدس كان من دين الإسلام قبل النسـخ، ثم لمـا أمـر باسـتقبال الكعبة صار استقبالها من دين الإسلام، ولم يبق اسـتقبال الصخرة من دين الإسـلام، ولهـذا خـرج اليهـود والنصـارى عن دين الإسلام، فإنهم تركوا طاعة الله وتصديق رسـوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ.

وهكذا كل مبتدع دينـا خـالف بـه سـنة الرسـول لا يتبع إلا دينا مبدلا [أو][6] منسوخا فكل من خـالف مـا جـاء به الرسول، إما أن يكون ذلك قد كـان مشـروعا لنـبي ثم نسخ على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، وإمــا أن لا يكون شرع قط، فهـذا كالأديـان الـتي شـرعها الشـياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى: ﭐﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ[7]ـ وقال: ﭐﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ[8]، وقال: ﭐﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ

---

1 () الشورى 13

2) المؤمنون: 51 ـ 53

3) الروم: 30 ـ 32

4) في المخطوط: (الإسلام نبيا كلهم للإسلام)ـ

5) في المطبوع: (وهو)

6) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

7) الشورى: 21

8) الأنعام: 121

ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ﴾[1].

ولهذا كان الصحابة إذا قال أحدهم برأيه شيئا يقول: "إن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله (بريئان)[2] منه"، كما قال ذلك ابن مسعود[3] وروي عن أبي بكر[4] وعمر[5].

فالأقسام ثلاثة: فإنه إما أن يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أو لا يكون، وإما أن يكون موافقا لشرع غيره، وإما أن لا يكون، فهذا الثالث المبدل كأديان المشركين والمجوس، وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت، وتحريم كل ذي ظفر، وشحم الثرب[6] والكليتين، فإن اتخاذ السبت عيدا وتحريم هذه الطيبات قد كان شرعا لموسى ثم نسخ، بل قد قال

---

1) الأنعام: 112

2) في المخطوط: (برىء)

3 () انظر: مصنف عبد الرزاق(6/294)، رقم الحديث: (10898)، كتاب النكاح، باب الذي يتزوج فلا يدخل ولا يفرض حتى يموت، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ.

4 () انظر: تفسير البغوي(1/581) في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ﴾، الاعتصام للشاطبي(1/139)، وسنن الدارمي(4/1944)، رقم الحديث: (3015)، كتاب الفرائض، باب الكلالة.

5 () انظر السنن الكبرى للبيهقي(10/197)، رقم الحديث: (20348)، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي، فإنه غير جائز له أن يقلد أحدا من أهل دهره، ولا أن يحكم أو يفتي بالاستحسان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ، وانظر: البدر المنير(9/604)، كتاب القضاء، الحديث السادس بعد الثلاثين، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1425هـ، وانظر التلخيص الحبير لابن حجر(3/197)، دار الكتب العلمية، 1419هـ.

6 () الثرب: شحم رقيق يغشي الكرش والأمعاء جمعها: ثروب وأثرب وأثارب، وأثرب الكبش: زاد شحمه، وشاة ثرباء: سمينة. انظر: القاموس المحيط، (1/40)، فصل: التاء والثاء، باب: الباء، المادة: الثرب.

المسيح: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﴾(1) فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما في شرع موسى.

وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله فيه: ﴿ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﴾(2)، والشرك كله من المبدل، لم يشرع الله الشرك قط، كما قال: ﴿ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﴾(3)، وقال تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﴾(4).

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن كالسائبة(5) والوصيلة(6) والحام(7) وغير

---

1 ( ) آل عمران: 3

2) الأعراف: 157

3) الزخرف: 45

4) الأنبياء: 25

5) السائبة هي: المهملة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه، قال الأزهري: قال أبو إسحاق: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو لبرء من مرض، أو ما أشبه ذلك، قال: ناقتي سائبة، فكانت لا ينتفع بظهرها، ولا تخلى عن ماء ولا تمنع من مرعى، وكان الرجل إذا أعتق عبدا قال: هو سائبة، فلا عقل بينهما ولا ميراث، انظر: المعجم الوسيط، (1/466).

6) الوصيلة: من الغنم، كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن، نظروا فإن كان السابع ذكرا ذبحوه، فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كان ذكرا وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: واصلت أخاها فلم يذبحوه، وكان لبن الأنثى حراما على النساء، فإن مات منهما شيء أكله الرجال والنساء جميعا، انظر: تفسير البغوي (2/94)، وانظر: تهذيب اللغة(12/164)، والمعجم الوسيط(2/1038).

7) قال الإمام البغوي: وأما الحام: فهو الفحل إذا ركب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلأ ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء. انظر: تفسير البغوي(2/94).

ذلك هو من الدين المبدل، ولهذا لما ذكر الله ذلـك عنهم في سورة الأنعام بين أن من حـرم ذلـك فقـد كـذب على الله، وذكر تعالى ما حرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الأنعام فقال: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ﴾[1]، وكذلك قال بعد هذا: ﴿ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ﴾[2].

فـبين أن مـا حرمـه المشـركون لم يحرمـه على لسان موسى ولا لسان محمد، وهـذان همـا اللـذان جـاءا بكتاب فيه الحلال والحرام، كما قال تعالى: ﴿ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ﴾ إلى قوله: ﴿ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ﴾[5]، وقالت الجن لما سمعت القرآن: ﴿ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ﴾[6] وقال ورقـــة بن نوفل[7]: إن هذا والذي جاء به

---

[1]) الأنعام: 145، 146

[2]) النحل 118

[3]) القصص 49

[4] () الأحقاف 12

[5]) الأنعام 91، 92

[6]) الأحقاف 30

[7]) ورقـــة بن نوفل بن أســـد بن عبد العـزى بن قصـي، ابن عم أم المؤمنين خديجة بنت خويلـد رضـي اللـه عنهـا، وكـان امرءا تنصر في الجاهلية، وكـان يكتب الخـط العـربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شـاء اللـه أن يكتب، وكـان شـيخا قـد عمي

انظر: البدايـة والنهايـة(4/6)، وتـاريخ الإسـلام للـذهبي(1/533)، تحقيق: بشار عواد معروف.

موسى (ليخرج من مشكاة واحدة)[1][2] وكذلك قال النجاشي[3].

فالقرآن والتوراة هما كتابان جاءا من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما، كل منهما أصل مستقل، والذي فيهما دين واحد، وكل منهما يتضمن إثبات صفات الله تعالى، والأمر بعبادته وحده لا شريك له، ففيه التوحيد قولا وعملا، كما في سورتي الإخلاص: ﭑ ﭒ ٻ ٻ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ٻ ٻ ﭗ.

//وأما الزبور فإن داود لم يأت بغير شريعة التوراة[4] وإنما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقا.

وأما المسيح فإنه قال: ﭑ ﭒ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ﭓ[5]، فأحل لهم بعض المحرمات وهو في الأكثر متبع لشريعة التوراة، ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من أن يقرأ التوراة ويتبع ما فيها، إذ كان الإنجيل تبعا لها.

وأما القرآن فإنه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه إلى كتاب آخر، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن، وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب، فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، يقرر ما فيها من الحق، ويبطل ما حرف منها، وينسخ ما نسخه الله (فيقرر)[6] الدين الحق وهو جمهور ما فيها، ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها، والقليل الذي نسخ فيها، فإن المنسوخ قليل جدا بالنسبة إلى المحكم المقرر.

---

1) قول ورقة بن نوفل أخرجه البخاري بنحوه في صحيحه(1/7)، رقم الحديث: (3)، باب بدء الوحي.

2) في المطبوع (ليخرجان من مشكاة واحد)

3) قول النجاشي أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، بلفظ: قال النجاشي إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة (3/266).

4) في المخطوط: (التورية).

5) آل عمران 50

6) في المطبوع: (فيقرر)

والأنبياء كلهم دينهم واحد، وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم، وكذلك التكذيب والمعصية لا يجوز أن يكذب نبي نبيا، بل إن عرفه صدقه؛ وإلا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته، ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي، ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي، ومن كذبه فقد كذب كل نبي، ومن عصاه فقد عصى كل نبي، قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ[1]، وقال تعالى: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ[2]، ومن كذب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع، ولهذا يقول تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ[3]، ولم يرسل إليهم قبل نوح (أحد)[4] وقال تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ[5].

وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم أنهم لم يعلموا الحق أو لم (يثبتوه)[6] فهو مكذب لجميع الرسل كالذين قال فيهم: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ، وقال تعالى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ[7]، وقال تعالى عن الوليد: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ

1) النساء: 150، 151
2) البقرة 85
3) () الشعراء: 105
4) في المطبوع: (أحدا)
5) () الفرقان: 37
6) في المطبوع: (يبينوه)
7) غافر: 83 ـ 85

ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ.[1]

وأهــل الكتــاب منهم من يــؤمن بجنس الرســالة لكن يكذب بعض الرسل، كالمسيح ومحمد، فهـؤلاء لمـا آمنـوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين حقـا، (وكثـير من من لا يكـذب الرسـل تكـذيبا صـريحا من الفلاسـفة والباطنيـة، وكثـير من أهـل الكلام والتصـوف)[2]، ولا يـؤمن بحقيقـة النبـوة والرسـالة بـل يقـر (بفضـيلتهم)[3] في الجملـة مـع كونــه يقــول: إن غــيرهم أعلم منهم[4]، أو أنهم لم يــبينوا

---

1) المدثر 18 ـ 25

2 () في المطبوع وقعت العبارة هكذا: (وكثـير من الفلاسـفة والباطنية، وكثـير من أهـل الكلام والتصـوف لا يكـذب تكـذيبا صريحا).

3) في المطبوع: (بفضلهم)

4) يظهـر هـذا جليـا من كلام ابن سـينا لمـا قسـم خصـائص المعجزات والكرامات إلى ثلاثة خصـائص، ونلاحـظ أن درجـة الأنبياء جعله آخر درجة، وهذه الخصائص الثلاثة كالتالي:

الخاصة الأولى: خاصية في قوة النفس وجوهرها ليؤثر في هيولى العالم بإزالة صـورة، وإبعـاد صـورة وذلـك أن الهيـولى منقـادة لتـأثير النفـوس الشـريفة المفارقـة مطيعـة لقواهـا السارية في العلم، وقـد تبلـغ نفس إنسـانية في الشـرف إلى حد يناسب تلك النفوس فتفعل فعلها وتقـواى على مـا قـويت هي فتزيل جبلا عن مكانه وتذيب جوهرا فيستحيل ماء وتجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا.

الخاصــية الثانيــة: أن تصــفو النفس صــفاء يكــون شــديد الاستعداد للاتصال بالعقـل الفعـال حـتى يفيض عليهـا العلـوم فإنا قد ذكرنا حال القوة القدسية التي تحصل لبعض النفـوس حتى تستغني في أكثر أحوالها عن التفكـر والتعلم فالشـريف البالغ منها يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور.

الخاصـية الثالثـة: بـأن تقـوى النفس وتتصـل في اليقظـة بعالم الغيب كمـا سـبق وتحـاكي المتخيلـة مـا أدركتـه النفس بصورة جميلة وأصـوات منظومـة فـترى في اليقظـة وتسـمع فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشـريف صـورة عجيبـة في غاية الحسن وهو الملـك الـذي يـراه النـبي وتكـون المعـارف الـتي تتصـل بـالنفس من اتصـالها بـالجواهر الشـريفة تتمثـل

الحـــق أو لبســـوه، أو إن النبـــوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال[1] من جنس ما يـراه النـائم ولا يقر بملائكة (منفصلين)[2]، ولا بالجن، ونحـو ذلـك، فهـؤلاء يقـرون ببعض صـفات الأنبيـاء دون بعض، [و][3] بما أوتـوه دون بعض، [و][4] لا يقرون بجميع ما أوتيه الأنبيـاء وهـؤلاء قد يكون أحدهم شرا من اليهـود والنصـارى الـذين أقـروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الأنبياء، فإن [الذي][5] أقر به هؤلاء مما جاءت به الأنبياء أعظم وأكثر؛ إذ كان هؤلاء يقرون بأن اللـه خلـق السـموات والأرض في سـتة

بالكلام الحسـن المنظم الواقـع في الحس المشـترك فيكـون مسموعا.

فيظهر جليا أن مرتبة خاصـية الأنبيـاء جعلهـا آخـر خاصـية، وأن من كان قبلهم هم أقوى مرتبة في العلم والمعرفة حـتى بإمكانهم أن تزيـل جبلا عن مكانـه، وتـذيب جـوهرا فيسـتحيل ماء، وتجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا، بـل وحـتى تسـتغني في أكثر أحوالها عن التفكر والتعلم فالشريف البالغ منها يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور، وهذا ملخص ما لدى الفلاسفة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (2/2230).

1) كما يقول ابن سينا: فقد يكون عقل شديد الاسـتعداد حـتى لا يحتـاج في أن يتصـل بالعقـل الفعـال إلى كثـير شـيء من تخريج وتعليم حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه لا تقليـدا، بل بـترتيب يشـتمل على حـدود وسـطى فيـه، إمـا دفعـة في زمـان واحـد، وإمـا دفعـات في أزمنـة شـتى، وهي القـوة القدسية التي تناسب روح القـدس فيفيض عليهـا منـه جميـع المعقـولات، أو مـا يحتـاج إليـه في تكميـل القـوة العمليـة، فالدرجة العليا منها النبوة فربما يفيض عليهـا وعلى المتخيلـة من روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة بأمثلة محسوسـة أو كلمات مسموعة فيعبر عن الصـورة بملـك في صـورة رجـل وعن الكلام بـوحي في صـورة عبـارة. انظـر كتـاب: الملـل والنحل للشهرستاني، (2/221).

2) في المطبوع: (مفضلين).

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5) في المخطوط (الذين).

أيام، ويقـرون بقيـام القيامـة، ويقـرون بأنـه تجب عبادتـه وحـده لا شـريك لـه، ويقـرون بالشـرائع المتفـق عليهـا، وأولئك يكذبون بهذا وإنما يقرون ببعض شرع محمد صلى الله عليه وسلم.

ولهذا كان اليهـود والنصـارى أقـل كفـرا من الملاحـدة الباطنية والمتفلسـفة ونحـوهم؛ لكن من كـان من اليهـود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نـوعي الكفـر؛ [إذ][1] لم يـؤمن بجميـع صـفاتهم ولا بجميـع أعيـانهم وهـؤلاء موجـودون في دول الكفـار كثـيرا كمـا يوجـد أيضـا في المنتسبين إلى الإسلام من هؤلاء وهؤلاء إذ كانوا في دولة المسلمين.

وأهل الكتاب كانوا منافقين، فيهم من النفـاق بحسـب ما فيهم من الكفر، والنفاق يتبعض، والكفر يتبعض، ويزيد وينقص، كما أن الإيمان يتبعض، ويزيـد وينقص، قـال اللـه تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ،[2] وقال: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ[3]، وقال: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ[4]، وقال: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ[5]، وقال: ﮋ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ[6]، وقال: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ[7]، وقال: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ[8].

وكثـير من المصـنفين في الكلام لا يـردون على أهـل

[1]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
[2]) التوبة: 37
[3]) التوبة: 124، 125
[4]) الإسراء: 82
[5]) المائدة: 64
[6]) مريم: 76
[7]) البقرة: 10
[8]) النساء: 137

الكتاب إلا ما يقولون أنه يعلم بالعقل[1]، مثل (تثليث)[2] النصارى، ومثل تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، [و] لا يناظرونهم[3] في غير هذا من أصول الدين، وهذا تقصير منهم، ومخالفة لطريقة القرآن؛ فإن الله يبين في القرآن ما خالفوا به الأنبياء ويذمهم على ذلك، والقرآن مملوء من ذلك؛ إذ كان الكفر والإيمان يتعلق بالرسالة والنبوة، فإذا تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم.

وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم دينا بما أحدثوه من الكلام، كالاستدلال بالأعراض على حدوث الأجسام ظنوا أن هذا هو أصول الدين، ولو كان ما قالوه حقا لكان ذلك جزءا من الدين فكيف إذا كان باطلا؟!

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للأنبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر، ولهذا قيل فيه ((الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)) فخطابهم[4] في مقامين:

أحدهما: تبديلهم لدين المسيح.

والثاني: تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، واليهود خطابهم في تكذيب من بعد موسى إلى المسيح، ثم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم، كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله:

---

1) قال شيخ الإسلام في موضع آخر: ومن أعظم أسباب بدع المتكلمين من الجهمية وغيرهم، قصورهم في مناظرة الكفار والمشركين، فإنهم يناظرونهم ويحاجونهم بغير الحق والعدل، لينصروا الإسلام زعموا بذلك، فيسقط عليهم أولئك لما فيهم من الجهل والظلم ويحاجونهم بممانعات ومعارضات; فيحتاجون حينئذ إلى جحد طائفة من الحق الذي جاء به الرسول والظلم والعدوان لإخوانهم المؤمنين بما استظهر عليهم أولئك المشركون فصار قولهم مشتملا على إيمان وكفر وهدى وضلال، ورشد وغي، وجمع بين النقيضين وصاروا مخالفين للكفار والمؤمنين. إقامة الدليل على إبطال التحليل، (1/407)

2) وفي المخطوط (تنكيث).

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) وفي المطبوع: (وخطابهم)

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ[1]، ثم قال: ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ[2] (إلى أن)[3] ذكر أنهم أعرضوا عن كتاب الله مطلقا واتبعوا السحر، فقال: ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ... ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ إلى قوله: ﭐﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ[4].

والنصارى نذمهم على الغلو والشرك الذي ابتدعوه، وعلى تكذيب الرسول والرهبانية التي ابتدعوها، (ما)[5] نحمدهم عليها؛ إذ كانوا قد ابتدعوها وكل بدعة ضلالة، لكن إذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفى عنه، فيبقى عمله ضائعا لا فائدة فيه، وهذا هو الضلال الذي يعذر صاحبه، فلا يعاقب ولا يثاب؛ ولهذا قال: ﭐﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ؛ فإن المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب، والضال فَاتَهُ المقصود وهو الرحمة والثواب، ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك، بل يكون ملعونا مطرودا، ولهذا[6] في حديث زيد بن عمرو بن نفيل[7]، أن اليهود قالوا له: لن تدخل في ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله، وقال له النصارى: حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله[8].

---

1 () البقرة: 87، 88

2) البقرة: 89

3) ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

4) البقرة: 101، 103

5) في المطبوع (ولا)

6) في المطبوع زيادة: (جاء)

7 () زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، ووالد سعيد بن زيد أحد العشرة، روى عنه ولده سعيد، وزيد بن حارثة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر. انظر: تهذيب التهذيب(3/421).

8 () أخرجه البخاري في صحيحه(5/40)، رقم الحديث: (3827)، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن

وقال الضحاك وطائفة: "إن جهنم طبقات فالعليا لعصاة هذه الأمة والتي تليها للنصارى والتي تليها لليهود"[1]، فجعلوا اليهود تحت النصارى، والقرآن قد شهد بأن المشركين واليهود يوجدون أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا: إنا نصارى[2]، وشدة العداوة زيادة في الكفر، فاليهود أقوى كفرا من النصارى، وإن كان النصارى أجهل وأضل، لكن أولئك يعاقبون على عملهم إذ كانوا عرفوا الحق وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم، وهؤلاء بالضلال حرموا أجر المهتدين، ولعنوا وطردوا عما يستحقه المهتدون، ثم إذا قامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب إذ كان اسم الضلال عاما.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة: ((خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة))[3]، ولم يقل: وكل ضلالة في النار، بل يضل عن الحق من (قصده)[4] الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب، وقد يفعل بعض ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده، وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له.

وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها

نفيل.

1 () انظر: تفسير الطبري(17/106).

2 () فيه إشارة إلى الآية الكريمة: ﮋ ﮐ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ې ې ﯦ ﯧ ﮊ [المائدة: 52].

3) أخرجه البخاري في صحيحه(9/92)، رقم الحديث: (7277)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخرجه مسلم في صحيحه(2/592)، رقم الحديث: (876)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

4) في المطبوع: (قصد)

صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسـألة نصـوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجـل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ﴾[1] وفي الصحيح أن الله قال: ((قد فعلت))[2]، وبسط هذا لـه موضع آخر[3].

والمقصود هنا:

أن الرسـول بين جميـع الـدين بالكتـاب والسـنة وأن الإجماع - إجماع الأمة – حق؛ فإنها لا تجتمـع على ضـلالة، وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة.

والآية المشهورة التي يحتج بها على الإجماع قولـه: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ﴾[4]، ومن الناس من يقول: إنها لا تدل على مورد النزاع؛ فـإن الذم فيها لمن جمـع الأمـرين، وهـذا لا نـزاع فيـه، أو لمن اتبـع غـير سـبيل المؤمـنين الـتي بهـا كـانوا مؤمـنين وهي متابعة الرسول، وهذا لا نزاع فيه، أو أن سـبيل المؤمـنين هو الاستدلال بالكتـاب والسـنة، وهـذا لا نـزاع فيـه؛ فهـذا ونحوه قول من يقول لا (يدل)[5] على محل النزاع.

وآخـرون يقولـون: بـل (يـدل)[6] على وجـوب اتبـاع المؤمنين مطلقا، وتكلفوا لذلك ما تكلفوه كمـا قـد عـرف [من][7] كلامهم، ولم يجيبـوا عن أسـئلة أولئـك بأجوبـة

1 () البقرة: 286

2 () أخرجـه مسـلم في صـحيحه (1/116)، رقم الحـديث: (126)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مـال غيره بغير حق، كان القاصـد مهـدر الـدم في حقـه، وإن قتـل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد.

3 () انظـر مثلا الإسـتقامة (1/26)، جامعـة الإمـام محمـد بن سـعود، 1403هــ، والفرقـان بين أوليـاء الـرحمن وأوليـاء الشيطان(ص: 63).

4) النساء: 115

5) في المطبوع: (تدل)

6) في المطبوع: (تدل)

7) ما بين المقوفين سقط من المطبوع.

شافية.

والقول الثالث الوسط: أنها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين، وتحريم اتباع غير سبيلهم، ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ما تبين له الهدى، وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا، كما تقدم، لكن لا ينفى تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول.

وحينئذ (نقول)[1]: الذم إما أن يكون لاحقا لمشاقة الرسول فقط، أو بإتباع غير سبيلهم فقط، أو أن يكون الذم لا يلحق بواحد منهما بل بهما إذا اجتمعا، أو يلحق الذم بكل منهما وإن انفرد عن الآخر، أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر، والأولان باطلان، لأنه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر ضائعا لا فائدة فيه، وكون الذم لا يلحق بواحد منهما باطل قطعا، فإن مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عمن اتبعه؛ ولحوق الذم بكل منهما وإن انفرد عن الآخر لا (تدل)[2] عليه الآية، فإن الوعيد فيها إنما هو على المجموع.

بقي القسم الآخر، وهو أن كلا من الوصفين يقتضي الوعيد، لأنه مستلزم للآخر، كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول ومخالفة القرآن والإسلام، فيقال: من خالف القرآن والإسلام، أو من خرج عن القرآن والإسلام فهو من أهل النار، ومثله قوله: ﭽ ژ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گﭼ[3] فإن الكفر بكل من هذه الأصول يستلزم الكفر بغيره، فمن كفر بالله كفر بالجميع، ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل، فكان كافرا بالله؛ إذ كذب رسله وكتبه، وكذلك إذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا.

---

1) في المخطوط: (يقول)

2) وفي المخطوط (يدل)

3) النساء: 136

وكذلك قوله: ﴿ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ﴾[1] ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم، وهما متلازمان، ولهذا نهى عنهما جميعا في قوله: ﴿ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ﴾[2] فإنه من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به؛ لزم أن يكتم الحق الذي (تبين أن هذا)[3] باطل؛ إذ لو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق.

فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، [و][4] من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم، وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا، فإنه قد جعل له مدخلا في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الذم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا، والآية توجب ذم ذلك.

وإذا قيل: هي إنما ذمته مع مشاقة الرسول، قلنا: لأنهما متلازمان، وذلك لأن كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه يكون منصوصا عن الرسول، فالمخالف لهم مخالف للرسول، كما أن المخالف للرسول مخالف لله، ولكن هذا يقتضي أن كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول، وهذا هو الصواب.

فلا يوجد قط مسألة مجمع عليها إلا وفيها بيان من الرسول، ولكن قد يخفي ذلك على بعض الناس ويعلم الإجماع فيستدل به، كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص، وهو دليل ثان مع النص كالأمثال المضروبة في القرآن، وكذلك الإجماع دليل آخر كما يقال: قد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، وكل من هذه الأصول يدل على الحق مع تلازمها؛ فإن ما دل عليه الإجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة، وما دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ، فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه، ولا يوجد مسألة يتفق الإجماع عليها إلا وفيها نص.

---

1) آل عمران: 71

2) البقرة: 42

3) وفي المطبوع:)تبين أنه)

4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها إجماع بلا نص، كالمضاربة[1] وليس كذلك، بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لا سيما قريش؛ فإن الأغلب كان عليهم التجارة، وكان أصحاب الأموال يدفعونها إلى العمال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة، كما سافر بمال خديجة، والعير التي كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان (وغيره)[2] فلما جاء الإسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك، والسنة: قوله وفعله وإقراره، فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة.

والأثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء، لما أرسل أبو موسى[3] بمال أقرضه (لابنيه)[4] واتجرا (فيه)[5] وربحا، وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه (خصهما)[6] بذلك دون سائر الجيش، فقال له أحدهما: لو خسر المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان؟ فقال له بعض الصحابة: اجعله مضاربا فجعله مضاربة[7]، وإنما قال ذلك، لأن المضاربة كانت معروفة بينهم، والعهد بالرسول

---

1) المضاربة: عقد شركة في الربح بمال من رجل وعمل من آخر، وهي إبداع أولا، وتوكيل عند عمله، وشركة إن ربح، وغصب إن خالف، وبضاعة إن شرط كل الربح للمالك، وقرض إن اشترط للمضارب. انظر: التعريفات(ص: 216).

2) وفي المخطوط: (وغيرها)

3 () أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، توفي بالكوفة في داره بها. وقيل: إنه مات بمكة سنة أربع وأربعين، انظر الإصابة في تمييز الصحابة (7/390)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/979).

4) في المخطوط (لابنته)

5) في المخطوط (فيها)

6) في المخطوط) خصمهما)

7) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب القراض، باب ما جاء به القراض (2/687).

قريب لم يحدث بعده، فعلم أنها كانت معروفة بينهم على عهد الرسول، كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والخرازة[1][2]، وعلى هذا فالمسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم، وابن جرير وطائفة يقولون: لا ينعقد الإجماع إلا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس[3].

ونحن لا نشترط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما (نقل)[4] الأخبار، لكن (استقرينا)[5] موارد الإجماع فوجدناها كلها منصوصة، وكثير من العلماء لم يعلم النص، وقد وافق الجماعة، كما أنه قد يحتج بقياس وفيها إجماع لم يعلمه فيوافق الإجماع، وكما يكون في المسألة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم، كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله: [6] وقال ابن مسعود: سورة النساء القُصْرى نزلت بعد الطُّولى[7]، أي: بعد البقرة؛ وقوله: يقتضي انحصار الأجل في ذلك فلو أوجب عليها أن (تعتد)[8] بأبعد الأجلين لم يكن أجلها أن تضع حملها، وعلي وابن عباس

---

1) في المطبوع (والجزارة).

2) الخرازة: هي حرفة الخراز، والخراز: صانع الخرز، والخرز: الجلد ونحوه. انظر: المعجم الوسيط (1/226).

3) انظر: قواطع الأدلة للسمعاني(1/474)، والمحصول للرازي(4/189)، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام(1/264)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان،

4) في المطبوع: (تنقل)

5) في المطبوع: (استقرأنا)

6) الطلاق: 4

7) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: ، رقم الحديث: (4910). قال الحافظ في ((الفتح)) (8/655ـ 656): مراد ابن مسعود إن كان هناك نسخ فالمتأخر هو الناسخ، وإلا فالتحقيق أن لا نسخ هناك، بل عموم آية البقرة مخصوص بآية الطلاق.

8) في المطبوع: (تعد)

وغيرهما أدخلوها في عمـوم الآيـتين، وجـاء النص الخـاص في قصـــة ســبيعة الأســلمية[1] بمـــا يوافـــق قـــول ابن مسعود[2].

وكــذلك لمــا تنــازعوا في المفــــــوضة[3] إذا مــات زوجها: هل لها مهر المثل؟ أفتى ابن مسـعود فيهـا برأيـه أن لها مهر المثل، ثم رووا حـديث بِـرْوَع بنت واشِـق بمـا يوافق ذلك[4]، وقد خالفـه علي وزيـد وغيرهمـا فقـالوا: لا

---

1) ســبيعة بنت الحــارث الأســلمية، نسـبة إلى أسـلم قبيلـة شهيرة، ثبت ذكرها في الصـحيحين، وفي الموطأ أنهـا ولـدت بعد وفاة زوجها فانقضت عدتها، قال ابن عبد الـبر روى عنهـا فقهـاء المدينـة وفقهـاء الكوفة. انظـر: الإصـابة في تميـيز الصحابة (8/171).

2) كما جاء في صحيح البخاري، كتاب: بـدء الـوحي، بـاب: [illegible]، رقم الحديث: (4909)، قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان، عن يحيى قال: أخبرني أبـو سـلمة قـال جاء رجـل إلى ابن عبـاس، وأبـو هريـرة جـالس عنـده فقـال أفتني في امـرأة ولـدت بعـد زوجهـا بـأربعين ليلـة فقـال ابن عباس آخر الأجلين قلت أنا [illegible] قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي، يعني أبـا سـلمة، فأرسـل ابن عبـاس غلامه كريبـا إلى أم سـلمة يسـألها فقـالت قتـل زوج سـبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلـة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو السـنابل فيمن خطبها، وانظر أيضا: تفسير الطبري(23/453).

3) المفوضـة: هي المـرأة الـتي تـزوجت رجلا ثم مـات، ولم يـدخل عليهـا، ولم يفـرض لهـا صـداقا، انظـر: شـرح مشـكل الآثار(13/345).

4) رواه أبـو داود، كتـاب النكـاح، بـاب فيمن تـزوج ولم يسـم صداقا حتى مات، رقم الحـديث: (2116)، والترمـذى، كتـاب النكاح، باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفـرض لهـا، رقم الحـديث: (1145)، والنسـائي، كتـاب النكـاح، بـاب إباحـة الـتزوج بغـير صـداق، رقم الحـديث: (3354)، وابن ماجه في النكاح، باب الرجل يتزوج ولا يفـرض لهـا فيمـوت على ذلـك، رقم الحـديث: (1891)، وصـححه الألبـــاني في إرواء الغليـــل (6/358) المكتب الإســـلامي،

مهر لها[1]، فثبت أن بعض المجتهدين قد يفـتي بعمـوم أو قياس، ويكون في الحادثة نص خاص لم يعلمه فيوافقه.

ولا يعلم مسألة واحدة اتفقوا على أنه لا نص فيها، بل عامة ما تنـازعوا فيـه كـان بعضـهم يحتج فيـه بالنصـوص؛ أولئــك (احتجــوا)[2] بنص كــالمتوفى عنهــا الحامــل، [و][3]هؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها، والآخـرين قـالوا: إنمـا يـدخل في آيـة الحمـل فقـط، وأن آيـة الشـهور في غـير الحامل، كما أن آية القروء في غير الحامل.

وكذلك لما تنازعوا في الحرام[4] احتج من جعله يمينـا بقوله: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ﴾[5].

وكـذلك لمـا تنـازعوا في المـَبْتوتة: هـل لهـا نفقـة أو

بيروت، 1405 هـ.

1) قال أبو عيسى حـديث ابن مسـعود حـديث حسـن صـحيح، وقد روي عنه من غير وجه، والعمل على هذا عند بعض أهــل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهم، وبــه يقول الثوري، و أحمد، و إسـحق، وقـال بعض أهـل العلم من أصـحاب النـبي صـلى اللــه عليــه و سـلم منهم علي بن أبي طـالب، و زيـد بن ثـابت، و ابن عبـاس، و ابن عمـر إذا تـزوج الرجل المرأة، ولم يدخل بهـا، ولم يفـرض لهـا صـداقا، حـتى مات قالوا: لها الميراث، ولا صـداق لهـا، وعليهـا العـدة، وهـو قول الشافعي، قال: لو ثبت حديث بروع بنت واشــق لكــانت الحجة فيما روي عن النبي صلى الله عليه و سلم، وروي عن الشافعي أنه رجع بمصر بعد هذا القول، وقـال بحـديث بـروع بنت واشق. انظر: سـنن الترمـذي(2/442)، رقم الحـديث: (1145)، أبواب النكاح، باب ما جاء في الرجل يـتزوج المـرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها.

2) في المخطوط: (يحتج)

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4 () أي اختلاف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جـل ثنـاؤه أحلـه لرسـوله، فحرمـه على نفسـه ابتغـاء مرضـاة أزواجـه. انظر: تفسير الطبري(23/475).

5) التحريم (1، 2)

سكنى؟ احتج هؤلاء بحديث فاطمة[1] وبأن السـكنى الـتي في القرآن للرجعية، وأولئك قالوا: بل هي لهما[2].

ودلالات النصوص قد تكون خفية، فخص اللـه بفهمهن بعض الناس، كما قال علي رضي الله عنه: إلا فهما يؤتيـه الله عبداً في كتابه[3].

وقـد يكـون النص بينـا، ويـذهل المجتهـد عنـه، كـتيمم الجنب فإنـه بين في القـرآن في آيـتين[4]، ولمـا احتج أبـو موسى على ابن مسعود بذلك قال الحاضر: مـا درى عبـد الله ما يقول إلا أنه قال: لو أرخصنا لهم في هـذا لأوشـك أحدهم إذا وجد المرء البرد أن يتيمم[5].

وقد قال ابن عباس، وفـــاطمة بنت قيس[6]، وجـابر:

---

1) أخرجه مســلم في صــحيحه(2/1114)، رقم الحــديث: (1480)، كتاب النكاح، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها.

2) انظـر: شـرح السـنة للبغـوي(8/374)، (9/293)، وانظـر: السنن الكبرى للبيهقي(7/775) باب المبتوتة لا نفقة لهـا إلا أن تكون حاملا،

3 () أخرجـه البخـاري في صـحيحه (1/33)، رقم الحـديث: (111)، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

4) وهذه الآيتين ما يلي: قوله تعالى: ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ النساء: ٤٣، وقوله تعالى: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ المائدة: ٦ .

5 () أخرجــه أحمــد في مســنده(30/272)، رقم الحــديث: (18329)، انظـر: تفســير ابن كثــير(2/320) تفســير قولــه تعالى: ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ، وأخرجه البخاري في صحيحه(1/77)، رقم الحديث: (346)، كتـاب الـتيمم، بـاب: إذا خـاف الجنب على نفســه المــرض أو المــوت، أو خــاف العطش، تيمم، ولفظه: (فمـا درى عبـد اللـه مـا يقـول، فقـال: إنـا لـو رخصـنا لهم في هـذا لأوشـك إذا بـرد على أحـدهم المـاء أن يدعه ويتيمم).

6 () فاطمــة بنت قيس، أخت الضــحاك بن قيس بن خالــد الأكـبر ابن وهب بن ثعلبـة بن وائلـة بن عمـرو بن شـيبان بن

إن المطلقة في القرآن هي الرجعية بدليل قوله: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ﴾[1]، وأي أمر يحدثه بعد الثلاثة؟[2].

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ﴾[3]، واحتج بهذه الآية من منع الفسخ، وآخرون يقولون: إنما أمر بالإتمام فقط[4]، وكذلك أمر الشارع أن يتم، وكذلك في الفسخ قالوا: من فسخ العمرة إلى غير حج فلم يتمها، أما إذا فسخها ليحج من عامه، فهذا قد أتى بما تم مما شرع فيه، فإنه شرع في حج مجرد فأتى بعمرة في الحج، ولو لم يكن هذا إتماما لمَاَ أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع.

وتنازعوا في الذي بيده عقدة النكاح[5]، وفي قوله: ﴿ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﴾[6][7]، ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه.

وأما مسألةٌ مجردةٌ اتفقوا على أنه لا يستدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذا ما [لا][8] أعرفه.

والجد لما قال أكثرهم: إنه أب، استدلوا على ذلك

محارب بن فهر، وأمها أميمة بنت ربيعة، وكانت فاطمة بنت قيس تحت أبي عمرو بن حفص فطلقها فخطبها معاوية بن أبي سفيان بن حرب وأبو جهم بن حذيفة بن غانم العدوي فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عنقه، ولكن انكحي أسامة بن زيد. فنكحته فقالت: لقد اغتبطت بنكاحي إياه. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (8/213)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.

1) الطلاق 1

2 () انظر: تفسير الطبري (23/432).

3) البقرة 196

4 () انظر: تفسير الطبري(3/7).

5 () انظر: تفسير الطبري(5/146).

6) النساء 43

7 () انظر: تفسير الطبري(8/389).

8) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

بالقرآن بقوله: ﴿ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﴾[1][2]، وقال ابن عباس: لو كانت الجن تظن أن الإنس تسمي أبا الأب جَدًّا لما قالت: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﴾[3][4]، (نقول)[5]: إنما هو أب لكن أب أبعد من أب.

وقد روي عن علي وزيد أنهما احتجا بقياس، فمن ادعى إجماعهم على ترك العمل بالرأي والقياس مطلقا فقد غلط، ومن ادعى أن من المسائل ما لم يتكلم فيها أحد منهم إلا بالرأي والقياس فقد غلط، بل كان كل منهم يتكلم بحسب ما عنده من العلم، فمن رأى دلالة الكتاب ذكرها، ومن رأى دلالة الميزان ذكرها، والدلائل الصحيحة لا تتناقض، لكن قد يخفى وجه (اتفاقهما)[6] أو ضعف (أحدهما)[7] على بعض العلماء.

وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين، فإنهم شهدوا[8] التنزيل، وعاينوا الرسول، وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم (مما)[9] اعتقدوا من إجماع أو قياس.

ومن قال من المتأخرين: إن الإجماع مستنَدَ معظم الشريعة فقد أخبر عن حاله، فإنه لنقص معرفته بالكتاب

---

1 () الأعراف: 27

2 () انظر: الفصول في الأصول(4/61)، والعدة في أصول الفقه(4/1307)، وانظر: المغني لابن قدامة(6/307)، كتاب الفرائض، باب ميراث الجد، مكتبة القاهرة، 1388هـ.

3 () الجن: 3

4 () انظر: تفسير الطبري(23/648).

5) وفي المطبوع: (ويقول)

6) وفي المطبوع: (اتفاقها)

7) وفي المطبوع: (أحدها)

8) في المطبوع زيادة: (الرسول و)

9) في المخطوط: (ما)

والسنة احتاج إلى ذلك، وهذا كقـولهم: إن أكـثر الحـوادث يحتاج فيها إلى القياس لعدم دلالة النصوص عليهـا، فإنمـا هذا قول من لا معرفة له بالكتاب والسـنة ودلالتهمـا على الأحكام، وقد قال الإمام أحمد - رضي الله عنـه - إنـه مـا من مسـألة إلا وقـد تكلم فيهـا الصـحابة، أو في نظيرهـا، فإنه لما فتحت البلاد وانتشر الإسلام حدثت جميع أجنـاس الأعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة، وإنما تكلم بعضـهم بالرأي في مسائل قليلـة، والإجمـاعُ (لم)[1] يكن يحتج بـه عامتهم، ولا يحتاجون إليه، إذ هم أهل الإجماع، فلا إجمـاع قبلهم، لكن لما جاء التابعون كتب عمر إلى شُرَيْح: (اقْضِ بما في كتاب الله، فإن لم تجد فبما في سنة رسول الله، فإن لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلـك، وفي روايـة: فبما أجمع عليه الناس)[2].

وعمر [قال][3]: "قدم الكتـاب ثم السـنة"، وكـذلك ابن مسعود قال مثل ما قال عمر: "قدم الكتاب ثم السـنة ثم الإجماع"[4]، وكذلك ابن عباس كان يفتي بمـا في الكتـاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر، لقوله: "اقتـدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"[5] وهذه الآثار ثابتة عن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وهم من أشهر الصـحابة

---

1) في المخطوط: (فلم).

2) أخرجـه النسـائي في سـننه (8/231)، رقم الحـديث: (5399)، كتـاب آداب القضـاة، الحكم باتفـاق أهـل العلم، و الإحكـام في أصـول الأحكـام لابن حـزم(6/78)، وصـححه الألباني في السلسلة الضـعيفة حيث قـال: (والمحفـوظ في هذا الباب ما جاء في كتاب عمر رضـي اللـه عنـه إلى شـريح القاضي. . . بسند صحيح) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (14/719)، رقم الحديث: (6814).

3 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4 () انظر: اعلام الموقعين(2/173).

5) أخرجـه الترمـذي في سـننه (5/672)، رقم الحـديث: (3805)، كتـاب: المنـاقب، بـاب في منـاقب أبي بكـر وعمـر رضي الله عنه، وقال حديث حسـن، وقـال العلامـة الألبـاني: صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة(3/233).

بالفتيا والقضاء وهذا هو الصواب.

ولكن طائفة من المتأخرين قالوا: يبدأ المجتهد [بأن] [1] ينظر أولا في الإجماع، فإن وجده لم يلتفت إلى غيره، وإن وجد نصا خالفه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه، وقال بعضهم: الإجماع نسخه، والصواب طريقة السلف[2].

وذلك لأن الإجماع إذا خالفه نص فلا بد أن يكون مع الإجماع نص (معرف)[3] به أن ذلك منسوخ، فإما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الأمة وحفظت النص المنسوخ؛ فهذا لا يوجد قط، وهو نسبة (للأمة)[4] إلى حفظ ما نهيت عن اتباعه وإضاعة ما أمرت باتباعه، وهي معصومة عن ذلك، ومعرفة الإجماع قد تتعذر كثيرا أو غالبا، فمن[5] الذي يحيط بأقوال المجتهدين؟ بخلاف النصوص فإن معرفتها ممكنة متيسرة.

وهم إنما كانوا يقضون بالكتاب أولا، لأن السنة لا تنسخ الكتاب، فلا يكون في القرآن شيء منسوخ بالسنة بل إن كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه، فلا يقدم غير القرآن عليه، ثم إذا لم يجد ذلك طلبه في السنة، ولا يكون في السنة شيء منسوخ إلا والسنة نسخته، لا ينسخ السنة إجماع ولا غيره، ولا (تعارض)[6] السنة بإجماع وأكثر ألفاظ الآثار، فإن لم يجد فالطالب قد لا يجد مطلوبه في السنة، مع أنه فيها، وكذلك في القرآن،

---

1) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2) انظر: شرح مختصر الروضة لسليمان الطوفي الصرصري (3/25)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1407 هـ، وانظر: نهاية السول شرح منهاج الوصول لأبي محمد جمال الدين الإسنوي(ص: 393)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ.

3) في المطبوع: (معروف)

4) في المطبوع: (الأمة)

5) في المطبوع زيادة: (ذا)

6) في المخطوط: (يعارض)

فيجوز له إذا لم يجـده في القـرآن أن يطلبـه في السـنة، وإذا كان في السنة لم يكن ما في السنة معارضا لما في القرآن، وكذلك الإجماع الصحيح لا يعارض كتابا ولا سنة.

تم بحمد الله وعونه وصلواته على خـير بريتـه محمـد وآله [وسلم][1].

ووافق الفراغ من كتابـة هـذه النسـخة الشـريفة نهـار الأحد حادي وعشرين من شهر الله المحرم الذي هــو من شهور سنة ألف ومائتين وتسعة من الهجـرة النبويـة على صاحبها أفضل الصلاة وسلم. والحمد لله رب العالمين.

---

1) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

الرسالة الثانية

الصفات الاختيارية

قال شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين بن تيمية[1] قدس الله روحه ونوَّر ضريحه:

فصل: في الصفات الاختيارية

وهي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل: كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه، ومثل: خلقه وإحسانه وعدله، ومثل استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة، فالجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم يقولون: لا يقوم بذاته شيء من هذه الصفات ولا

1) تمت مقابلة المخطوط مع ما طبع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله تعالى, طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, المدينة المنورة, 1424 ه.

غيرها[1]، والكلابية[2] ومن وافقهم من السالمية[3] وغيرهم يقولون: تقوم صفات بغير مشيئته وقدرته، فأما ما يكون بمشيئته وقدرته فلا يكون إلا مخلوقا منفصلا عنه[4].

وأما السلف وأئمة السنة والحديث (يقولون)[5]: إنه متصف بذلك، كما نطق به الكتاب والسنة، وهو قول كثير

1 () انظر: الفرق بين الفرق، ص: (199)، والملل والنحل (1/44) و(1/86).

2 () الكلابية: هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري (ت 243هـ)، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، وكان يلقب كلابا لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته، وأصحابه هم الكلابية، وكان يرد على الجهمية، وكان يقول: بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة، وأن الله سبحانه لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين، فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها. ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري وغيرهما)، مجموع الفتاوى (5/555)، وانظر: مقالات الإسلاميين (2/398)، وسير أعلام النبلاء (11/174).

3 () السالمية: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم المتوفى سنة (297ه)، تتلمذ على سهل بن عبد الله التستري، ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة ويميلون إلى التشبيه مع نزعة صوفية اتحادية، كما قال الإمام الذهبي عنهم أنهم يقولون: (إن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان)، ومن أكبر رجال السالمية أبو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب، وقد ذكر ابن أبي يعلى أن السالمية من أهل البدع والضلال الذين يجب

من أهل الكلام والفلسفة أو أكـثرهم كمـا ذكرنـا أقـوالهم بألفاظها في غير هذا الموضع.

ومثل هذا الكلام فإن السـلف وأئمـة السـنة والحـديث يقولون: يتكلم بمشـيئته وقدرتـه، وكلامـه ليس بمخلـوق، بل كلامه صفة له، قائمة بذاته.

وممن ذكر أن ذلك قول أئمة السـنة: أبـو عبـــد اللـه ابن منده[1]، وأبو عبــد الله ابن

هجرهم، ونقل الإمام الـذهبي عن السـلمي كلامـه: (هجـرهم الناس لألفـاظ هجنـة أطلقوهـا وذكروهـا)، انظـر: سـير أعلام النبلاء (16/272)، والعــرش للــذهبي(1/623)، والفــرق بين الفرق (ص157-202).

4 () انظـر: مقـالات الإسـلاميين للأشـعري(1/138)، والعـرش للذهبي(1/97).

5 () في المطبوع: (فيقولون)

1 () ابن مندة هو: أبو عبد الله محمد بن إسـحاق بن محمـد بن يحيى بن مندة الأصـبهاني، ولـد في سـنة عشـر وثلاث مائـة، ومن تصــــانيفه: كتــــاب(الإيمــــان)، وكتــــاب(التوحيــــد)، وكتاب(الصفات)، وكتاب(التاريخ)، وأشياء كثيرة. قـال الإمـام الــذهبي: (الإمــام، الحافــظ، محــدث الإســلام، صــاحب التصانيف)، تـوفي سـنة خمس وتسـعين وثلاث مائـة. انظـر: سير أعلام النبلاء (17/27).

وقد ذكر في بداية كتاب التوحيـد: ((بـاب ذكـر مـا وصـف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل، وأنه أحـد صـمد، لم يلـد ولم يولـد، ولم يكن لـه كفـوا أحـد)) ثم نقـل الأحاديث الذي يثبت منه الصفات الاختيارية مثل صفة الخلــق وصفة السـمع والبصـر وصـفة الـنزول وغـيره، كمـا يوجـد لـه كتاب في الرد على الجهمية، انظر: كتاب التوحيد لابن منده (2/74).

حامد[1]، وأبو بكر عبد العزيز[2]، وأبو إسماعيل الأنصاري[3] وغيرهم، وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البر[4] نظير هذا في الاستواء[5]، وأئمة السنة كعبد الله بن المبارك[6]، وأحمد بن حنبل[7]، والبخاري[8]، وعثمان بن سعيد الدارمي[9]، ومن لا يحصى من الأئمة.

1 () ابن حامد: هو أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي، الوراق، مصنف كتاب (الجامع) في عشرين مجلدا في الاختلاف، شيخ الحنابلة ومفتيهم، توفي سنة ثلاث وأربع مائة، انظر: سير أعلام النبلاء (17/204).

قال ابن تيمية: (قال أبو عبد الله بن حامد في كتابه في أصول الدين: ((ومما يجب الإيمان به التصديق بأن الله متكلم، وأن كلامه قديم، وأنه لم يزل متكلما في كل أوقاته موصوفا بذلك، وكلامه قديم غير محدث كالعلم والقدرة، ونقل عنه أيضا قوله: أنه لا خلاف في مذهب أحمد أنه سبحانه لم يزل متكلما كيف شاء وكما شاء))، شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص: 72) تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية بيروت 1425هـ.

2 () أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد البغدادي الفقيه، تلميذ أبي بكر الخلال، ولد سنة خمس وثمانين ومائتين، قال الإمام الذهبي: الشيخ، الإمام، العلامة، شيخ الحنابلة، وكان كبير الشأن، من بحور العلم، له الباع الأطول في الفقه، ومن كتبه: (المقنع) و(الشافي) و (زاد المسافر، توفي في شوال سنة ثلاث وستين وثلاث مائة، انظر: سير أعلام النبلاء (16/143).

وروى ابن بطة عن أبي بكر عبد العزيز بسنده عن أحمد بن حنبل، يقول: ((عليكم بالسنة والحديث، وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاما لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال، وكلام أهل الزيغ، والمراء، أدركنا

وذكره حـــرب بن إسـماعيل الكرمـاني[1] عن سـعيد بن منصور[2] وأحمد بن حنبل، وإسحـــاق بن إبراهيم[3][4]، وسـائر أهـل السـنة والحـديث متفقـون على أنـه متكلم بمشيئته وأنه لم يزل متكلما إذا شاء وكيف شاء.

وقد سمى الله القرآن العزيز حديثا، (وقـال)[5]: ﴿ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ﴾[6]، وقال: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ﴾[7]، وقال: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ﴾[8]، وقال النبي صلى الله عليه وسـلم: ((إن اللـه يحـدث من

الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تئول إلى خير أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإيـاكم من كل هلكة)) وعنه أيضا أنه قال: أخبرنا أبـو بكـر الخلال، قـال: أخبرنا المروذي، أنه سمع أبا عبد الله، يقول: بلغـني عن عبـد الرحمن، أنه قال: ((لـو كـان لي قرابـة ممن يقـول: القـرآن مخلوق ثم مات لم أرثه)) انظـر: الإبانـة الكـبرى لابن بطـه (2/539)، (6/80)، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض،

3 () أبــو إســماعيل عبــد اللــه بن محمــد بن علي الأنصــاري الهروي، مصنف كتاب (ذم الكلام)، وشيخ خراسـان من ذريـة صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - أبي أيـوب الأنصـاري، ولد في سنة ست وتسعين وثلاث مائة، قـال الإمـام الـذهبي: الإمام، القدوة، الحافـظ الكبـير، تـوفي في ذي الحجـة، سـنة إحــدى وثمــانين وأربــع مائــة، وانظــر: ســير أعلام النبلاء (18/504).

وقد ذكر الإمام أبو إسماعيل في كتابه دلائل التوحيد: باب إثبات الكلام لله عز وجل، وباب الدليل على أن كلام الله عــز وجـل غـير مخلـوق. انظـر: الأربعين في دلائـل التوحيـد (ص: 91).

4 () ابن عبـد الـبر هـو: أبـو عمـر يوسـف بن عبـد القرطـبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، قال الإمام الـذهبي عنـه: الإمام، العلامة، حافـظ المغـرب، شـيخ الإسـلام، مولـده: في سنة ثمان وستين وثلاث مائة في شهر ربيع الآخر، ومن كتبـه (التمهيـد لمــا في الموطــأ من المعــاني والأســانيد) وكتــاب (الاستذكار لمذهب علماء الأمصـار فيمـا تضـمنه الموطـأ من معاني الرأي والآثار) شرح فيه (الموطأ) على وجهـه، وكتـاب (الاسـتيعاب في أسـماء الصـحابة)، وغـير ذلـك من تواليفـه،

أمره ما يشاء))[1] وهذا مما احتج به البخـاري في صـحيحه وفي غير صـحيحه[2]، واحتج بـه غـير البخـاري كنعيـــم بن حماد[3]، وحماد بن زيد[4].

ومن المشهور عن السلف: أن القرآن العزيـز كـــلام اللـه غـير مخلـوق منـه بـدأ وإليـه يعـود[5]، وأمـا الجهميـة والمعتزلة فيقولون: ليس له كلام قـائم بذاتـه، بـل كلامـه منفصل عنه مخلوق عنه، والمعتزلة يطلقـون القـول بأنـه يتكلم بمشـيئته، ولكن مـرادهم بـذلك أنـه يخلـق كلامـا

توفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (18/154).

5 () قال الإمام ابن عبد البر لما شرح حديث ((ينـــزل ربنـــا كـل ليلـــة إلى سمـــــاء الـــدنيا. . .))، هـذا الحـديث لم يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليـل على أن اللـه في السـماء على العـرش من فـوق سـبع سـموات، كمـا قـالت الجماعـــة، وهـــو من حجتهم على المعتزلـــة والجهميـــة في قولهم: إن الله عز وجل في كـل مكـان وليس على العـرش. انظر: التمهيد لابن عبد البر (7/129).

6 () عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبـد الـرحمن الحنظلي مولاهم، التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغـازي، مولـده: في سنة ثمان عشرة ومائة، قال الإمام الذهبي عنه: الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقتـه، قـال أحمـد بن حنبل: لم يكن أحد في زمان ابن المبـارك أطلب للعلم منـه، وعن شعبة، قال: ما قدم علينا أحد مثل ابن المبـارك، تـوفي في شهر رمضـان، سـنة إحـدى وثمـانين ومائـة. انظـر: سـير أعلام النبلاء (8/378).

وقد روى الإمام اللالكائي بسنده عن عبد الله بن المبارك أنه قال: ((سمعت الناس منذ تسع وأربعين سنة يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طـالق ثلاث بتـة، قـال قلت: ولم ذلـك؟ قـال: لأن امرأتــه مســلمة، ومســلمة لا تكــون تحت كافر))، وقـال الإمـام الـذهبي: صـح عن علي بن الحسـن بن شقيق قال: قلت لعبد الله بن المبارك كيـف نعـرف ربنـا عـز وجـل قـال: ((في الســــماء السابعـــة على عـــرشه ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض)). انظر: شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة (2/321)، والعلـو للإمـام الـذهبي

منفصلا عنه(1)، والكلابية والسالمية يقولون: إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل كلامه قائم بذاته بدون قدرته ومشيئته مثل حياته، وهم يقولون(2): الكلام صفة ذات، لا صفة فعل يتعلق بمشيئته وقدرته(3)، [و](4)أولئك يقولون(5): هو صفة فعل، لكن الفعل عندهم هو المفعول المخلوق بمشيئته وقدرته.

(ص: 75).

7 () انظر كلامه في الاستواء في كتابه الرد على الزنادقة والجهمية. (ص: 142، 150ـ151) دار الثبات للنشر والتوزيع، 1424هـ.

8 () انظر قوله في الجامع الصحيح في باب وكان عرشه على الماء، حيث قال: باب ((وكان عرشه على الماء)). [التوبة: 129]، قال أبو العالية [البقرة: 29] ارتفع فسواهن خلقهن، وقال مجاهد استوى علا على العرش. (9/152).

9 () عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد التميمي، الدارمي، السجستاني، ولد قبل المائتين بيسير، وطوف الأقاليم في طلب الحديث، قال الإمام الذهبي عنه: (الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، صنف كتابا في (الرد على بشر المريسي)، وكتابا في (الرد على الجهمية)، توفي عثمان الدارمي في ذي الحجة، سنة ثمانين ومائتين). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (13/319)، وانظر كلامه في الاستواء في كتابه الرد على الجهمية (ص: 18)، دار ابن الأثير الكويت، 1416 هـ، وفي كتابه: نقض على البشر المريسي الجهمي(1/225، 410)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، 1418هـ.

1 () تقدم ترجمته.

2 () سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي، ويقال: الطالقاني ثم البلخي، ثم المكي المجاور، مؤلف كتاب (السنن)، وكان ثقة، صادقا، من أوعية العلم، قال سلمة بن شبيب: ذكرت سعيد بن منصور لأحمد بن حنبل، فأحسن الثناء عليه، وفخم أمره، وقال أبو حاتم الرازي: هو ثقة، من

وأما السلف وأئمة السنة، وكثير من أهل الكلام كالهشامية[1]، والكرامية[2]، وأصحاب أبي معاذ التومني[3]، وزهير اليامي[4]، وطوائف غير هؤلاء يقولون: إنه صفة ذات وفعل، هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته[5].

وهذا هو المعقول من صفة الكلام (لكل متكلم)[6]، فكل من وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم

المتقنين الأثبات، ممن جمع وصنف، وقال حرب الكرماني: أملى علينا سعيد بن منصور نحوا من عشرة آلاف حديث من حفظه، توفي: بمكة، في شهر رمضان، سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (10/586)،

3 () إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الفقيه من أصحاب الإمام أحمد، له عنه سؤالات في مجلدة، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (13/19).

4 () ذكر حرب بن إسماعيل الكرماني عن سعيد بن منصور وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وغيرهم في إثبات الصفات الاختيارية في مسائله التي نقلها عن أحمد وإسحاق وغيرهما حيث يقول: (هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم فكان من قولهم - وذكر أمورا كثيرا - منها: (وخلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمس مائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات السبع، وما في الأرضين السبع، وما بينهن. . . وهو على العرش فوق السماء السابعة، ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما

وقـدرتهم، والكلام صـفة كمـال، لا صـفة نقص ومن تكلم بمشـيئته أكمـل ممن لا يتكلم بمشـيئته، فكيـف يتصـف المخلـوق بصـفات الكمـال دون الخـالق، ولكن الجهميـة والمعتزلة بنوا على أصلهم [من][1] أن الـرب لا يقـوم بـه صـفة، لأن ذلـك بـزعمهم يسـتلزم التجسـيم والتشـبيه الممتنع، إذ الصـفة عـرض والعـرض لا يقـوم إلا بجسم[2]، والكلابية يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها

هو أعلم بها، فإن احتج مبتدع أو مخالف أو زنديق بقـول اللـه تبارك وتعالى اسمه: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ﴾[ق: 16]، وبقوله: ﴿ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ﴾ [الحديد: 4]، وبقوله: ﴿ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﴾ [المجادلة: 7] ونحو ذلك من متشابه القرآن، فقل: إنما يعني بـذلك العلم؛ لأن اللـه تبـارك وتعـالى على العـرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقـه لا يخلو من علمه مكان)، مسائل حـرب (3/967)، جامعـة أم القرى، 1422هـ.

5 () في المطبوع: (فقال)

6 () الزمر 23

7 () النساء 87

8 () الأنبياء 2

1 () أخرجه البخاري في صحيحه (9/152)، كتاب بدء الـوحي، باب قول الله تعالى: ﴿ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾، ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ﴾[الأنبياء2]، وقوله تعالى: ﴿ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ﴾[الطلاق1]، وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: ﴿ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾[الشورى11]، وقال ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم "إن اللـه يحـــدث من أمـره مـا يشــــاء وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة".

2 () انظـــر: خلـــق أفعـــال العبـــاد(ص: 44)، دار المعـــارف، السعودية، الرياض.

3 () نعيم بن حماد بن معاوية أبـو عبـد اللـه الخـزاعي، الإمـام، العلامة، الحافظ، من شيوخ الإمام البخاري، توفي سـنة تسـع وعشرين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء (10/595).

قــال نعيم بن حمــاد: (لا يســتعاذ بــالمخلوق، ولا بكلام العبــاد والجن والإنس والملائكـة، وفي هـذا دليـل أن كلام اللـه غـير

قدرة ولا تكـون بمشـيئته، فأمـا مـا يكـون بمشـيئته فإنـه حادث والرب تعالى لا تقوم به الحوادث.

(ويســمون)[1] الصــفات الاختياريــة بمســألة حلــول الحوادث فإنه إذا كلم موسى بن عمران بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته؛ كان ذلك النــداء والكلام حادثا، قالوا: فلو اتصـف الـرب بـه لقـامت بـه الحـوادث، قالوا: ولو قامت به الحوادث لم يخـل منهـا ومـا لم يخـل من الحـوادث فهـو حـادث، قـالوا: ولأن كونـه قـابلا لتلـك

مخلوق، وأن سواه مخلوق)، انظـر خلـق أفعـال العبـاد (ص: 96).

4 () حمــاد بن زيد بن درهم أبــو إســماعيل الأزدي، العلامــة، الحافظ، الثبت، محدث الوقت، ولد في سنة ثمـان وتسـعين، ومن أقوال حماد بن زيد أنه قـال: (القـرآن كلام اللـه، أنزلـه جبريـل من عنـد رب العـالمين)، تـوفي سـنة تسـع وسـبعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (7/456).

5 () قــال عمــرو بن دينــار المكي وهــو من ثقــات التــابعين وأئمتهم: (أدركت مشايخنا منذ سبعين سـنة يقولـون القـرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود)، وقـد أدرك عمـرو بن دينـار من الصحابة غير واحد منهم: عبـد اللـه بن عمـرو، وعبـد اللـه بن عباس، وعبد الله بن الزبـير، وجـابر بن عبـد اللـه الأنصـاري، وأبو شريح الخزاعي، والمسور بن مخرمـة، وسـعد بن عائـذ، وأبو هريرة، والسائب بن يزيد الكندي، وأبو الطفيل عـامر بن وائلة رضي الله عنهم، وقد قالها الإمـام أبـو جعفـر أحمـد بن سـنان الواسـطي، وهـو شـيخ البخـاري، ومسـلم، وأبي داود، وابن ماجه، والنسائي. انظر: كتـاب اختصـاص القـرآن بعـوده إلى الرحيم الـرحمن، (ص: 20) لضـياء الـدين أبـو عبـد اللـه محمـد بن عبـد الواحـد المقدسـي، مكتبـة الرشـد، الريـاض، الطبعة الأولى 1409 هـ.

وقال ابن أبي زمنين: (ومن قـول أهـل السـنة: أن القـرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبـارك وتعـالى بـدأ، وإليـه يعـود). أصـول السـنة لابن أبي زمـنين (ص: 82)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعـة الأولى، 1415 ه.

وقال أبو نصر السجزي: (قول السـلف من أهـل الحـديث

الصفة إن (كان)[1] من لوازم ذاته كان قابلا لها في الأزل فيلزم جواز وجودها في الأزل والحوادث لا تكون في الأزل، فإن ذلك يقتضي وجود حوادث لا أول لها، وذلك محال لوجوه قد ذكرت في غير هذا الموضع[2].

قالوا: وبذلك استدللنا على حدوث الأجسام، وبه عرفنا حدوث العالم، وبذلك أثبتنا وجود الصانع وصدق رسله، فلو قدحنا في تلك؛ لزم القدح في أصول الإيمان و التوحيد، وإن لم يكن من لوازم ذاته صار قابلا لها بعد أن

والسنة، وهو أنَّ كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأنه سبحانه يتكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع ويتلى وأنه بحرف وصوت). رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: 20)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1423هـ.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: وإنما قالوا: منه بدأ، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: منه بدأ أي هو المتكلم به، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﭽ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ﭼ (الزمر: 1)، ﭽ ٹ ٹ ڤ ڤ ﭼ (السجدة: 13)، ﭽ ﭼ (النحل: 102)، ومعنى قولهم: ((وإليه يعود)) يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار. انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، (1/195).

1 () انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (1/153)، المكتبة العصرية 1426ه، والملل والنحل للشهرستاني (1/66)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (1/173)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/632)، دار الكتب العلمية، 1408 هـ، ودرء تعارض العقل والنقل (1/228)، (1/260)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (496).

2 () أي: الكلابية والسالمية.

3 () قال عبد الله بن كلاب: (إن الله سبحانه لم يزل متكلما، وأن كلام الله سبحانه صفة له، قائمة به، وأنه قديم بكلامه، وأن كلامه قائم به كما أن العلم قائم به، والقدرة قائمة به)، انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (2/421)، وكتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي (2/206)، و(2/207)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1426هـ، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي

لم يكن قابلا، فيكون قابلا لتلك الصفة فيلزم التسلسل الممتنع[1].

وقد بسطنا القول على عامة ما ذكروه في هذا الباب وبينّا فساده وتناقضه على وجه لا تبقى فيه شبهة لمن فهم هذا الباب[2].

وفضلاؤهم - وهم المتأخرون - كالرازي، والآمدي[3]، والطوسي[4]،

العز الحنفي، (1/173)، وكتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (1/268)، تحقيق: دكتور عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، 1420 هـ، ومجموع الفتاوى (12/302)، مجمع ملك فهد، 1416هـ.

4 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5 () أي: الجهمية والمعتزلة

1 () الهشامية: أصحاب هشام بن الحكم الرافضي، وهم يزعمون أن معبودهم جسم، وله نهاية وحد طويل عريض عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، لا يوفي بعضه على بعض ولم يعينوا طولاً غير الطويل، وحكى الجاحظ عن هشام بن الحكم في بعض كتبه أنه كان يزعم أن الله جل وعز إنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه، الذاهب في عمق الأرض، وقال هشام في سائر صفات الله عز وجل كقدرته وحياته وسمعه وبصره وإرادته: (أنها صفات لله لا هي الله ولا غير الله)، وقال أيضاً: (فأما القرآن فهو فعل الله مثل العلم والحركة لا هو هو ولا غيره)، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (1/44)، (1/48)، (1/50).

2 () الكرامية: نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن كرام، وهم فرقة من فرق المرجئة ويزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله كانوا مؤمنين على الحقيقة في الظاهر مع كونهم يوم القيامة في النار مخلدين، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان. انظر مقالات الإسلاميين، (ص: 141)، وهم مجسمة في الصفات فابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته، والجهة التى منها يلاقى عرشه، وهذا شبيه بقول الثنوية إن معبودهم الذى سموه نورا يتناهى من الجهة التى يلاقى الكلام، وقد وصف ابن كرام معبوده فى بعض كتبه بأنه جوهر كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر. انظر: الفرق بين الفرق(ص: 203)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، وهم يقولون: (أن الله يتكلم بأصوات تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه تقوم به الحوادث

والحــلي[1] وغيرهم معترفون بأنـه ليس لهم حجـة عقليـة على نفي ذلك[2]، بل ذكر الـرازي وأتباعـه أن هـذا القـول يلزم جميـع الطوائـف، ونصـره في آخـر كتبـه كالمطـالب العالية، وهو من أكبر كتبه الكلامية (الذي)[3] سماه (نهايـة العقول في دراية الأصول) لما عرف فساد قول النفاة لم يعتمـد على ذلـك في مسـألة القـرآن، فـإن عمـدتهم في مسألة القرآن إذا قالوا: لم يتكلم بمشيئته وقدرته، قالوا: لأن ذلك يستلزم حلول الحوادث، فلمـا عـرف فسـاد هـذا

المتعلقة بمشيئته وقدرته، لكن ذلـك حـادث بعـد أن لم يكن، وأن اللــه في الأزل لم يكن متكلمـاً إلا بمعـنى القـدرة على الكلام) انظر: العرش للذهبي(1/141).

3 () أبو معاذ التومني: ينتسب إلى قرية تومن من قـرى مصـر، من أئمـة المرجئـة، ورأس الفرقـة الـــتومنية مـذهب من مذاهب المرجئة، وهم يزعمون أن الإيمان هـو مـا عصـم من الكفر، وهو اسم لخصـال إذا تركهـا التـارك كفـر، وكـذلك لـو ترك خصلة واحدة منها كفر، ولا يقال للخصـلة الواحـدة منهـا إيمان ولا بعض إيمان، وكل معصية كبيرة أو صغيرة لم يجمـع عليها المسـلمون بأنهـا كفـر؛ لا يقـال لصـاحبها فاسـق ولكن يقــال فســق وعصــى، قــال: وتلــك الخصــال هي المعرفــة والتصديق والمحبة والإخلاص والإقرار بمـا جـاء بـه الرسـول، وقال أبو معاذ التومني القـرآن كلام اللـه، وهـو حـدث وليس بمحدث، وفعل، وليس بمفعول، وامتنع أن يـزعم أنـه خلـق، ويقول ليس بخلق ولا مخلـوق، وأنـه قـائم باللـه، ومحـال أن يتكلم الله سبحانه بكلام قائم بغيره، كما يستحيل أن يتحــرك بحركة قائمة بغيره، انظر كتاب: الملل والنحل للشهرســتاني (1/144)، ومقالات الإسلاميين (3/421)، والفرق بين الفرق للبغدادي (192)، وكتاب الأنساب للسمعاني (493).

4() لعل المراد به زهير الأثـري، وشـيخ الإسـلام ابن تيميـة يقارن كثيرا بينـه وبين أبي معـاذ التومـني، ويـذكر عقائـدهما، وأنهمـا من أهـل الكلام المرجئـة، وأحيانـا يـذكر باسـم زهـير البـابي كمـا في كتابـه النبـوات(1/273)، ومجمـوع الفتـاوى(8/20)، (12/177)، وأحيانا يسميه بزهير الأثري كما في بيان تلبيس الجهمية (1/87)، (2/533)، ودرء التعـارض(2/174)، ومنهاج السنة النبوية(2/361)، وزهير بن نعيم البابي كما في درء تعـارض العقـل والنقـل(5/305)، وأحيانـا يسـميه بزهـير الأبــري كمــا في شــرح حــديث الــنزول والفتــاوى الكــبرى (1/423)، قـال الأشـعري: (فأمـا أصـحاب زهـير الأثـري فـإن زهيراً كان يقول أن الله سـبحانه بكـل مكـان، وأنـه مـع ذلـك مستو على عرشه، وأنه يرى بالأبصـار بلا كيـف، وأنـه موجـود

الأصل لم يعتمد على ذلك في مسألة القرآن، فإن عمدتهم عليه، بل استدل بإجماع مركب، وهو دليل ضعيف إلى الغاية؛ لأنه لم يكن عنده في نصر قول الكلابية غيره، وهذا مما يبين أنه وأمثاله تبين له فساد قول الكلابية[1]، وكذلك الآمدي ذكر في (أبكار الأفكار)[2] ما يبطل قولهم، وذكر أنه لا جواب عنه وقد كَشَفْتُ هذه الأمور في مواضع[3]، وهذا معروف عند عامة العلماء حتى الحلي بن المطهر ذكر في كتبه أن القول بنفي

الذات بكل مكان، وأنه ليس بجسم ولا محدود، ولا يجوز عليه الحلول والمماسة، ويزعم أن يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22] بلا كيف، ويزعم أن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق، وأن القرآن يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وأن إرادة الله سبحانه ومحبته قائمتان بالله، ويقول بالاستثناء كما يقول أصحاب الاستثناء من المرجئة الذين حكينا قولهم في الوعيد ويقول في القدر بقول المعتزلة، ويزعم هو وسائر المرجئة أن الفساق من أهل القبلة مؤمنون بما معهم من الإيمان فاسقون بارتكاب الكبائر وأمرهم إلى الله سبحانه إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم) مقالات الإسلاميين (1/230).

5() وقد ذكر الأشعري في المقالات آراءهم العقدية بالتفصيل، فانظر: مقالات الإسلاميين (1/351)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (2/182)، والصفدية (1/129)، مكتبة ابن تيمية، مصر، 1406ه، وكذلك طبعة دار الفضيلة الرياض، وكتاب النبوات (1/589).

6 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

1 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2 () انظر مقالات الإسلاميين (1/130)، والفرق بين الفرق (ص: 93).

1 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

1 () في المطبوع: (كانت)

2 () ذكر ابن تيمية هذه الوجوه في جامع الرسائل (2/41) حيث يقول: أنه لو كان قابلا لها (الحوادث) في الأزل لكان القبول من لوازم ذاته فكان القبول يستدعي إمكان المقبول، ووجود الحوادث في الأزل محال وهذه أبطلوها هم بالمعارضة بالقدرة؛ بأنه قادر على إحداث الحوادث والقدرة تستدعي إمكان المقدور ووجود المقدور وهو الحوادث في الأزل محال، بطلان هذه الحجة من وجوه:

حلول الحوادث لا دليل عليه[1]، فالمنازع جاهل بالعقل والشرع.

وكذلك من قبل هؤلاء كأبي المعالي[2] وذويه، إنما عمدتهم أن الكرامية قالوا ذلك وتناقضوا، فيبينون تناقض الكرامية، ويظنون أنهم إذا بينوا تناقض الكرامية، وهم منازَعَوهم؛ فقد فلجوا[3]، ولم يعلموا أن السلف وأئمة السنة والحديث؛ بل من قبل الكرامية من الطوائف لم

(أحدها) أن يقال: وجود الحوادث دائما، إما أن يكون ممكنا وإما أن يكون ممتنعا، فإن كان ممكنا أمكن قبولها والقدرة عليها دائما وحينئذ فلا يكون وجود جنسها في الأزل ممتنعا، بل يمكن أن يكون جنسها مقدورا مقبولا، وإن كان ممتنعا فقد امتنع وجود حوادث لا تتناهى، وحينئذ فلا تكون في الأزل ممكنة، لا مقدورة ولا مقبولة، وحينئذ فلا يلزم من امتناعها في الأزل امتناعها بعد ذلك، فإن الحوادث موجودة فلا يجوز أن يقال بدوام امتناعها، وهذا تقسيم حاصر يبين فساد هذه الحجة.

(الوجه الثاني) أن يقال: لا ريب أن الرب تعالى قادر، فإما أن يقال إنه لم يزل قادرا، وإما أن يقال بل صار قادرا بعد أن لم يكن، فإن قيل: لم يزل قادرا، وهو الصواب، فيقال: إذا كان لم يزل قادرا فإن كان المقدور لم يزل ممكنا أمكن دوام وجود الممكنات فأمكن دوام وجود الحوادث، وحينئذ فلا يمتنع كونه قابلا لها في الأزل.

وإن قيل: بل كان الفعل ممتنعا ثم صار ممكنا، قيل: هذا جمع بين النقيضين، فإن القادر لا يكون قادرا على ممتنع، فكيف يكون قادرا مع كون المقدور ممتنعا؟ ثم يقال: بتقدير إمكان هذا كما قيل، هو قادر في الأزل على ما يمكن فيما لا يزال، قيل: وكذلك في القبول، يقال: هو قابل في الأزل لما يمكن فيما لا يزال.

(الوجه الثالث) أنه سبحانه إذا قيل: هو قابل لما في الأزل فإنما هو قابل لما هو قادر عليه يمكن وجوده فإن ما يكون ممتنعا لا يدخل تحت القدرة فهذا ليس بقابل له.

(الرابع) أن يقال: هو قادر على حدوث ما هو مباين له من المخلوقات، ومعلوم أن قدرة القادر على فعله القائم به

(تكن لتفت)[1] إلى الكرامية وأمثالهم، بل تكلموا بذلك قبل أن تخلق الكرامية، فإن ابن كرام كان متأخرا بعد أحمد بن حنبل في زمن مسلم بن الحجاج وطبقته، وأئمة السنة والمتكلمون تكلموا بهذه قبل هؤلاء، وما زال السلف يقولون بموجب ذلك؛ لكن لما ظهرت الجهمية النفاة في أوائل المائة الثانية بَيَّنَ علماء المسلمين ضلالهم وخطأهم، ثم ظهر رعنة[2] الجهمية في أوائل المائة الثالثة وامتحن العلماء الإمام أحمد وغيره، فجردوا

أولى من قدرته على المباين له، وإذا كان الفعل لا مانع منه إلا ما يمتنع مثله لوجود المقدور المباين ثم ثبت أن المقدور المباين هو ممكن وهو قادر عليه فالفعل أن يكون ممكنا مقدورا أولى.

1 () وقد ذكر الغزالي هذه القاعدة حيث يقول: (المنهج الثاني: أن نرتب أصلين على وجه آخر، مثل قولنا: كل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وهو أصل، والعالم لا يخلو عن الحوادث فهو أصل آخر، فيلزم منهما صحة دعوانا وهو أن العالم حادث وهو المطلوب فتأمل) انظر: (الاقتصاد في الاعتقاد) (ص: 19) و(ص: 24-26)، دار الكتب العليمة، بيروت لبنان، 1424هـ، وذكر أيضا الرازي في معالم أصول الدين: (المسألة السابعة في أنه يستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالى خلافا للكرامية، والدليل عليه أن كل ما كان قابلا للحوادث فإنه يستحيل خلوه عن الحوادث، وكل ما كان يمتنع خلوه عن الحوادث فهو حادث ينتج أن كل ما كان قابلا للحوادث فإنه يكون حادثا، وعند هذا نقول الأجسام قابلة للحوادث فيجب كونها حادثة، ونقول أيضا إن الله تعالى يمتنع أن يكون حادثا، فوجب أن يمتنع كونه قابلا للحوادث، والحاصل أن الجمع بين قبول الحوادث وبين القدم محال) انظر: معالم أصول الدين (ص: 49)، دار الكتاب العربي، لبنان.

2 () انظر مثلا: الصفدية (33/1)، وجامع الرسائل لابن تيمية (2/41)

3 () الآمدي هو: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الآمدي شيخ المتكلمين في زمانه ومصنف الأحكام ولد بآمد بعد الخمسين وخمسمائة بيسير ورحل إلى

الرد على الجهمية (وكشف)[1] ضلالهم حتى جرّد الإمام أحمد الآيات التي (في)[2] القرآن تدل على بطلان قولهم وهي كثيرة جدا[3]، بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسمونها حلول الحوادث كثيرة جدا، وهذا كقوله تعالى: ﴿ ۋ ۋ ې ې ﴾[4] فهذا بين في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، لم يأمرهم في الأزل، وكذلك قوله: ﴿ ھ ھ هه

بغداد، دخل مصر وتصدر للاشتغال في العقليات وغير ذلك وأعاد بمدرسة الشافعي ثم قاموا عليه ونسبوه إلى سوء العقيدة، قال ابن خلكان: وضعوا خطوطهم بما يستباح به الدم، فخرج مستخفيا إلى الشام، فنزل حماة وألف في الأصلين، والحكمة المشؤومة، والمنطق، والخلاف، وله كتاب (أبكار الأفكار) في الكلام، و(منتهى السول في الأصول)، وله نحو من عشرين تصنيفا، انظر: طبقات الشافعية الكبرى (8/306)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ، وسير أعلام النبلاء (22/364).

4 () الطوسي هو: محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين أبو عبد الله الطوسي، الفيلسوف، صاحب علوم الرياضي والرصد، كان رأسا في علم الأوائل لا سيما في الأرصاد والمجسطي، قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي وغيره، ولد سنة 975هـ، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو، وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه، فابتنى بمدينة مراغة قبة ورصدا عظيما، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربع مائة ألف مجلد، وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة والفضلاء وجعل لهم الجامكية، وله كتب كثيرة منها (حل مشكلات الإشارات والتنبيهات لابن سينا) و (شرح قسم الإلهيات من إشارات لابن سينا) توفي ببغداد سنة 672 هـ، انظر كلامه والرد عليه في كتاب درء التعارض (10/39، 44)، وانظر الوافي بالوفيات (1/147)، دار إحياء التراث

ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ[1] فإنما قال له بعد أن خلقه من تراب، لا في الأزل.

وكذلك قوله في قصة موسى: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﭼ[2]، وقال تعالى: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭼ[3] فهذا بيّنٌ في أنه إنما ناداه حين جاء لم يكن النداء في الأزل كما يقوله الكلابية، يقولون: إن النداء قائم بذات الله في الأزل، وهو

بـيروت، 1320 هـ، والأعلام للزركلي (7/30)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1401 هـ، 2002م.

1 () تقدمت ترجمته.

2 () والرازي اعترف في كتابه المطالب العالية، تحت عنوان: المقدمة الثانية في تفسير الحدوث حيث يقول الرازي: (فإذا تأملنا في السموات وفي الكواكب، وفي أحوال العناصر الأربعة، وفي أحوال الآثار العلوية، والمعادن والنبات والحيوان، ولا سيما الإنسان، وجدنا من الحكم القاهرة، والدلائل الباهرة، ما غرقت العقول فيها، وحارت الألباب في وصفها، لا جرم كانت هذه الاعتبارات بالدلالة على وجود الفاعل المختار، الحكيم الرحيم، ومتى ثبت القول بالفاعل المختار، فقد ثبت القول بحدوث العالم، لا محالة، والله أعلم - وذكر أيضا - القسم الثاني من هذه المقالة في الدلائل المستنبطة من القرآن المجيد في إثبات أن إله العالم، قادر، حكيم، مختار، رحيم)، انظر المطالب العالية للرازي(4/241)، (4/327).

3 () في المخطوط (التي).

1 () ذكر الرازي في كتابه المطالب العالية في (الباب السادس في كونه تعالى متكلما، والمسألة الأولى في البحث عن حقيقة الكلام، والمسألة الثانية في إثبات كونه تعالى متكلما). انظر المطالب العالية (3/199-207)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417 هـ.

2 () ذكر الآمدي في أبكار الأفكار بأن المراد بالحادث المتنازع فيه، الموجود بعد العدم، كان ذاتا قائمة بنفسها كالجواهر، أو صفة لغيره كالأعراض، فيسمي الصفات الاختيارية أعراضا وأنها حادث بمعني أنه وجد أو حدث بعد أن لم يكن موجودا،

لازم لذاته، لم يزل (ولا يزال مناديا لـه)[1]، لكنـه لمـا أتى خلق فيه إدراكا لمـا كـان موجـودا في الأزل، ثم من قـال منهم: إن الكلام (معنى واحدٌ،[2] منهم)[3] من قـال: سـمع ذلـك المعـنى بأذنـه، كمـا يقـول الأشـعري[4]، ومنهم من يقول: بل أفهم منه (ما أفهم)[5]، كما يقوله القـاضي أبـو بكر[6] وغـيره[7]، فقيـل لهم: عنـدكم هـو معـنى واحـد لا يتبعض ولا يتعدد فموسى فهم المعنى كلـه أو بعضـه؟ إن قلتم: كله، فقد عَلِم عِلْم الله كلـه، وإن قلتم بعضـه فقـد

وعلى هـذا الأسـاس ينفي مشـيئته وقدرتـه في صـفاته الاختيارية، واعترف أيضا أن القائلين باستحالة قيام الحـوادث بالله تعالى قـد احتجـوا بحجج ضـعيفة، انظـر أبكـار الأفكـار (2/220)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1424هـ.

3 () من تلك المواضع ما نقل ابن تيمية كلام الآمـدي من كتابـه أبكار الأفكار ثم قام بالرد عليه في كتابه درء تعـارض العقـل والنقل حيث يقول: (ونحن نذكر ما ذكره أبو الحسـن الآمـدي في هذا الأصل وتتكلم عليـه قـال في كتابـه الكبـير المسـمى أبكار الأفكار المسألة الرابعـة من النـوع الرابـع الـذي سـماه إبطال التشبيه في بيان امتنـاع حلـول الحـوادث بذاتـه تبـارك وتعـالى. . . . قـال: (أي الآمـدي) وقـد احتج أهـل الحـق على امتناع قيام الحوادث به بحجج ضعيفة:

الأولى قالوا: لو كان الباري تعـالى قـابلاً لحلـول الحـوادث بذاته لما خلا عنها أو عن أضدادها وضد الحـادث، ومـا لا يخلـو عن الحــوادث فيجب أن يكــون حادثــاً، والــرب تعــالى ليس بحادث، قال: وهذه الحجة مبينة على خمس مقدمات:

الأولى: أن كل صفة حادثة لا بد لهـا من ضـد، والثانيـة: أن ضد الصفة الحادثة لا بد وأن يكون حادثاً، والثالثة: أن ما قبـل حادثاً فلا يخلـو عنـه وعن ضـده، والرابعـة: أن مـالا يخلـو عن الحوادث فهو حادث، والخامسة: أن الحدوث على الله تعـالى محال أما أن الـرب تعـالى ليس بحـادث فقـد سـبق تقريـره، قلت: هذا معلوم باتفاق أهل الملـل وسـائر العقلاء ممن أثبت الصانع، ومعلوم بالأدلة اليقينية بل معلوم بالضرورة، وقد ذكر انه قرر ذلك وهو لم يقرره، فإنه إنمـا قـرره بنـاء على إثبـات واجب الوجــود، وبــني ذلــك على نفي التسلسل في العلــل، وإبطال حوادث لا أول لها، وحجته على ذلك ضعيفة، وقد أورد

تبعض وعندكم لا يتبعض، ومن قال من أتباع الكلابية: بـأن النداء وغيره من الكلام القديم حروف أو حروف وأصوات لازمة (لذات الرب كمـا تقولـه السـالمية ومن)[1] وافقهم يقولون: إنه يخلق له إدراكا لتلك الحروف والأصوات.

والقرآن والسنة وكلام السلف قاطبة يقتضي أنه إنمـا ناداه وناجـاه حين، أتى لم يكن النـداء موجـودا قبـل ذلـك فضلا عن أن يكون قديما أزليا، وقال تعالى:

في كتابـه المسـمى بـدقائق الحقـائق على إبطـال تسلسـل العلل سؤالاً زعم أنه لا يعرف عنه جواباً فبطـل مـا ذكـره من تقريره لكن هذا بحمد الله أجـل من أن يحتـاج إلى مثـل هـذا التقرير، وقال: وأما أن ما لا يخلـو عن الحـوادث فهـو حـادث، فسيأتي تقريره في حـدوث الجـواهر، قلت: لم يقـرر ذلـك إلا بدليل حدوث الأعراض، وأنه يمتنـع وجـود حـوادث لا أول لهـا، وإنما قرر ذلك بإبطـال التسلسل في الآثـار، وقـرر ذلـك بـأن الحادث يمتنع أن يكون أزلياً، وقد تقدم فساد ذلك؛ بـأن لفـظ الحـادث يـراد بـه النـوع الـدائم، ويـراد بـه الحـادث المعين، والمعلوم امتناعه إنما هو النـوع الثـاني، والـنزاع إنمـا هـو في الأول). درء تعارض العقل والنقل (4/18).

1 () ومن جملة كتب ابن المطهـر: كتـاب مبـادئ الوصـول إلى علم الأصول، والبدء والتاريخ.

2 () أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمـد عبـد اللـه بن يوسـف الجويـني، ثم النيسـابوري، ضـياء الـدين، الشـافعي، صاحب التصانيف، ولد: في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة، قال الإمام الـذهبي: قـال المـازري في شـرح (البرهـان) في قوله: إن اللـه يعلم الكليـات لا الجزئيـات: وددت لـو محوتهـا بدمي، وقيل: لم يقل بهذه المسألة تصريحا، بل ألزم بها لأنه قـال بمسـألة الاسترسـال فيمـا ليس بِمُتَنَـاهٍ من نعيم أهـل الجنـة، فاللـه أعلم، قلت (أي الإمـام الـذهبي): هـذه هفـوة اعتزال، هجر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القشـيري لا يكلمه، ونفي بسببها، فجاور وتعبد، وتاب ولله الحمـد، كمـا أنه في الآخر رجح مذهب السلف في الصفات وأقـره، ولأبي المعالي كتاب (نهاية المطلب في المذهب)، وكتاب (الإرشـاد في أصـول الـدين)، وكتـاب (الرسـالة النظاميـة في الأحكـام

ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ[1]، وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما لم ينادهما قبل ذلك، وقال تعالى: ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ[2]، ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ[3]، فجعل النداء في يوم معين، وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن وهو حينئذ يناديهم، لم ينادهم قبل ذلك، وقال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ[4]، فبين أنه يحكم (فيحلل ما يريد)

الإسلامية)، توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، انظر سير أعلام النبلاء (18/468).

3 () الفلج: الظفر والفوز؛ وقد فلج الرجل على خصمه يفلج فلجا. وفي المثل: من يأت الحكم وحده يفلج. وأفلجه على خصمه: غلبه وفضله. وفالج فلانا ففلجه يفلجه: خاصمه فخصمه وغلبه. وأفلج الله حجته: أظهرها وقومها. انظر: لسان العرب(2/347)، مادة فلج.

1 () المخطوط: (يكن يلتفت)

2 () رعن: الرعونة: الحمق والاسترخاء، والرعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما، ومنه قيل للجيش العظيم: أرعن، ويقال: الجيش الأرعن هو المضطرب لكثرته، وقد جعل الطرماح ظلمة الليل رعونا، شبهها بجبل من الظلام، انظر لسان العرب، (13/182) مادة (رعن).

1 () في المخطوط: (وكيف) وهو تحريف

2 () في المطبوع: (من)

3 () انظر: الرد على الزنادقة والجهمية (ص: 11)، دار الثبات للنشر والتوزيع، 1424هـ.

4 () الأعراف 11

1 () آل عمران 59

2 () النمل 8

3 () القصص 30

1 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

2 () قال عبد الله بن كلاب: (إن الله سبحانه لم يزل متكلما وإن كلام الله سبحانه صفة له قائمة به وإنه قديم بكلامه وأن كلامه قائم به كما إن العلم قائم به والقدرة قائمة به

[1] ويحرم ما يريد ويأمر بما يريد، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهي متعلقا بإرادته، وينهى بإرادته ويحلل بإرادته ويحرم بإرادتـه، والكلابيـة يقولـون: ليس شـيء من ذلـك بإرادته، بل (قديم لازم)[2] لذاته غير مراد له ولا مقدور، و المعتزلة مع الجهمية يقولون: كـل ذلـك مخلـوق منفصـل عنه ليس له كلام قائم به لا بإرادته ولا بغير إرادتـه ومثـل هذا كثير في القرآن العزيز.

وهو قديم بعلمه وقدرتـه وأن الكلام ليس بحـروف ولا صـوت ولا ينقسـم ولا يتجـزأ ولا يتبعض ولا يتغـاير وأنـه معـنى واحـد بالله عز و جل). مقالات الإسلاميين (2/142)

3 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

4 () انظر: الملل والنحل(1/96).

5 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

6 () القاضي أبو بكر: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفـر بن قاسـم البصـري، ثم البغـدادي، ابن البـاقلاني، صـنف في الـــرد على الرافضـــة، والمعتزلـــة، والخـــوارج والجهميـــة والكراميـة، وانتصـر لطريقـة أبي الحسـن الأشـعري، وقـد يخالفه في مضائق، فإنـه من نظرائـه، وقـد أخـذ علم النظـر عن أصحابه، أخذ المعقول عن أبي عبد الله محمـد بن أحمـد بن مجاهد الطائي صـاحب أبي الحسـن الأشـعري. مـات في ذي القعدة، سنة ثلاث وأربع مائـة، وصـلى عليـه ابنـه حسـن. انظر سير أعلام النبلاء (17/191).

7 () وقد ذكـر الأشـعري في المقـالات أقـوال النـاس في كلام الله هل يسمع؟ أو لا يسمع؟ فـذكر عـدة أقـوال حيث يقـول: (واختلفوا في كلام الله - سبحانه: هل يسمع أم لا يسمع؟
1 - فقال قائلون: ليس يسمع كلام الله إلا بمعنى أنـا نفهمـه، وإنما نسمعه متلواً أي نسمع تلاوته وأن موسى عليـه السـلام سمعه من الله عز وجل.
2 - وقال قائلون: لسنا نسمع كلام الله بأسـماعنا، ولا نسـمع أيضاً كلام البشر بأسماعنا، وإنما نسمع في الحقيقـة الشـيء المتكلم متكلماً، فموسى سمع الله سبحانه متكلماً، ولا سـمع كلامـاً في الحقيقـة وأنـه يسـتحيل أن يسـمع مـا ليس بقـائم بنفسه.

فصل

وكـذلك في الإرادة و المحبة كقولـه تعـالى: [illegible][1]، وقوله: ﴿گـگگـگ ںںڻـٹ ٹ [illegible]﴾[2]، وقوله: ﴿ۇ ۆۆ ۈۈ ۋ﴾[3]، وقوله: [illegible][4]، وقوله: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋۋ﴾[5]، وقوله: ﴿ٹٹ ٹ أمثالهم تبديلا﴾[6]، وقوله: ﴿ى ى [illegible]﴾[7]، وأمثال ذلك في القرآن العزيز.

فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال مثل ((إن)) و((أن))[8]، وكـذلك ((إذا)) ظـرف لمـا يسـتقبل

---

3 - وقــال قــائلون: المســموع هــو الكلام أو الصــوت وكلام البشــر يســمع في الحقيقــة وكــذلك كلام اللــه نســمعه في الحقيقة إذا كان متلواً وأنه هـذه الحـروف الـتي نسـمعها، ولا نسمع الكلام إذا كان محفوظاً أو مكتوباً.

4 - وقــال قــائلون: لا مســموع إلا الصــوت وأن كلام اللــه سبحانه يسمع لأنـه صـوت، وكلام البشـر لا يسـمع لأنـه ليس بصوت إلا على معنى دلائله التي هي أصوات مقطعـة تسـمع وهذا قول النظام). انظر: مقالات الإسلاميين (2/423).

1 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

1 () الأعراف 22

2 () النمل 8

3 () القصص 62

4 () المائدة 1

1 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

2 () في المخطوط (قديمة لازمة)

1 () يس 82

2 () الكهف 23 ـ 24

3 () الفتح 27

4 () الإسراء 16

5 () الرعد 11

6 () الانسان 28

7 () الإسراء 86

8 () انظر علـل النحـو لابن الـوراق (ص: 190ـ 199)، مكتبـة الرشد، الرياض، 1420هـ، وانظر كتاب نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي، (ص: 105)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ.

من الزمان[1]، فقوله: ﴿إذا أراد ﴾ و ﴿إن شاء الله﴾ ونحــو ذلــك يقتضــي حصــول إرادة مســتقبلة (و)[2] مشــيئة مستقبلة، وكـذلك في المحبـة والرضـا قـال اللـه تعـالى: ﴿ﭬﭭﭮ ﭯ ﭰﭱ﴾[3]، فإن هـذا يـدل على أنهم إذا اتبعـوه أحبهم الله، فإنه جزم قوله: ﴿يحببكم﴾ به، فجزمــه جوابـا للأمــر، وهــو في معــنى الشــرط فتقــديره: إن تتبعــوني يحببكم الله، ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكــون بعده لا قبله[4]، فمحبة اللــه لهم إنمـا تكـون بعـد اتبـاعهم للرسول، والمنازعون: منهم من يقول[5]: ما ثم محبة، بل المـراد ثوابـا مخلوقـا، ومنهم من يقـول[6]: بـل ثم محبـة قديمة أزلية، إما الإرادة، وإما غيرها[7].

والقرآن يدل على قول السـلف أئمـة السـنة المخـالفين للقولين، وكـذلك قولـه: ﴿ﭶﭷﭸﭹﭺ﴾[8]، فإنــه يــدل على أن أعمالهم أسخطته، فهي سـبب لسـخطه، وسـخطه عليهم

واللباب في علل البناء والإعراب (2/32)، دار الفكر دمشــق، 1416هـ.

1 () انظــر اللمحــة في شــرح الملحــة لابن الصــائغ (1/446)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة، 1424هـ.

2 () في المخطوط: (أو).

3 () آل عمران 31

4 () انظر شـرح ابن عقيـل على ألفيـة ابن مالـك (3/42)، دار التراث القاهرة، 1400هـ.

5 () هم الجهمية الذين يتأولون محبة اللـه ورضـاه بـزعمهم مـا يصيب الناس من العافية والسلامة والخصـب والدعـة، انظـر نقض الإمــام أبي ســعيد عثمــان بن ســعيد على المريســي الجهمي (2/866)، تحقيق: رشـيد بن حسـن الألمعي، مكتبـة الرشد للنشر والتوزيع 1418هـ.

6 () هم الكلابية الذين يقولون: إن الله قـديم لم يـزل بأسـمائه وصفاته، انظر: مقالات الإسلاميين (1/138).

7 () انظر مقالات الإسلاميين (2/388)

8 () محمد 28

بعد الأعمال، لا قبلها، وكذلك قولـه: ﴿ﮩ ﮪ ﮫﮬ﴾[1]، وكـذلك قوله: ﴿ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ﴾[2] علق الرضا بشكرهم، وجعله مجزوما جزاء له، وجـزاء الشـرط لا يكون إلا بعده[3]، وكذلك قوله: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ﴾[4]، و﴿ﮕ ﮖ﴾[5]، و﴿يحب ﭬ﴾[6] و﴿ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ﴾[7]، ونحو ذلك، فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال، وهي جزاء لهـا، والجزاء إنما يكون بعد العمل والمسبب.

---

1 () الزخرف 55

2 () الزمر 7

3 () انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (3/42).

4 () البقرة 222

5 () التوبة 7

6 () المائدة 42

7 () الصف 4

فصل

وكذلك السمع والبصر والنظر، قـال اللـه تعـالى: ﴿ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ﴾[1][2] هذا في حـق المنـافقين[3]، وقـال في حـق التائبين[4]: ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴾[5][6]، وقوله ﴿ ﯛ ﯜ ﯝ﴾ دليل على أنه يراها بعد نزول هذه الآية الكريمة، والمنـازع إمـا أن ينفي الرؤية[7]، وإمـا أن يثبت رؤيـة قديمـة أزلية[8]، وكذلك قولـه: ﴿ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ﴾[9]، ولام ((كي)) تقتضـي أن ما بعدها متأخر عن المعلول فنظره كيف يعملون هو بعـد جعلهم خلائف[10].

---

1 () وفي المطبـوع والمخطـوط: ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ﴾ [التوبـة: 105]، ولكن يظهر من سياق الآية ومن كتب التفسير أن الآيـة الـتي أنـزلت في حـق المنـافقين هي هـذه الآيـة رقم: 94، والـتي أنـزلت في حـق التـائبين هي الـتي بعـدها رقم: 105، والآيـة الكاملة: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ﴾[التوبة: 94].

2 () التوبة 94

3 () انظر تفسير الطبري (11/628)، وانظر تفسير ابن كثير (4/201).

4 () انظر تفسـير الطـبري (11/667)، وانظـر تفسـير البحـر المحيـط (5/501)، دار الفكـر بـيروت، 1420 هــ، وانظـر تفسير ابن كثير (4/209).

5 () وسياق الآية: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ﴾، فيظهر جليا أن هذه الآية في حق التائبين والتي قبلها في حق المنافقين.

6 () التوبة 105

7 () ومنهم المعتزلـة الـذين ينفـون السـمع والبصـر عن اللـه تعالى، انظر مقالات الإسلاميين(1/135).

8 () وهم الكلابية الذين يقولون لم يـزل اللـه عالمـا قـادرا حيـا سميعا بصيرا، وأنه قديم لم يزل بأسمائه وصفاته كما تقدم.

9 () يونس 14

10 () انظر كتـاب اللامـات لعبـد الـرحمن بن إسـحاق البغـدادي، ص: (66)، دار الفكر، دمشق، 1405هـ.

وكذلك ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ﴾[1]، أخبر أنه يسمع تحاورهما حين كانت تجادل وتشتكي إلى الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد يسمع الله لكم)[2]، فجعل سمعه لنا جزاء وجوابا للحمد، فيكون ذلك بعد الحمد، والسمع (متضمن)[3] مع سمع القول قبوله وإجابته، ومنه قول الخليل: ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ﴾[4]، وكذلك قوله: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ﴾[5]، وقوله لموسى: ﴿ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ﴾[6].

والمعقول الصريح يدل على ذلك فإن المعدوم لا يرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء، لكن قال من قال من السالمية[7]: إنه يسمع ويرى موجودا في علمه لا موجودا بائنا عنه[8]، ولم يقل إنه يسمع ويرى بائنا عن الرب، فإذا خلق العباد، وعملوا وقالوا، فإما أن نقول: إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم، وإما لا يرى ولا يسمع، فإن نفى ذلك فهو تعطيل لهاتين الصفتين وتكذيب للقرآن، وهما صفتا كمال لا نقص فيه، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر، والمخلوق يتصف بأنه يسمع ويبصر، فيمتنع اتصاف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق سبحانه وتعالى، وقد عاب الله تعالى من يعبد من لا يسمع ولا يبصر في غير موضع، ولأنه حي والحي إذا لم

---

1 () المجادلة 1
2 () أخرجه مسلم في صحيحه (1/303)، رقم الحديث: (404)، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.
3 () في المطبوع (يتضمن)
4 () إبراهيم 39
5 () آل عمران 181
6 () طه 46
7 () تقدم ذكر قوله.
8 () لأن السالمية سلكت مسلك الكلابية في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة والصفات الاختيارية وأن الرب يقوم به الأول دون الثاني، انظر الكيلانية ضمن مجموع الفتاوى (12/367).

يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك وهو العمى والصمم، وذلك ممتنع وبسط هذا له موضع آخر[1].

وإنما المقصود هنا أنه إذا كان يسمع ويبصر الأقوال والأعمال بعد أن وجدت، فإما أن يقال: إنه تجدد وكان لا يسمعها ولا يبصرها فهو بعد أن خلقها لا يسمعها ولا يبصرها، وإن تجدد شيء: فإما أن يكون وجودا أو عدما؛ فإن كان عدما فلم يتجدد شيء، وإن كان وجودا فإما أن يكون قائما بذات الله أو قائما بذات غيره، والثاني يستلزم أن يكون ذلك الغير هو الذي يسمع ويرى؛ فيتعين أن ذلك السمع والرؤية الموجودين قائم بذات الله وهذا لا حيلة فيه.

والكلابية يقولون في جميع هذا الباب: المتجدد هو تعلق بين الأمر والمأمور، وبين الإرادة والمراد، وبين السمع والبصر، والمسموع والمرئي[2]، فيقال لهم: هذا (التعلق)[3] إما أن يكون وجودا وإما أن يكون عدما، فإن كان عدما فلم يتجدد شيء، فإن العدم لا شيء، وإن كان وجودا بطل قولهم، وأيضا فحدوث تعلق هو نسبة وإضافة من غير حدوث ما يوجب ذلك ممتنع، فلا يحدث نسبة وإضافة إلا بحدوث أمر وجودي يقتضي ذلك.

---

1 () انظر مثلا الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (6/88)، مجمع الملك فهد، 1416هـ.

2 () انظر شرح قول ابن كلاب في كتاب مقالات الإسلاميين، (2/398)، ودرء تعارض العقل والنقل (3/238).

3 () في المخطوط (التعليق)

وطائفة منهم ابن عقيل[1] يسمون هذه النسبة أحوالا[2]، والطوائف متفقون على حدوث نسب وإضافات وتعلقات لكن حدوث النسب بدون حدوث ما يوجبها ممتنع، فلا يكون نسبة وإضافة إلا تابعة لصفة ثبوتية، كالأبوة والبنوة والفوقية والتحتية والتيامن والتياسر فإنها لا بد أن تستلزم أمورا ثبوتية، وكذلك كونه خالقا ورازقا ومحسنا وعادلا فإن هذه أفعال فعلها بمشيئته وقدرته (إذ)[3] كان يخلق بمشيئته، ويرزق بمشيئته، ويعدل بمشيئته، ويحسن بمشيئته.

والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق، فالخلق فعل الخالق، والمخلوق[فكل][4] مفعوله[5]؛ ولهذا كان النبي صلى الله

---

1 () ابن عقيل هو: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة، وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان، فانحرف عن السنة، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، توفي بكرة الجمعة، ثاني عشر جمادى الأولى، سنة ثلاث عشرة وخمس مائة. انظر سير أعلام النبلاء (19/443)

2 () الأحوال هي: حالة لا توصف بالوجود ولا بالعدم كما عرفه الشهرستاني، وقال ابن حزم هي: صفات ليست حقا ولا باطلا ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (1/83)، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (5/31).

3)3) في المخطوط (إذا)

4 () ما بين المعقوفين سقطت من المطبوع.

5 () قال الإمام البخاري رحمه الله في كتابه خلق أفعال العباد: ((وأما الفعل من المفعول، فالفعل إنما هو إحداث الشيء، والمفعول هو الحدث لقوله: ﴿ ٻ ٻ ٺ﴾ [الأنعام: 1] فالسموات والأرض مفعوله، وكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول، فتخليق السموات فعله؛ لأنه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل. . . . وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله تعالى: ﴿ ﴾ ٻ ٻ

عليه وسلم يستعيذ بأفعال الـرب وصـفاته كمـا في قولـه صلى الله عليه وسلم: ((أعـوذ برضـــاك من سخـــطك، وبمعافـــاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كمـا أثـنيت على نفسك))[1] فاسـتعاذ بمعافاتـه كمـا استعاذ برضاه.

وقد استدل أئمة السنة كأحمـد وغـيره[2] على أن كلام الله غير مخلوق بأنـه اسـتعاذ بـه فقـال صـلى اللـه عليـه وسلم: ((من نـــزل منزلا فقـــال: أعوذ بكـلمات اللـه

ٻ ٻپ ڀ ٻ ٻ پ ڀ ٻ ٻ ٿ ٿ [الملك: 13]، انظر كتـاب خلـق أفعـال العبـاد (113)، دار المعـارف السـعودية، الريـاض، وقـال أيضـا الإمـام الـذهبي بعـد بيـان أقـوال بعض الفـرق: (لكن الجمهـور يقولـون الخلـق غـير المخلـوق وهـو مذهب الحنفية وهـذا ذكـره عن أهـل السـنة) انظـر: المنتقى من منهاج الاعتدال (ص: 51)، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلميــة، الريــاض، 1413هـــ، وكــذلك قــال قــوام الســنة إســماعيل الــتيمي: ((وحين رأيت قــوام الإســلام بالتمســك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت، والوقيعة في أهل السنة قد فشت، ورأيت اتبـاع السـنة عنـد قـوم نقيضـة، والخـوض في الكلام درجـة رفيعـة، رأيت أن أملي كتابـا في السـنة يعتمـد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقـاد أئمـة السلف، وأهل السنة في الأمصار، والراسـخين في العلم في الأقطار، ليلزم المرء اتباع الأئمـة الماضـين، ويجـانب طريقـة المبتدعين، ويكون من صالحي الخلف لصالحي السلف ـ إلى أن قال ـ والخلق غير المخلوق، فـالخلق صـفة قائمـة بذاتـه، والمخلوق هو الموجود المخترع لا يقوم بذاتـه، وأن الصـفات الصـادرة عن الأفعـال موصـوف بهـا في القـدم، وإن كـانت المفعولات محدثة، خلافا لمن يقول: إن الخلق هو المخلـوق. انظر: الحجة في بيان المحجة (1/327)، دار الراية، الرياض، 1419هـ.

[1] () أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (1/352)، رقم الحديث: (486).

[2] () وذكـر ابن بطـة العكـبري في كتابــه: الإبانــة عن شــريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، بـاب مـا جـاءت بـه السنة عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وعن أصـحابه بـأن

التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك))[1] فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوقة لأنه استعاذ[2] (بهما)[3]، والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقة فإنها نتيجة معافاته.

وإذا كان الخلق فعله والمخلوق مفعوله، وقد خلق الخلق بمشيئته، دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته.

القرآن كلام الله، ثم ذكر الحديث: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين: (أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة) الإبانة (5/224،ـ 257)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

والبخاري في كتابه خلق أفعال العباد: باب ما كان النبي يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره، وقال نعيم: (لا يستعاذ بالمخلوق، ولا بكلام العباد والجن والإنس والملائكة، وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق، وأن سواه مخلوق)، خلق أفعال العباد (ص: 96).

والإمام النسائي في كتابه النعوت والأسماء تحت عنوان: السؤال بأسماء الله عز وجل وصفاته والاستعاذة بها، ثم ذكر أيضا: كلمات الله سبحانه وتعالى، وذكر الحديث: (أنه كان يعوذ الحسن والحسين أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن شر عين لامة)، انظر: النعوت والأسماء (1/321)، مكتبة العبيكان، السعودية، 1419هـ.

1 () أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم الحديث: (2708)، (4/2080).

2 () والحديث أخرجه مسلم(1/352)، رقم الحديث: (486)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، عن أبي هريرة، عن عائشة، قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: ((اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)).

وقد حكى البخاري إجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق[1]، وعلى هذا يدل صريح المعقول، فإنه قد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث، كائن بعد أن لم يكن، وأن الله انفرد بالقدم والأزلية، وقد قال تعالى: ﴿ڃ ڃ ڇ ڇ چ چ چ چ ﮃ﴾[2] فهو حين خلق السموات ابتداء؛ إما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقا للسموات والأرض، وإما أن لا يحصل منه فعل، بل وجدت المخلوقات بلا فعل، ومعلوم أنه إذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها سواء وبعده سواء، لم يجز تخصيص خلقها بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص.

وأيضا فحدوث المخلوق بلا سبب حادث ممتنع في بداية[3] العقل، وإذا قيل: الإرادة والقدرة خصصت، قيل: نسبة الإرادة القديمة إلى جميع الأوقات سواء، وأيضا فلا تعقل إرادة تخصيص أحد المتماثلين إلا بسبب يوجب التخصيص، وأيضا فلا بد عند وجود المراد من سبب يقتضي حدوثه وإلا فلو كان مجرد ما تقدم من الإرادة والقدرة كافيا؛ للزم وجوده قبل ذلك لأنه مع الإرادة التامة والقدرة التامة يجب وجودالمقدور.

وقد احتج من قال: الخلق هو المخلوق كأبي الحسن[4]

---

3 () في المخطوط (به)

1 () تقدم قريبا قوله رحمه الله.

2 () الفرقان 59

3 () في المخطوط والمطبوع: (بداية)، وليست (بدائه).

4 () لأن الأشاعرة ينفون الصفات الاختيارية والخلق من الصفات الاختيارية، بدليل استحالة حلول الحوادث أو قبول الأعراض لله سبحانه كما قال الجويني: (فصل في عدم قبول الله للأعراض مما يخالف الجوهر فيه حكم الإله، قبول الأعراض وصحة الاتصاف بالحوادث، والرب سبحانه وتعالى يتقدس عن قبول الحوادث ـ إلى أن قال ـ أنه لو قبل الحوادث لم يخل منها، لما سبق تقريره في الجواهر، حيث قضينا باستحالة تعريها عن الأعراض، وما لم يخل من الحوادث لم يسبقها، وينساق إلى الحكم بحدث الصانع) انظر: الإرشاد (ص: 45)، مكتبة الخانجي، مصر، 1369هـ،

ومن اتبعه[1] مثل ابن عقيل بأن قالوا: لو كان غيره لكان إما قديما وإما حادثا فإن كان قديما لزم قدم المخلوق لأنهما متضايفان، وإن كان حادثا لزم أن (يقوم)[2] به الحوادث، ثم ذلك (الخلق)[3] يفتقر إلى خلق آخر ويلزم التسلسل[4]، فأجابهم الجمهور وكل طائفة على أصلها، فطائفة قالت: الخلق قديم وإن كان المخلوق حادثا، كما يقول ذلك كثير من أهل المذاهب الأربعة وعليه أكثر

وانظر المنتقى للذهبي (ص: 47)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، 1413هـ.

1 () ومن الذين قالوا الخلق هو المخلوق إبراهيم النظام حيث يقول: (الخلق من الله سبحانه الذي هو تكوين هو المكون وهو الشيء المخلوق. . . وقال الجبائي: (الخلق هو المخلوق والإرادة من الله غير المراد وفعل الإنسان هو مفعوله وإرادته غير مراده. . . وأظن أن مثبتا ثبت الخلق هو المخلوق والإعادة غير المعاد) انظر مقالات الإسلاميين (2/272)، وقال الباقلاني: (فلو كان القرآن مخلوقا لكان خلقا لأن الخلق هو المخلوق)، انظر تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل (271)، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1407هـ. وكذلك الآمدي حيث قال: (ثم الخلق بمعنى الإيجاد، والاختراع، هل هو نفس المخلوق، أو غيره؟ اختلفوا فيه، فذهبت الأئمة من المتكلمين، وأهل الحق إلى أن الخلق هو نفس المخلوق، والإيجاد هو نفس الموجود، والإحداث نفس المحدث) انظر أبكار الأفكار (3/232)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1424هـ، وكذلك فرقة من الروافض يقولون: (أن الخلق هو المخلوق، وأن الباقي يبقى لا ببقاء، وأن الفاني يفنى لا بفناء) انظر: مقالات الإسلاميين (1/61)

2 ()في المطبوع: (تقوم)

3 ()في المطبوع (المخلوق)

4 () كما قال الآمدي: (وأما المعقول: فهو أن الخلق لو كان صفة زائدة على نفس المخلوق، لم يخل: إما أن يكون وجودا، أو لا وجود، لا جائز أن يكون لا وجود، فإن نقيض الخلق لا خلق، ولا خلق عدم؛ لاتصاف المعدوم المستحيل به؛ فكان الخلق وجودا، وإذا كان وجودا: فإما قديم، أو

الحنفية[1]، قال هؤلاء: أنتم تسلمون لنا أن الإرادة قديمة أزلية، والمراد محدث؛ فنحن نقول في الخلق ما قلتم في الإرادة[2]، وقالت طائفة: بل الخلق حادث في ذاته ولا يفتقر إلى خلق آخر، بل يحدث بقدرته، وأنتم تقولون: إن المخلوق يحصل بقدرته بعد أن لم يكن فإن كان المنفصل يحصل بمجرد القدرة فالمتصل به أولى، وهذا جواب كثير من الكرامية والهشامية وغيرهم[3].

حادث، لا جائز أن يكون قديما، وإلا لزم قدم المخلوق ضرورة استحالة الخلق، ولا مخلوق، وإن كان حادثا: استدعى خلقا آخر، والكلام فيه، كالكلام في الأول؛ وهو تسلسل، أو دور ممتنع) انظر أبكار الأفكار (2/233)

1 () انظر: درء تعارض العقل والنقل (1/347).

2 () وفي هذا يقول أبو بكر الكلاباذي الحنفي: (ولا يفرقون بين صفة هي فعل وبين صفة لا يقال إنها فعل نحو العظمة والجلال والعلم والقدرة، وكذلك إنه لما ثبت أنه سميع بصير قادر خالق بارئ مصور، وأنه مدح له، فلو استوجب ذلك بالخلق والمصور والمبرئ؛ لكان محتاجا إلى الخلق، والحاجة أمارة الحدث، وأخرى أن ذلك يوجب التغير والزوال من حال إلى حال، فيكون غير خالق ثم يكون خالقا، وغير مريد ثم يكون مريدا، وذلك نحو الأفول الذي انتفى منه خليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﭽ ﭾ ﭿ [الأنعام: 76]، والخلق والتكوين والفعل صفات لله تعالى وهو بها في الأزل موصوف، والفعل غير المفعول، وكذلك التخليق والتكوين، ولو كانا جميعا واحدا لكان كون المكونات بأنفسها، لأنه لم يكن من الله إليها معنى سوى أنها لم تكن فكانت، ومنع بعضهم من أن يكون فيما لم يزل خالقا وقال إنه يوجب كون الخلق معه في القدم) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: 37)، دار الكتب العلمية، بيروت، وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي حيث نقل فيه هذا الخلاف ثم بين عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: 124).

3 () فالكرامية الذين يرون جواز قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى، ومن أصلهم أن ما يحدث في ذاته فإنما يحدث بقدرته، وما يحدث مباينا لذاته فإنما يحدث بواسطة الإحداث،

وطائفة يقولون: هب أنه يفتقر إلى فعل قبله فلم قلتم: إن ذلك ممتنع؟ (وقولهم)[1]: هذا تسلسل، فيقال: ليس هذا (تسلسلا)[2] في الفاعلين والعلل الفاعلة، فإن هذا ممتنع باتفاق العقلاء، بل هو تسلسل في الآثار والأفعال وهو حصول شيء بعد شيء، وهذا محل النزاع[3].

فالسلف يقولون: لم يزل متكلما إذا شاء[4]، وقد قال تعالى:

ويعنون بالإحداث: الإيجاد والإعدام الواقعين في ذاته بقدرته من الأقوال والإرادات، ويعنون بالمحدث: ما بين ذاته من الجواهر والأعراض، ويفرقون بين الخلق والمخلوق، والإيجاد والموجود والموجد، وكذلك بين الإعدام والمعدوم. فالمخلوق إنما يقع بالخلق، والخلق إنما يقع في ذاته بالقدرة، والمعدوم إنما يصير معدوما بالإعدام الواقع في ذاته بالقدرة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني(1/109)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: 130)، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1418هـ.

1 () في المطبوع (وقولكم)

2 () في المطبوع (تسلسل)

3 () قال ابن أبي العز (والتسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة؛ ليجب مراعاة لفظه وهو ينقسم إلى واجب وممتنع وممكن؛ فالتسلسل في المؤثرين محال ممتنع لذاته وهو أن يكون مؤثرون كل واحد منهم استفاد تأثيره مما قبله لا إلى غاية، والتسلسل الواجب: ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه فإنه لم يزل متكلما إذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت: الفعل، ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي الفعال، وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال ولم يكن ربنا تعالى قط في وقت من الأوقات معطلا عن كماله من الكلام والإرادة والفعل، وأما التسلسل الممكن:

ې ى ى ئ ئ [5]، فكلمات الله لا نهاية لها وهـذا تسلسـل جـائز كالتسلسـل في المسـتقبل فإن نعيم الجنة دائم لا نفـاد لـه فمـا من شـيء إلا وبعـده شيء لا نهاية له.

فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطـرف كمـا تتسلسـل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حيا قـادرا مريـدا متكلمـا، وذلـك من لوازم ذاته؛ فالفعل ممكن له بموجب هـذه الصـفات لـه، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل، ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه؛ فإنه سبحانه متقدم على كل فـرد من مخلوقاتـه تقدما لا أول له؛ فلكل مخلـوق أول، والخـالق سـبحانه لا أول له؛ فهو وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق كـائن بعـد أن لم يكن) انظــر شــرح العقيــدة الطحاويــة لابن أبي العــز (ص: 130)، وانظر هذه العقيدة بالتفصـيل في مجمـوع الفتـاوى (16/373).

4 () قال الإمام اللالكائي: (أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمـد، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، قال: ثنا حنبـل، قـال: قلت لأبي عبد الله: يكلم الله عبده يوم القيامة؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلق إلا الله، يكلمـه اللـه عـز وجـل، ويسـأله اللـه عـز وجـل، متكلم لم يـزل بمـا شـاء ويحكـم، وليس للـه عـدل ولا مثل تبارك وتعالى كيف شاء وأنى شاء) انظـر: شـرح أصـول اعتقاد أهل السنة (3/479)، دار طيبة، السعودية، 1423هــ، وقال ابن أبي العز: (أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومــتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصـوت يسـمع وأن نـوع الكلام قـديم وإن لم يكن الصـوت المعين قـديما وهـذا المـأثور عن أئمة الحديث والسنة) انظر: أقوال النـاس في مسـألة الكلام في شرح العقيدة الطحاوية (ص: 126).

5 () الكهف 109

فصل

والأفعال نوعان: متعد ولازم : فالمتعدي مثل: الخلق والإعطاء ونحو ذلك، واللازم: مثل الاستواء والنزول والمجيء والإتيان، قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ[1]، فذكر الفعلين: المتعدي واللازم، وكلاهما حاصل بقدرته ومشيئته[2]، وهو متصف به، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع[3].

---

1 () الحديد 4

2 ()في المطبوع: (بمشيئته وقدرته)

3 () ذكر ابن تيمية تفصيل هذه المسألة في مجموع الفتاوى حيث قال: والفعل نوعان: لازم ومتعد، والنوعان في قوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ، فالاستواء والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول؛ بل هي قائمة بالفاعل والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع والهدى والنصر والتنزيل ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول.

والناس في هذين النوعين على ثلاثة أقوال: منهم من لا يثبت فعلا قائما بالفاعل لا لازما ولا متعديا أما اللازم فهو عنده منتف وأما المتعدي: كالخلق فيقول: الخلق هو المخلوق أو معنى غير المخلوق وهذا قول الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم كالأشعري ومتبعيه وهذا أول قولي القاضي أبي يعلى وقول ابن عقيل، وكثير من المعتزلة يقولون: الخلق هو المخلوق، وآخرون يقولون: هو غيره، لكن يقولون: بأن الخلق له خلق آخر كما يقوله معمر بن عباد، ويسمون أصحاب المعاني المتسلسلة، ومنهم من يقول: الخلق هو نفس الإرادة كما يقوله من يقوله من بعض المعتزلة من أهل البصرة.

والقول الثاني: أن الفعل المتعدي قائم بنفسه دون اللازم فيقولون: الخلق قائم بنفسه ليس هو المخلوق، وهم على قولين: منهم من جعل ذلك الفعل حادثا ومنهم من يجعله قديما فيقول التخليق والتكوين قديم أزلي. وهؤلاء منهم من يجعل عين التخليق شيئا واحدا هو قديم والمخلوقين مادته، ولكنه قديم أزلي ولا يثبتون نزولا قائما بنفسه ولا استواء، لأن هذه حوادث وهذا قول: الكلابية الذين يقولون: فعله قديم مثل كلامه كما قال أصحاب ابن خزيمة وهو قول كثير

والمقصود هنا: أن القرآن يدل على هذا الأصل في أكثر من مائة موضع، وأما الأحاديث الصحيحة فلا يمكن ضبطها في هذا الباب كما في الصحيحين: عن زيد بن خالد الجهني[1] أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه صلاة الصبح بالحديبية[2]على إثر سماء[3] كانت من الليل ثم قال: ((أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر

من الحنفية والحنبلية والمالكية والشافعية ومنهم من يجعل القديم هو النوع وأفراده حادثة، فعلى هذا القول يكون الفعل نفسه مقدورا وأما على قول من يجعله شيئا معينا فهؤلاء إن قالوا قديم تناقضوا ولزمهم أن يكون القديم المعين مقدورا وإن قالوا هو غير مقدور تناقضوا، لأن الفعل يجب أن يكون مقدورا والله أعلم.

والقول الثالث إثبات الفعلين: اللازم والمتعدي كما دل عليه القرآن فنقول: إنه كما أخبر عن نفسه أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وهو قول السلف وأئمة السنة وهو قول من يقول: إنه تقوم به الصفات الاختيارية كأصحاب أبي معاذ وزهير البابي وداود بن علي والكرامية وغيرهم من الطوائف وإن كانت الكرامية يقولون بأن النزول والإتيان أفعال تقوم به، وهؤلاء يقولون: يقدر على أن يأتي ويجيء وينزل ويستوي ونحو ذلك من الأفعال كما أخبر عن نفسه وهذا هو الكمال. انظر: مجموع الفتاوى (8/19)

1 () زيد بن خالد الجهني، صحابي جليل، اختلف في كنيته وفي وقت وفاته وسنه اختلافا كثيرا، فقيل: يكنى أبا عبد الرحمن. وقيل: أبا طلحة. وقيل: أبا زرعة، شهد الحديبية، وكان صاحب لواء جهينة يوم الفتح، توفي بالمدينة سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين، وقيل: بل مات بمصر سنة خمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وقيل: توفي بالكوفة في آخر خلافة معاوية وغيره من الأقوال. انظر: الاستيعاب (3/55)، دار الجبل، بيروت، 1412هـ، وانظر: الإصابة في تميز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

2 () (الحديبية) بضم الحاء، وفتح الدال، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء اختلفوا فيها فمنهم من شددها، ومنهم من خففها، وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه

(بالكوكب)[1]، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن (بالكوكب)[2][3].

وفي الصحاح -حديث الشفاعة- فيقول كل من الرسل إذا أتوا إليه (إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله)[4] فقال كل منهم: (إن ربي قد غضب اليوم) وهذا بيان أن الغضب حصل في ذلك اليوم لا قبله.

وسلم تحتها، وقال الخطابي في أماليه: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وقال محمد بن موسى الخوارزمي: اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم عمرة الحديبية ووادع المشركين لمضي خمس سنين وعشرة أشهر للهجرة النبوية. انظر: معجم البلدان (2/ 229)، دار صادر، بيروت، 1397هـ.

3 () قوله: (على إثر) بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور، وهو: ما يعقب الشيء، قوله: (سماء) أي: مطر، وأطلق عليه سماء لكونه ينزل من جهة السماء، وكل جهة علو تسمى سماء. انظر فتح الباري (3/523).

1 () في المطبوع (بالكواكب)، وما أثبته من المخطوط هو الموافق لما في مصادر السنة.

2 () في المطبوع (بالكواكب)، وما أثبته من المخطوط هو الموافق لما في مصادر السنة.

3 () أخرجه البخاري(1/169)، رقم الحديث: (846)، كتاب الآذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم في صحيحه(1/83)، كتاب الإيمان، رقم الحديث: (71)، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

4 () حديث الشفاعة حديث طويل مروي عن عدد من الصحابة من وجوه عدة بألفاظ متقاربة، انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿...﴾[الإسراء: 3]، رقم الحديث: (4712)ـ (6/84)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث: (194)، (1/184).

وفي الصحيح: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجر السلسلة على الصفوان[1][2] فقوله: (إذا تكلم الله بالوحي سمع) يدل على أنه يتكلم به حين يسمعونه، وذلك ينفي كونه أزليا، وأيضا فما يكون كجر السلسلة على الصفا يكون شيئا بعد شيء والمسبوق بغيره لا يكون أزليا.

وكذلك في الصحيح (يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي [نصفين][3]نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ﴾، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ﭜ ﭝ﴾، قال الله: أثنى علَيَّ عبدي، فإذا قال: ﴿ ﭟ ﭠ ﭡ﴾، قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾، قال الله: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ

[1] ()الصفا: العريض من الحجارة، الأملس، جمع صفاة، يكتب بالألف، وإذا ثني قيل: صفوان. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (12/175)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

[2] () أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا بألفاظ متقاربة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ﴾[سبأ: 23]، ولم يقل: ماذا خلق ربكم، وقال جل ذكره: ﴿ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ﴾ [البقرة: 255] وقال مسروق، عن ابن مسعود: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئا، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق)، (9/141)، وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب في القرآن، رقم الحديث: (4738)، (4/235)، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد، باب من صفة تكلم الله عز وجل بالوحي والبيان (1/349)، مكتبة الرشد، الرياض، 1414هـ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في إسماع الرب عز وجل بعض ملائكته كلامه الذي لم يزل به موصوفا ولا يزال به موصوفا، رقم الحديث: (432)، (1/510)، مكتبة السوادي، جدة، 1413هـ، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: السلسلة الصحيحة، رقم الحديث: (1293)، (3/283).

[3] () ما بين المعوقوفين سقط من المخطوط.

ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ قال الله: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل))[1] فقد أخبر أن العبد إذا قال: الحمد لله، قال الله: (حمدني)، فإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله: (أثنى عليّ عبدي) الحديث.

وفي الصحاح -حديث النزول-: ((ينزل ربنا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))[2]، فهذا قول وفعل في وقت معين، وقد اتفق السلف على أن النزول فعل يفعله الرب كما قال

1 () أخرجه مسلم في صحيحه (1/296)، رقم الحديث: (395)، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ، رقم الحديث: (7494)، (9/143)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم الحديث: (758)، (1/531).

ذلك الأوزاعي[1]، وحماد بن زيد[2]، والفضيل بن عياض[3]، وأحمد بن حنبل[4] وغيرهم[5].

وأيضا فقد قال صلى الله عليه وسلم (لله)[6] أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة[7] إلى قينته))[8]، وفي الحديث الصحيح الآخر (ما أذن الله لشيء كأَذَنِهِ لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)[9] أذن يأذن أذنا أي استمع يستمع

---

1 () الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي، ولد سنة ثمان وثمانين، وكان خيرا، فاضلا، مأمونا، كثير العلم والحديث والفقه، حجة، قال إسماعيل بن عياش: سمعت الناس في سنة أربعين ومائة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة، توفي: سنة سبع وخمسين ومائة، انظر: سير أعلام النبلاء (7/108).

قال الأوزاعي لما سئل عن حديث النزول: (يفعل الله ما يشاء). انظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لأبي عبد الله بدر الدين الشافعي(ص: 165) دار السلام للطباعة والنشر، مصر، 1410هـ.

2 () حماد بن زيد هو: ابن درهم، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، العلامة، الحافظ، الثبت، محدث الوقت، أحد الأعلام، أصله من سجستان، قال عبد الرحمن بن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة، وقال يحيى بن معين: ليس أحد أثبت من حماد بن زيد، وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدين، هو أحب إلي من حماد بن سلمة، توفي سنة تسع وسبعين ومائة، انظر سير أعلام النبلاء (7/458).

قال حماد بن زيد: (يدنو من خلقه كيف يشاء)، انظر: لوامع أنوار البهية(1/243)، مؤسسة الخافقين، دمشق، 1402هـ.

3 () الفضيل بن عياض هو: ابن مسعود بن بشر التميمي، الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي، اليربوعي، الخراساني، وقال إبراهيم بن محمد الشافعي: سمعت سفيان بن عيينة يقول: فضيل ثقة، وقال النسائي: ثقة، مأمون، رجل صالح، توفي أول سنة سبع وثمانين ومائة، في خلافة هارون، وكان ثقة، نبيلا، فاضلا، عابدا، ورعا، كثير الحديث، انظر سير أعلام النبلاء (8/423).

استماعا[1] كقوله ﴿ ﯿ ﯾ ﯽ ﴾[2]، فأخبر أنه يستمع إلى هذا وهذا، وفي الصحيح (لا يزال عبـــدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله الـتي يمشـي بها)[3] فأخبر أنه لا يزال يتقرب بالنوافل بعد الفرائض.

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم فيما يـروي عن ربه تعالى قال: (قــال الله: أنا عنـــد ظن عبـدي بي، وأنــا معــه إذا ذكــرني؛ إن ذكــرني في نفســه ذكرتــه في

قال الفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي أنا أكفر بـرب يـزول عن مكانه، فقل أنت: أنا لا أكفر برب يفعل مـا يشـاء. انظـر: الإبانة لابن بطة(7/204).

4 () انظر: الرد على الجهمية (1/142)، بيان ما أنكـر الجهميـة أن يكون الله على العرش.

5 () قال الإمام الشافعي: (القـول في السـنة الـتي أنـا عليهـا، ورأيت عليهـا الـذين رأيتهم مثـل سـفيان ومالـك وغيرهمـا، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن اللـه على عرشـه في سـمائه، يقـرب من خلقـه كيـف شـاء ويـنزل إلى السـماء الـدنيا كيـف شـاء) العلـو للعلي الغفـار (165)، مكتبـة أضـواء السـلف الريـاض، 1416هــ، وانظـر: اجتمــاع الجيــوش الإســلامية (2/165)، مطــابع الفــرزدق، الرياض، 1408هـ.

وقال الإمام الذهبي: (قال ابن بطة: حدثنا أحمـد بن زكريـا بن يحـيى السـاجي، قـال: قـال أبي: القـول في السـنة الـتي رأيت عليها أهل الحـديث الـذين لقيتهم: أن اللـه على عرشـه في سـمائه يقـرب من خلقـه كيـف شـاء)، تـذكرة الحفـاظ (2/201)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ.

6 () وفي المطبوع (الله)

7 () القـــين والقينة: العبـد والأمـة، والقينـة: المغنيـة، وإنمـا قيـل للمغنية قينة؛ إذ كان الغناء لها صناعة، وذلك من عمل الإمـاء دون الحرائر. انظر تهذيب اللغة للأزهري، باب القاف والنون، (9/242)، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، 2001م، وانظـر لسـان العرب (13/342)، دار صادر بيروت، 1414هـ.

8 () أخرجــه أحمــد في مســنده(29/379)، رقم الحــديث: (239956)، وابن ماجه في السنن(3/365)، رقم الحــديث: (1340)، كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن،

نفسـي، وإن ذكـرني في ملإ ذكرتـه في ملإ خـير منهم)[1] وحرف ((إن)) حرف الشرط، والجزاء يكون بعـد الشـرط، فهذا يبين أنه يذكر العبد إن ذكـره في نفسـه، وإن ذكـره في ملإ ذكره في ملإ خـير منهم، والمنـازع يقـول مـا زال يذكره أزلا وأبدا ثم يقـول: ذكـره وذكـر غـيره وسـائر مـا يتكلم الله به هو شيء واحـد لا يتبعض ولا يتعـدد فحقيقـة قوله إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ولا يذكر أحدا.

وفي صحيح مسلم في حديث تعليم الصلاة ((وإذا قال الإمـام: سـمع اللـه لمن حمـده فقولـوا: اللهم ربنـا ولـك الحمد؛ يسمـــع الله لكـــم فإن الله قال على لسان نبيه سمع الله لمن حمده))[2] فقوله: سـمع اللـه لمن حمـده، لأن الجزاء بعد الشرط، فقوله: يسمع اللـه لكم، مجـزوم حرك لالتقاء السـاكنين وهـذا يقتضـي أنـه يسـمع بعـد أن تحمدوا.

وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقـائق، بـاب قـراءة القـرآن، رقم الحـديث: (754)، وضـعفه الألبـاني، انظـر: سلسـلة الأحاديث الضعيفة (2951).

9 () أخرجـه البخـاري في صـحيحه (6/191)، رقم الحـديث: (5024)، كتـاب فضـائل القـرآن، بـاب من لم يتغن بـالقرآن، ومسلم في صحيحه (1/545)، رقم الحـديث: (792)، كتـاب الصلاة، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

1 () ويقال: أذنت للشيء آذن له، إذا استمعت لـه، انظـر: تهـذيب اللغـة للأزهـري، بـاب الـذال والنـون، (15/15)، وأذن لـه أذنـا: استمع، وأذن إليه أذنا: استمع إليه معجبـا. انظـر لسـان العـرب (13/10).

2 () الانشقاق 2

3 () أخرجــه البخــاري، كتــاب الرقــاق، بــاب التواضــع، رقم الحديث: (6502)، (8/105).

1 () أخرجـه البخـاري، كتـاب التوحيـد، بـاب قـول اللـه تعـالى: ويحـذركم اللـه نفسـه، رقم الحـديث: (7405)، (9/121)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاسـتغفار، بـاب الحث على ذكر الله تعالى، رقم الحديث: (2675)، (1/1075).

2 () سبق تخريجه.

فصل

والمنــازعون النفــاة؛ كــذلك منهم من ينفي الصــفات مطلقا[1]، فهذا يكون الكلام معـه في الصـفات مطلقـا، لا يختص بالصــفات الاختياريــة، ومنهم من يثبت الصــفات ويقول: لا يقوم بذاته شيء بمشيئته وقدرته، فيقـول: إنـه لا يتكلم بمشـيئته واختيـاره، ويقـول: لا يرضـى ويسـخط، ويحب ويبغض، ويختـار بمشـيئته وقدرتـه، ويقـول: إنـه لا يفعل فعلا هو الخلق يخلـق بـه المخلـوق، ولا يقـدر عنـده على فعـل يقـوم بذاتـه بـل مقـدوره لا يكـون إلا منفصـلا منه[2]، وهـذا موضـع تنـازع فيـه النفـاة. فقيـل: لا يكــون مقــدوره إلا بائنــا عنــه، كمــا يقولــه الجهميــة والكلابيــة والمعتزلة[3]، وقيل: لا يكون مقـدوره إلا مـا يقـوم بذاتـه، كما يقوله: السـالمية والكرامية[4]، والصـحيح: أن (كليهمـا مقدور)[5] له.

أما الفعل فمثل قوله تعالى ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ[6]، وقوله: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ[7]،

---

1 () هم غلاة الجهميـة والقرامطـة والباطنيـة، والفلاسـفة، انظـر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، (ص: 5).

2 () هم الكلابية والسالمية وغيرهم كما ذكر شـيخ الإسـلام في بداية هذه الرسالة.

3 () انظر عقيدة المعتزلة في الملل والنحل (1/43)، ومقالات الإسلاميين (1/135).

4 () زعم ابن كـرام أن اللـه لا يقـدر إلا على الحـوادث الـتي تحـدث في ذاتـه من إرادتـه وأقوالـه وإدراكاتـه وملاقاتـه لمـا يلاقيه فأما المخلوقـات من أجسـام العـالم وأعراضـها فليس شيء منها مقدورا لله تعالى ولم يكن الله تعـالى قـادرا على شيء منهـا مـع كونهـا مخلوقـة وإنمـا خلـق كـل مخلـوق من العـالم بقولـه كن لا بقدرتـه. انظـر الفـرق بين الفـرق (ص: 208)

5 () في المخطوط: (كلاهما مقدورا).

6 () الأنعام 15

7 () القيامة 40

وقول الحواريين: ﴿ ۋ ۋ ې ې ې ې ى ى ﴾[1]، وقوله: ﴿ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ې ې ې ې ﴾[2]، وقوله: ﴿ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﴾[3] إلى أمثال ذلك مما يبين أنه يقدر على الأفعال كالإحياء والبعث ونحو ذلك.

وأما القدرة على الأعيان، ففي الصحيح عن أبي مسعود[4] قال: كنت أضرب غلاما لي فرآني النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك على هذا)[5]، فقوله: (لله أقدر عليك منك على هذا) دليل على أن القدرة تتعلق بالأعيان المنفصلة قدرة الرب وقدرة العبد.

ومن الناس من يقول: كلاهما يتعلق بالفعل كالكرامية[6]، ومنهم من يقول: قدرة الرب تتعلق بالمنفصل وأما قدرة العبد فلا تتعلق إلا بفعل في محلها كالأشعرية[7]، والنصوص تدل على أن كلا القدرتين تتعلق

---

1 () المائدة 112

2 () يس 81

3 () الأحقاف 33

4 () أبو مسعود هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري أبو مسعود البدري، مشهور بكنيته، اتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدرا، فقال الأكثر نزلها فنسب إليها، روى أحاديث كثيرة وهو معدود في علماء الصحابة، وقال ابن حجر: والصحيح أنه توفي بعد سنة أربعين للهجرة. انظر: الإصابة في تميز الصحابة (4/55)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/1074)، دار الجيل، بيروت، 1412هـ،

5 () الحديث مع اختلاف في الألفاظ رواه مسلم، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث: (1659)، (1/1280–1281).

6 () انظر تفصيل عقيدة الكرامية في الملل والنحل (1/110).

7 () وهنا يشير إلى مسألة الكسب عند الأشعرية لأنهم يعتقدون أن العبد قادر على أفعاله إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية

بالمتصل والمنفصل فإن الله تعالى أخبر أن العبد يقدر على أفعاله كقوله: ﴿ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ﴾[1] وقوله: ﴿ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ﴾[2] فدل على أن منا من يستطيع ذلك ومنا من لم يستطع.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[3]، أخرجاه في الصحيحين.

وقوله: ((إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل))[4]، وقوله في الحديث الذي في الصحيح: ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))[5]، وقد أخبر أنه

بين حركات الرعدة والرعشة، وبين حركات الاختيار والإرادة، والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة تحت القدرة، متوقفة على اختيار القادر، فعن هذا قال: المكتسب هو المقدور بالقدرة الحاصلة، والحاصل تحت القدرة الحادثة، ويسمى هذا الفعل كسبا، فيكون خلقا من الله تعالى إبداعا وإحداثا، وكسبا من العبد: حصولا تحت قدرته. انظر: الملل والنحل (1/97).

1 () التغابن 16

2 () النساء 25

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج، رقم الحديث: (5065)ـ (7/3)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم الحديث: (1400)، (2/1018).

4 () أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث: (6303)ـ (3/623) بلفظ (أن تعمل بالصبر)، وأخرجه الفريابي في كتاب القدر (ص: 130)، أضواء السلف، 1418هـ، وأخرجه ابن شاهين في الأفراد، (ص: 286)، ضمن مجموع فيه مصنفات ابن شاهين، دار ابن الأثير الكويت، 1415هـ، وضعفه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (11/122)، دار المعارف، الرياض، 1412هـ.

5 () أخرجه البخاري في صحيحه (9/94)، رقم الحديث: (7288)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم في صحيحه(1/529)، رقم الحديث: (1337)، كتاب الحج، باب فرض

قادر على عبده، وهؤلاء الذين يقولون: لا تقوم بـه الأمـور الاختيارية، عمـدتهم أنـه لـو قـامت بـه الحـوادث لم يخـل منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حـادث، وقـد نـازعهم الناس في كلا المقدمتين، وأصحابهم المتأخرون كالرازي، والآمـدي[1] قـدحوا في المقدمـة الأولى في نفس هـذه المسألة وقدح الرازي في المقدمة الثانية في غير موضع

الحج مرة في العمر، بلفظ: (فإذا أمرتكم بشيء).

1 () قـال الآمـدي: (وممـا اعتمـد عليـه أيضـا في هـذا البـاب الجهابـذة من المتكلمين وفضـلاء المتقـدمين، المسـلك المشـهور والطريـق المـذكور وهـو أنهم حصـروا العـالم في الجواهر والأعراض، ثم قصدوا لإثبات الحركة والسـكون أولا، ثم لبيان حدثها ثانيـا، ثم لبيـان تناهيهـا ثالثـا، ثم لبيـان امتنـاع عرو الجواهر عنها رابعا، ثم بنوا على ذلك أن العالم لا يسـبق الحوادث وكل ما لا يسـبق الحـوادث حـادث، وهـذه الطريقـة وإن أمكن فيهـا بيـان وجـود الأعـراض وكونهـا زائـدة على الجواهر وإبطال القول بـالكمون والانتقـال، فقـد يصـعب بيـان امتناع عرو جوهر عنها بل وقد يصعب بيان حدث كل ما لا يعـرى الجـوهر عنـه في وجـوده من الحركـات والسـكنات وحـدوث الحركة، وان كان مسلما فليس يلزم منه حدث ما بطـل بـه من السكون بل من الجائز أن يقـول الخصـم بقدمـه وأنـه لا أول لـه وفواته لا يدل على حدثه وان دل على أنه لم يكن له ذلك لذاته). غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص: 261).

2 () قال الرازي: (نقول: لا شك أنه لا يمكن تفسير المحـدث، إلا بأنه الذي سبقه غيره، ثم إما أن يكون ذلك السـابق عـدما أو وجودا، فإن كان عدما فحينئذ يقال: إن المحدث هـو الـذي يكون وجوده مسبوقا بالعدم، وإن كـان ذلـك السـابق وجـودا فحينئذ يقال: إن المحدث هو الذي سـبقه وجـود شـيء آخـر، والتفسير الأول أولى، لأن المحـدث من حيث إنـه محـدث أن يكون وجوده مسبوقا بعدمـه، ولا يجب من حيث هـو محـدث أن يكون وجوده مسبوقا بوجـود غـيره، لأنـه مـا لم يثبت بالـدليل أن المحـدث يمتنـع أن يحـدث إلا لمحـدث وموجـود، فإنـه لا يثبت أن المحدث لا بد وأن يكون مسبوقا بوجود غيره، أما سـواء قلنـا: إن

وقولهم: إنا عرفنا حدوث العالم بهذه الطريق وبه أثبتنا الصانع[1]، يقال لهم: لا جرم ابتدعتم طريقا لا يوافق السمع ولا العقل، فالعالمون بالشرع معترفون أنكم مبتدعون محدثون في الإسلام ما ليس منه، والذين يعقلون ما يقولون، يعلمون أن العقل يناقض ما قلتم وأن ما جعلتموه دليلا على إثبات الصانع لا يدل على إثباته، [بل][2] هو استدلال على نفي الصانع[3].

وإثبات الصانع حق وهذا الحق يلزم من ثبوته إبطال استدلالكم بأن ما لم يخل من الحوادث فهو حادث، وأما كون طريقكم مبتدعة ما سلكها الأنبياء ولا أتباعهم ولا سلف الأمة؛ فلأن كل من يعرف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كانت معرفته متوسطة لم يصل

المحدث يحدث لنفسه أو لغيره، أولا لنفسه ولا لغيره، فإنه يجب أن يكون مسبوقا بالعدم، فيثبت: أن التفسير المحدث بأنه الذي يجب أن يكون مسبوقا بالعدم أولى من تفسيره بأنه الذي يجب أن يكون مسبوقا بغيره) المطالب العالية (4/13)، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1407هـ.

3 () وقد بسط شيخ الإسلام كلامه على هذا في كتابه الرد على المنطقيين، حيث قال: (أما التغير فقالوا العلم بالمتغيرات يستلزم أن يكون علمه بأن الشيء سيكون غير علمه بأن قد كان فيلزم أن يكون محلا للحوادث وهم ليس عندهم على نفي هذه اللوازم حجة أصلا لا بينة ولا شبهة وإنما نفوه لنفيهم الصفات لا لأمر يختص بذلك بخلاف من نفي ذلك من الكلابية ونحوهم فإنهم لما اعتقدوا أن القديم لا تقوم به الحوادث قالوا لأنها لو قامت به لم يخل منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث وقد بين أتباعهم كالرازي والآمدي وغيرهم فساد المقدمة الأولى التي يخالفهم فيها جمهور العقلاء، ويقولون بل القابل للشيء قد يخلو عنه وعن ضده، أما المقدمة الثانية فهي حجة المتكلمين الجهمية والقدرية ومن وافقهم من أهل الكلام على إثبات حدوث الأجسام باستلزامها للحوادث وقالوا ما لا يخلو عن الحوادث أو ما لا يسبقها فهو حادث لبطلان حوادث لا أول لها وهو التسلسل في الآثار.

في ذلك إلى الغاية، يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس في[معرفة][1] الصانع وتوحيده وصدق رسله إلى الاستدلال بثبوت الأعراض وأنها حادثة ولازمة للأجسام، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، لامتناع حوادث لا أول لها.

والفلاسفة لا يقولون بشيء من ذلك بل عندهم القديم تحله الحوادث ويجوزون الحوادث لا أول لها ولهذا كان كثير من أساطينهم ومتأخريهم كأبي البركات يخالفونهم في إثبات الصفات وقيام الحوادث بالواجب وقالوا لإخوانهم الفلاسفة ليس معكم حجة على نفي ذلك بل هذه الحجة أثبتموها من جهة التنزيه والتعظيم بلا حجة والرب لا يكون مدبرا للعالم إلا بهذه القضية فكان من تنزيه الرب وإجلاله تنزيهه عن هذا التنزيه وإجلاله عن هذا الإجلال.

وللنظار في جوابهم عن هذا طريقان منهم من يمنع المقدمة الأولى ومنهم من يمنع الثانية فالأول جواب كثير من المعتزلة والأشعري وأصحابه وغيرهم ممن ينفي حلول الحوادث، فادعى هؤلاء إن العلم بأن الشيء سيكون، هو عين العلم بأنه قد كان، وان المتجدد إنما هو نسبته بين المعلوم والعلم لا أمر ثبوتي، والثاني جواب هشام وابن كرام وأبي الحسين البصري وأبي عبد الله بن الخطيب وطوائف غير هؤلاء قالوا لا محذور في هذا وإنما المحذور في أن لا يعلم الشيء حتى يكون فان هذا يستلزم انه لم يكن عالما وانه احدث بلا علم وهذا قول باطل). الرد على المنطقيين (ص: 463)، دار المعرفة بيوت لبنان، وانظر: الصفدية (2/92)، مكتبة ابن تيمية، مصر، 1406هـ.

[1] () وفي هذا يقول المتولي أحد علماء الأشاعرة: (أول ما يجب على المكلف القصد إلى النظر الصحيح المؤدي إلى العلم بحدوث العالم وإثبات العلم بالصانع، والدليل عليه إجماع العقلاء على وجوب معرفة الله تعالى، وعلمنا عقلا أنه لا يعلم حدوث العالم، ولا الصانع إلا بالنظر، والتأمل، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به، فهو واجب). انظر: الغنية في

فعلم بالاضطرار أن هذه الطريق لم يتكلم بها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا دعا إليها، ولا أصحابه، ولا تكلموا بها، ولا دعوا بها الناس[2].

وهذا يوجب العلم الضروري من دين الرسول (بأنه) [1] عند الرسول والمؤمنين به أن الله يعرف ويعرف توحيده وصدق رسله بغير هذه الطريق، فدل الشرع دلالة ضرورية على أنه لا حاجة إلى هذه الطريق، ودل ما

أصول الدين لعبد الرحمن النيسابوري (ص: 55)

2 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

3 () لأنهم بهذه الشبهة ينفون من الله سبحانه الصفات الاختيارية فيلزم منه نفي الصانع، فالخالق الذي لا يصنع بمشيئته واختياره متى شاء وكيف شاء، وكذلك السميع البصير المتكلم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم بمشيئته وقدرته يلزم منه نفي الصانع لأن الذي يخلق ويسمع ويبصر ويتكلم بمشيئته واختياره أعلى وأفضل من الذي ليس له مشيئة واختيار وقدرة.

1 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

2 () وفي هذا يقول قوام السنة: (بيان الأمور التي يكون بها الرجل إماما في الدين وأن أهل الكلام ليسوا من العلماء) - ثم قال – (وإذا ثبت هذا نظرنا في أمر جماعة ادعوا أنهم أصحاب مذاهب واخترعوا مذاهبهم على عقولهم كالجبائي وأبي هاشم، والكعبي، والنجار، والنظام، وابن كلاب، ومن نحا نحوهم، وسألنا الخاص والعام عن هؤلاء، فقلنا: أهؤلاء أهل العلم كالصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين رحمة الله عليهم؟ قالوا: لا، وليسوا بمعروفين من أهل العلم، قلنا: هؤلاء من أهل الفقه كالشافعي، وأبي حنيفة، ومالك، أمثالهم؟ قالوا: لا، وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل الأدب والمعرفة بلغات العرب، كأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي، والكسائي، وأمثالهم؟ قالوا: لا، وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل الإعراب والنحو، كالخليل، وسيبويه، والفراء، وأمثالهم؟ قالوا: وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل العلم بالقرآن والقراءات كنافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وحمزة، وأمثالهم؟ قالوا: لا وغير معروفين

فيها من مخالفة نصوص الكتاب والسنة على أنها طريق باطلة، فدل الشرع على أنه لا حاجة إليها وأنها باطلة.

وأما العقل فقد بسط القول في جميع ما قيل فيها في غير هذه المواضع[2] وبين أن أئمة أصحابها قد يعترفون بفسادها من جهة العقل، [كما][3] يوجد في كلام أبي حامد[4] والرازي[5] وغيرهما بيان فسادها.

ولما ظهر فسادها للعقل تسلط الفلاسفة على

فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل المعرفة بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه كمجاهد، وقتادة، وأبي العالية، قالوا: لا، وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل العلم والمعرفة بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأحاديث الصحابة رضي الله عنه كالزهري، ومالك بن أنس، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين؟ قالوا: لا، وهم لا يقولون بالحديث قلنا: هؤلاء من أهل الزهد والعبادة كالحسن البصري، وفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، ويحيى بن معاذ، وأمثالهم؟ قالوا: لا، وغير معروفين فيهم، قلنا: هل بنوا مذهبهم على ما بناه عليه هؤلاء من كتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لا، قلنا: فمن أي الناس هم؟ قالوا: من أهل القول بالعقل، فمن نظر بعين الإنصاف علم أنه لا يكون أحد أسوأ مذهبا ممن يدع قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة رضوان الله عليهم، وقول العلماء والفقهاء بعدهم، ممن يبني مذهبه ودينه على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتبع من ليس بعالم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كيف لا يأمن أن يكون متبعا للشيطان أعاذنا الله من متابعة الشيطان). الحجة في بيان المحجة (1/334).

1 () في المطبوع: (فإن)

2) انظر مثلا: الرد على المنطقيين (ص: 321)، وكتاب درء تعارض العقل والنقل (1/132، 160).

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) انظر: تهافت الفلاسفة (ص: 91، 193-195).

5) كما قال الرازي: نهاية إقدام العقول عقال. . . وغاية

سالكيها، وظنت الفلاسفة أنهم [إذا][1] قدحوا فيها فقد قدحوا في دلالة الشرع ظنا منهم أن الشرع جاء بموجبها؛ إذ كانوا أجهل بالشرع والعقل من سالكيها؛ فسالكوها لا للإسلام نصروا ولا لأعدائه كسروا؛ بل سلطوا الفلاسفة عليهم وعلى الإسلام، وهذا كله مبسوط في مواضع[2].

وإنما المقصود هنا: أن يعرف أن نفيهم للصفات الاختيارية التي يسمونها حلول الحوادث ليس لهم دليل عقلي عليه وحذاقهم يعترفون بذلك[3]، وأما السمع فلا ريب أنه مملوء بما يناقضه، والعقل أيضا يدل على نقيضه من وجوه نبهنا على بعضها، ولما لم يمكن مع أصحابها حجة لا عقلية ولا سمعية من الكتاب والسنة؛ احتال متأخروهم فسلكوا طريقا سمعية ظنوا أنها (تنفعهم)[4] فقالوا: هذه الصفات إن كانت صفات نقص وجب تنزيه الرب عنها، وإن كانت صفات كمال فقد كان فاقدا لها

سعي العالمين ضلال، وأرواحنا في وحشة من جسومنا. . . وحاصل دنيانا أذى ووبال، ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا. . . سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا، فكم قد رأينا من رجال ودولة. . . فبادوا جميعا مسرعين وزالوا، وكم من جبال قد علت شرفاتها. . . رجال فزالوا والجبال جبال.

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات: ﴿ ڈ ژ ڙ ڑ ڒ ﴾[طه: 5]، ﴿ۀ ۀ ۀ ۀ ﴾[فاطر: 10] وأقرأ في النفي: ﴿ ٺ ٿ ٹ ﴾[الشورى: 11]، ﴿ۀ ۀ ۀ ﴾[طه: 110] ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (1/244).

1) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2 () انظر مثلا: الفتوى الحموية الكبرى (ص: 282)، وانظر: مجموع الفتاوى (5/544).

3) مثل الآمدي في أبكار الأفكار (2/220)، والرازي في المطالب العالية (4/13)، وتقدم في هذه الرسالة كذلك.

4) في المخطوط: (تنقضهم)

قبل حدوثها وعدم الكمال نقص؛ فيلزم أن يكون كان ناقصا وتنزيهه عن النقص واجب بالإجماع وهذه الحجة من أفسد الحجج وذلك من وجوه:

أحدها: أن هؤلاء يقولون: نفي النقص عنه لم يعلم بالعقل، وإنما علم بالإجماع وعليه اعتمدوا في نفي النقص؛ فنعود إلى احتجاجهم بالإجماع ومعلوم أن الإجماع لا يحتج به في موارد النزاع؛ فإن المنازع لهم يقول أنا لم أوافقكم على نفي هذا المعنى وإن وافقتكم على إطلاق القول بأن الله منزه عن النقص؛ فهذا المعنى عندي ليس بنقص ولم يدخل (فيما)[1] سلمته لكم فإن بينتم بالعقل أو بالسمع انتفاءه وإلا فاحتجاجكم بقولي مع أني لم أرد ذلك كذب علي؛ فإنكم تحتجون بالإجماع؛ والطائفة المثبتة من أهل الإجماع وهم لم يسلموا هذا.

الثاني: أن عدم هذه الأمور قبل وجودها نقص؛ بل لو وجدت قبل وجودها لكان نقصا؛ مثال ذلك تكليم الله لموسى عليه السلام ونداؤه له فنداؤه حين ناداه صفة كمال؛ ولو ناداه قبل أن يجيء لكان ذلك نقصا؛ فكل منها كمال حين وجوده؛ ليس بكمال قبل وجوده؛ بل وجوده قبل الوقت الذي تقتضي الحكمة وجوده فيه نقص.

الثالث: أن يقال: لا نسلم (أن كل)[2] ما كان حادثا امتنع أن يكون قديما وما كان ممتنعا لم يكن عدمه نقصا؛ (إنما)[3] النقص فوات ما يمكن من صفات الكمال.

الرابع: أن هذا يرد في كل ما فعله الرب وخلقه، فيقال: خلق هذا إن كان نقصا فقد اتصف بالنقص وإن كان كمالا فقد كان فاقدا له؛ فإن قلتم: صفات الأفعال عندنا ليست بنقص ولا كمال، قيل: إذا قلتم ذلك أمكن المنازع أن يقول: هذه الحوادث ليست بنقص ولا كمال.

الخامس: أن يقال: إذا عرض على العقل الصريح ذات يمكنها أن تتكلم بقدرتها وتفعل ما تشاء بنفسها،

---

1) في المخطوط: (فيها)

2) في المطبوع: (أن عدم ذلك نقص فإن)

3) في المطبوع: (لأن)

وذات لا يمكنها أن تتكلم بمشيئتها ولا تتصرف بنفسها ألبتة؛ بل هي بمنزلة الزمن الذي لا يمكنه فعل يقوم به باختياره، قضى العقل الصريح بأن هذه الذات أكمل، وحينئذ فأنتم الذين وصفتم الرب بصفة النقص؛ والكمال في اتصافه بهذه الصفات؛ لا في نفي اتصافه بها.

السادس: أن يقال: الحوادث التي يمتنع أن يكون كل منها أزليا، ولا يمكن وجودها إلا شيئا فشيئا إذا قيل: [أيما][1] أكمل أن يقدر على فعلها شيئا فشيئا أو لا يقدر على ذلك؟ كان معلوما بصريح العقل، أن القادر على فعلها شيئا فشيئا أكمل ممن لا يقدر على ذلك، وأنتم تقولون: إن الرب لا يقدر على شيء من هذه الأمور؛ (ويقولون)[2] إنه يقدر على أمور مباينة له.

ومعلوم أن قدرة القادر على فعله المتصل به قبل قدرته على أمور مباينة له؛ فإذا قلتم لا يقدر على فعل متصل به لزم أن لا يقدر على المنفصل؛ فلزم على قولكم أن لا يقدر على شيء ولا أن يفعل شيئا فلزم أن لا يكون خالقا لشيء؛ وهذا لازم للنفاة لا محيد لهم عنه.

ولهذا قيل: الطريق التي سلكوها في حدوث العالم وإثبات الصانع: (يناقض)[3] حدوث العالم وإثبات الصانع، ولا يصح القول بحدوث العالم وإثبات الصانع إلا بإبطالها لا بإثباتها، فكان ما اعتمدوا عليه وجعلوه أصولا للدين ودليلا عليه، هو في نفسه باطل شرعا وعقلا وهو مناقض للدين ومناف له.

ولهذا كان السلف والأئمة يعيبون كلامهم هذا ويذمونه، ويقولون: "من طلب العلم بالكلام تزندق"؛ كما قال أبو يوسف[4]، ويروي عن مالك، ويقول الشافعي: حكمي في

[1]) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

[2]) في المطبوع: (وتقولون)

[3]) في المطبوع: (تناقض)

[4] ()انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (2/537)، وانظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد (

أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام[1]، وقال الإمام أحمد بن حنبل: علماء الكلام زنادقة وما (وما ارتدى) أحد بالكلام فأفلح[2].

وقد صدق الأئمة في ذلك، فإنهم يبنون أمرهم على كلام مجمل يَرُوج على من لم يعرف حقيقته، فإذا اعتقد أنه حق (يتبين)[3] أنه مناقض للكتاب والسنة (يبقى)[4] في قلبه مرض ونفاق، وريب وشك، بل طعن فيما جاء به

1/65)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، 1418هـ، وانظر: تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي، (ص: 41)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، عالم الكتب، السعودية، الرياض، 1410ه، وانظر: تبيين كذب المفترى لابن عساكر (ص: 333) دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (1/17)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ، وانظر العواصم والقواصم لابن الوزير (3/385)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415 هـ.

1 () انظر: جامع بيان العلم وفضله (2/941)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1414 هـ، وشرح السنة للبغوي (1/218)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1403هـ، وانظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل الرازي(ص: 99)، تحقيق: الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، 1417 هـ، وانظر: تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي، (ص: 41)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (1/17).

2 () انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: 75)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1421هـ، وانظر: تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي(ص: 41)، والشطر الثاني من الكلام (وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح) نسبه أكثر من واحد إلى الإمام الشافعي، انظر مثلا: تبيين

الرسول وهذه هي الزندقة.

وهو كلام باطل من جهة العقل كما قال بعض السلف: "العلم بـــالكلام هو الجهـــل"[1]، فهم يظنـــون أن معهم عقليات وإنما معهم جهليات: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾[2]، هذا هو الجهل المركب؛ [لأنهم][3] كانوا في شك وحــيرة فهم في ﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ﴾[4].

أين هؤلاء من نور القرآن والإيمان؟ قال اللــه تعـالى: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ﴾[5].

فــإن قيــل: أمــا كــون الكلام والفعــل (يــدخل)[6] في الصــفات الاختياريــة فظـاهر، فإنــه يكـون بمشـيئة الـرب وقدرته وأما الإرادة والمحبة والرضا والغضب ففيه نظـــر،

كذب المفترى لابن عساكر (ص: 335)، وانظر: العلــو للعلي الغفار (ص: 165)، وانظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل الـرازي (ص: 103)، تحقيـق: الـدكتور ناصـر بن عبـد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، 1417 هـ، وانظر: الحجة في بيان المحجة (1/224).

3) في المطبوع: (وتبين)

4) في المطبوع: (بقي)

1) وهو كلام أبي يوسـف، انظـر: الإبانـة الكـبرى لابن بطـة، (1/418)، وانظـر: نقض الإمـام أبي سـعيد عثمـان بن سـعيد على بشر المريسي، (1/65)ـ مكتبة الرشد للنشـر والتوزيـع، تحقيق: رشيد بن حسـن الألمعي، 1418هــ، وشـرح العقيـدة الطحاوية لابن أبي العز (1/17).

2) النور: 39

3) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

4) النور: 40

5) النور: 35

6) في المخطوط: (تدخل)

(فإن)[1] نفس الإرادة هي المشيئة، وهو سبحانه إذا خلق من يحبه كالخليل فإنه يحبه، ويحب المؤمنين ويحبونه.

وكذلك إذا عمل الناس أعمالا يراها وهذا لازم لا بد من ذلك، فكيف يدخل (في)[2] الاختيار؟

قيل: كل ما كان بعد عدمه فإنما يكون بمشيئة الله وقدرته، وهو سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فما شاء وجب كونه، وهو تحت مشيئة الرب وقدرته، وما لم يشأه امتنع كونه مع قدرته عليه، كما قال تعالى: ﴿ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ﴾[3]، ﴿ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ﴾[4] ﴿ڃ ڃ چ چ چ﴾[5].

فكون الشيء واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء على أنه لا بد من كونه [لا][6] يمتنع أن يكون واقعا بمشيئته وقدرته وإرادته، وإن كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه، فإن إرادته للمستقبلات هي مسبوقة بإرادته للماضي ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ﴾[7] وهو إنما أراد هذا الثاني بعد أن أراد قبله ما يقتضي إرادته، فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة السابقة.

والناس قد اضطربوا في مسألة إرادة الله سبحانه وتعالى على أقوال متعددة، ومنهم من نفاها ورجح الرازي هذا في مطالبه العالية[8] لكن ولله الحمد نحن

---

1) في المخطوط: (كأن)

2) في المطبوع: (تحت)

3) السجدة 13

4) البقرة 253

5) الأنعام 112

6) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

7) يس: 82

8) قال الرازي في المطالب العالية بعد أن ذكر مذهب الفلاسفة والمتكلمين: (فثبت بما ذكرنا أنا لا نعرف البتة من معنى الإرادة والكراهية إلا ميل الطبع إلى جلب المنافع وميله إلى دفع المضار، ولما كان ذلك في حق الله تعالى ممتنعا كان إثبات الإرادة في حقه غير معقول، وهذا تمام الكلام في البحث عن معنى الإرادة والكراهية)، المطالب

[قد][1] قررناها وبينا فساد الشبه المانعة منها؛ وأن ما جاء به الكتاب والسنة هو الحق المحض الذي تدل عليه المعقولات الصريحة وأن صريح (العقول)[2] موافق لصحيح المنقول.

وكنا قد بينا أولا أنه يمتنع تعارض الأدلة القطعية، فلا يجوز أن يتعارض دليلان قطعيان، سواء كانا عقليين أو سمعيين، أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا، ثم بينا بعد ذلك أنها متوافقة متناصرة متعاضدة، فالعقل يدل على صحة السمع، والسمع يبين صحة العقل، وأن من سلك أحدهما أفضى به إلى الآخر.

وأن الذين يستحقون العذاب هم الذين لا يسمعون ولا يعقلون، كما قال الله تعالى:

ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ[3]، وقال تعالى: ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ[4]، وقال: ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ[5]، وقال تعالى: ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ[6].

فقد بين القرآن أن من كان يعقل، أو كان يسمع، فإنه يكون ناجيا وسعيدا، ويكون مؤمنا بما جاءت به الرسل، وقد بسطت هذه الأمور في غير موضع والله أعلم.

العالية (ص: 178).

1) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2) في المطبوع: (المعقول).

3) الفرقان 44

4) الملك: 8-10

5) الحج: 46

6) ق: 38

فصل

وفحول النظار كأبي عبــد الله الرازي[1]، وأبي الحسن الآمدي[2]، وغيرهما ذكروا حجج النفاة لحلـول (الحـوادث)[3] وبينوا فسادها[4]، فذكروا لهم أربع حجج[5]:

إحداها: الحجة المشهورة، وهي أنها لو قامت به لم يخل منها ومن أضدادها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، ومنعوا المقدمة الأولى، والمقدمة الثانية ذكر الرازي وغيره فسادها[6]، وقد بسط في غير هذه (المواضع)[7][8].

---

1) تقدمت ترجمته.

2) تقدمت ترجمته.

3) في المخطوط: (الاتحاد).

4) في المطبوع زيادة: (كلها)

5) انظـر لتفصـيل هـذه الحجج والـرد عليهـا كتـاب المطـالب العالية لأبي عبد الله الرازي، القسم الأول من الجزء الرابــع: المقدمة الثالثة شرح مـذاهب النـاس في مسـألة الحـدوث (4/19)، وكذلك القسم الثاني من الجـزء الرابـع: في مبـاحث القــائلين بالحــدوث(4/241)، وكــذا في كتــاب الأربعين في أصول الدين للرازي.

6) تقــدم أقــوالهم، وانظــر: المبــاحث المشــرقية في علم الإلهيات والطبيعيـات للـرازي(1/227)، دار الكتـاب العـربي، بيروت، 1410هـ.

7) في المطبوع: (الموضع)

8)من تلـك المواضـع مـا نقلـه ابن تيميـة من كلام الآمـدي في كتابــه أبكـار الأفكـار ثم قـام بـالرد عليـه حيث يقـول: (ونحن نذكر ما ذكره أبو الحسن الآمدي في هذا الأصل ونتكلم عليـه قال في كتابه الكبير المسمى أبكار الأفكار المسـألة الرابعـة من النوع الرابع الذي سماه إبطـال التشـبيه في بيـان امتنـاع حلول الحوادث بذاته تبارك وتعـالى. . . . قـال: (أي الآمـدي) وقـد احتج أهـل الحـق على امتنـاع قيـام الحـوادث بـه بحجج ضعيفة:
الأولى قالوا: لو كان الباري تعالى قابلاً لحلول الحوادث بذاته لما خلا عنها أو عن أضدادها وضـد الحـادث، ومـا لا يخلـو عن الحوادث فيجب أن يكون حادثاً، والـرب تعـالى ليس بحـادث، قال: وهذه الحجة مبينة على خمس مقدمات:
الأولى: أن كل صفة حادثـة لا بـد لهـا من ضـد، والثانيـة: أن ضـد

والثانية: أنه لو كان قابلا لها في الأزل لكان القبول من لوازم ذاته، (وكان)[1] القبول يستدعي إمكان المقبول، (فوجود)[2] الحوادث في الأزل محال، وهذه أبطلوها هم بالمعارضة بالقدرة: بأنه قادر على إحداث الحوادث، والقدرة تستدعي إمكان المقدور، ووجود المقدور - وهو الحوادث - في الأزل محال، وهذه الحجة باطلة من وجوه:

أحدها: أن يقال وجود الحوادث إما أن يكون ممتنعا، وإما أن يكون ممكنا؛ فإن كان ممكنا أمكن قبولها والقدرة عليها دائما، وحينئذ فلا يكون وجود جنسها في الأزل ممتنعا؛ بل يمكن أن يكون جنسها مقدورا مقبولا؛ وإن كان ممتنعا فقد امتنع وجود حوادث لا تتناهى، وحينئذ فلا تكون في الأزل ممكنة؛ لا مقدورة ولا مقبولة؛ وحينئذ

الصفة الحادثة لا بد وأن يكون حادثاً، والثالثة: أن ما قبل حادثاً فلا يخلو عنه وعن ضده، والرابعة: أن مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث، والخامسة: أن الحدوث على الله تعالى محال أما أن الرب تعالى ليس بحادث فقد سبق تقريره، قلت(أي شيخ الإسلام): هذا معلوم باتفاق أهل الملل وسائر العقلاء ممن أثبت الصانع، ومعلوم بالأدلة اليقينية بل معلوم بالضرورة، وقد ذكر انه قرر ذلك وهو لم يقرره، فإنه إنما قرره بناء على إثبات واجب الوجود، وبني ذلك على نفي التسلسل في العلل، وإبطال حوادث لا أول لها، وحجته على ذلك ضعيفة، وقد أورد في كتابه المسمى بدقائق الحقائق على إبطال تسلسل العلل سؤالاً زعم أنه لا يعرف عنه جواباً فبطل ما ذكره من تقريره لكن هذا بحمد الله أجل من أن يحتاج إلى مثل هذا التقرير، وقال(أي الآمدي): وأما أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، فسيأتي تقريره في حدوث الجواهر، قلت(أي شيخ الإسلام): لم يقرر ذلك إلا بدليل حدوث الأعراض، وأنه يمتنع وجود حوادث لا أول لها، وإنما قرر ذلك بإبطال التسلسل في الآثار، وقرر ذلك بأن الحادث يمتنع أن يكون أزلياً، وقد تقدم فساد ذلك؛ بأن لفظ الحادث يراد به النوع الدائم، ويراد به الحادث المعين، والمعلوم امتناعه إنما هو النوع الثاني، والنزاع إنما هو في الأول). انظر: درء تعارض العقل والنقل (4/18)، (1/302).

[1] في المطبوع: (فكان)

[2] في المطبوع: (ووجود)

فلا (يلزم)[1] امتناعها بعد ذلك، فإن الحوادث موجودة، فلا يجوز أن يقال بدوام امتناعها، وهذا تقسيم حاصر يبين فساد هذه الحجة.

الوجه الثاني: أن يقال: لا ريب أن الرب تعالى قادر، فإما أن يقال إنه لم يزل قادرا وهو الصواب، وإما أن يقال بل صار قادرا بعد أن لم يكن، فإن قيل: لم يزل قادرا، فيقال: إذا كان لم يزل قادرا فإن كان المقدور لم يزل ممكنا أمكن دوام وجود الممكنات، فأمكن دوام وجود الحوادث؛ وحينئذ فلا يمتنع كونه قابلا لها في الأزل، فإن قيل: بل كان الفعل ممتنعا ثم صار ممكنا، قيل: هذا جمع بين النقيضين، فإن القادر لا يكون قادرا على ممتنع، فكيف يكون قادرا على كون المقدور ممتنعا، ثم يقال: بتقدير إمكان هذا قيل هو قادر في الأزل على ما يمكن فيما لا يزال، وكذلك في المقبول يقال هو قابل في الأزل لما يمكن فيما لا يزال.

الوجه الثالث: إذا قيل: هو قابل لما في الأزل، فإنما هو قابل لما هو قادر عليه، يمكن وجوده، فأما ما يكون ممتنعا لا يدخل تحت القدرة فهذا ليس بقابل له.

الرابع: أن يقال: هو قادر على حدوث ما هو مباين له من المخلوقات، ومعلوم أن قدرة القادر على فعله القائم به أولى من قدرته على المباين له؛ وإذا كان الفعل لا مانع منه إلا ما يمنع مثله لوجود المقدور المبين، ثم ثبت أن المقدور المباين هو ممكن وهو قادر عليه، فالفعل أن يكون ممكنا مقدورا أولى.

الحجة الثالثة لهم: أنهم قالوا: لو قامت به الحوادث للزم تغيره، والتغير على الله محال وأبطلوا هم هذه الحجة - الرازي وغيره - بأن قالوا: ما تريدون بقولكم: لو قامت به (تغير)[2] أتريدون بالتغير نفس قيامها به أم (شيئا)[3] آخر؟ فإن أردتم الأول كان المقدم

[1]) في المخطوط: (يلازم)

[2]) في المخطوط: (تغيره)

[3]) في المخطوط: (شيئ)

هو الثاني، والملزوم هو اللازم، وهـذا لا فائـدة فيـه، فإنـه يكـون تقـدير الكلام: لـو قـامت بـه الحـوادث لقـامت بـه الحوادث، وهذا كلام لا يفيد، وإن أردتم بالتغير معنى غــير ذلك فهو ممنوع، فلا نسلم أنها لو قـامت بـه ((لـزم تغـير)) غير حلول الحوادث فهذا جوابهم.

وإيضاح ذلك: أن لفظ التغير لفظ مجمـل، فـالتغير في اللغة المعروفة لا يراد بـه مجـرد كـون المحـل قـامت بـه الحــوادث، فــإن النــاس لا يقولــون للشــمس والقمــر والكــواكب إذا تحــركت: إنهــا قــد تغــيرت، ولا يقولــون للإنسان إذا تكلم ومشى إنـه تغـير، ولا يقولـون إذا طـاف وصلّى وأَمَر ونَهَى وركب إنه تغير، إذا كان ذلك عادته، بل إنمــا يقولــون تغــير لمن اســتحال من صــفة إلى صــفة كالشمس[1] زال نورها ظاهرا، لا يقـال إنهـا تغـيرت، فـإذا اصفرت قيل: تغيرت.

وكذلك الإنسان إذا مـرض، أو تغـير جسـمه بجـوع، أو تعب؛ قيل: قد تغير، وكذلك إذا تغير خُلُقـه ودينـه مثـل أن يكـون فـاجرا فينقلب ويصـير بـرا، أو يكـون بـرا فينقلب فاجرا، فإنه يقال: قد تغير.

وفي الحديث: (رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متغيرا)[2] لمـا رأى منـه أثـر الجـوع ولم يـزل يـراه يركع ويسجد، فلم يسم حركته تغيرا، وكـذلك يقـال: فلان قد تغير على فلان إذا صار يبغضـه بعـد المحبـة، فـإذا كـان ثابتا على مودته لم يسم هشته إليه وخطابه له تغيرا.

وإذا جرى على عادته في أقواله (وأفعالـه)[3] فلا يقـال

---

1) في المطبوع زيادة: (إذا).

2) رواه النســائي في الســنن(5/75)، كتــاب الزكــاة، بــاب التحريض على الصدقة، ورواه الطبراني في المعجم الكبــير(2/329)، رقم الحديث: (2374)، مكتبة ابن تيميـة، القـاهرة، وابن حبــان في صــحيحه(8/101)، رقم الحــديث: (3308)، كتاب الزكاة، باب صدقة التطـوع، ووصـححه الألبـاني، وقـال شعيب الأناؤوط صحيح على شرط مسلم.

3 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

إنه قد تغير قال الله تعالى: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ﴾[1]، ومعلوم أنهم إذا كانوا على عادتهم (المحمودة)[2] يقولون ويفعلون ما هو خير لم يكونوا قد غيروا ما بأنفسهم، فإذا انتقلوا عن ذلك فاستبدلوا بقصد الخير قصد الشر وباعتقاد الحق اعتقاد الباطل، قيل: قد غيروا ما بأنفسهم مثل من كان يحب الله ورسوله والدار الآخرة، فتغير قلبه وصار لا يحب الله ورسوله والدار الآخرة، فهذا قد غير ما في نفسه.

وإذا كان هذا معنى التغير؛ فالرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال والإكرام، وكماله من لوازم ذاته، فيمتنع (أن يزول)[3] عنه شيء من صفات كماله ويمتنع أن يصير ناقصا بعد كماله.

وهذا الأصل عليه قول السلف وأهل السنة أنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل قادرا، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال ولا يزال كذلك[4]، فلا يكون متغيرا، وهذا معنى قول من يقول: يا من يغير ولا يتغير، فإنه يحيل صفات المخلوقات؛ ويسلبها ما كانت متصفة به إذا شاء، ويعطيها من صفات الكمال ما لم يكن لها، وكماله من لوازم ذاته

---

1 () الرعد 11

2) في المطبوع: (الموجودة)

3 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

4 () وفي هذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (إن الله لم يزل متكلما إذا شاء ولا نقول: "إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام") انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 139)، وقال أبو الحسن الأشعري في الإبانة: (فلما كان الله عز وجل لم يزل عالما؛ إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا جل وعلا بخلاف العلم، وكذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما) الإبانة عن أصول الديانة (ص: 66).

لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، قال تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ[1]، وقال تعالى: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ[2].

ولكن هؤلاء النفاة هم الذين يلزمهم أن يكون قد تغير؛ فإنهم يقولون: كان في الأزل لا يمكنه أن يقول شيئا؛ ولا يتكلم بمشيئته وقدرته؛ وكان ذلك ممتنعا عليه لا يتمكن منه، ثم صار الفعل ممكنا يمكنه أن يفعل.

ولهم في الكلام قولان: من يثبت الكلام المعروف، وقال: إنه يتكلم بمشيئته وقدرته، قال: إنه صار الكلام ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عليه[3]؛ ومن لم يصفه بالكلام المعروف؛ بل قال: إنه يتكلم بلا مشيئة وقدرة كما تقوله الكلابية[4]، فهؤلاء أثبتوا كلاما لا يعقل ولم يسبقهم إليه أحد من المسلمين، بل كان المسلمون قبلهم على قولين: فالسلف وأهل السنة يقولون: إنه يتكلم بمشيئته وقدرته وكلامه غير مخلوق، والجهمية يقولون: إنه مخلوق بقدرته ومشيئته، فقال هؤلاء: بل يتكلم بلا مشيئته وقدرته وكلامه شيء واحد لازم لذاته وهو حروف أو حروف وأصوات أزلية لازمة لذاته كما قد بسط في غير هذا الموضع[5].

والمقصود أن هؤلاء كلهم الذين يمنعون أن الرب لم يزل يمكنه أن يفعل ما شاء، ويقولون ذلك يستلزم وجود حوادث لا (تتناهي)[6] وذلك محال، فهؤلاء يقولون صار الفعل ممكنا له بعد أن كان ممتنعا عليه، وحقيقة قولهم

---

1 () القصص 88

2 () الرحمن 26، 27

3 () وهو قول الهشامية والكرامية، انظر: مجموع الفتاوى(2/172)، والنبوات(1/589).

4 () انظر تفصيل عقيدة الكلابية في الصفات في كتاب مقالات الإسلاميين(ص: 554، 584)، ومجموع الفتاوى (6/325).

5 () انظر مثلا: الصفدية(2/54)، مكتبة ابن تيمية، مصر، 1406هـ، وانظر: درء تعارض العقل والنقل(2/112).

6) في المخطوط: (يتناهى)

إنه صار قادرا بعد أن لم يكن قـادرا، وهـذا حقيقـة التغـير مع أنه لم يحدث سبب يوجب كونه قادرا.

وإذا قالوا: هو في الأزل قـادر على مـا لا يـزال، قيـل هذا جمـع بين النفي والإثبـات فهـو في الأزل كـان قـادرا، أفكان القول ممكنا لـه أو ممتنعـا عليـه؟ إن قلتم: ممكن له فقد جوزتم دوام كونه فاعلا وأنه قـادر على حـوادث لا نهاية لها، وإن قلتم: بل كان ممتنعا (قبل)[1] القــدرة على الممتنع، (فمع)[2] كون الفعل ممتنعـا غـير ممكن لا يكـون مقدورا للقادر، إنما المقدور هو الممكن لا الممتنع.

فإذا قلتم: أمكنـه بعـد ذلـك، فقـد قلتم إنـه أمكنـه أن يفعل، بعد أن كان لا يمكنه أن يفعل، وهذا صريح في أنــه صار قادرا بعد أن لم يكن، وهو صريح في التغـير، فهـؤلاء النفاة الذين قالوا: إن المثبتة يلزمهم القول بأنه تغـير قـد بـان بطلان قــولهم، وأنهم هم الــذين قـالوا: بمـا يــوجب تغيره.

الحجـة الرابعة: قـالوا: حلـول الحـوادث بـه أفـول، والخليل قد قال: ﴿ﭼ ﭽ ﭾ﴾[3]، والآفل هو المتحرك الذي تقوم به الحوادث، فيكـون الخليـل قـد نفى المحبـة عمن تقوم به الحوادث فلا يكون إلها، وإذا قال المنازع أنا أريـد بكونه (تغير)[4]، أنه تكلم بمشيئته وقدرتـه، وأنـه يحب منـا الطاعة ويفرح بتوبة التائب ويأتي يوم القيامـة، قيـل: فهب أنـك سـميت هـذا تغـيرا؛ ، فلم قلت إن هـذا ممتنـع؟ فهـذا محل النزاع كما قال الرازي فالمقدم هو الثاني.

فقــد ثبت في الأحــاديث الصــحيحة أن اللــه يوصــف بـالغيرة وهي مشـتقة من التغـير فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم في الحـديث الصـحيح: ((لا أحـد أغـير من اللـه أن يزني عبده أو تزني أمته))[5]، وقـال أيضـا: ((لا أحـد أحب

---

1 () في المطبوع: (قيل).

2 ()في المطبوع: (مع)

3 () الأنعام: 76

4) في المخطوط: (تغيرا)

5 () أخرجه البخاري في صحيحه بألفـاظ متقاربــة(6/56)، رقم

إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الرسل، وأنزل الكتب، ولا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن))[1]، وقال: ((أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني))[2].

والجواب: أن قصة الخليل حجة عليهم لا لهم، وهم المخالفون لإبراهيم ولنبينا ولغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ
ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ
ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ
ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ
ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﴾[3].

فقد أخبر الله في كتابه أنه من حين بزغ الكوكب والقمر والشمس وإلى حين أفولها لم يقل الخليل: لا أحب البازغين، ولا المتحركين، ولا المتحولين، ولا أحب من تقوم به الحركات، ولا الحوادث، ولا قال شيئا مما يقوله النفاة حين أفل الكوكب والشمس والقمر.

والأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير: هو الغيب والاحتجاب[4]، بل هذا معلوم بالاضطرار من لغة العرب

الحديث: (4634)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾، وأخرجه مسلم (4/2114)، رقم الحديث: (2760)، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

1 () أخرجه مسلم في صحيحه(4/2114)، رقم الحديث: (2760)، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

2 () أخرجه البخاري في صحيحه(8/173)، رقم الحديث: (6846)، كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله، وأخرجه مسلم في صحيحه(2/1136)، رقم الحديث: (1499)، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل.

3 () الأنعام 76-79

4 () انظر: تفسير الطبري (11/481)، وانظر: لسان العرب(

التي نزل بها القرآن، وهو المراد باتفاق العلماء، فلم يقل إبــراهيم: ﴿لا أحب الآفلين﴾ (حــتى)[1] أفــل وغــاب عن الأبصار فلم يبق مرئيا ولا مشهودا، فحينئذ قـال: ﴿لا أحب الآفلين﴾، وهذا يقتضي أن كونـه متحركـا منتقلا تقـوم بـه الحوادث، بل كونه جسما متحـيزا تقـوم بـه الحـوادث؛ لم يكن دليلا عند إبراهيم على نفي محبته، فإن كان إبــراهيم إنمـا اسـتدل بـالأفول على أنـه ليس رب العـالمين كمـا زعموا؛ لزم من ذلـك أن يكـون مـا يقـوم بـه الأفـول من كونه متحركا منتقلا تحله الحوادث؛ بـل ومن كونـه جسـما متحـيزا لم يكن دليلا عنـد إبــراهيم على أنــه ليس بــرب العالمين، وحينئذ فيلزم أن تكون قصة إبراهيم حجــة على نقيض مطلــوبهم؛ لا على تعــيين مطلــوبهم، وهكـذا أهـل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سـمعية ولا عقليـة إلا وهي عند التأمل حجة عليهم لا لهم.

ولكن إبراهيم عليه السلام لم يقصد بقوله ﴿هذا ربي﴾ أنه رب العالمين ولا كان أحد من قومـه يقولـون إنـه رب العالمين (حـتى يـرد)[2] ذلـك عليهم، بـل كـانوا مشـركين مقــرين بالصــانع، وكــانوا يتخــذون الكــواكب والشــمس والقمر أربابا يدعونها من دون الله، ويبنـون لهـا الهياكـل، وقـد صـنفت في مثـل مـذهبهم كتب مثـل كتـاب السـر المكتــوم في الســحر ومخاطبــة النجــوم[3] وغــيره من الكتب.

ولهذا قال الخليل: ﴿ ۇ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۅ ۉ ې ﴾ ۋ ۋ ﴾ ې ې ې ې ې ې ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ

11/18)، مادة: أفل.

1 () في المطبوع: (إلا حين)

2 () في المخطوط والمطبوع: (من تجويز)، والمثبت من جامع الرسائل والمسائل وهو الصواب.

3 () هذا الكتاب لفخر الدين الرازي.

4 () الشعراء 75 - 77

ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې[1]، ولهذا قال الخليل في تمام الكلام: ﮋ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ[2].

بين أنه إنما يعبد الله وحده، فله يوجّه وجهه، إذا توجه قصده إليه؛ يتبع قصده وجهه، فالوجه توجه حيث توجه القلب، فصار قلبه وقصده ووجهه متوجها إلى الله تعالى، ولهذا قال: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ لم يذكر أنه أقر بوجود الصانع فإن هذا كان معلوما عند قومه، لم يكونوا ينازعونه في وجود فاطر السموات والأرض، وإنما كان النزاع في عبادة غير الله واتخاذه ربا، فكانوا يعبدون الكواكب السماوية، ويتخذون لها أصناما أرضية، وهذا النوع الثاني من الشرك، فإن الشرك في قوم نوح كان أصله من عبادة الصالحين أهل القبور، ثم صوروا تماثيلهم فكان شركهم بأهل الأرض[3]، إذ كان الشيطان إنما يضل الناس بحسب الإمكان، فكان ترتيبه أولا الشرك بالصالحين أيسر عليه.

ثم قوم إبراهيم انتقلوا إلى الشرك بالسماويات بالكواكب، وصنعوا لها الأصنام بحسب ما رأوه من طبائعها، يصنعون لكل كوكب طعاما وخاتما وبخورا وأموالا تناسبه، وهذا كان قد اشتهر على عهد إبراهيم إمام الحنفاء، ولهذا قال الخليل: ﮋ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ﮊ[4]، وقال لهم: ﮋ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ[5]، وقصة إبراهيم قد ذكرت في غير موضع من القرآن[6] مع قومه إنما فيها نهيهم عن الشرك، خلاف

---

1 () الممتحنة 4

2 () الأنعام 78، 79

3 () أصله ما جاء في صحيح البخاري (6/160)، رقم الحديث: (4920)، كتاب تفسير القرآن، باب ﮋودا ولا سواعا، ولا يغوث ويعوقﮊ [نوح: 23].

4 () الصافات 85-87

5 () الصافات 95-96

6 () مثل: سورة الأنعام: 76، 77، وسورة البقرة 257،

قصة موسى مع فرعون فإنها ظاهرة في أن فرعون كان مظهرا (لإنكار الخالق)[1] وجحوده.

وقد ذكر الله عن إبراهيم أنه حاج الذي حاجه في ربه في قوله: ﴿ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک﴾[2]، فهذا قد يقال: إنه كان جاحدا للصانع ومع هذا فالقصة ليست صريحة في ذلك؛ بل يدعو الإنسان إلى عبادة نفسه وإن كان لا يصرح بإنكار الخالق مثل إنكار فرعون.

وبكل حال؛ فقصة إبراهيم إلى أن تكون حجة عليهم أقرب منها إلى أن تكون حجة لهم، وهذا بيّن ولله الحمد، بل ما ذكره الله عن إبراهيم يدل على أنه كان يثبت ما ينفونه عن الله، فإن إبراهيم قال: ﴿ ۈ ۈ ۇ ۇ ۋ ۋ ﴾[3]، والمراد به: أنه يستجيب الدعاء، كما يقول المصلي: سمع الله لمن حمده، وإنما يسمع الدعاء ويستجيبه بعد وجوده لا قبل وجوده، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ﴾[4].

فهي تجادل وتشتكي حال سمع الله تحاورهما، وهذا يدل على أن سمعه كرؤيته المذكورة في قوله: ﴿ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې﴾[5]، وقال: ﴿ ﴾[6]، فهذه رؤية مستقلة ونظر مستقل وقد تقدم أن المعدوم لا يرى ولا يسمع منفصلا عن الرائي السامع باتفاق العقلاء، فإذا وجدت الأقوال والأعمال سمعها

وسورة مريم 41، وسورة الأنبياء 62، وسورة الشعراء 69، وسورة الزخرف 26.

[1] () في المطبوع: (الإنكار للخالق)

[2] () البقرة 258

[3] () إبراهيم 39

[4] () المجادلة 1

[5] () التوبة 105

[6] () يونس 14

(ورآها)[1].

والرؤية والسمع أمر وجودي لا بد له من موصوف يتصف به، فإذا كان هو الذي (رآها)[2] وسمعها امتنع أن يكون غيره هو المتصف بهذا السمع وهذه الرؤية، وأن تكون قائمة بغيره، فتعين قيام هذا السمع وهذه الرؤية به بعد أن خلقت الأعمال والأقوال، وهذا مطعن لا حيلة فيه، وقد بسط الكلام على هذه المسألة وما قال فيها عامة الطوائف في غير هذا الموضع[3]، وحكيت ألفاظ الناس بحيث يتيقن الإنسان أن النافي ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية، وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة لمذهب السلف وأهل الحديث، وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة مع الكتب المتقدمة التوراة والإنجيل والزبور، فقد اتفق عليها نصوص الأنبياء، وأقوال السلف، وأئمة العلماء، ودلت عليها صرائح المعقولات، فالمخالف فيها كالمخالف في أمثالها ممن ليس معه حجة لا سمعية ولا عقلية، بل هو شبيه بالذين قالوا: □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□[4].

قال الله تعالى: □ ې ې ۑ ۑ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□[5]، ولكن هذه المسألة ومسألة الزيارة وغيرهما حدث من المتأخرين فيها شبه.

وأنا وغيري كنا على مذهب الآباء في ذلك[6]، نقول في الأصلين بقول أهل البدع، فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فكان الواجب هو اتباع الرسول، وأن لا نكون ممن

---

1 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

2 () ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

3 () انظر مثلا بيان تلبيس الجهمية (2/428)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.

4 () الملك: 10

5) الحج: 46

6)) القائل هو الإمام ابن تيمية.

قيل فيه: ﴿ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾[1]، وقد قال تعالى: ﴿ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ﴾[3].

فالواجب اتباع الكتاب المنزل والنبي المرسل وسبيل من أناب إلى الله (فاتبعنا)[4] الكتاب والسنة كالمهاجرين والأنصار دون ما خالف ذلك من دين الآباء وغير[5] الآباء، والله يهدينا وسائر إخواننا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والله سبحانه أنزل القرآن وهدى به الخلق وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، وأم القرآن هي فاتحة الكتاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ﴾ قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ﭝ ﭞ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿ ﭠ ﭡ ﭢ﴾ قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ﴾ قال الله: هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ﴾ قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل))[6].

فهذه السورة فيها لله الحمد، فله الحمد في الدنيا والآخرة، وفيها للعبد السؤال، وفيها العبادة لله وحده، وللعبد الاستعانة، فحق الرب حمده وعبادته وحده، وهذان: حمد الرب وتوحيده، يدور عليهما جميع الدين،

---

1 () لقمان 21

2 () الزخرف 24

3 () لقمان 14-15

4 () في المخطوط: (فاتبع)

5 () في المخطوط زيادة: (من) ولا وجه لها.

6 () تقدمت التخريج.

ومسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمــده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقـرار بـأن اللـه محمـود ألبتـة، ولا أنـه رب العالمين، فإن الحمد ضد الـذم، والحمـد هـو: الإخبـار بمحاسـن المحمـود مـع المحبـة لـه، والـذم هـو: الإخبـار بمساوئ المذموم مع البغض له، وجمـاع المسـاوئ، فعـل الشر كما أن جماع المحاسن فعل الخير، فإذا كـان يفعـل الخير بمشيئته وقدرته اسـتحق الحمـد، فمن لم يكن لـه فعل اختياري يقوم بـه، بـل ولا يقـدر على ذلـك؛ لا يكـون خالقا ولا ربا للعالمين.

وقوله: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ پ﴾[1]، ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ﴾[2] ونحو ذلك، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله، فإنـه من المعلـوم بصـريح العقـل أنـه إذا خلـق السموات والأرض فلا بد من فعل يصير به خالقا، وإلا فلو استمر الأمـر على حـال واحـدة لم يحـدث (فعلا)[3] لكـان الأمــر على مــا كــان قبــل أن يخلــق، وحينئــذ فلم يكن المخلــوق موجــودا، فكــذلك يجب أن لا يكــون المخلــوق موجودا، إن كان الحـال في المسـتقبل مثـل مـا كـان في الماضي، لم يحـدث من الـرب فعـل هـو خلـق السـموات والأرض، وقد قال تعالى: ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ﴾[4]، ومعلـوم أنهم قـد شـهدوا نفس المخلـوق، فـدل على أن الخلـق لم يشـهدوه، وهـو تكوينـه لهـا وإحداثـه لهـا، غـير المخلوق الباقي.

وأيضا فإنه قال: ﴿ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک﴾[5]، فالخلق لها كان في سـتة أيـام، وهي موجـودة بعـد المشـيئة، فالـذي اختص بالمشيئة غير الموجود بعـد المشـيئة، وكـذلك ﴿ٻ ٻ﴾ فإن الرحمن الـرحيم هـو الـذي يـرحم العبـاد بمشـيئته وقدرته، فإن لم يكن لـه رحمـة إلا نفس إرادة قديمـة، أو

---

[1] () الأنعام 1

[2] () الكهف 1

[3]) في المطبوع: (فعل).

[4] () الكهف 51

[5] () الأعراف 54

صفة أخرى قديمة؛ لم يكن موصوفا بأنه يـرحم من يشـاء ويعذب من يشاء، قال الخليل: ﴿ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ﴾[1] فالرحمة ضد التعذيب والتعذيب فعله وهو يكون بمشيئته، كذلك الرحمة تكون بمشيئته، كما قال: ﴿ ﯚ ﯛ ﯜ﴾، والإرادة القديمة اللازمة لذاته، أو صفة أخرى لذاته، ليست بمشيئته؛ فلا تكون الرحمة بمشيئته.

وإن قيل: ليس بمشـيئته إلا المخلوقـات المباينـة لـزم أن لا (تكون)[2] صفة للرب بل تكـون مخلوقـة له[3]، وهـو إنما يتصف بما يقوم به لا يتصـف بالمخلوقـات، فلا يكـون هو الرحمن الـرحيم، وقـد ثبت في الصـحيحين عن النـبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: (لمـا قضـى اللـه الخلـق كتب في كتــاب فهــو موضــوع عنــده فــوق العــرش: إن

---

1 () العنكبوت 20-21

2) في المخطوط: (يكون)

3 () ومن الذين قالوا أن إرادته ومشيئته مباينة له مخلوقة لـه: أبو الهذيل حيث يقول: إرادة الله سـبحانه لكـون الشـيء هي غير الشيء المكون، وهي توجد لا في مكان، وإرادته للإيمان غيره وغير الأمر به وهي مخلوقة، ولم يجعل الإرادة أمـراً ولا حكماً ولا خبراً، وإلى هـذا القـول كـان يـذهب محمـد بن عبـد الوهاب الجبائي إلا أن أبا الهذيل كان يزعم أن الإرادة لتكوين الشيء والقول له: كن، خلق للشـيء، وكـان الجبـائي يقـول: أن الإرادة لتكوين الشـيء هي غـيره، وليسـت بخلـق لـه، ولا جـائز أن يقـول اللـه سـبحانه للشـيء: كن، وكـان يـزعم أن الخلق هو المخلوق، وكان أبو الهذيل لا يثبت الخلـق مخلوقـاً، وكان بشـر بن المعتمـر يقـول: خلـق الشـيء غـيره، ويجعـل الإرادة خلقاً له، وينكر قول أبي الهذيل أن الخلق إرادة وقول وكـان ينكـر القـول. انظـر: مقـالات الإسـلاميين (ص: 510)، ومن المعتزلـة من يقـول: إن البـاري تعـالى ليس موصـوفا بـالإرادة على الحقيقـة، فـإذا وصـف بهـا شـرعا في أفعالـه فالمراد بذلك أنه خالقهـا ومنشـئها على حسـب مـا علم، وإذا وصف بكونه مريدا لأفعال العباد فالمعنى به أنه آمر بها ونـاه عنها. انظر: الملل والنحل(1/55).

رحمتي تغلب غضبي)[1]، وفي رواية (تسبق غضبي)[2]، وما كان سابقا لما يكون بعده لم يكن إلا بمشيئة الرب وقدرته.

ومن قال: ما ثم رحمة إلا إرادة قديمة أو ما يشبهها[3]، امتنع أن يكون له غضب مسبوق بها، فإن الغضب إن فسر بالإرادة، فالإرادة لم تسبق نفسها، وكذلك[4] فسر بصفة قديمة العين، فالقديم لا يسبق بعضه بعضا، وإن فسر بالمخلوقات لم يتصف برحمة ولا غضب، وهو قد فرق بين غضبه وعقابه بقوله: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ﴾[5]، وقوله: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾[6]، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)[7]، ويدل على ذلك قوله: ﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ

---

1 () أخرجه البخاري في صحيحه(4/106)، رقم ا لحديث: (3194)، كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾ [الروم: 27]، ورواه مسلم(4/2108)، رقم الحديث: (2751)، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

2 () هذه الرواية أخرجها البزار في مسنده(16/115)، رقم الحديث: (9195)، وفي رواية البخاري في صحيحه: (إن رحمتي سبقت غضبي)، (9/135) رقم الحديث: (7453)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ﴾ [الصافات: 171].

3 () وهم الأشاعرة والكلابية والكرامية، انظر: مقالات الإسلاميين (ص: 529، 507)، ودرء التعارض (1/330)، (2/259)، ومنهاج السنة(1/188).

4) في المطبوع زيادة: (إن)

5 () النساء 93

6 () الفتح 6

7 () رواه الإمام أحمد في مسنده (6/246)، رقم الحديث: (6696)، ورواه الترمذي(5/541)، رقم الحديث: (3527)،

ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ [1]، فعلق الرحمة بالمشيئة كما علق التعذيب، وما تعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية.

وكـذلك كونـه مالكـا ليـوم الـدين، يـوم يـدين العبـاد بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، يوم الـدين ومـا أدراك ما يوم الدين ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ [2]، فإن الـمـلــك هو الذي يتصرف بأمر فيطاع[3]، ولهذا إنما يقال ((ملك)) (للحي المطـاع)[4] الأمـر، لا يقـال في الجمـادات لصـاحبها: ملـك، إنمـا يقـال لـه: مالـك، ويقـال ليعسـوب النحل: ملك النحل، لأنه يأمر فيطاع، والمالك القـادر على التصريف في المملوك، وإذا كان الملك هو الآمـر النـاهي المطاع، فإن كان يأمر وينهى بمشيئته؛ كـان أمـره ونهيـه من الصـفات الاختياريـة، وبهـذا أخـبر القـرآن، قـال اللـه تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ [5].

وإن كـان لا يـأمر وينهى بمشـيئته، بـل أمـره لازم لـه،

أبـواب الـدعوات، ، وسـنن أبـو داود(4/12)، رقم الحـديث: (3893)، كتــاب الطب، بــاب كيــف الــرقى، وقــال الإمــام الترمذي: (حسن غريب)، قال أحمد شاكر: (إسناده صـحيح)، وحسن إسناده الألباني، انظر: سلسـلة الأحـاديث الصـحيحة(1/528)، رقم الحديث: (264).

1 () الإسراء 54

2 () الإنفطار 19

3 () قال ابن منظـور: (كـل من يملـك فهـو مالـك، لأنـه بتأويـل الفعل مالك الدراهم، ومالك الثوب، ومالك يوم الدين، يملــك إقامة يوم الدين؛ ومنـه قولـه تعـالى: ﴿مالـك الملـك﴾، قـال: وأما ملك الناس، وسيد الناس، ورب الناس، فإنه أراد أفضـل من هـؤلاء، ولم يـرد أنـه يملـك هـؤلاء. . . وملـك اللـه تعـالى وملكوته: سلطانه وعظمته، ولفلان ملكوت العراق، أي: عزه وسـلطانه وملكـه). انظـر: لسـان العـرب (10/492)، حـرف الكاف، فصل الميم.

4) في المخطوط: (لحي المطيع)

5 () المائدة 1

حاصل بغير مشيئته ولا قدرتـه؛ لم يكن هـذا مالكـا أيضـا، بل هذا (أولى)[1] أن يكون مملوكا، فإن اللـه تعـالى خلـق الإنسـان، وجعـل لـه صـفات تلزمـه كـاللون، والطـول، والعـرض، والحيـاء، ونحـو ذلـك ممـا يحصـل لذاتـه بغـير اختيـاره، (فكـان)[2] باعتبـار ذلـك مملوكـا مخلوقـا للـرب فقـط، وإنمـا يكـون ملكـا إذا كـان يـأمر وينهى باختيـاره فيطاع، وإن كان الله خالقا لفعله ولكل شيء.

ولكن المقصـود أنـه لا يكـون ملكـا إلا من يـأمر وينهى بمشيئته وقدرته، بل من قال إنه لازم له بغير مشـيئته، أو قال إنه مخلوق له، فكلاهما يلزمه أنه لا يكون ملكــا، وإذا لم يمكنه أن يتصرف بمشيئته لم يكن مالكا أيضا.

فمن قال إنه لا يقوم به فعـل اختيـاري، لم يكن عنـده في الحقيقـة مالكـا لشـيء، وإذا اعتـبرت سـائر القـرآن، وجدت أنه من لم يقر بالصفات الاختيارية، لم يقم بحقيقة الإيمـان ولا القـرآن، فهـذا يـبين أن الفاتحـة وغيرهـا يـدل على الصفات الاختياريـة، وقولـه: ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ فيـه إخلاص العبادة لله والاستعانة به، وأن المؤمنين لا يعبدون إلا اللــه ولا يسـتعينون إلا باللــه، فمن دعـا غـير اللــه من المخلـوقين أو اسـتعان بهم من أهـل القبـور وغـيرهم لم يحقق قوله: ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ولا يحقق ذلك إلا من فرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية.

فإن الزيـارة الشـرعية: عبـادة للـه، وطاعـة لرسـوله، وتوحيد لله، وإحسان إلى عباده، وعمل صـالح من الزائـر يثـاب عليـه، والزيـارة البدعيـة: شـرك بالخـالق، وظلم للمخلوق، وظلم للنفس، فصـاحب الزيـارة الشـرعية هـو الذي يحقق قوله: ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ألا ترى أن اثنين لـو شـهدا جنـازة، فقـام أحـدهما يـدعو للميت ويقـول: اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسـع مدخلــه، واغســله بمــاء وثلج وبــرد، ونقــه من الــذنوب

---

1 () في المخطوط: (إلى).

2 () في المخطوط: (كان)

والخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وأعذه من عذاب النار، وعذاب القبر، وأفسح له في قبره ونور له فيه، ونحو ذلك من الدعاء له، وقام الآخر فقال: يا سيدي أشكو (إليك)[1] ديوني وأعدائي وذنوبي، أنا مستغيث بك، مستجير بك، أغثني ونحو ذلك؛ لكان الأول عابدا لله، ومحسنا إلى خلقه، محسنا إلى نفسه بعبادة الله ونفعه عباده، وهذا الثاني مشركا مؤذيا ظالما معتديا على الميت، ظالما لنفسه.

فهذا بعض ما بين البدعية والشرعية من الفروق، والمقصود أن صاحب الزيارة الشرعية إذا قال: ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ كان صادقا، لأنه لم يعبد إلا الله، ولم يستعن إلا به، وأما صاحب الزيارة البدعية، فإنه عبد غير الله واستعان بغيره، فهذا بعض ما يبين أن الفاتحة أم القرآن: اشتملت على بيان المسألتين المتنازع فيهما، مسألة الصفات الاختيارية، ومسألة الفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية.

والله تعالى هو المسئول أن يهدينا وسائر إخواننا إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

ومما يوضح ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال العبد: ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﭞ ﭟ قال أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﭡ ﭢ ﭣ قال الله: مجدني عبدي، فذكر الحمد والثناء والمجد، بعد ذلك يقول: ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ إلى آخرها[2]، هذا في أول القراءة في قيام الصلاة، ثم في آخر القيام بعد الركوع يقول: ((ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الأرض، إلى قوله: أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت،

1) في المطبوع: (لك)

2 () سبق تخريجه في نفس الرسالة.

ولا ينفع ذا الجد منك الجد))[1]، وقوله: أحق ما قال العبـد، خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا الكلام أحق ما قال العبد.

فتبين أن حمد الله، والثناء عليه، أحق مـا قالـه العبـد، وفي ضمنه توحيده له [إذا][2] قال: (ولك الحمد)، أي: لك لا لغيرك، وقال في آخره: (لا مانع لما أعطيت ولا معطي لمـا منعت) وهـذا يقتضـي انفـراده بالعطـاء والمنـع، فلا يستعان إلا به، ولا يطلب إلا منه.

ثم قال: (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) فبين أن الإنسـان وإن أعطي الملك والغنى والرئاسة، فهـذا لا ينجيـه منـك، إنما ينجيه الإيمان والتقوى، وهذا تحقيق قوله: ﴿ ٿ ٿ ٿ ٿ ﴾ فكان هذا الذكر في آخر القيام؛ لأنـه ذكـر أول القيـام، وقوله: (أحق ما قال العبـد) يقتضـي أن يكـون حمـد اللـه أحق الأقوال بأن يقوله العبد، وما كان أحق الأقـوال كـان أفضلها وأوجبها على الإنسان.

ولهــذا افــترض اللــه على عبــاده في كــل صــلاة أن يفتتحوها بقولهم: ﴿ پ پ ڀ ڀ ﴾، وأمرهم أيضا أن يفتتحوا كل خطبة بالحمد لله، فأمرهم أن يكون مقـدما على كـل كلام، سواء كان خطابا للخالق أو خطابا للمخلـوق، ولهـذا يقدم النبي صلى الله عليه وسـلم الحمـد أمـام الشـفاعة يـوم القيامة[3]، ولهـذا أمرنـا بتقـديم الثنـاء على اللـه في التشهد قبل الدعاء، وقال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم:

---

[1] () أخرجه مسلم في صحيحه(1/347)، رقم الحديث: (477)، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع.

[2] () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[3] () حـديث الشـفاعة المشـهورة وفيهـا: (ثم يقـال لي: ارفـع رأسـك: سـل تعطـه، وقـل يسـمع، واشـفع تشـفع، فـأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحـد لي حـدا) أخرجـــه البخـــاري في صـــحيحه(8/116)، رقم الحـــديث: (6565)، كتاب الرقاق، باب صـفة الجنـة والنـار، ومسـلم في صحيحه(1/175)، رقم الحديث: (193)، كتاب الإيمان، بـاب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

((كل أمر ذي بال لا يبـدأ فيـه بالحمـد لله فهـو أجـذم))[1]، ((وأول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء))[2].

وقوله: ﴿ ٻ پ ﴾ جعله ثناء، وقوله: ﴿ٺ ٿ ٿ﴾ جعله تمجيدا، وقوله: ﴿پـ ٻ﴾ حمد مطلق، فإن الحمـد اسـم جنس والجنس له كميـة وكيفيـة؛ فالثنـاء كميتـه، وتكبـيره وتعظيمه كيفيته، والمجـد هـو السـعة والعلـو، فهـو يعظم كيفيته وقدره وكميته المتصـلة، وذلـك أن هـذا وصـف لـه بالملك، والملك يتضمن القدرة وفعل مـا يشـاء[3]، و﴿ ٻ پ ﴾ وصف بالرحمة المتضمنة لإحسانه إلى العباد بمشـيئته وقدرته أيضا، والخير يحصل بالقدرة والإرادة التي تتضمن الرحمة.

فإذا كان قديرا مريدا للإحسان، حصل كل خـير، وإنمـا يقع النقص لعدم القدرة أو لعـدم إرادة الخـير، فـالرحمن الـرحيم الملـك، قـد اتصـف بغايـة إرادة الإحسـان وغايـة القدرة، وذلك يحصل به خير الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿ٺ ٿ ٿ﴾ مع أنه ملك الدنيا، لأن يوم الدين لا يدعي أحد فيه منازعة، وهـو اليـوم الأعظم، فمـا الـدنيا في الآخرة إلا كما يضـع أحـدكم إصـبعه في اليم، فلينظـر بم (يرجـع)[4]، والـدين: عاقبـة أفعـال العبـاد، وقـد يـدل بطريق التنبيه، وبطريـق العمـوم عنـد بعضـهم على ملـك الدنيا، فيكون له الملك وله الحمد، كما قال تعـالى: ﴿ پ

---

1 () أخرجـه أبـو داود في سـننه (4/261)، رقم الحـديث: (4840)، كتـاب الأدب، بـاب الهـدي في الكلام، وضـعفه الألباني، انظر: ضـعيف الـترغيب والـترهيب(1/240)، مكتبـة المعارف، الرياض.

2 () أخرجه أبو نعيم في صفة الجنـة(1/107)، رقم الحـديث: (82)، دار المأمون للتراث، دمشق، سـوريا، وضـعفه الألبـاني في سلسلة الأحاديث الضعيفة(2/93).

3 () انظر معاني الحمد في تفسير سورة الفاتحـة، تفسـير ابن جرير الطبري(1/135)، وتفسير ابن كثير(1/127).

4) في المخطوط: (ترجع).

ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ [1]، وذلك يقتضي أنه قادر على أن يرحم، ورحمته وإحسانه وصف له، يحصل بمشيئته، وهو من الصفات الاختيارية.

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: ((إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر- ويسميه باسمه - خيرا لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان))[2].

فسأله بعلمه وقدرته ومن فضله، وفضله يحصل برحمته، وهذه الصفات هي جماع صفات الكمال، لكن العلم له عموم التعلق، يتعلق بالخالق والمخلوق والموجود والمعدوم، وأما القدرة فإنما تتعلق بالمخلوق، وكذلك الملك إنما يكون ملكا على المخلوقات.

فالفاتحة اشتملت على الكمال في الإرادة وهو الرحمة، وعلى الكمال في القدرة وهو ملك يوم الدين، وهذا إنما يتم بالصفات الاختيارية كما تقدم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

1 () التغابن 1

2 () أخرجه البخاري في صحيحه(8/81)، رقم الحديث: (6382)، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة.

الرسالة الثالثة

مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو

مسألة[1][2]

(سئل عنها سيدنا وشيخنا شيخ الإسلام ناصر السنة، فريد الوقت، وبحر العلوم، بقية المجتهدين، وقدوة المتأخرين، تاج العارفين، ولسان المتكلمين، رحله الطالبين، إمام الزاهدين، ومنار المجتهدين، الإمام الحجة النوراني، والعالم المتقي الرباني، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة شهاب الدين، بهاء الإسلام شرف الإمام مفتي الشام أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العالم العلامة مجد الدين ضياء الإسلام شرف الإمام، رئيس الأصحاب سيد العلماء والفضلاء، أبي البركات عبد السلام[3] ابن أبي القاسم ابن محمد بن تيمية الحراني متعنا الله بعلومه الفاخرة وأثابه الله في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمه باطنة وظاهرة، وهي مسألة شريفة اشتملت على غرر من المقاصد المهمة مع صغر حجمها، سأل عنها الشيخ محمد بن محمد المغربي المراكشي في شهور سنة اثني عشر وسبع مائة بالقاهرة المعزية.

---

[1] () تمت مقابلة المخطوط مع ما طبع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله تعالى, طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, المدينة المنورة, 1424ه.

[2] () اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين، لأن الأصل وجدته ناقصا، والأصل الذي ذكرته في الخطة عند التقديم للقسم سميته (أ)، والثاني سميته (ب).

[3] () عبد السلام بن عبد الله بن الخضر الحراني، الشيخ، الإمام، العلامة، فقيه العصر، شيخ الحنابلة، ولد: سنة تسعين وخمسين مائة تقريبا، قال الشيخ تقي الدين: كان جدنا عجبا في سرد المتون، وحفظ مذاهب الناس، وإيرادها بلا كلفة، توفي: بحران، يوم الفطر، سنة اثنتين وخمسين وست مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (23/291)

وأولها: ما تقول السادة العلمـاء (في)[1] رجلين تباحثـا)[2] في مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلـو [على العرش][3].

فقال أحدهما: لا يجب على أحد معرفة هذا ولا البحث عنه، بل يكره له كما قال [الإمام][4] مالك للسائل: (ومـا أراك إلا رجـل سـوء)[5]، وإنما يجب عليه أن يعرف ويعتقد أن الله تعالى واحد في ملكه، وهو رب كل شيء، وخالقه، ومليكه، (بل من)[6] تكلم في شيء من هذا فهو

1) في نسخة (ب)، وفي المطبوع: (عن)

2) وفي نسخة (ب): (بسم الله الـرحمن الـرحيم، الحمـد للـه رب العالمين سئل شيخ الإسلام، فريد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمة الله عليه)، وفي المطبوع: (سئل شيخ الإسلام فريد الزمان بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله عن رجلين تباحثا في مسألة الإثبات للصـفات والجزم بإثبات العلو على العرش)

3) ما بين المعقوفين سقطت من (ا).

4) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

5) انظر اعتقاد أهل السـنة للالكـائي (3/441)، والتمهيـد لابن عبد البر (7/151)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبـد الكبـير البكـري، وزارة عمـوم الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية، المغـرب، 1387 هــ، وحليـة الأوليـاء لأبي نعيم (6/325)، دار الكتب العلمية، بيروت (طبعـة 1409هــ، والـرد على الجهمية للدرامي (ص: 66)، تحقيـق: بـدر بن عبـد اللـه البدر، دار ابن الأثير، الكويت، 1416هــ، والأسـماء والصـفات للـبيهقي (2/304)، تحقيـق: عبـد اللـه بن محمـد الحاشـدي، مكتبة السوادي، جدة، 1413 هـ.

6 () في نسخة (ا): (ومن).

مجسم حشوي[1]، (فهل هذا)[2] القائل لهذا الكلام مصيب أم مخطئ؟ فإذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا إثبات الصفات والعلو [على العرش الذي هو أعلى المخلوقات][3][4] ويعرفونه، [وما معنى التجسيم والحشو]؟[5] أفتونا وابسطوا القول فيه [بسطا شافيا يزيل الشبهات في هذا مثابين][6]مأجورين [إن شاء الله][7].

---

1 () الحشوية: من الحشو، والحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وكذلك هو من الناس، وحشوة الناس: رذالتهم، انظر: لسان العرب (14/180)، وأهل البدعة يلمزون أهل السنة بمثل هذه الألقاب الشنيعة، وأول من عرف أنه تكلم في الإسلام بهذا اللفظ عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة فقيههم وعابدهم فإنه ذكر له عن ابن عمر شيء يخالف قوله، فقال كان ابن عمر حشويا نسبة إلى الحشو، وهم العامة والجمهور، فإن الطوائف الذين تميزوا عند أنفسهم بقوله تميزوا به عما عليه جماعة المسلمين وعامتهم يسمونهم بنحو هذا الاسم. انظر: بيان تلبيس الجهمية (2/127)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.

2) في نسخة: (أ): (فهذا).

3) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ا)

4) من أدلة أن العرش أعلى المخلوقات قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة) انظر: صحيح البخارى، رقم الحديث: (2790). (4/16)، دار طوق النجاة، 1422هـ.

وقال ابن أبي العز: (التصريح بالاستواء مقرونا بأداة ((على)) مختصا بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحبا في الأكثر لأداة ((ثم)) الدالة على الترتيب والمهلة)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، 1426هـ، وقال ابن أبي زمنين: (ومن قول

[فأجاب المشارُ إليه قائلا][1]: الحمد لله رب العالمين، يجب على (الخلق)[2] الإقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فما جاء به القرآن [العزيز][3] أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل، (فلا)[4] يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله، شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله [تعالى][5]، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة، إذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه، وقد قال[الله][6] تعالى: ﮋ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ﮊ [7].

(وبالجملة)[8]، فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لا يحتاج إلى تقريره[9]، وهو الإقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما جاء به من القرآن

أهل السنة: أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء)، أصول السنة، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، 1415 هـ.

5) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب)، ومن المطبوع.

6 () ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ)

7) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).

1) في نسخة (أ): (الجواب قال رضي الله عنه)، وفي المطبوع: (فأجاب).

2) في نسخة (ر): (الخلائق).

3) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ)

4) في نسخة (أ): (ولا).

5) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).

6) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).

7) الحاقة: 44 - 46

8) في نسخة (أ): (وفي الجملة)

9) في المطبوع زيادة: (هنا)

والسنة، كما قال تعالى[1]: ﴿ ې ې ې ۉ ۉ ۋ ۋ ۇٴ ۆ ۆ ۈ ﴾[2]، وقال تعالى: [﴿ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﴾[3]][4]، وقال تعالى: ﴿ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم ﴾[8].

ومما جاء به الرسول رضاه عن السابقين الأولين وعمن اتبعهم بإحسان[9]، كما قال تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ﴾[10]، ومما جاء به الرسول إخباره [بأنه][11] [تعالى][12] قد أكمل الدين بقوله [سبحانه][13]: ﴿ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ﴾[14]، ومما جاء به الرسول أمر الله له بالبلاغ المبين [كما قال تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ﴾[15]][16] وقال تعالى: ﴿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾[17] وقال تعالى: ﴿ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ

1 () في المطبوع زيادة لفظ ا لجلالة: (الله).
2 () آل عمران: 164
3 () البقرة: 151
4) ما بين المعقوفين من الآية الكريمة سقط من نسخة: (أ)
5) البقرة: 231
6) النساء: 64
7) النساء: 65
8) النساء: 59
9) في المطبوع زيادة (إلى يوم الدين).
10) التوبة 100
11) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).
12) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ)
13) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ)
14) المائدة 3
15) النور: 54
16) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب).
17) النحل: 44

ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ[1].

ومعلوم أنه قد بلغ [الرسالة][2] كما أُمِرَ، ولم يكتم منها شيئا، فإن كتمان ما (أنزله)[3] الله إليه يناقض موجب الرسالة، كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة، ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما (أمر)[4] الله، وبَيَّن ما أُنْزِل إليه من ربه، وقد أخبر الله (بأنه)[5] أكمل الدين، [وإنما كمل][6] بما بلغه، إذ الدين لم يُعْرف إلا بتبليغه، فَعُلِم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده، كما قال صلى الله عليه وسلم ((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[7]، وقال: ((ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدَّثْتُكُمْ به ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدَّثْتُكُمْ به))[8].

وقال أبو ذر: (لقد توفي رسول الله صلى

---

1) المائدة: 67

2) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).

3 () في نسخة (أ): (أنزل).

4) في المطبوع: (أمره).

5) في المطبوع زيادة: (قد).

6) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب).

7) تقدم تخريج الحديث.

8) أخرجه البغوي في شرح السنة (14/303)، رقم الحديث: (4111)، والبيهقي في الاسماء والصفات (1/499)، رقم الحديث: (4227)، وقال الألباني: (وبالجملة فالحديث حسن على أقل الأحوال)، انظر: السلسلة الصحيحة (6/865)، رقم الحديث: (2866).

الله عليه وسلم وما [من][1] طائــــر يقلب (جنـــاحيه)[2] في السماء إلا (أفادنا منه علما)[3][4].

إذا تـبين هـذا: فقـد وجب على كـل مسـلم تصـديقه فيما أخبر به عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته (مما)[5] جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه، كما كـان عليـه السـابقون الأولـون من المهـاجرين والأنصـار، والـذين اتبعـوهم بإحسـان،[6]رضـي اللـه عنهم ورضـوا عنـه، فـإن هـؤلاء هم الـذين تلقّـوا عنـه القـرآن والسـنة، وكـانوا (ينقلون)[7] عنه ما في ذلك من العلم والعمـل، كمـا قـال أبو عبـد الرحـمن السلمي[8]: (لقد حـــدَّثَنا الـذين كـانوا يُـقْرِئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود،

---

[1] () ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب) ومن المطبوع.

[2] () في نسخة (ب): (جناحه).

[3] () في المطبوع: (إلا ذكر لنا منه علما).

[4]) الأثر في مسند أحمد (35/290)، رقم الحديث: (21361)، ومسـند الـبزار (9/341)، رقم الحـديث: (3897)، تحقيـق: محفوظ الرحمن زين اللـه وآخـرون، مكتبـة العلـوم والحكم، المدينة المنورة، وصحيح ابن حبان (1/267)، رقم الحديث: (65)، تحقيق: شعيب الأرنـؤوط، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، 1408هـ، والمعجم الكبير للطبراني (2/155)، رقم الحـديث: (1647)، وقـال الهيثمي: (رواه أحمـد، والطـبراني، ورجـال الطبراني رجـال الصـحيح، غـير محمـد بن عبـد اللـه بن يزيـد المقرئ وهو ثقـة) انظـر: مجمـع الزوائـد (4/263)، تحقيـق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسـي، القـاهرة، 1414 هــ، وصـححه الألبـاني في السلسـلة الصـحيحة (4/416)، رقم الحديث: (1803).

[5]) في نسخة: (أ): (فما)

[6]) في المطبوع زيادة: (الذين).

[7]) في نسخة (أ): (يتلقون).

[8]) أبو عبد الرحمن السلمي هـو: عبـــد اللـه بن حبـــيب بن ربيــــعة الكـــوفي، مقــرئ الكوفــة، الإمــام، العلم، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، يقـال: توفي سنة أربع وسبعين، انظر: سير أعلام النبلاء (4/272).

وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشَر آيات؛ لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا))[1].

وقد (أقام)[2] عبد الله بن عمر وهو من أصاغر الصحابة في تعلم البقرة ثماني سنين[3]، [وإنما ذلك][4] لأجل الفهم والمعرفة.

وهذا معلوم من وجوه:

أحدها: أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظا ومعنى، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أَوْكَد، فإنه قد عُلِم أنه من قرأ كتابا في الطب، أو الحساب، أو النحو، أو الفقه، أو غير ذلك؛ فإنه لا بد أن يكون راغبا في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن (قرأوا)[5] كتاب الله تعالى المنزل

---

1) رواه ابن سعد في الطبقات (6/212)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، وأحمد في المسند (28/466)، رقم الحديث: (23482)، وقال الهيثمي: (رواه أحمد، وفيه عطاء بن السائب، اختلط في آخر عمره) انظر: مجمع الزوائد (1/165)، وقال الحاكم في المستدرك: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) انظر مستدرك الحاكم: (1/743)، رقم الحديث: (2047)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ. وقد صححه أحمد شاكر، وقال شعيب الأرنؤط: (إسناده حسن).

2) في المطبوع: (قام)

3 () أخرجه مالك في الموطأ (2/287)، رقم الحديث: (695)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، 1425 هـ، وابن عبد البر في الاستذكار (2/502)، رقم الحديث: (449)، تحقيق: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.

4 () سقط من نسخة: (ب).

5) في نسخة (أ): (قرأ).

(إليهم)[1]؟ الـذي بـه هـداهم اللـه، وبـه عَـرَّفَهم الحـق والباطـل، والخـير والشـر، والهـدى والضـلال، والرشـاد والغي.

فمن المعلــوم أن رغبتهم في فهمــه وتصــور معانيــه أعظم الرغبـات، بـل إذا سـمع المتعلم من العـالِم حـديثا؛ فإنه يرغب في فهمه، فكيف بمن يسمعون كلام اللــه من المبلغ عنه؟ بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعريفهم معاني القـرآن أعظم من رغبتـه في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بـدون المعـاني لا (تُحَصِّلُ)[2] المقصود، إذا اللفظ إنما يراد للمعنى.

الوجه الثاني: أن الله[3] قد حضَّهم على تدبره وعقله[4] واتباعه في غير موضع، كما قال تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ[5]، وقال تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[6]، وقال تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ[7]، وقال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[8]، فإذا كان قــد حضَّ اللــه الكفــار والمنــافقين على تــدبره؛ عُلِمَ أن معانيـه ممـا يمكن الكفـار والمنـافقين فهمهـا ومعرفتهـا، فكيف لا يكون ذلك ممكنا للمؤمنين؟ وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم.

الوجه الثالث: أنه قال تعالى: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ[9]، وقال[10]: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[11]، فبين أنه أنزله عربيا لأن

---

[1]) في (ب): (عليهم).
[2]) في نسخة (أ): (يحصل).
[3]) في المطبوع زيادة: (سبحانه وتعالى).
[4]) في المطبوع: (تعقله)
[5]) ص 19
[6]) محمد 24
[7] () المؤمنون 68
[8]) النساء 82
[9]) يوسف 2
[10]) في المطبوع زيادة: (تعالى)
[11]) الزخرف3

يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه.

الوجه الرابع: أنه ذمَّ من لا يفهمه، فقال تعـالى: ﴿ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﴾[2] فلو كان المؤمنـون لا يفقهونـه أيضـا لكـانوا مشـاركين للكفـار والمنافقين فيما ذمهم الله [تعالى][3] [به][4].

الوجه الخامس: [أنـه][5] ذم (من لم يكن حظـه)[6] من السماع إلا [سـمع][7] الصـوت دون فهم المعـنى واتباعـه، فقال تعالى: ﴿ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﴾[10] وأمثال ذلك.

وهؤلاء المنافقون سمعوا صـوت الرسـول صـلى اللـه عليه وسلم ولم يفهموه[11]، وقالوا: ﴿ ﯦ ﯧ ﯨ ﴾؟ أي: الساعة، وهذا كلامُ مَنْ لم يَفْقَهْ قوله، [فقـال][12] تعـالى: ﴿ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﴾[13]. (فمن جعل السابقين الأولين من المهـاجرين والأنصـار والتـابعين لهم بإحسـان غـير عـالمين)[14] بمعـاني القـرآن؛ جعلهم بمنزلـة الكفـار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى عليه.

---

1) الإسراء 46 ـ 45
2) النساء 78
3) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ)، و: (ب).
4) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).
5) ما بين المعقوفين سقطت من نسخة: (أ).
6) ما بين القوسين تكرر في نسخة: (أ).
7) في المطبوع: (سماع)، ولعل الصحيح ما هو في المطبوع.
8) البقرة: 171
9) الفرقان: 44
10) محمد: 16
11) في (ب) وفي المطبوع: (يفهموا)
12) ما بين المعقوفين سقطت من نسخة: (أ).
13 () محمد: 16
14) ما بين القوسين غير واضح في نسخة (أ).

الوجه السادس: (أن الصحابة رضي الله عنهم فسروا للتابعين القرآن)[1]، كما قال مجاهد: ((عرَضْتُ المصحفَ على ابن عباس من أوله إلى آخره (أَقِفُهُ)[2] عند كل آية منه وأَسْأَلُهُ عنها))[3]، (ولهذا قال)[4] سفيان الثوري: ((إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به))[5]، وكان ابن مسعود يقول: [((لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته))[6]][7]وكل واحد من أصحاب ابن مسعود، وابن عباس نقل عنه من التفسير ما لا يحصيه إلا الله[تعالى][8]، (والنقول)[9] بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها.

فإن قال قائل: قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيرا، ولو كان ذلك معلوما عندهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيه.

فيقال: الاختلاف الثابت عن الصحابة، بل وعن أئمة[10] التابعين في القرآن أكثره لا يخرج عن وجوه:

أحدها: أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه، فالمسمى واحد، وكل اسم يدل على معنى لا يدل عليه الاسم الآخر مع أن كلاهما حق، بمنزلة

---

1) ما بين القوسين غير واضح في نسخة (أ).

2) في نسخة (أ): (أفقد)، وفي المطبوع: (أقف)، وما أثبته فهو من نسخة: (ب) وهو موافق لما في تفسير الطبري.

3) رواه الطبري في تفسيره (3/756)، والخلال في السنة (1/223)، وأبو نعيم في الحلية (3/279).

4) في المطبوع: (وهذا قول).

5) رواه الطبري في تفسيره (1/191).

6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (6/187)، رقم الحديث: (5002)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما، (4/1913)، رقم الحديث: (2463).

7) ما بين المعقوفين غير واضح في نسخة: (أ)

8) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب)، ومن المطبوع.

9) في نسخة (أ): (والمنقول).

10) في نسخة (أ) زيادة: (المسلمين)

تسمية الله تعالى بأسمائه الحسنى، وتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم بأسمائه، وتسمية القرآن العزيز بأسمائه، فقال تعالى: ﴿ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ﴾[1].

فإذا قيل: الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى، وإن كان كل اسم يدل على [نعت لله][2] تعالى لا يدل عليه الاسم الآخر، ومثال هذا [من][3] التفسير: كلام العلماء في [تفسير][4] ﴿ ﭧ ﭨ ﴾[5] فهذا يقول: هو الإسلام، وهذا يقول: هو القرآن، أي اتباع القرآن، وهذا يقول: السنة والجماعة، وهذا يقول: طريق العبودية، وهذا يقول: طاعة الله ورسوله[6]، ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها، ويسمى بهذه الأسماء كلها، ولكن كل[7] منهم دل[8] المخاطب على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت.

الوجه الثاني: (أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم)[9] بعض أنواعه أو أعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب، لا على سبيل الحصر والإحاطة، كما[10] سأل أعجمي عن معنى لفظ ((الخُبْز)) فَأُرِيَ رَغِيفاً، (وقيل)[11]: هذا هو، فذاك مثالٌ للخبز، وإشارة إلى جنسه، لا إلى ذلك

---

[1]) الإسراء 110
[2]) في نسخة (أ): (تفسير الله).
[3]) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب)، ومن المطبوع.
[4]) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).
[5]) الفاتحة 6.
[6] () انظر: تفسير الطبري (1/166) في تفسر الآية الكريمة: ﴿ﭧ ﭨ﴾، والآية الكريمة: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﴾ (21/94).
[7]) في المطبوع زيادة: (واحد).
[8]) في نسخة: (ب) زيادة: (على).
[9]) ما بين القوسين غير واضح في نسخة: (أ).
[10]) في المطبوع زيادة: (لو).
[11]) في نسخة (ب): (فقيل).

الرغيف خاصة، ومن هذا ما جاء عنهم في قوله تعالى: ﴿ڤڤڤ ڦ ڦ ڦ ڄ﴾[1].

(فالقول الجامع: أن)[2] الظالم لنفسه: هو المفرط(بترك ما أمر به)[3] أو (فعل محظور)[4]، والمقتصد: القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات، والسابق[5]: بمنزلة المقرب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض (الذي يحبه)[6] الحق، ثم إن كلا منهم يذكر نوعا من هذا، فإذا قال القائل: الظالم المؤخر للصلاة عن وقتها، والمقتصد المصلي[لها][7] في (الوقت)[8]، والسابق: المصلي لها في أول (الوقت)[9] حيث يكون التقديم أفضل، (وقال آخر: الظالم لنفسه هو البخيل الذي لا يصل رحمه ولا يؤدي زكاة ماله)[10]، والمقتصد: القائم بما يجب عليه من الزكاة، وصلة الرحم، وقرى الضيف، والإعطاء في النائبة، والسابق: الفاعل المستحَب بعد الواجب، كما فعل الصديق[11]حين جاء

---

1) فاطر: 32

2) في نسخة (أ): (فقوله تعالى).

3) في (ب): (لترك مأمور)، وفي (المطبوع): (مأمور)

4 ()في نسخة (أ): (أو محظورا).

5) في المبطوع زيادة: (بالخيرات)

6) في نسخة (أ): (الذي يحب)، وفي المطبوع: (حتى يحبه).

7) ما بين المعقوفين سقطت من نسخة: (أ).

8) في المطبوع: (في وقتها)

9) في المطبوع: (وقتها).

10) ما بين القوسين غير واضح في نسخة: (أ).

11) في المطبوع زيادة: (الأكبر).

بماله كله[1]، (ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئا)[2].

وقال آخر: الظالم لنفسه الذي يصـوم عن الطعـام لا عن الآثام [والمهلكات][3] [والمقتصد: الذي يصـوم][4] عن الطعام والآثام، والسابق: الذي يصوم عن كل ما لا يقربه إلى اللـه تعـالى وأمثـال ذلـك؛ لم تكن هـذه الأقـوال (متنافية)[5] بل كلٌ ذَكَرَ نوعاً مما (تَنَاوَلَتْهُ)[6] الآية[7].

الوجه الثالث: أن يذكر أحدهم (لـنزول)[8] الآيـة سـببا، ويذكر الآخر سببا آخر لا ينافي الأول، ومن الممكن نزولهـا لأجل (السببين)[9] جميعا، أو نزولها مرتين: مرة لهذا ومـرة لهذا.

وأمـا مـا صـح عن السـلف أنهم: اختلفـوا فيـه اختلاف تناقض؛ فهذا قليل بالنسبة إلى ما لم يختلفوا فيه، كما أن تنازعهم في بعض مسائل السـنة كبعض مسـائل الصـلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والفرائض، والطلاق ونحو ذلك؛ لا يمنع أن يكون أصل هذه (السنن مـأخوذا عن النـبي)[10] صلى الله عليه وسلم، وجُمَلها (منقولة عنه بالتواتر، وقـد تبين أن اللـه تعـالى أنـزل عليـه الكتـاب والحكمـة، وأمـر

---

1 () قال البخاري في صحيحه: (كفعل أبي بكر رضي اللـه عنـه حين تصـدق بمالـه) انظـر: صـحيح البخـاري(2/112)، كتـاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهـر غـنى، ورواه الترمـذي في سـننه(5/614)، رقم الحـديث: (3675)، أبـواب المنـاقب، ورواه أبـو داود في سـننه(2/129)، رقم الحـديث: (1678)، كتاب الركاة، باب في الرخصة في ذلك.

2) ما بين المعقوفين غير واضح في نسخة (أ)

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع، ومن نسخة: (ب)

4) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ)

5 () في نسخة (أ): (شافية).

6) في نسخة (أ): (تأولته).

7) انظـر مثلا في تفسـير هـذه الآيـة: تفسـير الطـبري (20/456)، ، وابن كثير (6/547)،.

8) في نسخة (أ): (النزول).

9) في نسخة (أ): (شيئين).

10) ما بين المعقوسين غير واضح في نسخة: (أ)

أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم)[1] أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن[2] (من آيات الله والحكمة)[3]، وقد قال غير واحد من السلف: أن الحكمة هي السنة[4].

وقد قال صلى الله عليه وسلم (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[5]، فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه، (سواء)[6] قيل: إنه في القرآن، ولم نفهمه نحن، أو قيل: ليس في [القرآن][7]، كما أن ما اتفق عليه السابقون الأولون [من المهاجرين والأنصار][8] والذين اتبعوهم بإحسان، فعلينا أن نتبعهم فيه، سواء قيل: إنه كان منصوصا في السنة (ولم يبلغنا)[9] ذلك، أو قيل: إنه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب

---

1) ما بين المعقوسين غير واضح في نسخة: (أ)

2 () وهذه الآية الكريمة: ﴿ ... ﴾.

3) ما بين المعقوسين غير واضح في نسخة: (أ).

4) قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: (ويعنى بالحكمة: ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة) ونقل بسنده عن قتادة في قوله: ﴿ ... ﴾، أي: السنة، وقال أيضا: (وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) (20/268). وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (9/3133).
وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (والكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة باتفاق السلف) انظر: الروح (ص: 75)، دار الكتب العلمية، بيروت.
وقال القرطبي في تفسيره: (فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة)، ونقل أيضا عن مالك بن أنس قوله: (الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له) انظر: تفسير قرطبي (3/330)، وانظر: تفسير ابن كثير (6/415).

5) رواه الإمام أحمد في مسنده (4/13)، وأبو داود في سننه (4/328)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (1/112)، ودلائل النبوة (6/549)، والمروزي في السنة (1/71)، والحديث صححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة (6/871)

6) في نسخة (ا) زيادة: (إن).

7) ما بين المعقوفين سقط من نسخة (أ).

8) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).

9) ما بين المعقوسين غير واضح في نسخة: (أ).

والسنة.

فصل

فإذا تبين ذلك: فوجوب إثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن القرآن، والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة، وكلام السابقين والتابعين، وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات، وأصناف من العبارات: تارة يخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش[1]، وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع[2].

وتارة يخبر بعروج الأشياء، وصعودها، وارتفاعها إليه، كقوله تعالى: ﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾[3]، ﴿ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾[4]، ﴿ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ﴾[6].

وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده، كقوله تعالى: ﴿ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾[7]، ﴿ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ﴾[8]، ﴿ ﭑ. ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ. ﭙ ﭚ ﭛ﴾[9]، ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ﴾[10].

[1] () وهو قوله تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ﴾ [الأعراف: 54].

[2] () وهذه أرقام الآيات مع أسماء السور: 1/ سورة الأعراف(رقم الآية: 54)، 2/ سورة يونس(رقم الآية: 3)، 3/ سورة الرعد(رقم الآية: 2)، 4/ سورة طه(رقم الآية: 5)، 5/ سورة الفرقان(رقم الآية: 59)، 6/ سورة السجدة(رقم الآية: 4)، 7/ سورة الحديد(رقم الآية: 4).

[3]) النساء 158

[4]) آل عمران 55

[5]) المعارج 4

[6]) فاطر 10

[7]) الأنعام 114

[8]) النحل 102

[9]) فصلت 1ـ2

[10]) الزمر 1

وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى، كقوله تعالى: ﴿ ں ڻ ڻ ڻ ﴾[1] وقوله: ﴿ ﯨ ﯩ ی ی ﴾[2].

وتارة يخبر بأنه في السماء، كقوله تعالى: ﴿ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ﴾[3]، ﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ﴾[4]، فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق بذلك (ألوهيـةً)[5] أو غيرهـا، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﴾[7].

وكــذلك قــال النــبي صــلى اللــه عليــه وســلم ((ألا تــأمــنوني وأنــا أمين من في السماء))[8]، وقال للجارية: ((أين اللــه؟ قــالت في الســماء، قــال: أعــــتقها فــــإنها مؤمــنة))[9].

وتارة يجعل (بعض)[10] الخلق عنــده دون بعض، كقولــه تعالى: ﴿ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ﴾[11]، ويخبر عمن عنده بالطاعة، كقوله: ﴿ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﴾[12] فلو كان موجب العِنْدِيَّةِ معنىً عامًّا كدخولهم تحت قدرتـه

---

1) الأعلى 1
2) البقرة 255
3 () الملك 16
4) الملك 17
5) في نسخة (أ): (أحد ألوهيته).
6) الزخرف: 84
7) الأنعام: 3
8) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب رضي اللـه عنـه، وخالـد بن الوليـد رضـي اللـه عنه، إلى اليمن قبل حجة الـوداع، (5/163)، رقم الحـديث: (4351)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصـفاتهم (7/168)، رقم الحديث: (1046).
9) أخرجه مسلم في صحيحه، كتـاب الصـلاة، بـاب تحـريم الكلام في الصلاة، ونسخ مـا كـان من إباحتـه (1/381)، رقم الحديث: (537).
10) في نسخة (أ): (لبعض).
11) الأنبياء: 19
12) الأعراف: 206

ومشيئته وأمثال ذلك؛ لكان كـل مخلـوق عنـده، ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته، بل مسبحا له ساجدا، وقد قـال تعالى: ﴿ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ عبادته ﭧ ﭨ ﭩ﴾[1]، وهو سبحانه وصف الملائكة بـذلك ردا على الكفـار المسـتكبرين عن عبادتـه، وأمثال هذا في القرآن لا يحصى إلا بكلفة.

وأمــا الأحــاديث والآثــار عن الصــحابة والتــابعين فلا يحصيها إلا اللـه [تعـالى][2][3]، فلا يخلـو إمـا أن يكـون مـا اشتركت فيه هـذه النصـوص من إثبـات علـو اللـه نفسـه على خلقه هو الحق، أو الحق (نقيضـه)[4]، (إذ)[5] الحـق لا يخرج عن النقيضين، وإما أن يكون هو نفسه فوق الخلق، أو لا يكـون فـوق الخلـق كمـا تقـول الجهميـة، ثم تـارة يقولون: لا فوقهم ولا فيهم، ولا داخـل العـالم ولا خارجـه، ولا مباين ولا محـايث، وتـارة يقولـون: هـو بذاتـه في كـل مكـان[6]، وفي (كلا المقـالتين)[7] يـدفعون أن يكـون هـو نفسه فـوق خلقـه، فإمـا أن يكـون الحـق إثبـات ذلـك، أو نفيه، فإن كان نفي ذلك هو الحق؛ فمعلوم أن القـرآن لم يبين هذا قط، لا نصا ولا ظاهرا، ولا الرسول، ولا أحـد من الصــحابة والتــابعين وأئمــة المســلمين، [و][8] لا أئمــة

---

1) غافر: 60

2) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ا).

3 () انظر مثلا: الرد على الزنادقـة والجهميـة للإمـام أحمـد بن حنبـل (1/151)، وكتـاب نقض الإمـام أبي سـعيد عثمـان بن سـعيد على المريســي الجهمي (1/461)، وكتــاب رســالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: 182)، ، وكتاب العرش للـذهبي (1/153).

4) في نسخة (ا): (والحق يقتضيه).

5) في نسخة (ب): (و)

6) انظر الرد على الزنادقة والجهمية للإمـام أحمـد بن حنبـل (ص: 20)، وانظر الملل والنحل للشهرستاني (1/85)

7) في نسخة (ا): (وفي كلا المقـالين)، وفي المطبـوع: (وفي المقالتين كلتيهما)

8) مــا بين المعقــوفين ســقطت من نســخة: (ب)، ومن المبطوع.

المذاهب الأربعة، ولا غيرهم، ولا يمكن أحد أن ينقل عن واحد من هؤلاء أنه نفى ذلك أو أخبر به.

وأما[1] نقل[2] الإثبات عن هؤلاء فأكثر من أن[3] يحصر، فإن [كان][4] الحق هو النفي دون الإثبات، والكتاب والسنة والإجماع إنما دل على الإثبات، ولم يذكر النفي أصلا؛ لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا الباب، بل نطقوا بما يدل - إما نصا وإما ظاهرا - على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب، ومعلوم أن من اعتقد هذا في الرسول (والمؤمنين)[5] فله أوفر حظ من قوله تعالى: ﴿ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﴾[6].

[فإن القائل إذا قال][7]: هذه النصوص أريد بها خلاف ما يفهم منها، أو خلاف ما دلت عليه، أو أنه لم يرد إثبات علو الله نفسه على خلقه، وإنما أريد بها علو المكانة ونحو ذلك، كما قد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع[8].

(فيقال)[9] له: فكان يجب أن يبين للناس الحق الذي يجب التصديق به باطنا وظاهرا، بل ويبين لهم ما يدلهم على أن هذا الكلام لم يرد به مفهومه ومقتضاه، فإن غاية ما يقدر أنه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة، والباطن المخالف للظاهر، ومعلوم باتفاق العقلاء أن المخاطب

---

1) في المطبوع زيادة: (ما).

2) في المطبوع زيادة: (من).

3) وفي المطبوع زيادة: (يحصي أو).

4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

5) في (الألف): (مؤمنين).

6) النساء 115

7) ما بين المعقوفين غير واضح في نسخة (أ).

8) انظر مثلا: درء تعارض العقل والنقل (3/288)، والفتوى الحموية الكبرى (1/550)، وإقامة الدليل على إبطال التحليل (4/80).

9) ما بين المعقوفين غير واضح في (الألف).

المبين إذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه ما يدل على إرادة المعنى المجازي، فإذا كان الرسول المبلغ المبين الذي (بين)[1] للناس ما (نزل)[2] إليهم، يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه؛ كان عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يرد، لا سيما إذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده في الله، فإنه عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا في الله ما لا يجوز اعتقاده إذا كان ذلك مخوفا عليهم، ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك، فكيف إذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي تقول النفاة: هو اعتقاد باطل؟.

فإذا لم يكن في الكتاب ولا السنة ولا كلام أحد من السلف والأئمة ما يوافق قول النفاة أصلا، بل هم دائما لا يتكلمون إلا بالإثبات، امتنع حينئذ أن لا يكون مرادهم الإثبات، وأن يكون النفي هو [الذي][3] يعتقدونه ويعتمدونه، وهم (لم)[4] يتكلموا به قط (ولم يظهروه)[5]، وإنما أظهروا ما يخالفه وينافيه، وهذا كلام مبين لا مَخْلَصَ لأحد عنه، لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام، وللجهمية المتفلسفة كلام.

أما المتفلسفة و القرامطة فيقولون: إن الرسل كلموا الخلق بخلاف ما هو الحق، وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون، وربما يقولون: إنهم كذبوا لأجل مصلحة العامة، فإن مصلحة [العامة][6] لا تقوم إلا بإظهار الإثبات، وإن كان في نفس الأمر باطلا[7]، وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح؛ قول متناقض في نفسه، فإنه

---

1) في نسخة (أ)، وفي المطبوع: (يبين)
2) في نسخة (أ)، وفي المطبوع: (أنزل)
3) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ)
4) في نسخة (ب): (ولو لم).
5 () في نسخة (أ): (ولا ظهروه)
6) ما بين المعقوفين سقط من نسخة (ب)
7) انظر مثلا: النبوات (2/647)، ودرء تعارض العقل والنقل (4 / 149)، (3 / 19)

يقال: لو كان الأمر كما تقولون، والرسل من جنس رؤسائكم، لكان خواص الرسل يَطَّلِعُونَ على ذلك، ولكانوا (يُطْلِعون)[1] خواصهم على هذا الأمر، فكان يكون النفي مذهب خاصَّةِ الأمة، وأكملها عقلا وعلما ومعرفة، والأمر بالعكس، فإن [من][2] تأمل كلام السلف والأئمة، (وجد)[3] أعلم الأمة - عند الأمة - كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي الدرداء، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن سلام[4]، وسلمان الفارسي، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وأمثالهم، [هم][5] أعظم الخلق إثباتا.

وكذلك (أفاضل)[6] التابعين: مثل سعيد بن المسيب وأمثاله، والحسن البصري وأمثاله، وعلي بن الحسين[7]

---

1) في نسخة (أ): (يطلعوا)

2) ما بين المعقوفين سقط من نسخة (ب).

3) في نسخة (ب): (وجدوا)

4) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما كان حليفاً للأنصار، يقال: كان حليفاً للقواقلة من بني عوف بن الخزرج، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، وهو أحد الأحبار أسلم إذ قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. انظر الاستيعاب لابن عبد البر (3/921).

5) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب).

6) في المطبوع: (أفضل)

7) علي بن الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب الهاشمي ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، السيد، الإمام، زين العابدين الهاشمي، العلوي، المدني، حدث عن: أبيه؛ الحسين الشهيد، وكان معه يوم كائنة كربلاء، وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ موعوكا، فلم يقاتل، ولا تعرضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فأكرمه يزيد، ورده مع آله إلى المدينة، توفي سنة 94 هـ. انظر سير أعلام النبلاء (4/387)

وأمثاله، وأصحاب ابن مسعود، وأصحاب ابن عباس، وهم من أجلّ التابعين.

بل النقول عن هؤلاء في الإثبات (يخبر عن إثباته)[1] كثير من الناس، وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار[2] وصاحبه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري[3] ما يروى: ((أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل العلم بالله فإذا ذكروه لم ينكره إلا أهل الغرة[4] بالله))[5] تأولوا ذلك على ما جاء من الإثبات، لأن ذلك ثابت عن (الرسول صلى الله عليه وسلم)[6] والسابقين والتابعين لهم بإحسان، بخلاف النفي فإنه لا يوجد عنهم ولا يمكن حمله عليه.

وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السلف في الإثبات ما لا يحصي عدده إلا رب السموات، ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد، إلا أن يكون

---

1) في نسخة (أ) وفي المطبوع: (يجبن عن إظهاره).

2) يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنبس، الإمام، المحدث، الواعظ، شيخ سجستان، أبو زكريا الشيباني، النيهي، السجستاني، نزيل هراة، توفي بهراة، في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة. انظر سير أعلام النبلاء (17/472)

3) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، الإمام، القدوة، الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، مصنف كتاب (ذم الكلام)، وشيخ خراسان من ذرية صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - أبي أيوب الأنصاري، مولده في سنة ست وتسعين وثلاث مائة، توفي سنة إحدى وثمانين وأربع مائة، انظر سير أعلام النبلاء (18/504)

4) الغرة، أي: الغفلة، انظر المصباح المنير مادة غرر(ص: 444)، وقال ابن منظور: (الغار: الغافل والغرة: الغفلة) انظر: لسان العرب (5/16)

5) رواه السلمي في الأربعين في التصوف (ص: 13)، باب إباحة الكلام في باطن العلم وحقيقته، وقال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: ضعيف جدا، انظر: تخريج الإحياء (1/102)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة(2/272)، رقم الحديث: (870) ضعيف جدا.

6) في المطبوع (رسول الله صلى الله عليه وسلم)

من الأحاديث المختلفة التي ينقلها من هو من أبعد الناس عن معرفة كلامهم، ومن هؤلاء (من يتمسك)[1] بمجملات سمعها، بعضها كذب، وبعضها صدق، مثل ما ينقلونه عن عمر، أنه قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما))[2].

(فهذا من الكذب)[3] باتفاق أهل العلم بالأثر، وبتقدير صدقه فهو مجمل، (فإن)[4] قال أهل الإثبات، كان ما يتكلمان فيه من هذا الباب، لموافقته ما نقل عنهما كان أولى من قول النفاة أنهما يتكلمان بالنفي.

وكذلك حديث جِراب أبي هريرة لما قال: ((حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جِرابين: أما أحدهما فَبَثَثْتُهُ فيكم، وأما الآخر فلو بَثَثْتُهُ لقطعتم هذا البُلْعُوم))[5] فإن هذا حديث صحيح، لكنه مجمل، وقد جاء مفسرا: أن الجِراب الآخر كان فيه حديث الملاحم[6] [7]، ولو قدر أن فيه ما يتعلق بالصفات فليس فيه ما يدل على النفي، بل الثابت المحفوظ من أحاديث أبي هريرة

---

1) في نسخة (ب): (ومن هو من لا يتمسك)

2) يروى هذا الأثر عن عمر، وهو موضوع كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر منهاج السنة (8/42)، ودرء التعارض (2/330)، وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (1/335)، وانظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم (115)، وتنزيه الشريعة للكتاني (1/407).

3) في المطبوع، وفي نسخة (ب): (فهذا كذب).

4) في نسخة (أ)، وفي المطبوع: (فإذا)

5) أخرجه البخاري في صحيحه (1/35)، رقم الحديث: (120)، كتاب العلم، باب حفظ العلم،

6) في المطبوع زيادة: (والفتن).

7) قال ابن هبيرة رحمه الله: (وأما الذي كتمه فلا يجوز أن يكون من الشرعيات لأن كتمانها لا يجوز، بل قد قيل: إنه مما يرجع إلى الفتن كقتل عثمان والحسين رضي الله عنهما وغير ذلك) الإفصاح من معاني الصحاح ليحيى بن هبيرة (7/332)، دار الوطن، 1417هـ.

كحديث إتيانه سبحانه يوم القيامة[1]، وحديث النزول[2]، والضحك[3] وأمثال ذلك كلها على الإثبات، ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد من جنس قول النفاة.

[وأما][4] الجهمية المتكلمة فيقولون: إن القرينة الصارفة لهم عما دل عليه الخطاب هو العقل، فاكتفى بالدلالة العقلية الموافقة لمذهب النفاة[5].

[فيقال][6] لهم أولا: فحينئذ إذا كان ما (تكلم)[7] به إنما يفيدهم (الإضلال)[8]، وإنما يستفيدون الهدى من عقولهم، كان الرسول قد نَصَبَ لهم أسباب الضَّلال، ولم ينصب

---

1) أخرجه البخاري في صحيحه (9/128)، رقم الحديث: (7437)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (القيامة: 23)، دار طوق النجاة، 1422هـ.

2) أخرجه البخاري في صحيحه (9/143)، رقم الحديث: (7437)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (الفتح: 15)، وأخرجه مسلم في صحيحه (1/521)، رقم الحديث: (758)، كتاب صلاة المسافرين وقصرهما، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

3) أخرجه البخاري في صحيحه (9/128)، رقم الحديث: (7437)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ٻ پ ڀ ڀ ٺ ٺ﴾ (القيامة: 23)، وأخرجه مسلم في صحيحه (1/163)، رقم الحديث: (299)، كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية.

4) سقط من نسخة (أ).

5 () حيث قالوا: لو قامت به الأفعال الاختيارية، للزم أن لا يخلو منها، لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث. انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 1/104-107، ونهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص 11، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص 51. وانظر الملل والنحل للشهرستاني (1/42)

6) سقطت من نسخة (أ)

7) في نسخة (أ): يتكلم

8) في المطبوع: (مجرد الضلال)

لهم أسباب الهدى، وأَحالِهم في الهدى على نفوسهم، فيلزم على قولهم، أن تَـرْكَهم في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم[1]، بل ضرتهم.

(ويقال)[2] لهم ثانيا: فالرسول صلى الله عليه وسلم قد بين الإثبات الذي هو [أظهر في العقل][3] من قول النفاة، مثل ذكره لخلق الله [تعالى][4]، وقدرته، ومشيئته، وعلمه ونحو ذلك من الأمور التي تعلم بالعقل، أعظم مما يعلم نفي الجهمية، وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الإثبات، فكيف يحيلهم على مجرد [العقل][5] في النفي الذي هو أخفى وأدق؟ وكلامه لم يدل [عليه، بل دل][6] على نقيضه وضده، ومن نسب هذا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فالله حسيبه على ما يقول.

والمراتب ثلاث: إما أن يتكلم بالهدى، أو بالضلال، أو يسكت عنهما، ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يُضِل، وهنا يعرف بالعقل أن الإثبات لم يسكت عنه، بل بَيَّنَهُ، وكان ما جاء به السمع موافقا للعقل[7]، فكان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي، كما فعل فيما يثبته العقل، وإذا لم يفعل (ذلك)[8] فالسكوت عنه أسلم للأمة، أما إذا تكلم فيه بما يدل على الإثبات، وأراد منهم أن لا يعتقدوا إلا النفي، لكون مجرد عقولهم تعرِّفهم به، فإضافة هذا إلى الرسول صلى الله عليه

[1]) في نسخة (أ): (ينفعهم)
[2]) في نسخة (أ): (قلت).
[3]) في نسخة (ب): (هو العقل أظهر).
[4]) زائد في نسخة (الأل أ ف)
[5]) غير واضح في (أ)
[6]) ما بين معكوفين سقطت من (ب)
[7]) إلى هنا تنتهي نسخة (أ)، وقد أدخل الناسخ على هذه الرسالة رسالة أخرى في المعية كما يظهر من قراءته، والباقي من نسخة: (ب)، وتمت مقابلته مع ما في مجموع الفتاوى.
[8]) في المطبوع: (كان)

وسلم من أعظم أبواب الزندقة والنفاق.

ويقال لهم ثالثا: من الذي سَلَّمَ لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة؟ بل العقل الصريح إنما يوافق ما أثبته الرسول، وليس بين (العقل)[1] الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلا وقد بسطنا هذا في مواضع[2]، (وبينا)[3] أن ما (يذكرونه)[4] من المعقول المخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو جهل وضلال، تَقَلَّدَهُ متأخروهم عن متقدميهم، وسموا ذلك عقليات، وإنما هي جهليات، ومن طلب منه تحقيقُ ما قاله أئمة الضلال بالمعقول لم يرجع إلا إلى مجرد تقليدهم.

فهم يكفرون بالشرع، ويخالفون العقل تقليدا لمن توهموا أنه عالم بالعقليات، وهم مع أئمتهم الضلال كقوم فرعون معه حيث قال الله تعالى: ﮋں ڻ ڻ ﮊ[5] وقال تعالى عنه: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ں ڻ ڼ ڽ ھ ھ ھ ے ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ[6] وفرعون هو إمام النفاة.

ولهذا صرح محققو[7] النفاة بأنهم على قوله، كما يصرح به الاتحادية من الجهمية النفاة، إذ هو [الذي][8] أنكر العلو، وكذب موسى فيه[9]، وأنكر تكليم الله

---

[1] في المطبوع: (المعقول)

[2] توسع شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذا الباب فألف كتابه: (درء تعارض العقل والنقل).

[3] في المطبوع: (بَيَّنا فيها)

[4] في المطبوع: (يذكرون)

[5] الزخرف 54

[6] القصص 39 ـ 42

[7] في نسخة (ب): (محقق)

[8] ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[9] وسميت هذه بالعقيدة الفرعونية، كما قال شيخ الإسلام: (فمن أعتقد أن الله في جوف السماء محصور محاط به وإنه مفتقر إلى العرش أو غير العرش من المخلوقات أو أن استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه: فهو

لموسى قال تعالى: ﴿ڑ ڑ ک ک ک ګ ګ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں﴾[1].

والله تعالى قد أخبر عن فرعون أنه أنكر الصانع بلسانه، فقال: ﴿ ﭫ ﭬ ﭭ﴾[2] وطلب أن يصعد ليطلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبره أن إلهه فوق لم يقصد ذلك، فإنه هو لم يكن مقرا به، فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلو لا منه ولا من موسى، فلا يقصد الاطلاع، ولا يحصل به ما قَصَدَهُ من التلبيس على قومه بأنه (صعد إلى إله موسى في)[3][السماء][4]، ولكان صعوده إليه كنزوله إلى الآبار والأنهار، وكان ذلك أهون عليه، فلا يحتاج إلى تكلُّف الصَّرْحِ.

ونبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج به ليلة الإسراء، وجد في السماء الأولى آدم عليه السلام، وفي الثانية يحيى وعيسى، (وفي)[5] الثالثة يوسف، ثم في الرابعة إدريس، ثم في الخامسة هارون، ثم وجد موسى وإبراهيم، ثم عرج إلى ربه ففرض عليه خمسين صلاة، ثم رجع إلى موسى، فقال له: ((ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فرجعت إلى ربي، فسألته التخفيف لأمتي))[6]، وذكر أنه رجع إلى

ضال مبتدع جاهل ومن اعتقد أنه ليس فوق السماوات إله يعبد ولا على العرش رب يصلى له ويسجد وأن محمدا لم يعرج به إلى ربه ولا نزل القرآن من عنده فهو معطل فرعوني ضال مبتدع) بيان تلبيس الجمهية (546)، وقال أيضا: (والناس إما محمدي موسوي، وإما فرعوني) مجموع الفتاوى (12/351)، وانظر: مختصر الصواعق (1/178).

1) غافر 36ـ37
2) الشعراء 14
3) في نسخة (ب): (موسى صعد إلى إله)
4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
5) في المطبوع: (ثم في)
6) أخرجه البخاري في صحيحه (1/78)، رقم الحديث: (349)، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟ وأخرجه مسلم في صحيحه (1/145)، رقم الحديث: (259)،

موسى، ثم رجع إلى ربه مرارا، فصدق موسى في أن ربه فوق السموات، وفرعون كذب موسى في ذلك.

والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال، وأهل السنة والإثبات موافقون لآل إبراهيم أئمة الهدى، وقال تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﴾[1] وموسى ومحمد من آل إبراهيم، بل هم سادات آل إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين.

الوجه الثاني: في تبيين وجوب الإقرار بالإثبات، وعلو الله على السموات، أن يقال: من المعلوم أن الله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة، وأن الله أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء، وأن معرفة ما يستحقه الله وما يُنَـزَّهُ عنه هو من أجل أمور الدين وأعظم أصوله، وأن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء، فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يفصله، ولم يعلم أمته ما يقولون في هذا الباب، وكيف يكون الدين قد كمل، وقد تُرِكُوا على الطريقة البيضاء، وهم لا يدرون بماذا يعرفون ربهم، أبما (يقوله)[2] النفاة أو بأقوال أهل الإثبات؟

الوجه الثالث: أن يقال: كل من فيه أدنى محبة للعلم، أو أدنى محبة للعبادة، لا بد أن يخطر بقلبه هذا الباب، ويقصد فيه الحق، ومعرفة الخطأ من الصواب، فلا يتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا، لا يسألون عنه، ولا يشتاقون إلى معرفته، ولا تطلب قلوبهم الحق[3]، وهم ليلا ونهارا يتوجهون بقلوبهم إليه[4]، ويدعونه تضرعا وخيفة ورغبا ورهبا.

كتاب الايمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات.

1) الأنبياء 72 ـ 73

2) في المطبوع: (تقوله)

3) في المطبوع زيادة: (فيه)

4) في المطبوع زيادة: (سبحانه)

والقلــوب مجبولــة مفطــورة على طلب العلم بهــذا، ومعرفة الحق فيـه، وهي مشـتاقة إليـه أكـثر من شـوقها إلى كثير من الأمور، ومع الإرادة الجازمـة والقـدرة، يجب حصول المراد، وهم قـادرون على سـؤال الرسـول صـلى الله عليه وسلم، وسؤال بعضهم بعضا، وقـد سـألوه عمـا هو دون هذا، (سألوا)[1]: أنـرى)[2] ربنــا يـوم القــيامة؟)) فأجابهم[3].

وسـأله أبــو رزين: ((أيضـحك ربنـا؟)) فقـال: ((نعم))، فقال: ((لــن نعـدم من رب يضـحك خــيرا))[4]، ثم إنهم لما سألوه عن الرؤية، قال: (([إنكم][5] ســترون ربــكم كما تــرون الشمس والقمر))[6]، فشبه الرؤية بالرؤيـة، لا

---

1) في المطبوع: (سألوه)

2) في المطبوع: (هل نرى)

3) أخرجه البخـاري في صـحيحه (9/128)، رقم الحـديث: (7437)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ﴾ (القيامة: 23)، ومسلم في صحيحه (1/163)، رقم الحـديث: (182)، كتـاب الإيمـان، بـاب معرفـة طريـق الرؤية.

4) أخرجـه أحمـد في مسـنده (26/106)، رقم الحـديث: (16187)، وابن ماجـه في سـننه (1/125)، رقم الحـديث: (181)، أبـواب السـنة، بـاب فيمـا أنكـرت الجهميـة، وابن أبي عاصم في السـنة (1/244)، رقم الحـديث: (554)، بـاب مـا ذكـر من ضـحك ربنـا عـز وجـل، وابن خزيمـة في التوحيـد(2/460)، والدارقطني في الصـفات (ص: 27)، والآجـري في الشــريعة (2/1056)، والــبيهقي في الأســماء والصــفات (2/411)، قـال الهيثمي: (رواه عبـد اللـه، والطـبراني بنحـوه، وأحـد طـريقي عبـد اللـه إسـنادها متصـل، ورجالهـا ثقـات، والإسـناد الآخـر، وإسـناد الطـبراني مرسـل عن عاصـم بن لقيــط) انظــر: مجمــع الزوائــد للهيثمي(10/340) مكتبــة القدســي، القــاهرة، 1414 هــ، وصـححه الألبـاني، انظـر: السلسلة الصحيحة (2/732)، رقم الحديث: (2810).

5) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (أ).

6) أخرجـه الـدارمي في الـرد على الجهميـة (1/102)، وفي البخاري بلفظ (إنكم سترون ربكم، كمـا تـرون هـذا القمـر، لا تضــامون في رؤيتــه...)، صــحيح البخــاري(1/115)، رقم الحـديث: (554)، كتـاب مـواقيت الصـلاة، بـاب فضـل صـلاة العصر، وفي مسلم بلفظ (أما إنكم سـترون ربكم كمـا تـرون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته...)، صحيح مسـلم (1/439)،

المرئي بالمرئي، والنفاة لا يقولون يرى كما ترى[1] الشمس والقمر، بل قولهم الحقيقي أنه لا يرى بحال، ومن قال يرى موافقة لأهل الإثبات، ومنافقة لهم؛ (فسروا)[2] الرؤية بمزيد علم فلا (يكون)[3] كرؤية الشمس والقمر.

والمقصود هنا: أنهم لا بد أن يسألوه عن ربهم الذي يعبدونه، وإذا سألوه فلا بد أن يجيبهم، ومن المعلوم بالاضطرار أن ما (يقوله)[4] الجهمية النفاة لم ينقل عن أحد من أهل التبليغ عنه، وإنما نقلوا عنه ما يوافق قول أهل الإثبات.

الوجه الرابع أن يقال: إما أن يكون الله يحب منا أن نعتقد قول النفاة، أو نعتقد قول أهل الإثبات، أو لا نعتقد واحدا منهما، فإن كان مطلوبه منا اعتقاد قول النفاة، وهو أنه لا داخل العالم ولا خارجه، وأنه ليس فوق السموات رب، ولا على العرش إله، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعرج به إلى الله، وإنما عرج به إلى السموات فقط، لا إلى الله، وأن الملائكة لا تعرج إلى الله، بل إلى ملكوته، وأن الله لا ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء وأمثال ذلك.

وإن كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها إجمال وإبهام[5]، كقولهم ليس بمتحيز، ولا جسم، ولا جوهر، ولا هو في جهة، ولا مكان[6]، وأمثال هذه العبارات

كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

[1]) في (ب): (يرى)

[2]) في المطبوع: (فسر)

[3]) في المطبوع: (تكون)

[4]) في المطبوع: (تقوله)

[5]) في المطبوع زيادة: (وإيهام).

[6]) انظر الملل والنحل للشهرستاني (1/42)، حيث يقول في بيان عقيدة المعتزلة: ((واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه: جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وتأثرا

التي (يَفْهَم)[1] منها العامة تنزيه الرب تعالى عن النقائص، ومقصدهم بها أنه ليس فوق السموات رب، ولا على العرش إله يُعْبَد، ولا عُرِجَ بالرسول إلى الله.

والمقصود أنه إن كان[الذي][2] يحبه الله لنا أن (نعتقد)[3] هذا النفي، فالصحابة والتابعون أفضل منا، فقد [كانوا][4] يعتقدون هذا النفي، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتقده، وإذا كان الله ورسوله يرضاه لنا، وهو إما واجب علينا، أو مستحب لنا، فلا بد أن يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو واجب علينا، ويندبنا إلى ما هو مستحب لنا، ولا بد (أن)[5] يظهر عنه وعن المؤمنين ما فيه إثبات لمحبوب الله ومَرْضِيِّهِ وما يقرب إليه، لا سيما مع قوله عز وجل: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ﴾،[6] لا سيما والجهمية تجعل هذا أصل الدين، وهو عندهم التوحيد الذي لا يخالفه إلا شقي،[7] فكيف لا يُعَلِّم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته التوحيد؟ وكيف لا يكون التوحيد معروفا عند الصحابة والتابعين؟.

(والمعتزلة والفلاسفة)[8] ومن اتبعهم يسمون مذهب النفاة التوحيد، وقد سمَّى صاحب المرشدة[9] أصحابه

وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيدا)).

1 ()في المطبوع: (تفهم)

2) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب)

3) في نسخة (ب): (يعتقد)

4) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب)

5) في نسخة (ب): (لمن)

6) المائدة 3

7) مثل ما قاله الشهرستاني عنهم: ((واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه: جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وتأثرا وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيدا)) انظر الملل والنحل للشهرستاني (1/42).

8) في المطبوع: (الفلاسفة والمعتزلة)

9) صاحب المرشدة، هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله

الموحدين، إذ عندهم مذهب النفاة هو التوحيد، وإذا كان كذلك كان من المعلوم أنه لا بد أن يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة، فعلم أنه ليس بواجب ولا مستحب، بل علم أنه ليس من التوحيد الذي شرعه الله تعالى لعباده، وإن كان يحب منا مذهب الإثبات، وهو الذي أمرنا به، فلا بد أيضا أن يبين ذلك لنا.

ومعلوم أن في الكتاب والسنة من إثبات العلو والصفات أعظم مما (فيهما)[1] من إثبات الوضوء، والتيمم، والصيام، وتحريم ذوات المحارم، وخبيث المطاعم ونحو ذلك من الشرائع، فعلى قول أهل الإثبات يكون الدين كاملا والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغا مبينا.

والتوحيد عن السلف مشهورا معروفا، والكتاب والسنة يصدق بعضه بعضا، والسلف خير هذه الأمة، وطريقهم أفضل الطرق، والقرآن [كله][2]حق ليس فيه إضلال، ولا دل على كفر ومحال، بل هو الشفاء والهدى والنور، وهذه كلها لوازم ملتزمة ونتائج مقبولة، فقولهم مؤتلف غير مختلف ومقبول غير مردود.

وإن كان الذي يحبه الله منا أن لا نثبت ولا ننفي، بل نبقى[3] في الجهل البسيط، وفي ظلمات بعضها فوق بعض، لا نعرف الحق من الباطل، ولا الهدى من الضلال، ولا الصدق من الكذب، بل نقف بين المثبتة والنفاة موقف الشاكين الحيارى ژ ڑ ک ک ک ک گ ک گ گ گ [4]، لا مصدقين ولا مكذبين، لزم من ذلك أن يكون الله يحب منا عدم العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه

تومرت وقد سبق ترجمته.

[1]) في نسخة (ب): (فيها).

[2]) ما بين المعقوفين زيادة من المطبوع.

[3]) في نسخة (ب): (نبقا)

[4]) النساء 143

وسلم، [وعدم العلم بما يستحقه الله سبحانه وتعالى من الصفات التامات][1]، وعدم العلم بالحق من الباطل، ويحب منا الحيرة والشك.

ومن المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال، وإنما يحب الدين والعلم واليقين، وقد ذم الحيرة بقوله تعالى: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ﴾[2]، وقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ﴾[3]، وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول: ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم))[4].

فهو صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق، فكيف يكون محبوب الله (عدم)[5] الهدى في مسائل الخلاف؟ وقد قال الله تعالى له: ﴿ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ﴾[6]، وما يذكره بعض الناس عنه [من][7] أنه قال: ((زدني فيك تحيرا))[8] كذب باتفاق أهل العلم بحديثه

---

1) ما بين المعقوفين زيادة من المطبوع.

2) الأنعام 72 ـ 71

3) الفاتحة 6 ـ 7

4) أخرجه مسلم في صحيحه (1/534)، كتاب صلاة المسافرين وقصرهما، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

5) في نسخة (ب): (علم)

6) طه 114

7) ما بين المعقوفين سقط من المبطوع.

8) انظر جواب ابن تيمية في الإنكار على هذا، حين سأله: هل قال النبي صلى الله عليه وسلم "زدني فيك تحيرا "، وقال بعض العارفين: أول المعرفة الحيرة، وآخرها الحيرة...، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (5/57)، مسألة هل قال النبي

صلى الله عليه وسلم، بل هذا سؤال من هو حائر، وقد سأل المزيد من الحيرة، ولا يجوز لأحد أن [يسأل و][1] يدعو بمزيد الحيرة، إذا كان حائرا، بل يسأل الهدى والعلم، فكيف بمن هو هادي الخلق من الضلالة؟ وإنما ينقل مثل هذا عن بعض[2] الذين لا يقتدى بهم في مثل هذا إن صح النقل عنه، وقول هؤلاء الواقفة الذين لا يثبتون ولا ينفون، وينكرون الجزم بأحد القولين، يلزم عليه أمور:

أحدها: أن من قال هذا: فعليه أن ينكر على النفاة، فإنهم ابتدعوا ألفاظا ومعاني لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة، وأما المثبتة إذا اقتصروا على النصوص فليس له الإنكار عليهم، وهؤلاء الواقفة هم في الباطن يوافقون النفاة أو يقرونهم، وإنما يعارضون المثبتة فعلم أنهم أقروا أهل البدعة وعادوا أهل السنة.

الثاني أن يقال: عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحبه الله ورسوله فهذا القول باطل.

الثالث أن يقال: الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين، غاية ما في الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا الإثبات يسكت، فأما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس للواقف الشاك الحائر أن ينكر على هذا العالم الجازم المستبصر المتبع للرسول العالم بالمنقول والمعقول.

الرابع أن يقال: السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة، وقالوا بالإثبات، وأفصحوا به، وكلامهم في الإثبات، والإنكار على النفاة أكثر من أن يمكن إثباته في هذا

زدني فيك تحيرا. ومجموع الفتاوى(2/202)، (2/265).

1) ما بين المعقوفين زيادة من (المطبوع)

2) في المطبوع زيادة: (الشيوخ)

المكان، وكلام الأئمة المشاهير مثل مالك[1]، والثوري[2]، والأوزاعي[3]، وأبي حنيفة[4]، و حماد بن زيد[5]، وحماد بن سلمة[6]،
وعبد الرحمن بن مهدي[7]، ووكيع بن الجراح[8]، والشافعي[9]، وأحمد بن حنبل[10]، و إسحاق بن راهويه[11]،
وأبي عبيد[12]، وأئمة أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد موجود كثير لا يحصيه أحد.

---

1) قال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (66)، والجامع لابن أبي زيد القيرواني، والسنة للألكائي (3/441)، والأسماء والصفات للبيهقي (2/304)، والشريعة للآجري (79).

2) أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في السنة عن معدان قال: سألت سفيان الثوري عن قول الله عز و جل ڦ ڤ ڤ ڦ ڦ ڃ ، قال: ((علمه))، وقال ايضا: من قال: ((إن   ٻ ٻ پ پ پ مخلوق، فهو كافر)). انظر: السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (1/ 108ـ306).

3) قال الإمام الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (2/304)، والعلو للعلي الغفار (136).

4) قال الإمام أبو حنيفة: لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته، ورضاه ثوابه. ونصفه كما وصف نفسه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولك يكن له كفواً أحد، حي قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم، ليست كأيدي خلقه، ووجهه ليس كوجوه خلقه. انظر: الفقه الأكبر (ص: 159ـ
وقال: (وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن، من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده

وجواب مالك في ذلك صريح في الإثبات [فإن السائل قال له: يا أبا عبد الله ﴿ ڈ ژ ڙ ڑ ﴾[1] كيف استوى؟][2] فقال مالك: ((الاستواء معلوم والكيف مجهول وفي لفظ: استواؤه معلوم - أو معقول - والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة))[3]، فقد أخبر رضي الله عنه بأن نفس الاستواء معلوم، وأن كيفية الاستواء مجهولة، وهذا بعينه قول أهل الإثبات.

قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطالَ الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال) انظر: الفقه الأكبر (ص: 27)

5) قال حماد بن زيد رحمه الله عن الجهمية: (إنما يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء إله، وقال أيضا: القرآن كلام الله، أنزله جبريل من عند رب العالمين)، انظر: العلو للذهبي (1/129)، والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (1/118)، وانظر: سير أعلام النبلاء (7/461).

6) نقل ابن تيمية كلام الإمام أبو نصر السجزي حيث قال: (وأئمتنا - وذكر أئمة كثيرة منهم حماد بن سلمة - متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما يشاء، فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء وهم منهم برآء) وقد روى حماد بن سلمة أحاديث النزول، والرؤية، والاتيان، انظر: بيان تلبيس الجهمية(1/122، 168)، والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد(1/243).

7) قال إبراهيم بن زياد سبلان: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: لو كان لي سلطان، لقمت على الجسر، فلا يمر بي أحد إلا سألته، فإذا قال: مخلوق، ضربت عنقه، وألقيته في الماء، ونقل غير واحد عن عبد الرحمن بن مهدي قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى، وأن يكون استوى على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا، وإلا ضربت أعناقهم. انظر سير أعلام النبلاء (9/192).

8) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس، الإمام الحافظ، محدث العراق، الكوفي، أحد الأعلام، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، قال يحيى بن يحيى التميمي: سمعت وكيعا يقول: من شك أن القرآن كلام الله - يعني غير مخلوق - فهو كافر، وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: سمعت وكيعا يقول: نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا؟ ولا لم كذا؟ يعني مثل حديث: " يحمل السماوات على إصبع "، توفي وكيع سنة سبع

وأما النفاة فما يُثْبِتُون استواءً حتى تُجْهَل كيفيته، بل عند هذا القائل الشاك وأمثاله أن الاستواء مجهول غير معلوم، وإذا كان الاستواء مجهولا لم يحتج أن يقال: الكيف مجهول، لا سيما إذا كان الاستواء منتفيا (فالمنفي)[1] المعدوم لا كيفية له حتى يقال: هي مجهولة أو معلومة.

وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء، وأنه معلوم، وأن له كيفية، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن،

وتسعين ومائة يوم عاشوراء فدفن بفيد، يعني راجعا من الحج. انظر سير أعلام النبلاء (9/168) وانظر: تاريخ دمشق (17/403)، وشرح اعتقاد أهل السنة (1/ 248 – 249)

9) قال الإمام الشافعي: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء، لفروا منه كما يفرون من الأسد، وسئل عن القرآن؟ فقال: أف أف، القرآن كلام الله، من قال: مخلوق، فقد كفر. انظر ميزان الاعتدال (1/20)، وحلية الأولياء (9 / 111)، وتاريخ ابن عساكر (4 / 405)، ومعرفة السنن والآثار (5/10).

10) قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، البر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص الإيمان، وقال إسحاق بن إبراهيم البغوي: سمعت أحمد يقول: من قال: مخلوق، فهو كافر، من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع، وأنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، القرآن فهو جهمي، وإلى الإمام أحمد المنتهى في معرفة السنة علما وعملا، وفي معرفة الحديث وفنونه، ومعرفة الفقه وفروعه، وكان رأسا في الزهد والورع والعبادة والصدق. انظر سير أعلام النبلاء (11/177)

11) قال إسحاق بن راهويه: (أخرجت خراسان ثلاثة لا نظير لهم في البدعة والكذب: جهم، وعمر بن صبيح، ومقاتل)، وقال حرب الكرماني: قلت لإسحاق: ﴿ ٻ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٿ ﴾ كيف تقول فيه؟ قال: (حيثما كنت، فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه، وأبين شيء في ذلك قوله: ﴿ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ﴾)، وقال أيضا: (أجمع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة)، وقال أيضا: (ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق). انظر سير أعلام النبلاء (21/425)

12) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، وله: كتاب (الأموال)، وكتاب (الغريب)،

ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية، فإن السؤال إنما يكون عن أمر معلوم لنا، ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلوما وله كيفية، تكون تلك الكيفية معلومة لنا، يبين ذلك أن المالكية وغير المالكية، نقلوا عن مالك أنه قال: ((الله في السماء وعلمه في كل مكان))[1] حتى ذكر ذلك مكّيٌّ[2] خطيبُ قرطبة في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك، ونقله أبو

وكتاب (فضائل القرآن)، وكتاب (الطهور)، وغير ذلك، وله بضعة وعشرون كتابا، قال أبو عبيد: (من قال: القرآن مخلوق، فقد افترى على الله عز وجل، وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى)، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين، بمكة. انظر: سير أعلام النبلاء (20/3)، والشريعة للآجري (82)، والأسماء والصفات للبيهقي (253)

1 ()طه: 5

2) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3) انظر الرد على الجهمية للدارمي (66)، وفي الجامع لابن أبي زيد القيرواني، والسنة للألكائي (3/441)، والأسماء والصفات للبيهقي (2/304)، والشريعة للآجري (79)

1) في (ب): (فالنفي)، وفي المطبوع: (فالمنتفي) وما أثبته أقرب للصواب والله أعلم.

1) انظر: اعتقاد أهل السنة للألكائي (3/401)، والرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (133)، والشريعة للآجري (3/1076)، والسنة لعبد الله بن أحمد (62).

2) مكي هو: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد، مقرئ، عالم بالتفسير والعربية، من أهل القيروان، ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشرق، ثم سكن قرطبة، وخطب وأقرأ بجامعها، وتوفي فيها. له كتب كثيرة، منها: مشكل إعراب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات وعللها. ولد سنة 355، وتوفي سنة 437. انظر: سير أعلام النبلاء (17/592).

عمرو الطلمنكي[1]، وأبو عمر بن عبد البر[2]، وابن أبي زيد[3] في المختصر، وغير واحد، ونقله أيضا عن مالك غير هؤلاء ممن لا يحصى عددهم مثل أحمد بن حنبل[4]، وابنه عبد الله[5]، والأثرم[6]، والخلال[7]، والآجري[8]، وابن بطة[9]، وطوائف غير هؤلاء من المصنفين في السنة، ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الإثبات، والقول الذي قاله مالك، قاله قبله ربيعة بن أبي عبد

---

1) أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي، بحر من بحور العلم، إمام مقرئ محدث مفسر، توفي سنة (429هـ) وقد قارب التسعين. انظر سير أعلام النبلاء (17/566)، نقل الألوسي كلامه: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته. وقال في هذا الكتاب أيضاً: أجمع أهل السنة على أن الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز. ثم ساق سنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان) انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني (1/577)، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1422هـ.

2) تقدمت ترجمته.

3) ابن أبي زيد هو: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المالكي، الإمام، العلامة، القدوة، الفقيه، عالم أهل المغرب، ويقال له: مالك الصغير، صنف كتاب (النوادر والزيادات)، واختصر(المدونة)، وعلى هذين الكتابين المعول في الفتيا بالمغرب، وصنف كتاب (العتبية) على الأبواب، وكتاب (الاقتداء بمذهب مالك)، وكتاب (الرسالة)، وكتاب (الثقة بالله والتوكل على الله، توفي سنة تسع وثمانين وثلاث مائة. انظر سير أعلام النبلاء (17/11)، وروى ابن أبي زيد الأثر السابق من الإمام مالك في مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص: 34)، دار العاصمة، الرياض، 1414هـ.

4) قال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان قال حدثنا عبد الله بن نافع قال: قال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان، انظر: مسائل أحمد من رواية أبي داود (263)، والسنة لعبد الله بن أحمد (62)، والشريعة للآجري (289)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (673).

5) رواه عبد الله في السنة (1/106)

6) الأثرم هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الأثرم الطائي، الإمام، الحافظ، العلامة، وله مصنف (السنن)، ومصنف في علل الحديث، وهو تلميذ الإمام أحمد، وتوفي في حدود الستين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء (16/625)، وانظر: التهذيب (1/79).

الـرحمن[1][2]شـيخه، كمـا رواه عنـه سـفيان بن عيينة[3]، وقــال عـــبد العـــزيز بن عبــد اللــه بن أبي سلـــمة الماجشون[4] كلاما طويلا يقرر مـذهب الإثبـات ويـرد على النفاة قد ذكرناه في غير هذا الموضع[5].

وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم، وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في الإثبات كثير مشهور[6]، حتى إن علماءهم حكوا إجماع أهل السنة

7) الخلال هـو: أبـــو بكـر أحـــمد بن محـــمد بن هـارون بن يزيـد البغدادي الخلال، الإمام، العلامة، الحافـظ الفقيـه، شـيخ الحنابلـة وعالمهم، وصنف كتاب (الجامع في الفقه) من كلام الإمام أحمـد بن حنبل، وصـنف كتـاب(العلـل)، وألـف كتـاب (السـنة، وألفـاظ أحمد، والدليل على ذلك من الأحاديث ، سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، ويقـال: بـل نيـف على الثمـانين، انظـر سـير أعلام النبلاء (14/298)، وانظر رواية الخلال في العقيدة للإمام أحمد بن حنبل (ص: 108)، دار قتيبة، مشق، 1408هـ.

8) انظر: الشريعة (3/1076)، والآجري هو: أبــو بكر محـــمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجــري، الإمام، المحدث، القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التواليف، منها: كتاب (الشريعة في السنة)كبير، وكتاب (الرؤية)، وكتاب (الغرباء)، وغير ذلــك، تــوفي سنة ستين وثلاث مائة. انظر سير أعلام النبلاء(16/135).

9) انظر: الإبانة (3/153)، و ابن بــطة هو: أبو عبـــد اللـه عبيـد اللـه بن محمـد بن محمـد بن حمـدان العكـبري الحنبلي، الإمـام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، مصنف كتـاب (الإبانـة الكـبرى)، توفي سنة سبع وثمـانين وثلاث مائـة. انظـر: سـير أعلام النبلاء (16/530).

1) ربيـــعة الـــرأي بن أبي عبــد الــرحمن فـــروخ القرشي، الــتيمي مــولاهم، الإمــام، مفــتي المدينــة، وعــالم الــوقت، المشهور بربيعة الرأي، وقال أحمـد بن عبـد اللـه العجلي في (تاريخه): حدثني أبي، قال: قال ربيعة، وسئل: كيف اسـتوى؟ فقـال: الكيـف غـير معقـول، وعلى الرسـول البلاغ، وعلينـا التصديق، توفي سنة ست وثلاثين ومائة بالمدينة، انظر: سـير أعلام النبلاء (6/90). وانظر: الإبانة (3/163)، وشـرح أصـول اعتقاد أهـل السـنة(3/422)، والأسـماء والصـفات للـبيهقي (2/306).

2) رواه ابن بطة في الإبانة (3/163)، واللالكائي في السـنة (3/422)، والبيهقي في الأسماء والصفات (2/306).

3) انظر رواية ابن عيينه في شرح أصول اعتقاد أهـل السـنة(3/441)، وأيضــا في اثبـــات صـــفة العلـــو لابن قدامـــة المقدســي(ص: 164)، تحقيــق: الــدكتور أحمــد بن عطيــة الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1409هـ.

والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه[1]، وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا، وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة[2] (لتلقن)[3] لجميع المسلمين، لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي (يلقنها)[4] كل أحد.

ولم يرد على ابن أبي زيد في هذا إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة، لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة،

---

4) عبد العزيز بن عبد الله التيمي ابن أبي سلمة ميمون الإمام، المفتي الكبير، أبو عبد الله، وأبو الأصبغ التيمي مولاهم، المدني، الفقيه، والد المفتي عبد الملك بن الماجشون، صاحب مالك، وابن عم يوسف بن يعقوب الماجشون، قال محمد بن سعد: كان عبد العزيز ثقة، كثير الحديث، وأهل العراق أروى عنه من أهل المدينة، قدم بغداد، وأقام بها، إلى أن توفي سنة أربع وستين ومائة، وصلى عليه المهدي. انظر: سير أعلام النبلاء (7/310)

5) انظر مثلا: الصفدية (1/290)، والفتوى الحموية الكبرى (307)

6) كان مالك بن أنس يقول: (الكلام في الدِّين أكرهه، وكان أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكلّ ما أشبه ذلك، ولا أحبُّ الكلام إلاَّ فيما تحته عمل، فأمَّا الكلام في الدِّين وفي الله عز وجل فالسُّكوت أحبُّ إليَّ، لأنِّي رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدِّين إلاَّ ما تحته عمل) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (2/938).

ونقل القرافي رحمه الله الاتفاق على ذلك فقال: (اعلم أنَّ الأصحاب أي علماء المالكيَّة فيما رأيتُ متَّفقون على إنكار البدع نصَّ على ذلك ابن أبي زيد وغيره) الفروق (4/202).

ومن علماء المالكية يحيى بن عمر (ت289هـ) وكان كثير الإنكار للبدع والمحدثات، وله تآليف عدَّة في الرَّدِّ على أهل البدع، منها كتاب في الرَّدِّ على المرجئة. انظر: رياض النفوس (1/490).

ومنهم المحدِّث الإمام أحمد بن عون الله بن حدير أبي جعفر الأندلسي القرطبي (ت378هـ)، فقد كان رحمه الله صارمًا في السُّنَّة، متشدِّدًا على أهل البدع، لهجا بهذا النَّوع، صبورًا على الأذى فيه. انظر: تاريخ دمشق (5/118).

ومنهم الإمام أبو محمَّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت

ولا أنه مخالف للكتاب والسنة، ولكن زعم من خـالف ابن أبي زيد وأمثاله أن ما قاله مخالف للعقل، وقالوا: إن ابن أبي زيد لم[1] يحسن فن الكلام الذي يعرف فيه مـا يجـوز على الله عز وجل وما لا يجوز.

والذين أنكروا على ابن أبي زيد وأمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الإنكار عن متأخري الأشـعريـة، كأبي المعالي[2] وأتباعه، وهؤلاء تلقوا هذا الإنكار عن الأصول

386هـ)، الَّذي كان يلقَّب بـ(مالك الصَّغير)، لـه مؤلَّفـات عـدَّة نصر فيها عقيدة السَّلف كما في مقدِّمة كتابـه (الرِّسـالة) في الفقه المالكي، و(كتاب الجامع في السُّـنن والآداب والمغـازي والتَّاريخ) والَّذي عقد فيه بابًا بعنوان: (بـاب ذكـر السُّـنن الَّتي خلافها البدع وذكر الاقتداء والاتِّباع وشيء من فضل الصَّـحابة ومجانبة أهل البدع)، (الجـامع في السـنن والآداب (ص105)، ومن كتبـه في الـرَّدِّ على البـدع والفـرق الضَّـالَّة كتابـه في (النَّهي عن الجدال)، و(رسالة في الرَّدِّ على القدريَّة)، وكتـاب (في الـرَّدِّ على أبي ميسـرة المـارق)، وآخـر (في مناقضـة رسالة البغدادي المعـتزلي). انظـر: معـالم الإيمـان (3/111) تحقيـق ماضـور، سـير أعلام النبلاء (17/11)، والـديباج (ص 223)، وهديَّة العـارفين (1/447)، ومقدِّمـة الجـامع لابن أبي زيد بقلم أبي الأجفان.

ومنهم الإمام ابن أبي زمنين، العالم القـدوة المقتفي لآثـار السَّلف، له كتاب (أصول السُّـنَّة)، أبـان فيـه عن عقيـدة أهـل السُّنَّة، والَّذي ينقل منه شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وابن القيِّم.

ومن هؤلاء الأعلام الإمام أبو عمـر الطلمنكي (ت429هــ)، أحد أئمَّة السُّـنَّة بالأنـدلس، وكـان رحمـه اللـه عارفًـا بأصـول الدِّيانة على هدى واستقامة، له مصنَّفات عـدَّة في الـذَّبِّ عن السُّنَّة وردِّ البدع، فمنها كتاب (الوصول إلى معرفـة الأصـول) انظر: الديباج المذهب (1/179).

ومنهم أبو عمرو الدَّاني، الَّذي كـانت لـه جهـود وافـرة في الرَّدِّ على أهل البدع والزَّيغ والضَّلالة، من ذلـك مـا عقـده في كتابـه (الرِّسـالة الوافيـة) قـائلاً: (فصـل في ذمِّ أهـل البـدع ومذهبهم. . .) انظر: الرسالة الوافية (ص147 ـ 166)

ومن هؤلاء الأعلام المالكيَّة الإمام ابن عبـد الـبرِّ (ت463هــ)

التي (شاركوا)[1] فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية، فالجهمية من المعتزلة وغيرهم هم أصل هذا الإنكار، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات رادون على الواقفة والنفاة مثل ما رواه البيهقي وغيره عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته[2].

وقال أبو مطيع البلخي[3] في كتاب الفقه الأكبر المشهور: سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في

رحمه الله حافظ المغرب وعالمه، ذو التَّصانيف العديدة المليحة كـ(التَّمهيد) و(الاستذكار) و(جامع بيان العلم وفضله)، ويقول: (لا خير في شيء من مذاهب أهل الكلام كلّهم وبالله التَّوفيق). انظر: الجامع (2/944)

ومنهم أبو عبد الله القرطبي (ت671هـ) رحمه الله ممَّن أنكر بدعًا كثيرة في تفسيره القيِّم (الجامع لأحكام القرآن)، وحذَّر من الابتداع في الدِّين. انظر: في «تفسيره» (4/168)

وممَّن له عناية من المالكيَّة في نصرة السُّنَّة والرَّدِّ على أهل البدع الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى، ولأجل تبيان هذا الأصل العظيم ألَّف رحمه الله كتاب (الاعتصام).

1) قال الإمام أبو عمر الطلمنكي الأندلسي: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ﴾[الحديد: 4]، ونحو ذلك من القرآن: أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء)، وقال: (قال أهل السنة في قوله: ﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ﴾[طه: 5]، إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز). انظر الوصول إلى معرفة الأصول نقلا عن درء التعارض العقل والنقل (5/251)، ونقله الذهبي في العلو (264).

وقال ابن عبد البر: (وأما احتجاجهم بقوله عز ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[المجادلة: 7] فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان)، وقال أيضا بعد ذكر حديث النزول: (وفيه دليل على أن الله عز

السماء أو في الأرض، قال: قد كفر؛ لأن الله عز وجل يقول: ﭐ ڈ ژ ژ ڑ ﭐ[طه: 5]، وعرشه فوق سبع سموات[1]، فقلت: إنه يقول على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض؛ فقال: إذا أنكر أنه في السماء كفر؛ لأنه تعالى في أعلى عليين؛ وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل[2].

وقال عبد الله بن نافع[3] كان مالك بن أنس يقول:

وجل في السماء على عرشه من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش)، وأيضا قال: (وفي هذا الحديث دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات وعلمه في كل مكان كما قالت الجماعة أهل السنة أهل الفقه والأثر) التمهيد لابن عبد البر (7/129)، (7/138)، والاستذكار لابن عبد البر (2/527)، دار الكتب العلمية بيروت، 1431هـ.

2) انظر: الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (485).

3) في نسخة (ب): (لتلقي).

4) في نسخة (ب): (يلقها).

1) في المطبوع زيادة: (يكن).

2) تقدمت ترجمته.

1) في (ب): (شركوا).

2) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (408)، وجود إسناده الحافظ في فتح الباري (13/406)

3 () الحكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن أبو مطيع البلخي، وكان فقيها بصيرا بالرأي، وولي قضاء بلخ، وقدم بغداد غير مرة وحدث بها، مات ببلخ ليلة السبت لاثنتي عشرة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومائة. انظر: تاريخ بغداد(9/121)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ.

1) في المطبوع: (سمواته)

2 () انظر: الفقه الأكبر (ص: 135)، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، 1419هـ.

3 () عبد الله بن نافع الصائغ، من كبار فقهاء المدينة، وحديثه

(الله في السماء وعلمه في كل مكان)[1].
وقال معدان: سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ق ڤ ڤ ڤ ج [2]، قال: علمه[3]، وقال حماد بن زيد بن سلمة فيما ثبت عنه من غير وجه رواه ابن أبي حاتم والبخاري وعبد الله بن أحمد وغيرهم: ((إنما يدور كلام الجهمية على أن يقولوا ليس في السماء شيء))[4]، وقال علي بن الحسن بن شقيق[5]: قلت لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: ((بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه))[6][7]، وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت

مخرج في الكتب الستة، سوى صحيح البخاري، ، أكبر وأقدم وأثبت في مالك لطول صحبته له، وهو الذي خلفه في مجلسه بعد ابن كنانة، وهو الذي يحكي عنه يحيى بن يحيى، توفي في شهر رمضان، سنة ست ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (10/371).

1 () انظر: مسائل حرب (3/1111)، جامعة أم القرى، 1422هـ، والشريعة للآجري (3/1076)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (3/445).

2 ()الحديد: 5

3 () انظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (1/306)، والعلو للذهبي (ص: 135)، وسير أعلام النبلاء (4/274).

4 () أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (1/117)، والذهبي في العلو (ص98) وقال: هذا إسناد كالشمس وضوحا، وكذلك أخرجه في السير (6/24)، والبخاري نقل قوله بلفظ: (ما يجادلون إلا أنه ليس في السماء إله) خلق أفعال العباد (ص: 31)، دار المعارف، الرياض.

5 () علي بن الحسن بن شقيق بن دينار بن مشعب العبدي، الإمام، الحافظ، شيخ خراسان، حدث عنه: البخاري، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعبد الله بن منير، وغيرهم كثير، لزم ابن المبارك دهرا، وحمل عنه جميع تصانيفه، توفي سنة خمس عشرة ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (10/349).

6 () أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، (1/111)، وأخرجه أيضا الذهبي في العلو (ص: 149) وصححه، وصححه أيضا الألباني في مختصر العلو (ص: 152).

7) في المطبوع زيادة: (قلت بحد؟ قال: بحد لا يعلمه غيره).

عنه من غير وجه؛ وهو أيضا صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل[1]، وإسحاق بن

راهويه[2]، وغير واحد من الأئمة[3].

وقال رجل لعبد الله بن المبارك: ((يا أبا عبد الرحمن قد خفتُ الله من كثرة ما أدعو على الجهمية))، قال: ((لا

---

1 () قال الإمام أحمد بن حنبل: (بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش، فقلنا: لم أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال تعالى: ﴿ ڈ ژ ڑ ﴾ [طه: 5] وقال: ﴿ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ﴾ [الحديد: 4]) ثم قال: (وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾ [الملك: 16]، ﴿ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ﴾ [الملك: 17] ثم ذكر الأدلة، ثم قال: (هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش) الرد على الجهمية والزنادقة، (ص: 142).

2 () قيل لإسحاق بن راهويه: قول الله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ﴾ [المجادلة:7] كيف تقول فيه؟ قال: (وحيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه)، انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة(7/158)، وقال إسحاق بن راهويه: (أنبأنا بشر بن عمر، قال: سمعت غير واحد من المفسرين، يقولون: ﴿ ڈ ژ ژ ڑ ﴾[طه: 5]، على العرش ارتفع). انظر: العلو للعلي الغفار للذهبي(ص: 33).

وقد روى إسحاق بن راهويه بسنده عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ڇ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ﴾[الأعراف: 17] قال: قال ابن عباس: لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (3/397)، دار طيبة، الرياض، 1402هـ.

3 () مثل ما قال الإمام البخاري: (وقال وهب بن جرير: الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى) خلق أفعال العباد (ص: 30)، و قال الإمام ابن خزيمة: (فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية) التوحيد لابن خزيمة (1/233) مكتبة

تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء))[1].

وقال جرير بن عبد الحميد[2]: ((كلام الجهمية أوله (عسل)[3] وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله)) رواه ابن أبي حاتم[4]، ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبد الرحمن بن مهدي قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله عز وجل كلم موسى[5] وأن يكون على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم[6].

وقال يزيد بن هارون: ((من زعم أن الله على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي))[7].

الرشد، الرياض، 1414هـ، بل قتيبة بن سعيد نقل إجماع الأئمة على هذه المسألة حيث يقول: (هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال جل جلاله: ﴿ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ﴾ (طه:5)، قال الإمام الذهبي: (فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع على المسألة وقد لقي مالكا والليث وحماد بن زيد والكبار وعمّر دهرا وازدحم الحفاظ على بابه) العلو للعلي الغفار (ص: 174).

[1] () أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب السنة (1/110)، وابن بطة في الإبانة (2/95).

[2] () جرير بن عبد الحميد بن يزيد الضبي، الإمام، الحافظ، القاضي، أبو عبد الله الضبي، الكوفي، مات جرير عشية الأربعاء، ليوم خلا من جمادى الأولى، سنة ثمان وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء(9/9).

[3]) في المطبوع: (شهد)

[4] () أورده الذهبي في العلو (ص110)، وعزاه لابن أبي حاتم، وأورده في الأربعين في صفات رب العالمين (ص60)، وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص220) وعزاه لابن أبي حاتم.

[5])في المطبوع زيادة: (بن عمران)

[6] () انظر سير أعلام النبلاء (9/192)

[7] () انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (1/123)، والسنة للخلال (5/ 92).

وقال سعيد بن عامر الضبعي[1] وذكر عنده الجهمية فقال: ((هم أشر قولا من اليهود والنصارى قد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء))[2].

وقال عباد بن العوام الواسطي[3]: ((كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السماء شيء؛ أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا))[4]، وهذا كثير في كلامهم.

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس مقالة أهل السنة وأهل الحديث كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين؛ فذكر فيه أقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمرجئة وغيرهم، ثم قال: ((ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وجملة قولهم: الإقرار بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله (وما)[5] رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا))، إلى أن قال: ((وأن الله على عرشه كما قال: ﮋ ڈ ژ ژ ڑ ﮊ[6]، وأن له يدين بلا كيف

---

1 () سعيد بن عامر الضبعي البصري، أبو محمد مولى بني عجيف، الزاهد، الحافظ، ولد: بعد العشرين ومائة، مات سعيد بن عامر لأربع بقين من شوال، سنة ثمان ومائتين، وله ست وثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (9/386)

2 () أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: 9)، وأورده الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص: 117)، وكذلك في الأربعين في صفات رب العالمين (ص: 42)، وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: 215)، وعزاه لابن أبي حاتم، وأورده أيضاً في الصواعق كما في مختصر الصواعق (2/213).

3 () عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر الكلابي، أبو سهيل، الواسطي، الإمام، المحدث، الصدوق، توفي سنة بضع وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (8/511).

4 () رواه عبد الله في السنة (ص: 31)، وذكره الذهبي في العلو(ص: 151)، وابن بطة في الإبانة (2/ـ 13/94 - ـ 95/ 327)

5) في المطبوع: (بما)

6 () طه: 5

كما قال تعالى: ﴿ ۓ ۓ ۓ ۓ ې﴾[1]، وأقروا أن لله علما كما [قال][2]: ﴿ گ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ﴾[3] ﴿ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ﴾[4] وأثبتوا السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير (و)[5] شر إلا ما شاء الله، وإن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال: ﴿ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ﴾[6] إلى أن قال: ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل: ((إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟)) كما جاء في الحديث، ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ ۓ﴾[7]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ﴾[8]، وذكر أشياء كثيرة إلى أن قال: فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب[9].

قال الأشعري أيضا في مسألة الاستواء: ((قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على عرشه كما قال: ﴿ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ﴾[10]، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول بل نقول استوى بلا كيف وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿ ۓ ۓ ۓ ې﴾[11]، وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث، قال:

---

1 () ص: 75

2) ما بين المعقوفين سقط من نسخة: (ب)

3 () النساء: 166

4 () فاطر: 11

5) في المطبوع زيادة: (لا)

6 () الإنسان: 30

7 () الفجر: 22

8 () ق: 16

9 () انظر: مقالات الإسلاميين (1/226-229)

10 () طه: 5

11) ص: 75

وقالت المعتزلة: ((استوى على عرشه بمعنى استولى))[1].

وقال الأشعري أيضا في كتابه الإبانة في أصول الديانة، في باب الاستواء: ((إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول له إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾[2]، وقال: ﴿ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﴾[3]، وقال: ﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾[4]، وقال حكاية عن فرعون: ﴿ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﴾[5]، كذّب[6] موسى في قوله: إن الله فوق السموات.

وقال الله تعالى: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ﴾[7][8]، فالسموات فوقها العرش، وكل ما علا فهو سماء، وليس إذا قال: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾ يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا [ترى][9] أنه ذكر السموات فقال: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾[10]، ولم يرد أنه (يملأهن)[11] جميعا؟ ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش.

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى "استوى" استولى، وملك، وقهر، وأن الله في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل

---

1 ()انظر: مقالات الإسلاميين (1/168)

2 () طه: 5

3) فاطر: 10

4 () النساء: 158

5) غافر: 37

6) في المطبوع زيادة: (فرعون)

7)في المطبوع تكلملة الآية الكريمة: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﴾

8) الملك: 16

9) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

10) نوح: 16

11)في المطبوع: (يملأ السموات)

الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا؛ كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء، والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش والأخلية، فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال: هو مستو على الأشياء كلها، ولما لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال: إن الله مستو على الأشياء كلها وعلى الحشوش والأخلية؛ بطل أن يكون معنى الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها))[1].

وقد نقل هذا عن الأشعري غير واحد من أئمة أصحابه كابن فورك والحافظ ابن عساكر في كتابه الذي جمعه في تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري، وذكر اعتقاده الذي ذكره في أول الإبانة، وقوله فيه: فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين[2] التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه - قائلون ولما خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح (به المنهاج)[3] وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: إنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر ما تقدم وغيره من جمل كثيرة

1 () انظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: 105-109).
2)في المطبوع زيادة: (بها).
3) في المطبوع: (المنهاج به)

أوردت في غير هذا الموضع[1].

وقال أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة الذي يذهب إليه أهل العلم: ((إن الله[2] على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وجميع ما في سبع أرضين يرفع إليه أفعال العباد، فإن قال قائل: (أيش)[3]معنى قوله: ﴿ ٻ ٺ ٿ ٹ ٺ ٽ ٿ ٹ ﴾[4][5]؟ قيل له: علمه، والله على عرشه وعلمه محيط بهم، كذا فسره أهل العلم. والآية يدل أولها وآخرها أنه العلم، وهو على عرشه هذا قول المسلمين))[6].

والقول الذي قاله الشيخ أبومحمد بن أبي زيد: (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه)[7]، قد تأوله بعض المبطلين بأن رفع "المجيد"، ومراده أن الله هو المجيد بذاته، وهذا مع أنه جهل واضح فإنه بمنزلة أن يقال: الرحمن بذاته، والرحيم بذاته، والعزيز بذاته.

وقد قال ابن أبي زيد في خطبة الرسالة أيضا: "على العرش استوى وعلى الملك احتوى"[8]، ففرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة المتبوعين، ومع هذا فقد صرح ابن أبي زيد في المختصر: "بأن الله في

---

1 () انظر: تبيين كذب المفترى (ص: 157)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ.

2) في المطبوع زيادة: (تعالى)

3) في المطبوع: (أي شيء)

4) في المطبوع تكملة الآية الكريمة: ﴿ ٹ ٺ ٽ ٿ ﴾

5) المجادلة: 7

6 () انظر: الشريعة للآجري (3/1076).

7 () انظر: مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (ص: 56)، دار الفضيلة، الرياض، 1423هـ.

8 () انظر: المصدر السابق (ص: 57).

سمائه دون أرضه"[1]، هذا لفظه، والذي قاله ابن أبي زيد ما زالت تقوله أئمة[2] السنة من جميع الطوائف.

وقد ذكر أبو عمرو الطلمنكي الإمام في كتابه الذي سماه الوصول إلى معرفة الأصول: "أن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه"[3].

وكذلك ذكره محمد بن عثمان بن أبي شيبة[4] حافظ الكوفة في طبقة البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة[5]، وكذلك ذكره يحيى بن عمار السجستاني[6] الإمام في رسالته المشهورة في السنة التي كتبها إلى (ملك)[7] بلاده[8].

---

1 () انظر: كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لابن أبي زيد القيرواني(ص: 108)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ، وانظر: الزخيرة للقرافي (13/242)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

2) في المطبوع: (أهل)

3 () قال الإمام أبو عمرو الطلمنكي الأندلسي: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﮊ، ونحو ذلك من القرآن: أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء، وقال: قال أهل السنة في قوله: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮊ [طه:5]، إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز. انظر الوصول إلى معرفة الأصول نقلا عن درء التعارض العقل والنقل (5/251)، ونقله الذهبي في العلو(264).

4 () محمد بن عثمان بن أبي شيبة أبو جعفر العيسي الكوفي، وكان عالما بصيرا بالحديث والرجال له تواليف مفيدة، مات سنة سبع وتسعين ومئتين عن نيف وثمانين سنة، انظر: لسان الميزان (7/430).

5 () انظر: العرش وما روي فيه (ص: 285)، مكتبة الرشد، الرياض، 1418هـ.

6 () يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنبس أبو زكريا، الشيباني، السجستاني، نزيل هراة، قال الإمام الذهبي: (الإمام، المحدث، الواعظ، شيخ سجستان)، توفي يحيى بن عمار بهراة، في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة، انظر: سير أعلام النبلاء(17/482).

7) في المخطوط: (مالك)

8 () قال يحيى بن عمار السجستاني في رسالته وفيه: لا نقول كما قالت الجهمية أنه مداخل الأمكنة وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو؛ بل نقول: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء، وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء، وهو معنى قوله ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ [الحديد 4] هذا الذي قلناه إن الأمكنة غير خالية من علمه وقدرته، وأنه مدرك لها بسمعه وبصره، وهو بذاته على العرش سبحانه. انظر: بيان تلبيس الجهمية(5/64).

وكذلك ذكر أبو نصر السجزي الحافظ في كتاب الإبانة له[1]، قال: وأئمتنا كالثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد، وإسحاق: متفقون على أن الله فوق العرش بذاته؛ وأن علمه بكل مكان، وكذلك ذكر شيخ الإسلام الأنصاري، وأبو العباس الطرقي[2]، والشيخ عبد القادر الجيلي[3]، ومن لا يحصي عدده إلا الله من أئمة الإسلام وشيوخه.

---

1 () قال فضيلة شيخنا الشيخ الدكتور محمد باكريم محقق كتاب رسالة السجزي إلى أهل زبيد: (وقد قام فضيلة شيخنا حماد الأنصاري حفظه الله بالسعي للحصول على صورة لهذا الكتاب، وبعث بالرقم المشار إليه، ووصلت إليه صورة تحمل نفس الرقم، لكن الكتاب اتضح أنه (الإبانة) لابن بطة، وليس إبانة السجزي، ولم أيأس، وقلت في نفسي لابد أن يكون في هذه المكتبة كتاب للسجزي وربما حصل خطأ في الفهرسة، فسافرت إلى استانبول ثم بحثت في باقي مكتبات هذه المدينة وهي كثيرة جداً، بها من روائع تراثنا الإسلامي الشيء الكثير مما يستحق أن تشد إليه الرحال ويسترخص في سبيله المال. على أني وإن لم أجد بها بغيتي فإنني والحمد لله لم أعد منها بخفي حنين، وهناك، اقتباسات عن كتاب الإبانة لدى شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم والإمام الذهبي في عدد من مؤلفاتهم) جزى الله خيرا لشيخنا وبارك الله في جهوده، انظر: رسالة السجزي، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1423هـ.

2 () أبو العباس أحمد بن ثابت بن محمد الطرقي الأصبهاني، وطرق: من قرى أصبهان، توفي: في شوال، سنة إحدى وعشرين وخمس مائة. انظر: سير أعلام النبلاء(19/528).

3 () عبد القادر أبو محمد بن عبد الله الجيلي الحنبلي شيخ بغداد، قال الإمام الذهبي: (الشيخ، الإمام، العالم، الزاهد، العارف، القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء)، وقال أيضا: (ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثيرا منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة)، وقال: (وفي الجملة: الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب حلية الأولياء وغير ذلك من المصنفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه: "طريقنا طريق السلف المتبعين (للكتاب)[1] والسنة وإجماع الأمة"[2]، قال: "ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول؛ لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام وأحدث الأشياء من غير شيء وأن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق، وأن القرآن من جميع الجهات مقروءا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا، كلام الله عزوجل حقيقة لا حكاية ولا ترجمة، وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق، وأن الواقفة واللفظية من الجهمية، وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية وأن الجهمي عندهم كافر".

وذكر أشياء إلى أن قال: "وأن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه؛ يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه؛ لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه"، وذكر سائر اعتقاد السلف وإجماعهم على ذلك[3].

وقال يحيى بن عثمان[4] في رسالته: لا نقول كما

الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه)، توفي في عاشر ربيع الآخر، سنة إحدى وستين وخمس مائة، انظر: سير أعلام النبلاء(20/439).

1) في المطبوع: (الكتاب)

2 () انظر: العرش للذهبي(2/411)، واجتماع الجيوش الإسلامية(2/279).

3 () انظر: العرش للذهبي(1/262)، والعلو للعلي الغفار للذهبي(ص: 243).

4 () هو يحيى بن عمار السجستاني كما نقل غير واحد من السلف كلامه، مثل الإمام الذهبي في العرش(2/445)، وفي العلو أيضا (ص: 245)، وابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية(5/64)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية(2/279).

قالت الجهمية إنه بداخل الأمكنة وممازج (لكل)[1] شيء ولا نعلم أين هو؛ بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله: [2] [3].

وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد[4] شيخ الصوفية في هذا العصر: ((أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين))، فذكر أشياء من الوصية إلى أن قال فيها: ((وإن الله استوى على العرش عرشه بلا كيف، ولاتمثيل، ولا تأويل، والاستواء معلوم والكيف مجهول؛ وإنه مستو على عرشه بائن من خلقه والخلق بائنون منه (لا)[5] حلول، ولا ممازجة، ولا ملاصقة، وإنه عز وجل سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل، (فمن)[6] أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال))[7].

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب الرسالة في السنة له: ((ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الأمة وأعيان سلف الأمة؛ لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه

---

1 () في المطبوع: (كل)
2) في المطبوع زيادة الآية الكريمة: وهو معكم
3) الحديد: 4
4 () معمر بن أحمد بن محمد بن زياد، الشيخ أبو منصور الإصبهاني الزاهد، كبير الصوفية بإصبهان، توفي 418هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي(9/302)، تحقيق: الدكتور بشار عواد المعروف.
5) في المطبوع: (بلا)
6)في المطبوع: (ومن)
7 () ذكره قوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيمي في كتابه الحجة في بيان المحجة (1/247).

وعرشه فوق سمواته))[1].

قال: وإمامنا أبو عبد الله الشافعي احتج في كتابه المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن إعتاقه إياها، فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها: ((أين ربك؟ فأشارت إلى السماء، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة)) فحكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية[2].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: ((باب القول في الاستواء، قال الله تعالى: ﴿ ڈ ژ ڑ ﴾[3]، ﴿ ک ک ک گ ﴾[4]، ﴿ ﯺ ﯻ ﯼ ﴾[5]، ﴿ ۇ ۆ ۈ ۋ ﴾[6]، ﴿ ې ې ى ى ﴾[7] ﴿ ﴾[8]، ﴿ چ چ ﭻ ﭼ ﴾[9] وأراد من فوق السماء؛ كما قال: ﴿ ﮧ ﮨ ﴾[10] بمعنى على جذوع النخل، وقال: ﴿ ٻ ٻ ﴾[11] أي: على الأرض، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السموات، فمعنى الآية: أأمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات))، قال: ((وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية: أن الله بذاته في كل مكان وقوله: ﴿ ڦ ڦ ڦ ڄ ﴾[12] إنما

---

[1] انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: 175، 176)، تحقيق: الدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ.

[2] انظر: المصدر السابق(ص: 188).

[3] طه: 5

[4] الأعراف: 54

[5] الأنعام: 18

[6] النحل: 50

[7] في المطبوع تكملة الآية الكريمة: (والعمل الصالح يرفعه)

[8] فاطر: 10

[9] الملك: 16

[10] طه: 71

[11] التوبة: 2

[12] الحديد: 4

أراد بعلمه لا بذاته))[1].

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال: ((هذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات؛ كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة))، قال: ((وهذا أشهر عند الخاصة والعامة، وأعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم (يوافقهم)[2] عليه أحد؛ ولا أنكره عليهم مسلم))، وقال أبو عمر أيضا: ((أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿[illegible]﴾[3] هو على العرش وعلمه في كل مكان؛ وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله))[4].

(تمت بحمد الله)[5].

---

1 () انظر الاعتقاد للبيهقي (ص: 112، 114)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1401هـ.

2)في المطبوع: (يوقفهم)

3) المجادلة: 7

4 () انظر التمهيد (7/128).

5) في المطبوع: (فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف؛ إذ لم ينقل عنهم غير ذلك؛ إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فنسأل الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا؛ بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين والحمد لله وحده)

الرسالة الرابعة

مسألة في الاستواء والنزول

[مسألة][1][2]

سئل [عنها][3] شيخ الإسلام[4] أبو العباس أحمد [بن عبد الحليم بن عبد السلام بن][5] تيمية [رحمه الله ورضي عنه في الديار المصرية في الاستواء والنزول، هل هو حقيقة أو مجاز:

سئل][6] (رحمه الله)[7] عن قول الله (تعالى)[8]: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا))[9]، هل الاستواء والنزول حقيقة، أم لا؟ وما معنى كونه حقيقة؟ وهل الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع له، كما يقوله الأصوليون أم لا[10]؟ وما يلزم من كون آيات الصفات حقيقة؟ [وهل لازم المذهب مذهب أم لا؟].[11]

---

1) تمت مقابلة المخطوط مع ما طبع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله تعالى, طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, المدينة المنورة, 1424 ه.

2 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4 () في المطبوع زيادة: (ركن الشريعة)، والذي يظهر عدم جواز وصف المخلوق بذلك، فهي من مبالغة بعض النساخ.

5 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

6 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

7 () في المطبوع: (قدس الله روحه ونور ضريحه).

8 () في المطبوع: (عز وجل)

9) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ، رقم الحديث: (7494)، (9/143)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم الحديث: (758)، (1/531).

10 () وقع قوله: (أم لا؟) في المخطوط بعد قوله: (وهل الحقيقة استعمال اللغظ فيما وضع له)، وهو خطأ لأن هذا هو قول الأصوليين الذي أشار إليه السائل.

11 () ما بين المعقوفين زيادة في المخطوط.

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، القول في الاستواء والنزول، كالقول في سائر الصفات التي وصف (الله)[1] بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله[2] سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات، سمى نفسه: حيا، عليما، حكيما، قديرا، سميعا، بصيرا، غفورا، رحيما، إلى سائر أسمائه الحسنى.

قال الله تعالى: ﴿ [وإن ڳ ڳ][3] ڱ ڱ ں ں ڻ ﴾[4]، وقال: ﴿ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے [ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ]﴾[5]﴾[6]، وقال: ﴿ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ﴾[7]، وقال: ﴿ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﴾[8] أي بقوة، وقال: ﴿ ٹ ٹ ٹ ڻ ﴾[9]، وقال عن ملائكته: ﴿ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﴾[10]، وقال: ﴿ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ﴾[11]، وقال: ﴿ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﴾[12]، وقال: ﴿ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﴾[13]، وقال: ﴿ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﴾[14]، وقال تعالى: ﴿ ڃ ڃ چ چ ﴾[15]، وقال: ﴿ ٻ ٻ ٻ پ ﴾[16]، وقال: ﴿ ﯖ ﯗ ﯘ ﴾[17]، وقال: ﴿ ھ ھ ھ ھ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﴾[18]،

1 () ما بين المعقوفين زيادة في المطبوع.
2 () في المطبوع زيادة: (تعالى)
3 () ما بين المعقوفين زيادة في المطبوع.
4 () طه: 7
5 () ما بين المعقوفين زيادة في المطبوع.
6 () البقرة 255
7 () الذاريات 58
8 () الذاريات 47
9 () الأعراف 156
10 () غافر 7
11 () المائدة 119
12 () التوبة 72
13 () الفتح 6
14 () الأعراف 152
15 () النساء 164
16 () البقرة 253
17 () الأنعام 115
18 () طه 46

وقال: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ﴾[1]، وقال: ﴿ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾[3]، وقال: ﴿ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ﴾[5]، وأمثال ذلك؛ فالقول في بعض هذه الصفات كالقول في بعض.

ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن (يصفوا)[6] الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل؛ ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله[7] التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه ﴿ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ﴾[8][9] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

(قال)[10] نعيم بن حماد الخزاعي: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه و [لا][11] رسوله تشبيها[12]، ومذهب السلف [مذهب][13] بين مذهبين وهدى بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات؛ فقوله تعالى: ﴿ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿ﭦ ﭧ ﭨ﴾ رد على أهل النفي والتعطيل، (الممثل)[14] أعشى والمعطل أعمى، الممثل يعبد صنما

---

1 () النساء 134
2 () ص 75
3 () المائدة 54
4 () البقرة 210
5 () الفجر 22
6 () في المطبوع: (يوصف)
7 () في المطبوع زيادة: (تعالى)
8 () في المطبوع زيادة في ذكر الآية: ﴿وهو السميع البصير﴾.
9 () الشورى 11
10 () في المطبوع: (وقال)
11 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
12 () رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (3/587)، ورواه الذهبي في كتاب العلو (ص: 172).
13 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
14 () في المطبوع: (فالممثل).

والمعطل يعبد عدما.

وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، مريد حقيقة، متكلم حقيقة؛ حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا: إن الله متكلم حقيقة[1]؛ كما قالوا مع سائر المسلمين: إن الله عليم حقيقة، قدير حقيقة؛ بل ذهب طائفة منهم كأبي العباس الناشي[2] إلى أن هذه الأسماء حقيقة لله مجاز للخلق[3]، وأما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية من الأشعرية، والكلابية، والكرامية، والسالمية، وأتباع الأئمة الأربعة من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية وأهل الحديث، والصوفية فإنهم يقولون: إن هذه الأسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى؛ وإن كانت تطلق على خلقه حقيقة أيضا، ويقولون: إن له علما حقيقة وقدرة حقيقة وسمعا حقيقة وبصرا حقيقة[4].

---

1 () انظر: الفرق بين الفرق (ص: 94)

2 () الناشي هو: أبو العباس عبد الله بن محمد بن شرشير الأنباري، الملقب: بالناشي، من كبار المتكلمين، وأعيان الشعراء، ورؤوس المنطق، له التصانيف، سكن مصر، وبها مات في سنة ثلاث وتسعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (14/40)

3 () قال أبو الحسن الأشعري: (وكان الناشي لا يستدل بالأفعال المشتقة في الحكمة من البارئ على أن فاعلها عالم قادر لأنها قد تظهر من الإنسان وليس بعالم في الحقيقة ولا قادر، وكان يزعم أن البارئ عالم قادر سميع بصير حكيم عزيز عظيم جليل كبير في الحقيقة والإنسان يسمى بهذه الأسماء على المجاز)، انظر مقالات الإسلاميين (2/371)

4 () وقد نقل الإجماع على هذا عدد من العلماء منهم الإمام اللالكائي حيث يقول: (فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطرائق الحق المسلوكة، والدلائل اللايحة المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة التي عملت عليها الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين واعتقدوها حجة فيما بينهم

وإنما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة [الغلاة][1] من القرامطة الباطنية الإسماعيلية ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى، ويقولون: ليس بحي[ولاميت][2] (ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولا موجود ولا معدوم)[3]؛ فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن (يكون)[1] له حقيقة، ثم يقول بعضهم [إن هذه الأسماء مجاز، ويقول بعضهم][2] إن هذه

وبين الله رب العالمين ثم من اقتدى بهم من أئمة المهتدين واقتفى آثارهم من المتبعين، واجتهد في سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) - إلى أن قال- (باب جماع توحيد الله عز وجل وصفاته وأسمائه وأنه حي، قادر، عالم، سميع، بصير، متكلم، مريد، باق) إلى أن روى (عن محمد بن الحسن يقول: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئا من ذلك، فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1/7)، وانظر: (2/216)، (3/480)، وقال ابن بطة: (فمن زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن الله كان ولا علم، ومن زعم أن أسماء الله وصفاته مخلوقة، فقد زعم أن الله مخلوق محدث، وأنه لم يكن ثم كان، تعالى الله عما تقوله الجهمية الملحدة علوا كبيرا، وكل ما تقوله وتنتحله فقد أكذبهم الله عز وجل في كتابه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي أقوال الصحابة، وإجماع المسلمين في السابقين والغابرين؛ لأن الله لم يزل عليما سميعا بصيرا متكلما، تاما بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، قبل كون الكون، وقبل خلق الأشياء، لا يدفع ذلك ولا ينكره إلا الضال الجحود الجهمي المكذب) الإبانة لابن بطة العكبري (4/213)، دار الراية، الرياض.

1 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

الأسماء لبعض المخلوقات وأنها ليست له، [لا][1]حقيقة ولا مجاز، وهؤلاء الذين (يسمونهم)[2]المسلمون (ملاحدة)[3]؛ لأنهم ألحدوا في أسماء الله وآياته[4]،[5]قال الله تعالى: ﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ﴾[6][7] وقال تعالى: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﴾[8]، وهؤلاء شر من المشركين الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏﮐ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ﴾[10].

فإن أولئك المشركين إنما أنكروا اسم الرحمن فقط؟ (وهؤلاء ينكرون أسماؤه الحسنى كلها)[11] ولهذا كانوا عند المسلمين أكفر من اليهود والنصارى، ولو كانت أسماء

---

2 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3 () في المطبوع: (ولا عالما ولا جاهلا ولا قادرا ولا عاجزا ولا موجودا ولا معدوما).

1 () في المطبوع: (تكون)

2 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

1 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2 () في المطبوع: (يسميهم)

3 () في المطبوع: (الملاحدة)

4 () وفي هذا يقول الإمام الذهبي: (وهناك مسلك رابع: وهو مسلك أصحاب وحدة الوجود الذين يعطون أسماءه سبحانه لكل شيء في الوجود، إذ كان وجود الأشياء عندهم هو عين وجوده، ما ثمت فرق إلا بالإطلاق والتقييد، وهذا منتهى قول طوائف المعطلة، وغاية ما عندهم في الإثبات قولهم هو: وجود مطلق، أي: وجود خيالي في الذهن، أو وجود مقيد بالأمور السلبية) العرش للذهبي (1/81).

5 () في المطبوع زيادة: (وقد)

6 () في المطبوع زيادة قوله تعالى: ﴿ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ﴾

7 () الأعراف 180

8 () فصلت 40

9 () الفرقان 60

10 () الرعد 30

11 () في المطبوع: (وهم لا ينكرون أسماء الله وصفاته)

الله وصفاته مجازا يصح نفيها عند الإطلاق؛ لكان يجوز (أن يقال ليس الله)[1] بحي، ولا عليم، ولا قدير، ولا سميع، ولا بصير، ولا يحبهم، ولا يحبونه، ولا استوى على العرش؛ ونحو ذلك.

ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبتهالله[2] من الأسماء[3] والصفات؛ بل هذا جحد للخالق وتمثيل له بالمعدومات، وقد قال أبو عمر بن عبد البر: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع (الجهمية)[4] والمعتزلة والخوارج[5] (ينكرونها)[6] ولا (يحملونها)[7] على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود[8]، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به (كتاب الله وسنة رسوله)[9] وهم وأئمة الجماعة)[10].

وهذا الذي حكاه ابن عبد البر عن المعتزلة ونحوهم هو في بعض ما ينفونه من الصفات، وأما فيما يثبتونه من الأسماء والصفات كالحي، والعليم، والقدير، والمتكلم فهم يقولون: إن ذلك حقيقة ومن أنكر (هذا)[11] إنما

---

1 () في المطبوع: (أن الله ليس)

2 () في المطبوع زيادة: (تعالى)

3 () في المطبوع زيادة: (الحسنى)

4 () في المطبوع: (من الجهمية)، وفي التمهيد لابن عبد البر (والجهمية).

5 () في التمهيد زيادة: (فكلهم).

6 () في المطبوع: (فينكرونها)

7 () كذا في المخطوط والمطبوع، وأما التمهيد ففيه (يحمل شيئا منها).

8 () في المطبوع زيادة: (لا مثبتون)

9 () في المطبوع: (الكتاب والسنة)

10 () انظر: التمهيد لابن عبد البر (7/145)

11 () في المطبوع: (أن يكون شيء من هذه الأسماء والصفات حقيقة)

أنكره لجهله (بمسمى)[1] الحقيقة، أو لكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين، وذلك أنه قد يظن أن إطلاق ذلك يقتضي أن يكون المخلوق مماثلا للخالق فيقال له: هذا باطل؛ فإن الله موجود حقيقة والعبد موجود حقيقة؛ وليس هذا مثل هذا، والله تعالى له ذات حقيقة والعبد له ذات حقيقة، وليس ذاته (كذات المخلوقين)[2].

وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة، وللعبد علم وسمع وبصر حقيقة؛ وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم (الله)[3] وسمعه وبصره، ولله كلام حقيقة، وللعبد كلام حقيقة؛ وليس كلام الخالق مثل كلام (المخلوق)[4]، (وأنه استوى)[5] على عرشه حقيقة، (والعبد استوى)[6] على الفلك حقيقة؛ وليس استواء الخالق كاستواء (المخلوق)[7]؛ فإن الله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى شيء بل هو الغني عن كل شيء.

والله تعالى يحمل العرش وحملته بقدرته ويمسك السموات والأرض أن تزولا، فمن ظن أن معني قول الأئمة: إن الله مستو على عرشه حقيقة يقتضي أن يكون إستواؤه مثل استواء العبد على الفلك والأنعام لزمه أن يكون قولهم: إن الله له علم حقيقة، (وسمع، وبصر)[8]وكلام حقيقة، يقتضي أن يكون علمه وسمعه وبصره وكلامه مثل (علم المخلوق)[9] وسمعهم وبصرهم وكلامهم.

---

1 () في المطبوع: (مسمى)
2 () في المطبوع: (كذوات المخلوقات)
3 () في المخطوط: (العبد) وهو خطأ.
4 () في المطبوع: (المخلوقين)
5 () في المطبوع: (ولله تعالى استواء)
6 () في المطبوع: (وللعبد استواء)
7 () في المطبوع: (المخلوقين)
8 () في المطبوع: (وسمع حقيقة وبصر حقيقة)
9 () في المطبوع: (مثل المخلوقين)

فصل

وأما قول [القائل][1]: ما معنى كون ذلك حقيقة؟ فالحقيقة هو: اللفظ المستعمل فيما وضع له، [وقد يراد بها استعمال اللفظ فيما وضع له][2]، وقد يراد بها المعنى الموضوع للفظ الذي يستعمل اللفظ فيهن فالحقيقة (و)[3] المجاز هي من عوارض الألفاظ في اصطلاح أهل الأصول [وقد يجعلونه من عوارض الاستعمال][4]، وقد يجعلونه من عوارض المعاني لكن الأول أشهر، وهذه الأسماء والصفات لم توضع لخصائص المخلوقين [لا][5] عند الإطلاق ولا عند الإضافة إلى الله[6] ولكن عند الإضافة إليهم[7].

فاسم "العلم" يستعمل مطلقا ويستعمل مضافا إلى العبد كقوله [تعالى][8]: ﭐﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ[9]، ويستعمل مضافا إلى الله، كقوله: ﭐ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ[10]، فإذا أضيف العلم إلى المخلوق لم يصلح أن

---

[1] () في المطبوع: (السائل)

[2] () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[3] () في المطبوع: (أو)

[4] () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[5] () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[6] () في المطبوع زيادة: (تعالى)

[7] () انظر المعاني اللغوية للحقيقة: كتاب لسان العرب(10/52)، فصل الحاء، دار صادر بيروت، 1414هـ. وانظر: المعجم الوسيط(1/188)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وانظر: البحر المحيط للزركشي(2/238)، دار الكتبي، 1414هـ، وانظر أيضا أقسام الحقيقة في كتاب البحر المحيط للزركشي(3/12)، والمجاز (3/49)، وانظر مسألة اللفظ إما حقيقة أو مجاز في كتاب غاية الوصول شرح لب الأصول لأبي زكريا يحي الأنصاري الشافعي(ص: 53)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1354هـ.

[8] () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[9] () آل عمران 18

[10] () البقرة 255

يدخل فيه علم الخالق سبحانه، ولم يكن علم المخلوق كعلم الخالق، وإذا أضيف إلى الخالق كقوله: ﴿ڳ ڳ﴾[1]لم يصلح أن يدخل فيه علم المخلوقين ولم يكن علمه كعلمهم.

وإذا قيل: العلم مطلقا أمكن (تقسيمه)[2]، فيقال: العلم ينقسم إلى العلم القديم والعلم المحدث، فلفظ العلم عام فيهما، متناول لهما بطريق الحقيقة[3]، وكذلك إذا قيل: الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث، وواجب وممكن، وكذلك إذا قيل[4] الاستواء ينقسم إلى استواء الخالق واستواء المخلوق، وكذلك إذا قيل: الإرادة والرحمة والمحبة (تنقسم)[5] إلى إرادة الله ومحبته ورحمته، وإرادة العبد ومحبته ورحمته.

فمن ظن أن الحقيقة إنما تتناول صفة العبد المخلوقة المحدثة دون صفة الخالق كان في غاية الجهل؛ فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء الحسنى، فلا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب، كما لا نسبة بين ذاته وذاته، فكيف يكون العبد مستحقا للأسماء الحسنى حقيقة، فيستحق أن يقال له: عالم قادر سميع بصير، والرب لا يستحق ذلك إلا مجازا، ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من (الخالق)[6]سبحانه وتعالى، (فله)[7] المثل الأعلى؛ فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص (ينزه)[8]عنه المخلوق فالخالق أحق (بأن)[9]ينزه عنه، ولهذا كان لله المثل الأعلى، فإنه لا

---

1) النساء 166
2) في المخطوط: (نفسه) وهو تصحيف.
3) انظر: درء تعارض العقل والنقل(9/381).
4) في المطبوع زيادة: (في).
5) في المخطوط: (ينقسم)
6) في المطبوع: (الرب)
7) في المطبوع: (وله)
8) في المطبوع: (تنزه)
9) في المطبوع: (أن)

يقاس بخلقه، ولا يمثل بهم، ولا تضرب له الأمثال، فلا يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل[1][2] ولا في قياس شمول[3] (يستوي)[4] أفراده بل ﭽ ڃ ڃ ڃ چ چ چﭼ[5].

ومن الناس من يسمي هذه الأسماء: المشككة[6]، لكون المعنى في أحد المحلين أكمل منه في الآخر، فإن الوجود بالواجب أحق منه بالممكن، والبياض بالثلج أحق منه بالعاج[7]، (وأسماء الله)[8] وصفاته من هذا الباب؛ فإن الله[9]يوصف بها على وجه (لا يماثله فيه أحد)[10]من المخلوقين، وإن كان بين كل (مسمين)[11] قدرا مشتركا وذلك القدر المشترك هو مسمى اللفظ عند الإطلاق

---

1) في المطبوع زيادة: (بمثل)

2 () قياس التمثيل هو: (أن يلحق الشيء مثيله فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق). انظر: شرح العقيدة الواسطية(ص: 129) دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.

3 () قياس الشمول هو: (هو ما يعرف بالعام الشامل لجميع أفراده، بحيث يكون كل فرد منه داخلاً في مسمى ذلك اللفظ ومعناه، فمثلاً: إذا قلنا: الحياة، فإنه لا تقاس حياة الله تعالى بحياة الخلق من أجل أن الكل يشمله اسم (حي))). انظر: شرح العقيدة الواسطية(ص: 129).

4) في المطبوع: (تستوي)

5) الروم: 27

6 () المراد بالمشككة: ما يتفاضل معانيها في مواردها، كلفظ الأبيض الذي يقال على البياض الشديد، كبياض الثلج، والخفيف كبياض العاج، والشديد أولى به. درء تعارض العقل والنقل (4/425).

7 () قال الأزهري: (وقال الليث: العاج: أنياب الفيلة، قال: ولا يسمى غير الناب عاجا، وقال شمر: يقال للمسك: عاج) انظر: تهذيب اللغة للأزهري، (3/32)، ولسان العرب (2/334).

8 () في المطبوع: (وأسماؤه)

9 () في المطبوع زيادة: (تعالى)

10 () في المطبوع: (لا يماثل أحدا)

11 () في المطبوع: (قسمين)

[واللفظ حقيقة في ذلك القدر المشترك عند الإطلاق][1] فإذا (قيد)[2]بأحد المحلين تقيد به.

فإذا قيل: وجود، وماهية، وذات، كان هذا الاسم متناولا للخالق والمخلوق، وإن كان الخالق أحق به من المخلوق، وهو حقيقة فيهما.

فإذا قيل: وجود الله، وماهيته، وذاته، اختص هذا بالله؛ ولم يبق للمخلوق (وجود)[3] في هذا المسمى[4]، وكذلك إذا (قيل)[5]وجود المخلوق، وذاته، [وماهيته][6]، اختص ذلك بالمخلوق[7]وكان حقيقة للمخلوق وحده.

والجاهل يظن أن اسم الحقيقة إنما يتناول المخلوق وحده، وهذا ضلال معلوم الفساد بالضرورة (من)[8] العقول، والشرائع، واللغات فإنه من المعلوم بالضرورة أن بين كل موجودين قدرا مشتركا وقدرا مميزا، والدال على ما به الاشتراك وحده لا يستلزم ما به الامتياز، ومعلوم بالضرورة من دين المسلمين أن الله مستحق للأسماء الحسنى، وقد سمى بعض عباده ببعض تلك الأسماء كما سمى العبد[9]بصيرا، وحيا،[10]ورؤوفا، ورحيما، (وعليما)[11]،[12]وعزيزا، ومؤمنا[13]وغير ذلك، مع

---

1 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2 () في المخطوط: (قيل).

3 () في المطبوع زيادة: (دخول)

4 () في المطبوع زيادة: (وكان حقيقة لله وحده)

5 () في المطبوع زيادة: (تمثل) وهو تصحيف.

6 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

7 () في المطبوع زيادة: (وكان حقيقة للمخلوق، فإذا قيل: وجود العبد وماهيته وحقيقته لم يدخل الخالق في هذا المسمى).

8 () في المطبوع: (في)

9 () في المطبوع زيادة: (سميعا)

10 () في المطبوع زيادة: (وعليما وحكيما).

11 () يوجد تقديم وتأخير حيث يوجد (عليما) في المطبوع قبل (رؤوفا).

12 () في المطبوع زيادة: (وملكا)

13 () في المطبوع زيادة: (وكريما)

العلم بـأن الاتفـاق في الاسـم لا يـوجب مماثلـة الخـالق بـالمخلوق، وإنمـا يـوجب الدلالـة على أن بين المسـميين قـدرا مشـتركا فقـط؛ مـع أن الممـيز الفـارق أعظم من المشترك الجامع.

وأمـا اللغـات فـإن جميـع أهـل اللغـات من العـرب، والروم، والفرس، والترك، والبربر وغيرهم يقع مثـل هـذا في لغـاتهم، و(هـو)[1]حقيقـة في لغـات جميـع الأمم؛ بـل يعلمون أن الله أحق بأن يكون قادرا فاعلا من العبد، وأن اسـتحقاق (الـرب لاسـم)[2]القـادر[3] حقيقـة أعظم من استحقاق العبد لذلك، وكذلك غيره من الأسماء الحسنى.

وقـول النـاس: إن بين المسـميين قـدرا مشـتركا لا يريـدون (بـه أن)[4]يكـون في الخـارج عن الأذهـان (أمـرا مشتركا)[5]بين الخالق والمخلوق، فإنـه ليس بين مخلـوق ومخلوق (شيئ في الخارج)[6]مشـترك بينهمـا فكيـف بين الخالق والمخلوق؛ (إنما)[7] توهم هذا من توهمه من أهـل المنطـق اليونـاني ومن اتبعهم (حين)[8]ظنـوا أن في الخـارج ماهيـات[9] مطلقـة مشـتركة بين الأعيـان المحسوسة، ثم منهم من يجردها عن الأعيان (كـأفلاطن)[10][11]، ومنهم من يقول: لا تنفـك عن الأعيـان: كأرسـطو

---

1 () ما بين القوسين زيادة في المطبوع.

2 () في المطبوع: (اسم الرب)

3 () في المطبوع زيادة: (له)

4 () في المطبوع: (بأن)

5 () في المخطوط: (أمر مشترك)

6 () في المطبوع: (الخارج شيء)

7 () في المطبوع: (وإنما)

8 () في المطبوع: (حتى)

9 () ماهيـة الشيء: كنهه وحقيقته، أخذت من النسبة إلى ما هو أو ما هي، والجمـع: ماهيـات. انظـر: معجم الوسـيط (2/892)

10 () في المطبوع: (أفلاطون)

11 () يقال له: فلاطن وأفلاطن وأفـلاطون، من أهل مدينـة أثينيـا، رومي، فيلسـوف، يونـاني، عـالم بالهندسـة، وطبـائع

وابن سينا (وأمثالهما)[1][2]، وقد بسطنا الكلام على(هذا)[3]في غير هذا الموضع[4]، وبيّنّا ما دخل على من اتبعهم من الضلال في هذا الموضع في المنطق والإلهيات حتى إن طوائف من النظار [قالوا][5]: إنا إذا قلنا: إن وجود الرب (عين)[6]ماهيته كما هو قول أهل الإثبات ومتكلمة أهل الصفات: كابن كلاب والأشعري [وأبي الحسين البصري][7][8] (وغيرهم)[9] يلزم من ذلك أن يكون لفظ الوجود مقولا عليهما بالاشتراك اللفظي كما ذكره أبو عبد الله الرازي عن الأشعري [وأبي الحسين البصري وغيرهم[10]، وليس هذا مذهبهم][11] بل مذهبهم: أن لفظ الوجود (مقول)[12]بالتواطؤ، وأنه ينقسم إلى قديم

الأعداد، وله في الطب كتاب بعثه إلى طيماوس تلميذه، وله في الفلسفة كتب وأشعار، وله في التأليف كلام لم يسبقه أحد إليه، وكان اسم أبيه أرسطن، وتتلمذ على سقراطيس، ولزم سقراط وسمع منه خمس سنين ثم مات سقراط فبلغه أن بمصر قوما من أصحاب فيثاغورس فسار إليهم حتى أخذ عنهم، وله في الفلسفة كلام عجيب انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص: 80)، دار مكتبة حياة، بيروت.

1 () في المطبوع: (أشباههما)

2 () انظر كلام أفلاطون في الإلهية تفصيلا في كتاب الملل والنحل (2/146)، وكذلك كلام أرسطو وابن سينا (2/178)

3 () في المطبوع: (ذلك).

4 () انظر مثلا الرد على المنطقيين (ص: 308).

5 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

6 () في المخطوط (غير) ولكن الصحيح ما أثبته من المطبوع.

7 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

8 () أبو الحسين البصري هو: محمد بن علي بن الطيب، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكلامية، وله كتاب المعتمد في أصول الفقه، وكتاب تصفح الأدلة، توفي: ببغداد في ربيع الآخر، سنة ست وثلاثين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (17/587).

9 () في المطبوع: (وغيرهما)

10 () مثل ما قال الرازي في المطالب العالية: (ص: 290).

11 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

12 () في المخطوط: (معول)

ومحدث مع (قولهم)[1]: إن وجود الـرب (عين)[2] ماهيتـه؛ فإن لفظ الوجود عندهم كلفظ الماهية [والـذات][3] وكمـا أن الماهيـة والـذات تنقسـم إلى قديمـة ومحدثـة وماهيـة الـرب (عين)[4] (ذاتـه)[5]،[6][فكـذلك الوجـود ينقسـم إلى قديم ومحدث ووجود الـرب عين ذاتـه ووجـود العبـد عين ذاته وذات الشيء هي ماهيته[7].

فاللفظ من الألفاظ المتواطئة[8] ولكن بالإضافة يخص أحـد المسـميين، والمسـميان إذا اشـتركا في مسـمى الوجود والذات والماهيـة لم يكن بينهمـا في الخـارج أمـر مشترك يكون زائدا على خصوصية كـل واحـد كمـا يظنـه أرسطو وابن سينا والرازي وأمثالهم؛ بل ليس في الخارج وجود مطلق ولا ماهية مطلقة ولا ذات مطلقة[9].

أما المطلق بشرط الإطلاق فقد اتفـق هـؤلاء وغـيرهم على أنه ليس بموجود في الخارج؛ وأن على تقـدير ثبوتـه عن أفلاطون وأتباعه هو قول باطل ضرورة[10].

---

1 () في المخطوط: (قوله)

2 () في المخطوط (غير) ولكن الصحيح ما أثبته من المطبوع.

3 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4 () في المخطوط (غير) ولكن الصحيح ما أثبته من المطبوع.

5 () في المخطوط: (ذات أجسامهم).

6 () من هنـا حصـل سـقط في المخطـوط وقـد اسـتدركت السقط من المطبوع.

7 () كلام الرازي وغيره ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه درء التعارض (5/324)، وفي المطالب العالية: (ص: 303).

8 () المتـــواطـــــئة: الاسم الدال على معان استوت أفراده الذهنية والخارجية. انظـر: معجم مقاليـد العلـوم في الحـدود والرسوم، (ص: 119)، مكتبة الآداب، القاهرة، 1424هـ.

9 () كلام الرازي في ذلك في كتابـه: المطـالب العاليـة (ص: 306).

10 () قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة في شـرح حـديث الـنزول: (وقرروا أيضا أن الكليـات لا تكـون كليـة إلا في الأذهـان دون الأعيان، وأن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون إلا في الـذهن، وهذه قوانين صحيحة، ثم يدعون ما ادعـاه أفضـل متـأخريهم

وأما المطلق لا بشرط فقد يظن أنه في الخارج، وأنه جــزء من المعين وهــذا غلــط؛ بــل ليس في الخــارج إلا المعينـات، وليس في الخـارج مطلـق يكـون جـزء معين، لكن هؤلاء يريدون بالجزء ما هـو صـفة ذاتيـة للموصـوف بنـاء على أن الموصـوف مـركب من تلـك الصـفات الـتي يسمونها الأجزاء الذاتية، كما يقولون: الإنسان مركب من الحيــوان والنــاطق، أو من الحيوانيــة والناطقيــة، وهــذا الــتركيب تــركيب ذهــني، فالماهيــة المركبــة في الــذهن مركبة من هذه الأمور وهي أجزاء تلك الماهية.

وأمـا الحقيقـة الموجـودة في الخـارج فهي موصـوفة بهذه الصفات، ولكن كثيرا من هؤلاء اشـتبه عليـه الوجـود الـذهني بالخـارجي، وهـذا الغلـط وقـع كثـيرا في أقـوال المتفلسفة؛ فأوائلهم كأصحاب فيثاغـورس[1] كانوا يقولون

أن الواجب الوجود هـو الوجـود المطلـق بشـرط الإطلاق عن كل أمر ثبوتي، أو كما يقوله طائفة منهم: إنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق عن كل أمر ثبـوتي وسـلبي; كمـا يقـول ذلـك من يقولــه من الملاحــدة الباطنيــة المنتســبين إلى التشــيع والمنتسبين إلى التصوف، أو يقوله طائفة ثالثـة: إنـه الوجـود المطلق لا بشرط كما تقوله طائفة منهم، وهم متفقـون على أن المطلق بشرط الإطلاق عن الأمور الوجوديـة والعدميـة لا يكون في الخارج موجودا، فالمطلق بشرط الإطلاق عن كــل أمـر ثبـوتي; أولى أن لا يكـون موجـودا، فـإن المقيـد بسـلب الوجود والعدم نسبته إليهمـا سـواء، والمقيـد بسـلب الوجـود يختص بالعـدم دون الوجـود والمطلـق لا بشـرط إنمـا يوجـد مطلقا في الأذهان، وإذا قيل: هو موجـود في الخـارج; فـذلك بمعنى أنه يوجـد في الخـارج مقيـدا لا أنـه يوجـد في الخـارج مطلقا فإن هذا باطل; وإن كانت طائفـة تدعيـه، فمن تصـور هــذا تصــورا تامــا; علم بطلان قــولهم وهــذا حــق معلــوم بالضـــرورة). شـــرح حـــديث الـــنزول (ص: 17)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1397 هـ.

[1]) فيثاغورس، (ويقال: فوثاغوراس وفوثاغوريا ابن منسارخس من أهل ساميا، ونظريته في الإلهيات في كتاب عيون الأنبــاء في طبقات الأطباء لابن أبي أصـيبعة (ص: 161)، درا مكتبـة

بوجود أعداد مجردة عن المعدودات في الخارج، وأصحاب أفلاطون يقولون: بوجود المثل الأفلاطونية[1] وهي الحقائق المطلقة عن المعينات في الخارج، وهذه الحقائق مقارنة للمعينات في الخارج كما أثبتوا جواهر عقلية، وهي المجردات كالمادة والهيولي[2]، والعقول والنفوس على قول بعضهم[3].

ومن هذا الباب تفريقهم بين الصفات الذاتية المتقدمة للماهية التي تتركب منها الأنواع، ويسمونها الأجناس

الحياة، بيروت، وانظر: الملل والنحل للشهرستاني (2/132).

1 () المثل الأفلاطونية: يحكى عن أفلاطون أنه أدرج الزمان في المبادئ، وهو الدهر، وأثبت لكل موجود مشخص في العالم الحسي مثالا غير مشخص في العالم العقلي، ويسمى ذلك: المثل الأفلاطونية، فالمبادئ الأول بسائط، والمثل مبسوطات، والأشخاص مركبات، فالإنسان المركب المحسوس جزئي ذلك الإنسان المبسوط المعقول، وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن. انظر: الملل والنحل (2/147).

2 () الهيولي كانت فى الأزل جوهرا خاليا من الأعراض ثم حدثت الأعراض فيها، وأصحاب الهيولي يقولون بقدم أصل العالم ويقرون بحدوث الأعراض. انظر: الفرق بين الفرق(ص: 205)، والتبصير في الدين لأبي المظفر الأسفراييني (ص: 150)، عالم الكتب لبنان 1403هـ.

3 () يقول ابن القيم في الرد عليهم: (فإن مقدمات هذه الأدلة العقلية التي عارضوا بها النصوص وقدموها عليها متلقاة عن هؤلاء فخلفهم مقلدون لسلفهم إذا حاققتهم عليها وطلبت منهم البرهان على صحتها، قال: هكذا قال العقلاء أرباب المعقولات، وسلفهم ليسوا فيها على بصيرة بل على خرص وحدس وتخمين؛ فالسلف خراصون والخلف عمي مقلدون، وإذا تأملها اللبيب العاقل الفطن وجدها مبنية على ألفاظ مجملة، ومعاني مشتبهة، حتى إذا استفسرتهم عن معانيها، وفصلت مجملها؛ تجدها دعاوى كاذبة تتضمن الجمع بين المختلفات والتفريق بين المتماثلات فيجمعون بين الشيئين اللذين هما في غاية التباين لاشتراكهما في بعض الصفات

والفصول، وبين الصفات العارضة اللازمة للماهية التي يسمونها خواصا وأعراضا عامة، وهذه الخمسة هي الكليات وهي: الجنس، والفصل، والنوع، والعرض العام، والخاصة[1].

وقد وقع بسبب ذلك من الغلط في منطقهم، وفي الإلهيات ما ضل به كثير من الخلق؛ وقد نبهنا على ذلك في غير هذا الموضع بما لا يتسع له هذا الموضع[2]؛ ولهذا كان لفظ المركب عندهم يقال على خمسة معان: على المركب من الوجود والماهية، والمركب من الذات والصفات، والمركب من الخاص والعام، والمركب من المادة والصورة، والقائلون بالجوهر الفرد يثبتون التركيب من الجواهر المفردة[3].

ويفرقون بين المثلين من كل وجه بالدعاوى الكاذبات ويثبتون الشيء وينفون لازمه وينفون الشيء ويثبتون ملزومه ويقدحون في الضروريات بالقضاياالوهميات ويجعلون الذهني خارجا ويصفون الوجود الخارجي بما ينافي وجوده وواجب الوجود بما يجعله ممتنع الوجود ويجردون الماهية عن صفاتها التي لا تحقق إلا بها ثم يجعلون الصفة هي الذات ويجعلون العاقل والمعقول والعقل شيئا واحدا ويجعلون العلم هو نفس المعلوم والفعل هو عين المفعول وواجب الوجود الذي يمتنع عدمه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق أو بغير شرط الذي يمتنع وجوده إلى أضعاف أضعاف ذلك من مقالاتهم التي هي عند من فهمها وعرف مضمونها ضحكة للعاقل تارة وأعجوبة له تارة ومغضبة له تارة) الصواعق المرسلة (3/1182)، دار العاصمة، الرياض، 1408هـ.

1 () انظر كلام ابن سينا في رسوم الألفاظ الخمسة التي هي: الجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض العام في الكتاب: الملل والنحل (3/5)، وكلام أفلاطون في ذلك في كتاب: الملل والنحل (2/151).

2) انظر مثلا: الصفدية (1/126).

3 () انظر أيضا الصفدية (1/104)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والتركيب يقع عندهم كما ذكره ابن سينا وغيره، وذكره الغزالي عنهم في تهافت الفلاسفة وغيره على خمسة

والمحققون من أهل العلم يعلمون أن تسمية مثل هذه المعاني تركيبا أمر اصطلاحي، وهو إما أمر ذهني لا وجود له في الخارج، وإما أن يعود إلى صفات متعددة قائمة بالموصوف، وهذا حق.

فإن مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات الصفات لله تعالى؛ بل صفات الكمال لازمة لذاته، يمتنع ثبوت ذاته بدون صفات الكمال اللازمة له؛ بل يمتنع تحقق ذات من الذوات عرية عن جميع الصفات، وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع[1].

والمقصود هنا: أنه إذا قيل: "هذا إنسان" فالمشار إليه بهذا المسمى بإنسان، وليس الإنسان المطلق جزءا من هذا، وليس الإنسان هنا إلا مقيدا، وإنما يوجد مطلقا في الذهن؛ لا في الخارج، وإذا قيل: "هذا في الإنسانية" فالمعنى أن بينهما تشابها فيها؛ لا أن هناك شيئا موجودا في الأعيان يشتركان فيه.

فليتدبر اللبيب هذا فإنه يحل شبهات كثيرة، ومن فهم هذا الموضع تبين له غلط من جعل هذه الأسماء مقولة

أنواع:

أحدها: تركيب الموجود من الوجود والماهية.

والثاني: تركب الحقيقة من الأمور العامة والخاصة: كالوجود العم، والوجوب الخاص.

والثالث: تركب الذات الموصوفة من الذات والصفات.

والرابع: تركب الذات القائة بنفسها، المباينة لغيرها المشار إليها: من الجواهر المنفردة التي يقال إنها مركبة منها.

والخامس: تركبها من المادة والصورة التي يقال أنها مركبة منها). درء تعارض العقل والنقل (5/142)، وانظر أيضا: تهافت الفلاسفة للغزالي(ص: 162)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر.

[1] () بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى طرق إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى في مجموع الفتاوى (16/356)، وذكر أيضا مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب المخالفين في هذا الباب في مجموع الرسائل والمسائل (5/38).

بالاشتراك اللفظي لا المعنوي، وغلط من جعل أسماء الله تعالى أعلاما محضة لا تدل على معان، ومن زعم أن في الخارج حقائق مطلقة يشترك فيها الأعيان، وعلم أن ما يستحق الرب لنفسه لا يشركه فيه غيره بوجه من الوجوه ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات.

وأما المخلوق فقد يماثله غيره في صفاته لكن لا يشركه في غير ما يستحقه منها، والأسماء المتواطئة المقولة على هذا وهذا حقيقة في هذا وهذا؛ فإذا كانت عامة لهما تناولتهما، وإن كانت مطلقة لم يمنع تصورهما من اشتراكهما فيها، وإن كانت مقيدة اختصت بمحلها، فإذا قال: وجود الله، وذات الله، وعلم الله، وقدرة الله، وسمع الله، وبصر الله، وإرادة الله، وكلام الله، ورحمة الله، وغضب الله، واستواء الله، ونزول الله، ومحبة الله، وإرادة الله ونحو ذلك؛ كانت هذه الأسماء كلها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات، ومن غير أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

وإذا قال: وجود العبد، وذاته، وماهيته، وعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستواؤه، ونزوله، كان هذا حقيقة للعبد، مختصة به من غير أن تماثل صفات الله تعالى.

بل أبلغ من ذلك أن الله أخبر أن في الجنة من المطاعم، والمشارب، والملابس، والمناكح ما ذكره في كتابه كما أخبر أن فيها لَبَنًا، وعسلا، وخمرا، ولحما، وحريرا، وذهبا، وفضة، وحورا، وقصورا ونحو ذلك، وقد قال ابن عباس: ((ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء))[1].

---

[1] () أخرجه هناد في الزهد بنفس العبارة (1/51)، رقم الحديث: (8)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، 1406هـ، وبلفظ: ((ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء)) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة، رقم الحديث: (124)ـ (1/48)، دار المأمون للتراث، دمشق، والبيهقي في

فتلك الحقائق التي في الآخرة ليست مماثلة لهذه الحقائق التي في الدنيا وإن كانت مشابهة لها من بعض الوجوه والاسم يتناولها حقيقة.

ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق؛ فكيف يجوز أن يظن أن فيما أثبته الله تعالى من أسمائه وصفاته مماثلا لمخلوقاته؟ وأن يقال: ليس ذلك بحقيقة، وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض مع أن مباينته للمخلوقات أعظم من مباينة كل مخلوق.

والجاهل يَضِلُّ بقول المتكلمين: إن العرب وضعوا لفظ الاستواء لاستواء الإنسان على المنزل أو الفُلك أو استواء السفينة على الجودي ونحو ذلك من استواء بعض المخلوقات، فهذا كما يقول القائل: إنما وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محله حدقة وأجفانا وأصمخة وأذنا وشفتين وهذا ضلال في الشرع وكذب، وإنما وضعوا لفظ الرحمة والعلم والإرادة لما يكون محله مضغة لحم وفؤاد وهذا كله جهل منه، فإن العرب إنما وضعت للإنسان ما أضافته إليه فإذا قالت: سمع العبد، وبصره، وكلامه، وعلمه، وإرادته، ورحمته فما يخص به يتناول ذلك خصائص العبد.

وإذا قيل: سمع الله، وبصره، وكلامه، وعلمه، وإرادته، ورحمته كان هذا متناولا لما يخص به الرب لا يدخل في ذلك شيء من خصائص المخلوقين، فمن ظن أن هذا الاستواء إذا كان حقيقة يتناول شيئا من صفات المخلوقين مع كون النص قد خصه بالله كان جاهلا جدا بدلالات اللغات ومعرفة الحقيقة والمجاز.

وهؤلاء الجهال يمثلون في ابتداء فهمهم صفات الخالق بصفات المخلوق ثم ينفون ذلك ويعطلونه، فلا

البعث والنشور (1/210)، رقم الحديث: (332)، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، 1406هـ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (5/219)، رقم الحديث: (2188).

يفهمون من ذلك إلا ما يختص بالمخلوق، وينفون مضمون ذلك، ويكونون قد جحدوا ما يستحقه الـرب من خصائصـه وصـفاته، وألحـدوا في أسـماء اللـه وآياتـه، وخرجـوا عن القيـــاس العقلي والنص الشـــرعي؛ فلا يبقى بأيـــديهم لا معقول صريح، ولا منقول صحيح، ثم لا بـد لهم من إثبـات بعض ما يثبتـه أهـل الإثبـات من الأسـماء والصـفات فـإذا أثبتوا البعض ونفـوا البعض قيـل لهم: مـا الفـرق بين ممـا أثبتمـوه ونفيتمـوه؟ ولم كـان هـذا حقيقـة ولم يكن هـذا حقيقـة؟ لم يكن لهم جـواب أصـلا، وظهـر بـذلك جهلهم وضلالهم شرعا وقدرا.

وقد تدبرت كلام عامة من ينفي شيئا مما أثبته الرسل من الأسماء والصفات فوجـدتهم كلهم متناقضـين؛ فـإنهم يحتجون لما نفوه بنظـير مـا يحتج بـه النـافي لمـا أثبتـوه؛ فيلزمهم إما إثبات الأمرين وإما نفيهما؛ فإذا نفوهما فلا بد لهم أن يقولوا بالواجب الوجود وعدمه جميعا، وهذا نهايـــة هـــؤلاء النفـــاة الملاحـــدة الغلاة من القرامطـــة وغلاة المتفلسفة[1]؛ فـإنهم إذا أخـذوا ينفـون النقيضـين جميعـا؛

[1] () وفي هذا يقول الإسماعيلية الباطنيـة: (إنـا لا نقـول: هـو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عــاجز، ولا بقديم ولا محدث، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبـات الحقيقي يقتضــي شــركة بينــة وبين ســائر الموجــودات في الجهــة الــتي أطلقنــا عليــه، وذلــك تشــبيه، فلم يكن الحكم بالإثبـات المطلـق والنفي المطلـق، بـل هـو إلـه المتقـابلين، وخالق المتخاصمين، والحاكم بين المتضـادين) انظـر: الملـل والنحل (1/193)
ويقـول أرسـطو (أن المحـرك الأول ليس جسـما، وأنـه يحـرك كغاية، وأنه معقـول ومعشـوق، ليس المحـرك الأول جسـميا، لأنــه إن كــان جســميا فلا يخلــو أن يكــون إمــا لا متناهيــا، أو متناهيا، ولا يمكن أن يكون جســم لا متناهيــا (إذ أن الأجســام محدودة) ولا يمكن أن يكـون المحـرك الأول جسـما متناهيـا، لأنه يمتنع قوة متناهية تحرك حركة لا متناهيــة منــذ الأزل إلى الأبد، ثم إن المادة قوة تتعاقب عليها الصور، فتمـر من حـال إلى حال، ثم يقول أرسطو أن المحـرك الأول يحـرك دون أن

فالنقيضان كما أنهما لا يجتمعان؛ فلا يرتفعان[1]، ومن جهة إن ما يسلبون عنه النقيضين لا بد أن يتصوروه وأن يعبروا عنه؛ فإن التصديق مسبوق بالتصور، ومتى تصوروه وعبروا عنه كقولهم الثابت والواجب، أو أي شيء قالوه لزمهم فيه من إثبات القدر المشترك نظير ما يلزمهم فيما نفوه، ولا يمكن أن يتصور شيء من ذلك مع قولهم: أسماء الله مقولة بالاشتراك اللفظي فقط، فإن المشتركين اشتراكا لفظيا لا معنويا كلفظ المشترى المقول على الكوكب والمبتاع، وسهيل المقول على الكوكب وعلى ابن عمرو[2]، فإنه إذا سمع المستمع قائلا

يتحرك، وهذا شأن المعشوق والمعقول)، ولما كان الله غير جسم فهو ليس في مكان، والعالم يتحرك نحوه كغاية. انظر: مقدمة كتاب الجمع بين رأي الحكيمين للفارابي ضمن مجموعة من الكتب التي تعنى بالدراسات الفلسفية، (ص: 30)، قدم له وحققه الدكتور البير نصري نادر، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان. (أخذت الكتاب مصورة من موقع www. alkottob. com)

[1] () وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما السفسطة في العقليات فظاهرة، فإنه من المعلوم بصريح العقل امتناع ارتفاع نقيضين جميعا وإنه لا واسطة بين النفي والإثبات فمن قال إن لا يصف الرب بالإثبات فلا يقول إنه حي عليم قدير، ولا يصفه بالنفي فلا يقول ليس بحي عليم قدير فقد امتنع عن النقيضين جميعا، والامتناع عن النقيضين كالجمع بين النقيضين فإن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، وهذا ممّا رأيته قد اعتمد عليه أئمة القرامطة كصاحب «كتاب الأقاليد الملكوتية» أبي يعقوب السجستاني فإنهم قالوا نحن لم نجمع بين النقيضين فنقول أنه حي وليس بحي بل رفعنا النقيضين فقلنا: لا موصوف ولا لا موصوف) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص: 128)، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ.

[2] () سهيل بن عمرو رضي الله عنه، يكنى أبا يزيد، وكان خطيب قريش وفصيحهم ومن أشرافهم لما أقبل في شأن الصلح قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سَهُل أمركم)، تأخر إسلامه إلى يوم الفتح ثم حسن إسلامه، استشهد يوم

يقول له: جاءني سهيل بن عمرو وهذا هو المشتري لهـذه السلعة لم يفهم من هذا اللفظ كوكبا أصلا إلا أن يعـرف أن اللفظ موضوع له، فـإذا لم تكن أسـماؤه متواطئـة لم يفهم العباد من أسمائه شيئا أصلا إلا أن يعرفـوا مـا يخص ذاته وهم لم يعرفوا ما يخص ذاته فلم يعرفوا شيئا.

ثم إن العلم بانقسام الوجود إلى قديم ومحدث وأمثال ذلك علم ضروري فالقادح سوفسـطـائي[1]، وكذلك العلم بأن بين الاسمين قدرا مشـتركا علم ضـروري، وإذا قيـل: إن اللفظ حقيقة فيهمـا لم يحتج ذلـك إلى أن يكـون أهـل اللغـة قـد تكلمـوا باللفـظ مطلقـا، فعـبروا عن المعـنى

اليرموك. انظر: سير أعلام النبلاء (1/194).

[1] () السفسـطة: كلمـة يونانيـة معناهـا: الغلـط، والحكمـة المموهـة، انظـر: تـاج العـروس (19/353)، وزارة الإعلام مطبعـة حكومـة الكـويت، (سفسـط): غالـط وأتى بحكمـة مضـللة (من اليونانيـة) (السفسـطة): قيـاس مـركب من الوهميـات والغـرض منـه إفحـام الخصـم وإسـكاته، (السفسطي): المنسوب إلى السفسـطة، (السوفسـطائية): فرقـة ينكـرون الحسـيات والبـديهيات وغيرهـا، الواحـد: سوفسطائي. انظر: المعجم الوسيط(1/433)، وقـد قسـمها شيخ الإسلام إلى ثلاثة أقسـام فقـال: فـإن السفسـطة ثلاثـة أنواع:

(نوع هو جحد الحقـائق والعلم بهـا، وأعظم من هـذا قـول من يقول عن الموجود الواجب القـديم الخـالق إنـه لا موجـود ولا معدوم، وهؤلاء متناقضون، فإنهم جزموا بعدم الجزم.

ونوع هو قول المتجاهلة اللاأدرية الواقفة الذين يقولون: لا نـدري هـل ثم حقيقـة وعلم أم لا. وأعظم من هـذا قـول من يقول: لا أعلم ولا أقول: هو موجود أو معدوم أو حي أو ميت.

ونوع ثالث قول من يجعـل الحقـائق تتبـع العقائـد، فـالأول ناف لها، والثاني واقـف فيهـا، والثـالث يجعلهـا تابعـة لظنـون الناس، وقد ذكر صنف رابع: وهو الـذي يقـول: إن العـالم في سيلان فلا يثبت له حقيقـة). منهـاج السـنة النبويـة (2/525)، جامعة الإمـام محمـد بن سـعود الإسـلامية، 1406هــ، وانظـر أيضا: الصفدية (1/198)، تحقيق: محمد رشـاد سـالم، مكتبـة ابن تيمية، مصر، 1406هـ.

المطلق المشترك؛ فإن المعاني التي لا تكـون إلا مضـافة إلى غيرها كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء، بل واليــد وغير ذلك مما لا يكـون إلا صـفة قائمـة بغـيره أو جسـما قائما بغيره بحيث لا يوجد في الخارج مجردا عن محله.

ولكن أهـل النظـر لمـا أرادوا تجريـد المعـاني الكليـة المطلقة عبروا عنها بالألفاظ الكلية المطلقة، وأهل اللغة في ابتداء خطابهم يقولـون مثلا: "جـاء زيـد" و"هـذا وجـه زيد"؛ ويشيرون إلى ما قام به من المجيء والوجه فيفهم المخاطب ذلك.

ثم يقولون تارة أخرى: جاء عمرو، ورأيت وجه عمــرو، وجـاء الفـرس، ورأيت وجـه الفـرس فيفهم المسـتمع أن بين هذه قـدرا مشـتركا وقـدرا ممـيزا، وأن لعمـرو مجيئـا ووجها نسبته إليه كنسبة مجيء زيد ووجهه إليه، فإذا علم أن عمرا مثل زيد علم أن مجيئه مثل مجيئه، ووجهه مثـل وجهه، وإن علم أن الفرس ليسـت مثـل زيـد بـل تشـابهه من بعض الوجــوه؛ علم أن مجيئهــا ووجههــا ليس مجيء زيد ووجهه بل تشبهه في بعض الوجوه.

وكذلك إذا قيل: جـاءت الملائكـة، ورأت الأنبيـاء وجـوه الملائكـة علم أن للملائكـة مجيئـا ووجوهـا نسـبتها إليهـا كنسبة مجيء الإنسان ووجهه إليه ثم معرفته بحقيقة ذلك تبع معرفته بحقيقة الملائكة، فإن كـان لا يعـرف الملائكـة إلا من جهــة الجملــة ولا يتصــور كيفيتهم كــان ذلــك في مجــيئهم ووجــوههم لا يعرفهــا إلا من حيث الجملــة ولا يتصور كيفيتها.

وكذلك إذا قيل: جاءت الجن فاللفـظ في جميـع هـذه المواضع يدل على معانيها بطريق الحقيقـة، بـل إذا قيـل: حقيقة الملَك وماهيته ليست مثل حقيقة الجـني وماهيتـه، كان لفظ الحقيقـة والماهيـة مسـتعملا فيهمـا على سـبيل الحقيقة، وكان من الأسماء المتواطئة مـع أن المسـميات قد صرح فيها بنفي التماثل.

وكذلك إذا قيل خمر الدنيا ليس كمثل خمر الآخرة، ولا ذهبهـا مثـل ذهبهـا، ولا لبنهـا مثـل لبنهـا، ولاعسـلها مثـل

عسلها، كان قد صرح في ذلك بنفي التماثل مع أن الاسم مستعمل فيها على سبيل الحقيقة، ونظائر هذا كثيرة.

فإنه لو قال القائل: هذا المخلوق ما هو مثل هذا المخلوق، وهذا الحيوان الذي هو الناطق ليس مثل الحيوان الذي هو الصامت، أو هذا اللون الذي هو الأبيض ليس مثل الأسود، أو الموجود الذي هو الخالق ليس هو مثل الموجود الذي هو المخلوق، ونحو ذلك كانت هذه الأسماء مستعملة على سبيل الحقيقة في المسميين الذين صرح بنفي التماثل بينهما فالأسماء المتواطئة إنما تقتضي أن يكون بين المسميين قدرا مشتركا وإن كان المسميان مختلفين أو متضادين.

فمن ظن أن أسماء الله تعالى وصفاته إذا كانت حقيقة لزم أن يكون مماثلا للمخلوقين، وأن صفاته مماثلة لصفاتهم كان من أجهل الناس، وكان أول كلامه سفسطة وآخره زندقة، لأنه يقتضي نفي جميع أسماء الله تعالى وصفاته وهذا هو غاية الزندقة والإلحاد.

ومن فرق بين صفة وصفة مع تساويهما في أسباب الحقيقة والمجاز كان متناقضا في قوله، متهافتا في مذهبه، مشابها لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض.

وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الاستقامة، والسداد، والصحة، والاطراد، وأنه مقتضى المعقول الصريح، والمنقول الصحيح، وأن من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذي يؤفك عنه من أفك، خارجا عن موجب العقل والسمع، مخالفا للفطرة والسمع، والله يتم نعمته علينا وعلى سائر إخواننا المسلمين المؤمنين ويجمع لنا ولهم خير الدنيا والآخرة][1].

وهذا لا تعلق له بصفات الله تعالى، قال بعضهم: قد قال الله تعالى: ﴿ﮪﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ

[1] () انتهى السقط من ا لمخطوط.

ۉ ۉ ـ ۋ ۋ [1]- فقد ذم الله من اتخذ إلها جسدا، والجسد هو الجسم؛ فيكون الله قد ذم من اتخذ إلهـا هـو جسـم، وإثبـات هـذه الصـفات (يسـتلزم)[2] أن يكـون جسما[3]، وهذا منتفٍ بهذا الدليل الشرعي.

فهذا خلاصة ما يقوله من يزعم أنه (يعتمد)[4] في ذلك على الشرع، فيقال له: هذا باطل من وجوه:

أحـدها: أن هـذا إذا دل إنمـا يـدل على نفي أن يكـون جسـدا؛ لا على نفي أن يكـون جسـما، والجسـم في اصـطلاح هـؤلاء - نفـاة الصـفات - أعم من الجسـد، فـإن الجسـم ينقسـم عنـدهم إلى كـثيف ولطيف[5]؛ بخلاف الجسد، فإن أردت بقولك الجسم اللغوي، وهو الذي قـال

---

1 () الأعراف 148

2 () في المخطوط: (تستلزم).

3 () كما يقول المعتزلة نحن ننفي التشبيه من كل وجه: جهة، ومكانـا، وصـورة، وجسـما، وتحـيزا، وانتقـالا، وزوالا، وتغـيرا، وتأثرا، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابة فيها، وسموا هذا النمط توحيدا. انظر: الملل والنحل (1/45)

4 () في المخطوط: (يعتقد)

5 () وقد ذكر الغزالي في فضائح الباطنية أن الجسم متركب عن جسـم لطيـف أو كـثيف، وذكـر من عقائـد بعض غلاة الباطنية أنهم يزعمون أن جبريـل عبـارة عن العقـل الفـائض عليـه ورمـز اليـه لا أنـه شـخص متجسـم مـتركب عن جسـم لطيف أو كثيف. انظر: فضـائح الباطنيـة (ص: 41)، مؤسسـة دار الكتب، الثقافية، الكويت، وذكر الشهرستاني رأي تـاليس الملطي من الحكمـاء السـبعة وغـيره من الفلاسـفة فقـال: وكان يقول: إن هذا العنصر الذي هو أول وهـو آخـر، أي: هـو المبدأ وهو الكمال، هو عنصر الجسمانيات والجرميات، لا أنـه عنصـر الروحانيـات البسـيطة، ثم إن هـذا العنصـر لـه صـفو وكدر، فما كان من صفوه فإنـه يكـون جسـما، ومـا كـان من كـدره فإنـه يكـون جرمـا، فـالجرم يـدثر، والجسـم لا يـدثر، والجرم كـثيف ظـاهر، والجسـم لطيـف بـاطن، وفي النشـأة الثانية يظهر الجسم ويـدثر الجـرم، ويكـون الجسـم اللطيـف ظاهرا، والجرم الكثيف دائرا. انظر: الملل والنحل (2/121).

أهل اللغة إنه هو الجسد[1]، قيل لك: لا يلزم من إثبات الاستواء على العرش أن يكون جسدا وهو الجسم اللغوي، فإنا نعلم بالضرورة أن الهواء يعلو على الأرض وليس هو بجسد؛ والجسد هو الجسم اللغوي.

فقول القائل: لو كان مستويا على العرش لكان جسما، والجسم هو الجسد، والجسد منتف بالشرع كلام ملبس، فإنه إن عنى بالجسم الجسد كانت المقدمة الأولى ممنوعة؛ فإن عاقلا لا يقول إنه لو كان فوق العرش لكان جسدا، ولا يقول عاقل إنه لو كان له (علم وقدرة)[2] لكان جسدا، ولا يقول عاقل إنه لو كان يرى ويتكلم لكان جسدا وبدنا، فإن الملائكة (لها)[3]علم، وقدرة، وترى، وتتكلم، وكذلك الجن، وكذلك الهواء يعلو على غيره وليس بجسد.

وإن عني بالجسم ما يعنيه أهل الكلام من أنه الذي يشار إليه، وجعلوا كل ما يشار إليه جسما، وكل ما يُرَى جسما، أو كل ما يمكن أنه يرى أو يوصف بالصفات فهو جسم، أو كل ما يعلو على غيره ويكون فوقه فهو جسم، فيقال له: فالجسد والجسم بهذا التفسير الكلامي ليس هو جسدا في لغة العرب؛ بل هو منقسم إلى غليظ ورقيق إلى ما هو جسد وإلى ما ليس بجسد.

(ولذا يقول)[4] الفقهاء: النجاسة إن كانت متجسدة كالميتة فحكمها كذا، وإن كانت [غير][5]متجسدة كالبول فحكمها كذا، وإذا قدر أن الدليل دل على أنه ليس بجسد لم يلزم أن لا يكون جسما بهذا الاصطلاح؛ لأن الجسم أعم عندهم من الجسد، ولا يلزم من نفي الخاص نفي

---

[1] () انظر لسان العرب، مادة (جسد) (3/120) دار صادر، بيروت، 1414 هـ.

[2] () في المخطوط: (علما وقدرة).

[3] () في المطبوع: (لهم).

[4] () في المخطوط: (ولقد تقول).

[5] () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

العام؛ كما إذا قلت ليس (هذا)[1] بإنسان فإنه لا يلزم أنه ليس بحيوان، فلفظ الجسم فيه اشتراك بين معناه في اللغة، ومعناه في عرف أهل الكلام؛ فإذا كان معناه في اللغة هو معنى الجسد وهذا منتف بما ذكر من الدليل بطل قول من نفى الاستواء بالذات أو غيره من الصفات، بأنه لو كان موصوفا بذلك لكان جسما؛ فإن التلازم حينئذ منتف؛ فإحدى المقدمتين باطلة؛ إما الأولى وإما الثانية.

ونظير هذا أن يقول: لو كان له علم وقدرة لكان محلا للأعراض[2]، وما كان محلا للأعراض فهو محل الآفات والعيوب فلا يكون قدوسا ولا سلاما؛ لأن أهل اللغة قالوا: العَرَض بالتحريك ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه[3]،

---

[1] () في المطبوع: (هو).

[2] () قال الباقلاني: (والأعراض هي التي لا يصح بقاؤها وهي التي تعرض في الجواهر والأجسام وتبطل في ثاني حال وجودها والدليل على أن هذا فائدة وصفها بأنها أعراض قوله تعالى [illegible] [الأنفال: 67] فسمى الأموال أعراضا إذ كان آخرها إلى الزوال والبطلان وقول أهل اللغة عرض بفلان عارض من حمى أو جنون إذا لم يدم به ذلك). تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل (ص: 38) مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1407هـ.

وقال القاضي عبد الجبار: (إن الكلام والحياة والقدرة وغيرها من الأعراض وأنها محدثة لأنه يجوز عليها العدم والبطلان، والقديم لا يجوز عليه العدم والبطلان، والدليل على أن الأعراض يجوز عليها العدم فهو ما ثبت أن المجتمع إذا افترق بطل إجتماعه، وأن المتحرك إذا سكن بطل حركته، وفي ذلك ما نريده، وأما الدليل على أن القديم لا يجوز عليه العدم، فهو ما قد ثبت أن القديم قديم لنفسه، والموصوف بصفة من صفات النفس لا يجوز خروجها عنا بحال من الأحوال). شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بتصرف (ص: 93 - 94)، مكتبة وهبة، 1416هـ.

[3] () العرض في اللغة: (من أحداث الدهر من الموت والمرض ونحو ذلك، قال الأصمعي: العرض الأمر يعرض للرجل يبتلى به، قال اللحياني: والعرض ما عرض للإنسان من أمر يحبسه من مرض أو لصوص، والعرض: ما يعرض

فلو جاز أن (يقوم)[1] به هذه[الأعراض][2] لكان تعالى وتقدس معيبا (مأووفا)[3] وهو سبحانه مقدس عن ذلك؛ إذ هو السلام القدوس.

فيقال: لفظ العرض مشترك بين ما ذكر من معناه في اللغة وبين معناه في عرف أهل الكلام فإن معناه عند من يسمي العلم والقدرة مطلقا عرضا ما قام بغيره كالحياة والعلم والقدرة والحركة والسكون ونحو ذلك، وآخرون يقولون: هو ما لا يبقى زمانين، ويقولون: إن صفات الخالق باقية بخلاف ما يقوم بالمخلوقات من الصفات؛ فإنها لا تبقى زمانين.

والمقصود هنا: أنه إذا قال لو قام به العلم والقدرة لكان عرضا، وما قام به العرض قامت به الآفات؛ كلام فيه تلبيس؛ فإن إحدى المقدمتين باطلة، فإن لفظ العرض إن فسر بالصفة فالمقدمة الثانية باطلة؛ وإن فسر بما يعرض للإنسان من المرض ونحوه فالمقدمة الأولى باطلة.

ونظير ذلك أن يقول: لو كان قد استوى على العرش لكان قد أحدث حدثا وقامت به الحوادث؛ لأن الاستواء فعل حادث، كان بعد أن لم يكن، فلو قام به الاستواء لقامت به الحوادث، ومن قامت به الحوادث فقد أحدث حدثا، والله تعالى منزه عن ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((لعن الله من أحدث حدثا أو آوى محدثا))[4]،

للإنسان من الهموم والأشغال) انظر: لسان العرب، مادة عرض، (7/169).

1 () في المطبوع: (تقوم).

2 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3 () في المطبوع: (ناقصا)، والمأووف، أي: الذي فيه آفة، انظر: لسان العرب(9/16)، مادة (أوف).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: (المدينة حرم، مابين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، (3/20) ومسلم في صحيحه بلفظ: (المدينة

ولقوله: ((وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة))[1]، فإنه يقال له: الحادث في اللغة ما كان بعد أن لم يكن[2]، والله تعالى يفعل ما يشاء؛ فما من فعل يفعله إلا وقد حدث بعد أن لم يكن.

وأما المحدثات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فهي المحدثات في الدين، وهو أن يحدث الرجل بدعة في الدين لم يشرعها الله، والإحداث في الدين مذموم من العباد، والله يحدث ما يشاء لا معقب لحكمه.

فاللفظ المشتبه المجمل إذا خص في الاستدلال وقع فيه الضلال والإضلال، وقد قيل إن أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء.

الوجه الثاني: في بيان بطلان ما ذكر (من)[3] الاستدلال، أن يقال: إن الله سبحانه منزه أن يكون من جنس شيء من المخلوقات لا أجساد الآدميين، ولا أرواحهم، ولا غير ذلك من المخلوقات؛ فإنه لو كان من جنس شيء من ذلك بحيث تكون حقيقته كحقيقته؛ للزم أن يجوز على كل منهما ما يجوز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، وهذا ممتنع؛ لأنه يستلزم أن يكون القديم الواجب الوجود بنفسه؛ غير قديم واجب الوجود بنفسه، وأن يكون المخلوق - الذي

حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، (2/996).

1 () أخرجه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (4/200)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث: (2735) (1/526).

2 () والحدوث: كون شيء لم يكن، وأحدثه الله فحدث، وحدث أمر، أي: وقع، ومحدثات الأمور: ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها. انظر: لسان العرب (2/131).

3 () ما بين القوسين سقط من المخطوط.

يمتنع غناه [عن الخالق]-[1] غنيا يمتنع افتقاره إلى الخالق؛ وأمثال ذلك من الأمور المتناقضة، والله تعالى نزه نفسه أن يكون له كفؤ، أو مثل، أو سمي، أو ند.

(فبهذه)[2] الأدلة الشرعية والعقلية يعلم[3] تنزه الله تعالى أن يكون من جنس أجساد الآدميين أو غيرها من المخلوقات، لكن المستدل على ذلك بقوله [تعالى][4]: ﴿ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾[5] استدل بحجة ضعيفة فإن الجسد وإن كان قد قال الجوهري[6] وغيره [من أهل اللغة][7]: إن الجسد هو البدن، يقال منه تجسد كما يقال من الجسم تجسم، والجسد أيضا الزعفران ونحوه من الصبغ، وهو الدم أيضا، كما قال النابغة:

وما أريق على الأصنام من جسد[8]

فليس المراد بالجسد في القرآن لا هذا ولا هذا [ولا بهذا][9]، فليس المراد من العجل أن له (بدنا)[10] مثل بدن الآدميين، ولا (بدنا)[11] كأبدان البقر، فإن العجل لم يكن كذلك، والعرب تقول جسد به الدم يجسد جسدا إذا لصق به، فهو جاسد وجسد.

قال الشاعر:

ساعد به جسد مورس. . . من الدماء مائع ويبس[12]

---

1 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2 () في المطبوع: (فهذه).

3 () في المطبوع زيادة: (بها).

4 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5) الأعراف 148

6 () انظر: الصحاح للجوهري(2/456)، مادة: جسد، دار العلم بيروت، 1407هـ.

7 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

8 () انظر: الشعر والشعراء للدينوري(1/166)، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، وفيه: (الأنصاب) بدلا من (الأصنام).

9 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

10 () في المخطوط: (بدن)

11 () في المخطوط: (بدن)

12 () الشعر منسوب إلى الليث، انظر: تهذيب اللغة (3/160)، ولسان العرب (8/344).

والجسد الأحمر والمجسد ما أشبع صبغه من الثياب[1]؛ لكمال ما لصق به من الصبغ فاللفظ فيه معنى التكاثف والتلاصق؛ ولهذا يقول الفقهاء: نجاسة متجسدة وغير متجسدة[2]، وهو في القرآن يراد به الجسد المصمت المتلاصق المتكاثف أو الذي لا حياة فيه[3].

وقد ذكر الله تعالى (لفظ)[4] الجسد في أربعة مواضع، فقال تعالى: ﴿ ﮪ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴾[6]، وقال: ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﴾[8] كأنه عجل مصمت لا جوف له، وقد يقال: إنه لا حياة فيه، خار خورة، ولم يقل عجلا له جسد، له بدن، له جسم؛ لأنه من المعلوم (أن)[9] كل عجل له جسد هو بدنه، وهو جسمه، والعجل المعروف جسد فيه روح، والمقصود: (أن ما)[10] أخرجه كان جسدا مصمتا لا روح فيه؛ حتى تبين (نقصه)

---

1 () قال الأزهري: (قال ابن الأعرابي: المجاسد: جمع المجسد، وهو القميص الذي يلي البدن، والمجاسد: جمع مجسد وهو القميص المشبع بالزعفران) تهذيب اللغة (10/300)، وقال ابن منظور: (المجسد: ما أشبع صبغه من الثياب). لسان العرب (3/121).

2 () انظر مثلا تقسيم النجاسة في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني، (1/74)، دار الكتب العلمية، 1406هـ.

3 () انظر مثلا: تفسير ابن كثير (3/475) في تفسيره قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﴾ سورة الأعراف، آية رقم: (147).

4 () في المطبوع: (لفظة).

5) الأنبياء 8

6) سورة ص 34

7) الأعراف 148

8) طه 88

9 () ما بين القوسين زيادة في المطبوع.

10 () في المخطوط: (إنما)

[1]وأنه كان مسلوب الحياة والحركة[2].

وقد روي: أنه إنما خار خورة واحدة[3]، (وقد)[4]يقال: إن أريد بالجسد المصمت أو الغليظ ونحوه، فلم قيل إن ذلك ذكر لبيان (نقصه)[5]من هذا الوجه؛ بل من هذا الوجه ضلوا به، وإنما كان النقص من جهة ﮋ ۆ ۈ ۉ ﮋ ۋ ۋ ﮊ [6].

وقد يقال: إذا كان لا حياة فيه فالنقص كان فيه من جهة عدم الحياة وغيرها من صفات الكمال؛ لا من جهة كونه له بدن أو ليس له بدن؛ فالآدمي له بدن، ولو أخرج لهم عجلا كسائر العجول، أو آدميا كاملا، أو فرسا حيا، أو جملا، أو غير ذلك من الحيوان لكان أيضا له بدن، ولكن ذلك أعجوبة عظيمة، وكانت الفتنة به أشد، ولكن الله سبحانه بين أن المخرج كان موصوفا بصفات النقص يحقق ذلك.

---

1 () في المخطوط: (بعضه)

2 () انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (3/38)، وفي تفسير زاد الميسر: (والجسد: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجثة فقط. قال ابن الانباري: ذِكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس). زاد الميسر(2/155).

3 () انظر: تفسير القرطبي(7/285)، وتفسير مقاتل بن سليمان(3/38)، وتفسير ابن أبي حاتم(5/1569).

4 () في المخطوط: (فقد)

5 () في المخطوط: (بعضه)

6) الأعراف 168

الوجه الثالث[1]: وهو أنه سبحانه قال: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﴾ فلم يذكر فيما عابه به كونه ذا جسد؛ ولكن ذكر فيما عابه به﴿ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ﴾ ولو كان مجرد كونه ذا بدن عيبا ونقصا لذكر ذلك.

فعلم أن الآية تدل على نقص حجة من يحتج بها على أن كون الشيء ذا بدن عيبا ونقصا، وهذه الحجة نظير احتجاجهم بالأفول، فإنهم غيروا معناه في اللغة، وجعلوه الحركة، فظنوا أن إبراهيم احتج بذلك على كونه ليس رب العالمين، ولو كان كما (ذكروه)[2] لكان حجة عليهم لا لهم.

الوجه الرابع: أن الله تعالى وصفه بكونه عجلا جسدا له خوار، ثم قال: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ﴾[3]، وقال في السورة الأخرى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ﴾[4] فلم يقتصر في وصفه على مجرد كونه جسدا، بل وصفه بأن له خوارا، وبين أنه لا يكلمهم، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا.

فالموجب لنقصه إما أن يكون مجموع الصفات أو بعضها أو كل واحد منها؛ فإن كان المجموع لم يدل على أن (نقصها)[5] واحدة نقص وإن كان بعضها؛ فليس كونه جسدا بأولى من كونه له خوار، وليس هذا وهذا بأولى من كونه مسلوب التكلم والقدرة على النفع والضر، وإن

[1] () هذا الوجه من أوجه الردود على من يستدل بقول الله تعالى: ﴿ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ﴾ حيث يستدل نفاة الصفات بالآية الكريمة على أن الله قد ذم من اتخذ إلها جسدا، والجسد هو الجسم؛ فيكون الله قد ذم من اتخذ إلها هو جسم، وإثبات هذه الصفات تستلزم أن يكون جسما، وهذا منتف بهذا الدليل الشرعي، وهو الوجه الثالث.

[2] () في المخطوط: (ذكره).

[3] ()الأعراف 148

[4] () سورة طه الآية: 87-89

[5]) في المخطوط: (بعضها).

كان كل (منها)[1]؛ فمعلوم أنهم إنما ضلوا بخواره ونحو ذلك، والله تعالى إنما احتج عليهم بعدم التكلم والقدرة على النفع والضر.

الوجه الخامس: أنه ليس في القرآن دلالة على أن كونه جسدا وكونه له خوار صفة نقص؛ وإنما الذي دل عليه القرآن أن كونه لا يكلمهم ولا يقدر على نفعهم وضرهم نقص، (يبين)[2] ذلك أن الخوار هو الصوت والإنسان الذي (بصوت)[3]، ويقال: خار [كما][4] يخور الثور، وهو يكلم غيره وقد يهديه السبيل.

والله سبحانه بين أن صفات العجل ناقصة عن صفات الإنسان الذي يكلم غيره ويهديه؛ فالعابد أكمل من المعبود، يبين هذا أنه لو كلمهم لكان أيضا مصوتا فلو كان ذكر الصوت لبيان نقصه لبطل الاستدلال بقوله تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ[5] فإن (تكلمه)[6] لهم لو كلمهم إنما كان يكون بصوت يسمعونه منه، فعلم أن ذكر التصويت لم يكن لكونه صفة نقص، فكذلك ذكر الجسد.

وبالجملة: من ذكر أن القرآن دل على أن هذا وهذا هو العيب الذي عابه الله به وجعله دليلا على نفي إلهيته؛ فقد قال على القرآن ما لا يدل عليه؛ بل هو على نقيضه (أدل)[7].

الوجه السادس: أن الله تعالى ذكر عن الخليل صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ[8] وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ[9] فاحتج على نفي إلهيتها بكونها لا

---

[1]) في المطبوع: (منهما).
[2]) في المخطوط: (تبين).
[3]) في المطبوع: (يصوت).
[4]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
[5]) الأعراف 148.
[6]) في المطبوع: (تكليمه).
[7] () في المخطوط: (دل).
[8]) مريم: (42).
[9])الشعراء 72-74.

تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر؛ مع كون كل منهما له بدن وجسم سواء كان حجرا أو غيره، فلو كان مجرد هذا الاحتجاج كافيا (لذكر)[1] إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام؛ بل إنما احتجوا بمثل ما احتج الله به من نفي صفات الكمال عنها: كالتكلم والقدرة والحركة وغير ذلك.

الوجه السابع: أن يقال: ما ذكره الله تعالى إما أن يكون دالا على أن الإله سبحانه موصوف (بنقص)[2] هذه الصفات؛ وإما أن لا يدل، فإن لم يدل بطل ما ذكروه؛ وإن دل فهو يدل على إثبات صفات الكمال لله تعالى وهو (التكلم)[3] للعباد والسمع والبصر والقدرة والنفع والضر، وهذا يقتضي أن تكون الآيات دليلا على إثبات الصفات؛ لا على نفيها، ونفاة الصفات إنما نفوها لزعمهم أن إثباتها يقتضي التجسيم والتجسيد (فالآيات)[4] التي احتجوا بها هي عليهم لا لهم، وهذا أمر قد (وجدنا)[5] مطردا في عامة ما يحتج به نفاة الصفات من الآيات فإنما تدل على نقيض مطلوبهم لا على مطلوبهم.

الوجه الثامن: أنه إذا كان كل جسم جسدا، وكل ما عبد من دون الله تعالى من الشمس، والقمر، والكواكب، والأوثان، وغير ذلك أجساما، وهي أجساد؛ فإن كان الله ذكر هذا في العجل لينفي به عنه الإلهية؛ لزم أن يطرد هذا الدليل في جميع المعبودات.

ومعلوم أن الله لم يذكر هذا في غير العجل أنه ذكر كونه جسدا لبيان سبب افتتانهم به، لا أنه جعل ذلك هو الحجة عليهم؛ بل احتج عليهم بكونه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا.

---

1 () في المطبوع: (لذكره).
2 () في المطبوع: (ببعض).
3 ()في المطبوع: (التكليم).
4 () في المخطوط: (في الآيات).
5 ()في المطبوع: (وجدناه).

الوجه التاسع: أنه سبحانه قال في الأعراف: ﮋ ... ﮊ[1]

وللناس في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه وصفهم بهذه النقائص ليبين أن العابد أكمل من المعبود.

الثاني: أنه ذكر ذلك لأن المعبود يجب أن يكون موصوفا بنقيض هذه الصفات[2].

فإن قيل بالقول الأول أمكن أن يقال بمثله في آية العجل، فلا يكون فيه تعرض لصفات الإله تعالي.

وإن قيل بالثاني: وجب أن يتصف الرب تعالى بما نفاه عن الأصنام.

وحينئذ: فإن كانت هذه الأمور أجساما كانت هذه الدلالة معارضة لما ذكر في تلك الآية، وإن لم تكن أجساما بطل نفيهم لها عن الله تعالى، ووجب أن يوصف الله عز وجل بما جاء به الكتاب والسنة من الأيدي وغيرها، ولا يجب أن تكون أجساما (فلا)[3] يكون (تجسما)[4] وإذا لم يكن هذا (تجسما)[5] فإثبات العلو أولى أن لا يكون (تجسما)[6]،[7]فدل على أن الشرع مناقض لما ذكروه.

الوجه العاشر: أن يقال: دلالة الكتاب والسنة على إثبات صفات الكمال وأنه نفسه فوق العرش أعظم من أن تحصر، كقوله: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ[8]، وقوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ[9]،

---

1)الأعراف: 195

2 () انظر مثلا: تفسير مقاتل بن سليمان(2/81)، وتفسير الطبري(13/322)،

3 ()في المطبوع: (ولا).

4 ()في المطبوع: (تجسيما).

5 ()في المطبوع: (بتجسيما).

6 () في المطبوع: (تجسيما).

7 () في المطبوع زيادة: (فدل على أنه لا يكون تجسيما).

8) فاطر 10

9) النساء 158

وقوله: ﮋﭙ ﭚ ﭛﮊ[1]، وقوله: ﮋ□ □ □ □ﮊ[2]، وقد قيل: إن ذلك يبلغ ثلاثمائة آية وهي دلائل جلية بينة مفهومة من القرآن، معقولة من كلام الله تعالى.

فإن كان إثبات هذا يستلزم أن يكون الله جسما وجسدا؛ لم يمكن دفع موجب هذه النصوص بما ذكر في قصة العجل، لأنه ليس فيها أن مجرد كونه جسدا هو النقص الذي عابه الله وجعله مانعا من (إلهيته)[3] وإن كان إثبات العلو والصفات لا يستلزم أن يكون جسما وجسدا بطل أصل كلامهم في أن عمدتهم أن إثبات العلو يقتضي (التجسم)[4] والتجسد، فإذا سلموا أنه لا يستلزم (التجسم)[5] والتجسد؛ لم يكن لهم دليل على نفي ذلك.

وحينئذ فإذا دلت قصة العجل أو غيرها على امتناع كون الرب تعالى جسدا أو جسما؛ لم يكن بين النصوص منافاة؛ بل يوصف بأنه نفسه فوق العرش (وينتفي)[6] عنه ما يجب نفيه عنه سبحانه وتعالى.

والمقصود: أن الشرع ليس فيه ما يوافق النفاة للعلو وغيره من الصفات؛ بوجه من الوجوه.

والله سبحانه (وتعالى أعلم)[7]، [والحمد لله وحده][8].

---

1) المعارج 4

2) الأعراف 206

3 () في المخطوط: (العيبة).

4 ()في المطبوع: (التجسيم).

5 ()في المطبوع: (التجسيم).

6 ()في المطبوع: (وينفي).

7 () ما بين القوسين زيادة في المطبوع.

8) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

الرسالة الخامسة:

إثبات صفة العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى

[1][بسم الله الرحمن الرحيم][2]

[الحمد لله المنزه عن الحلول والاتحاد بمخلوقاته، المتعالي عن التعطيل والإلحاد والتمثيل في صفاته، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي بذاته، المستوي على عرشه فوق سمواته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الهادي بآيات آياته المبين، لمباينة بارئه عن برياته، عليه أفضل صلواته وتحياته، وعلى آله وصحبه التابعين له في حياته وبعد مماته، وبعد: فيقول كاتبها[3]: لما لم يجب أحد عن أبياته، وحق للحق أن يبين هداته من عداته، عرضت على إمام أئمة المسلمين، عالم علماء العالمين، شيخ الملة الإسلامية، أبي العباس أحمد بن تيمية، فبين بما خصه الله وأهداه إليه من هداه، وأوضح المسألة وأقسامها وأحكام الأبيات)وأحكامها[4]، وحجج جواب النفاة وإلزامها، ونهج أصاب الإثبات وأبرامها، لا زال مؤيد الْمَدد ومؤيد الْمُدد، وهي هذه][5]،[6]:

يا سادة العلماء أفتونا بما ... يشفي العليل فماء صبري آسن[7]

عن قول ناظم عقد أصل عقيدة ... في حق حق الحق ليس يداهن

يا منكرا أن الإله ... للخلق يا مفتون بل يا

---

1) تمت مقابلة المخطوط مع ما طبع ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله تعالى, طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, المدينة المنورة, 1424 ه.

2 () البسملة سقط من المطبوع.

3) والكاتب هو: عبد المتعال بن محمد بن محمد بن عبد القادر المزلاوي كما في آخر المخطوط.

4 () ولعل العبارة هكذا: (وإحكامها).

5 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

6 () وفي المطبوع زيادة: (سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن هذه الأبيات) .

7 () أسن الماء يأسن أسنا وأسونا، وهو الذي لا يشربه أحد من نتنه. انظر: لسان العرب، مادة (أسن)، (13/16).

مباين ... (فاتن)[1]

هب قد ضللت فأين أنت فإن تكن ... أنت المباين فهو أيضا بائن

أو قلت لست مباينا قلنا إذا ... فبالاتحاد أو الحلول تشاحن

أو قلت يلزم منه شيء قد (خلا)[2] ... قلنا (إذا)[3] ما الرب فينا ساكن

---

1) في المخطوط: (فتن)

2) في المطبوع: (داخلا).

3) في المطبوع: (نعم).

(أو)[1] قلت يلزم أنه في حيز[2] — أو صار في جهة[3] فعقلك واهن
فلقد كذبت فإنه لا حيز — إلا مكان وهو (عنه)[4] بائن
وكذا الجهات فإنها عدمية — في حقه والحق في ذا بائن
إذ ليس فوق (الخلق)[5] (شيء)[6] غيره — حتى (يعد)[7] وهو (فيه)[8] قاطن

---

1) في المطبوع: (إن).

2 () الحيز: السير الرويد، والتحوز هي: التنحي، وفيه لغتان: التحوز والتحيز، وقال الله جل وعز: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ (الأنفال: 16) فالتحوز تفعل، والتحيز التفيعل، والحوز: الجمع، وكل من ضم إلى نفسه شيئا فقد حازه حوزا وحيازة، واحتازه أيضا، وحوز الإبل: ساقها إلى الماء، والمحاوزة: المخالطة، وكل ناحية حيز، انظر: تهذيب اللغة (5/112)، والصحاح للجوهري (3/875)، يتضح مما سبق أن الشيء الذي ينتقل بنفسه أو يمكن نقله يسمي متحيزا، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر المعاني اللغوية للتحيز: (فهذا المذكور عن أهل اللغة في هذا اللفظ ومادته يقتضي أن التحيز والانحياز والتحوز ونحو ذلك يتضمن عدولا من محل إلى محل وهذا أخص من كونه يحوزه أمر موجود فهم يراعون في معنى الحوز ذهابه من جهة إلى جهة؛ ولهذا يقولون: حزت المال وحزت الإبل وذلك يتضمن نقله من جهة إلى جهة فالشيء المستقر في موضعه كالجبل والشمس والقمر لا يسمونه متحيزا) انظر: مجموع الفتاوى (17/344).

3 () الجهة: النحو، تقول: كذا على جهة كذا، وتقول: رجل أحمر من جهته الحمرة، وأسود، من جهته السواد. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (6/186)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق

أو قلت ما هو داخل أو خارج   هذا يدل (بأنه)[9] ما[10] كائن
إذ قد جمعت (نقائصا)[3] ووصفته   عدما بها هل أنت عنها ظاعن
ما قال ما هو ظاهر أو باطن   لكنه هو ظاهر هو باطن
فارجع وتب من قال مثلك إنه   لمعطل والكفر فيه كامن
وتفضلوا بجوابه من نظمكم   هل صادق فيما ادعى أو (مائن)[4]
فصلا بفصل ظاهر فالله للـ   ـمفتي المصيب بخير (أجر)[5]ضامن

فأجاب رضي الله [تعالى][6] عنه:

والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته؛ ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فالله ليس داخلا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات، وكذلك يقال لمن قال: الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أرادت الأول فهو حق وإن أرادت الثاني فهو باطل) انظر: مجموع الفتاوى (3/41).

4) في المطبوع: (منه).

5) في المطبوع: (الحق).

6 () في المطبوع: (ذات).

7) في المطبوع: (تقدر).

8) في المطبوع: (فيها).

9 () في المطبوع: (بأن).

10) في المطبوع زيادة: (هو).

3 () في المطبوع: (نقائضا).

4 () في المطبوع: (ماين).

5) في المطبوع: (آخر).

6 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

الحمد لله رب العالمين، جواب المنازعين عن مثل هذا الكلام أنهم يقولون: هذا الكلام يتضمن شيئين:

أحدهما: الاستدلال على أن الرب تعالى مباين للعالم خارج عنه.

والثاني: الجواب عن حجة من نفى ذلك، واستدل بأن ذلك يستلزم القول بالتحيز، والجهة، وهما باطلان، وبطلان اللازم يقتضي بطلان الملزوم.

فأما استدلاله؛ فإن مضمونه أنك إما أن تكون مباينا للخالق، وإما أن (تكون لست)[1] مباينا، فإن قلت: "إنك مباين" لزم أيضا أن يكون مباينا لك؛ لأن المباينة من باب المفاعلة التي يلزم من ثبوتها (في)[2] أحد الجانبين؛ ثبوتها في الجانب الآخر عقلا، وكذلك هو في اللغة إلا في مواضع قيل إنها مستثناة، بل متأولة، مثل قولهم: عاقبت اللص، وطارقت[3] النعل، وعافاك [الله][4] ونحو ذلك[5].

فإن قلت: "لست مباينا له"؛ لزمك القول بالحلول أو الاتحاد؛ (فإنه)[6] ما لم يكن مباينا لغيره متميزا عنه؛ كان مجامعا له، مداخلا له، بحيث هو (فيحايثه)[7] ويجامعه ويداخله كما تحايث الصفة محلها الذي قامت به، والصفة المشاركة لها بالقيام به؛ فإن التفاحة مثلا طعمها ولونها ليس[8] بمباين لها بل هو محايث لها، ومجامع لها،

---

[1]) وقعت العبارة في المطبوع هكذا: (لا تكون مباينا).

[2]) في المطبوع: (من).

[3]) في المطبوع: (داققت).

[4]) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

[5] () قال ابن جني: (وأما (فاعلت) فأكثر ما يجيء من اثنين، نحو: ضاربت زيدا، وشاتمت عمرا، وقد يكون من الواحد نحو طارقت النعل، وعاقب الأمير اللص، ولا تكاد تراه إلا متعديا). المنصف لابن جني (ص: 92)، دار إحياء التراث القديم، 1373هـ.

[6]) في المخطوط: (فإنها).

[7]) في المطبوع: (يحايثه).

[8]) في المطبوع زيادة: (هو).

(وكــذلك)[1] الطعم محــايث(للــون)[2]، والمباينــة هي: المفارقة[3]، وهي ضد المجامعة، فلما كانت الصـفة الـتي تسـمى العـرض تحـايث محلهـا الـذي يسـمى الجسـم، وتحايث عرضا آخر؛ كان من المعلوم أن مثـل هـذا منتـف عن الله سبحانه وتعالى؛ فإنـه ليس بعـرض ولا صـفة من الصفات؛ بل هو قائم بنفسه مستغن عن محل يقـوم بـه، فلا يجوز عليـه محايثـة المخلوقـات والحلـول [فيهـا][4][5]، وكذلك الاتحاد[6]؛ فإن الاتحاد (إن)[7] كان مع بقـاء الاثـنين على ما كانـا عليـه فلا اتحـاد، بـل همـا اثنـان باقيـان على صفاتهما كما كانا، وإن عني به استحالة إلى نوع ثالث كما يتحد الماء واللبن، والماء والخمر، فيصيران نوعـا ثالثـا، لا هــو مــاء محض، ولا لبن محض؛ فهــذا لا يكــون إلا بعــد استحالة أحدهما، وفساد يعرض لذاته، والله تعـالى مـنزه عن ذلــك؛ فإنه[8] واجب الوجــود بنفســه، قــديم بذاتــه

[1]) في المطبوع: (وذلك).

[2]) في المطبوع: (اللون).

[3] () انظر: لسان العرب (13/63).

[4]) مابين المعقوفين سقط من المطبوع.

[5]) تقديم وتاخير بين المطبوع والمخطوط ففي المطبوع بعـد هذه الفقرة ما يلي: (إذ القـول بنفي الجسـم مـع إثبـات هـذا التقسيم تناقض بين)، وما أثبته فهو من المخطوط.

[6]) الاتحاد في اللغة افتعال من الوحدة، لأنهم متى اعتقدوا في الشيئين أنهما صارا شيئا واحـدا يقولـون إنهمـا اتحـدا، انظـر: شـرح الأصـول الخمسـة (ص: 295)، ويقـول الجرجـاني في تعريف الاتحاد: (الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدا). انظـر: التعريفـات (ص: 12)، دار الكتب العلميــة، بـيروت، لبنـان، 1424هــ، والاتحـاد في عرف السالكين عبارة عن شهود وجود واحد مطلق من حيث أنّ جميع الأشـياء موجـودة بوجـود ذلـك الواحـد معدومـة في أنفسها، لا من حيث أنّ لما سوى الله تعالى وجودا خاصـا بـه يصـير متّحــدا بـالحق. انظـر: كشـاف اصـطلاحات الفنـون والعلوم، (1/91)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

[7]) في المطبوع: (إذا)

[8]) في المطبوع زيادة: (هو).

وصفاته، لا يجوز عليه عدم شيء من صفاته، (فتمتنع)[1] في حقه الاستحالة والفساد، (فمضمون)[2] الدليل أن المخلوق إما أن يكون مباينا للخالق والخالق (مباينا)[3] [له][4]، وإما أن يلزم الحلول[5] والاتحاد وهما باطلان فتعين الأول.

واعتراض المنازع على هذا يكون بعد بيان معنى المباينة؛ فإن أهل الكلام والنظر يطلقون المباينة بإزاء ثلاثة معان؛ بل أربعة.

أحدها: المباينة المقابلة للمماثلة والمشابهة والمقاربة.

والثاني: المباينة المقابلة للمحايثة والمجامعة والمداخلة (والممازجة)[6] والمخالطة.

والثالث: المباينة المقابلة للمماسة والملاصقة؛ فهذه المباينة أخص من التي قبلها؛ فإن ما باين الشيء فلم يداخله قد يكون مماسا له متصلا به، وقد يكون منفصلا (عنه)[7] غير مجاور له، هذه المباينة الثالثة ومقابلها تستعمل فيما يقوم بنفسه خاصة كالأجسام، فيقال: هذه العين إما أن تكون مماسة لهذه وإما أن تكون مباينة[لها][8].

---

1) في المطبوع: (فيمتنع).

2) في المطبوع: (بمضمون).

3) في المطبوع: (مباين).

4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5) الحلول هو الاعتقاد بحلول الباري تعالى في المخلوقات، قال أبو الحسن الأشعري في المقالات: (وفي النساك من الصوفية من يقول بالحلول، وأن البارئ يحل في الأشخاص، وأنه جائز أن يحل في إنسان وسبع وغير ذلك من الأشخاص، وأصحاب هذه المقالة إذا أرادوا شيئا يستحسنونه قالوا: لا ندري لعل الله حال فيه ومالوا إلى اطراح الشرائع وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده) انظر: مقالات الإسلاميين (1/31).

6) في المطبوع: (والمخارجة).

7) في المخطوط: (عن).

8) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

وأما المباينة التي قبلها (ومقابلها)[1] فإنها تعم ما يقوم بنفسه، وما يقوم بغيره، (فالعرض)[2] القائم بنفسه ليس مباينا له، ولا يقال: إنه مماس له، فيقال: هذا اللون إما أن يكون مباينا لهذه العين أو لهذا الطعم، وإما أن يكون محايثا له مجامعا مداخلا ونحو ذلك من العبارات؛ وإن استعمل مستعمل لفظ المماسة والملاصقة في قيام الصفة بموصوفها كان ذلك نزاعا لفظيا.

وأما النوع الأول: فكما يروى عن الحسن البصري أنه قال: ((رأيناهم متقاربين في العافية فإذا جاء البلاء تباينوا تباينا عظيما))[3]، أي: تفاضلوا وتفاوتوا، ويقال: "هذا قد بان عن نظرائه"، أي: خرج عن مماثلتهم، ومشابهتهم، ومقاربتهم بما امتاز به من الفضائل، ويقال: "بين هذا وهذا بون بعيد، وبين بعيد".

والنوع الثاني: كقول عبد الله بن المبارك لما قيل له: ((بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما (قالت)[4]

---

1) في المطبوع: (وما يقابلها).

2) في المطبوع: (والعرض).

3 () ورد لفظ الحسن رحمه الله بعدة ألفاظ فقد جاء في صيد الخاطر لابن الجوزي بلفظه وليس فيه الكلمة الأخيرة: (تباينا عظيما)، انظر صفحة: (152)، دار القلم، دمشق، 1425هـ، وفي الزهد لأحمد بن حنبل بلفظ: (والله رأيتهم يتفاوتون في العافية فإذا نزل البلاء تساووا)، انظر صفحة: (228)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ، وفي البداية والنهاية بلفظ: (قد والله رأيناهم يتعاونون في العافية، فإذا نزل البلاء تفارقوا، وقال: الناس في العافية سواء، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال، وفي رواية: فإذا نزل البلاء تبين من يعبد الله وغيره) انظر: البداية والنهاية (9/299)، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ.

4 () في المطبوع: (تقول).

الجهمية: إنه هاهنا))[1]، وكذلك قال أحمد بن حنبل[2]، وإسحاق بن راهويه[3]، والبخاري[4]، وابن خزيمة[5]، وعثمان بن سعيد[6]، وخلق كثير من (أئمة المسلمين)[7] ولم ينقل عن أحد من السلف خلاف ذلك[8].

وحبس هشام بن عبيد الله الرازي[9][10] رجلا حتى يقول: ﴿ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾، ثم أخرجه وقد أقر بذلك، فقال: أتقول إنه مباين؟ فقال: لا، فقال: ردوه فإنه

---

1) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، (1/111)، تحقيق: الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، وصححه، دار ابن القيم، الدمام، 1406هـ، وأخرجه أيضا الذهبي في العلو (ص: 149)، وصححه، وصححه أيضا الألباني في مختصر العلو (ص: 152)، المكتب الإسلامي، 1412هـ.

2) قال الإمام أحمد بن حنبل: (بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش، فقلنا: لم أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال تعالى: ﴿ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾ [طه: 5] وقال: ﴿ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﴾ [الحديد: 4]) ثم قال: (وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﴾ [الملك: 16]، ﴿ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﴾ [الملك: 17]) ثم ذكر الأدلة، ثم قال: (هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو على العرش) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة، (ص: 142)، دار الثبات للنشر والتوزيع.

3) قيل لإسحاق بن راهويه: قول الله تعالى: ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﴾ [المجادلة: 7] كيف تقول فيه؟ قال: (وحيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه)، انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة(7/158)، وقال إسحاق بن راهويه: (أنبأنا بشر بن عمر، قال: سمعت غير واحد من المفسرين، يقولون: ﴿ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾ على العرش ارتفع). انظر: العلو للعلي الغفار للذهبي(ص: 33).

4 () قال الإمام البخاري: (أصفة الله جل ذكره وعلمه وكلامه وأسماؤه وعزته وقدرته بائن من الله تعالى أم لا؟ أو قولك وكلامك بائن من الله تعالى أم لا؟) انظر: خلق أفعال العباد(ص: 109)، وقال أيضا: (قال وهب بن جرير: الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى) انظر: خلق أفعال العباد (ص: 30)، دار المعارف، السعودية، الرياض.

5 () قال الإمام ابن خزيمة: (فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا

جهمي[1].

فالمباينة في كلام هؤلاء الأئمة وأمثالهم لم يريدوا بها عدم المماثلة، فإن هذا لم ينازع فيه أحد، ولا ألزموا الناس بأن يقروا بالمباينة الخاصة، فإنهم قالوا: بائن من خلقه، ولم يقولوا: بائن من العرش وحده، فجعلوا المباينة (من)[2]المخلوقات عموما، ودخل في ذلك العرش وغيره فإنه من المخلوقات، فعلم أنهم لم يتعرضوا في هذه المباينة لإثبات ملاصقة ولا نفيها.

أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية) كتاب التوحيد لابن خزيمة (1/233) مكتبة الرشد، الرياض، 1414هـ.

وقال الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: (من لم يقر بأن الله تعالى على عرشه، قد استوى فوق سبع سماواته، فهو كافر بربه يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه). معرفة علوم الحديث (ص: 84)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ.

6 () قال عثمان بن سعيد: (قد اتفقت الكلمة من المسلمين، أن الله تعالى فوق عرشه، فوق سمواته) الرد على بشر المريسي، (1/340)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

7 () في المطبوع: (السلف رضي الله عنهم).

8) وممن نقل الإجماع من المتقدمين قتيبة بن سعيد حيث يقول: (هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال جل جلاله ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ) قال الإمام الذهبي: (فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع على المسألة وقد لقي مالكا والليث وحماد بن زيد والكبار وعمر دهرا وازدحم الحفاظ على بابه) انظر: العلو للعلي الغفار (ص: 174).

9 () هشام بن عبيد الله الرازي، الفقيه، أحد أئمة أهل السنة، قال محمد بن خلف الخراز: سمعت هشام بن عبيد الله الرازي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (10/447).

ولكن قد يقول بعض النفاة: أنا أريد بالمباينة عدم المحايثة والمداخلة فقط من غير أن أدخل في ذلك (معنى الخروج)[1]، وقد يوصف المعدوم بمثل هذه المباينة (فتقول)[2]: إن المعدوم مباين للموجود بهذا الاعتبار، وهذا معنى رابع من معاني المباينة.

وإذا عرف أن المباينة قد يريد بها الناس هذا وهذا؛ فلا ريب أن المعنى الأول[3] ثابت باتفاق الناس؛ فإنهم متفقون على أن الله[4] ليس له مثل من الموجودات، وأن مباينته للمخلوقين في صفاتهم أعظم من مباينة كل مخلوق لمخلوق، وأنه أعظم وأكبر من أن يكون مماثلا لشيء من المخلوقات، أو مقاربا له في صفاته؛ لكن هذا المعنى ليس هو الذي قصده الناظم ولا قصد أيضا المعنى الثالث[5]، لأنه جعل نفي المباينة يستلزم الحلول والاتحاد، وهذا إنما [هو][6] المعنى الثاني[7]، وإلا فالمعنى الثالث [نفيه][8]يستلزم الملاصقة والمماسة، والناظم لم يذكر ذلك.

وهذا المعنى الثالث يستلزم الثاني من غير عكس؛ فإن المباينة الخاصة المقابلة للملاصقة صفة تستلزم المباينة العامة المقابلة للمداخلة والمحايثة من غير عكس.

---

10 () في المطبوع زيادة: (صاحب محمد بن الحسن).

1) انظر: كتاب العرش للذهبي (2/307).

2 () في المطبوع: (بين).

1) في المخطوط: (عدم الخروج)، وجاء في الهامش: (قوله: (عدم الخروج) لعل أصله بحذف عدم)، والمثبت من المطبوع.

2 () في المطبوع: (فيقول).

3 () وهو ما يقابل التفاضل والتفاوت.

4 () في المطبوع زيادة: (تبارك وتعالى).

5 () وهو ما يقابل المماسة والملاصقة.

6 ()ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

7 () وهو ما يقابل المحايثة والمجامعة.

8 ()ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

وإذا عرف أن الناظم أراد هـذه المباينـة العامـة، وهي المباينـــة المشـــهورة في اللغـــة، وكلام النـــاس، وكلام العلماء؛ فإن المنـازعين لـه يقولـون: لا نسـلم أنـه إذا لم يكن مباينا لزم الحلول (و)[1] الاتحاد؛ فإن هـذا مثـل قـول القائل: إذا لم يكن خارجا عن العالم كان داخلا فيـه، وقـد علم أن المخـالف لـه يقـول: لا هـو داخـل العـالم ولا[2] خارجه، فكذلك يقـول: لا مبـاين، ولا محـايث، ولا مجـامع، ولا مفارق، ويقول: إنما نفيت المباينـة والمحايثـة جميعـا، والحلول والاتحـاد (داخلان)[3] في المحايثـة، فلا أسـلم إذا لم أكن مباينا للخالق أن يكون حالا [فِيّ][4] أو متحدا بي.

وهذا معلوم من قول النفاة؛ فإن النفاة الذين يقولون: إن الخالق ليس فـوق العـالم ولا خارجـا عنـه مباينـا له[5]؛ منهم من يقول: إنه حال فيه أو متحـد به[6]، (و)[7] أنـه في كل مكان بذاته كما يقول (بـذلك)[8] طوائـف من عبـادهم

---

1 () في المطبوع: (أو).

2 () في المطبوع زيادة: (هو).

3 () في المطبوع: (يدخلان).

4 () ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

5 ()كما يقول المعتزلة: أن الله ليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفـوق وتحت، ولا يحيـط بـه مكـان، ولا يجـري عليـه زمـان، ولا تجـوز عليـه المماسـة ولا العزلـة ولا الحلـول في الأمـاكن. انظـر: مقـالات الإسـلاميين (1/130)، المكتبة العصرية، 1426هـ.

6) يوجـد تقـديم وتـأخير بين المطبـوع والمخطـوط في هـذا الموضع ففي المطبوع بعد الفقرة ما يلي: (وقد وافقهم على ذلك طائفـة من الحنفيـة، والمالكيـة، والشـافعية، والحنبليـة، ومتأخري أهل الحديث، والصـوفية. . .)، ومـا أثبتـه فهـو من المخطوط، وهـو في المطبـوع بعـد الفقـرة: (وقـال طوائـف منهم: ليس فوق العالم شيء أصلا، ولا فوق العرش شيء. . .)، في مجموع الفتاوى (5/272).

7 () في المطبوع: (أو).

8 () في المطبوع: (ذلك).

ومتكلميهم وصوفيتهم وعامتهم[1].

ومنهم من يقول: ليس هو داخلا فيه، ولا خارجا عنه، ولا حالا فيه، وليس في مكان من الأمكنة؛ فهؤلاء ينفون عنه الوصفين المتقابلين جميعا، وهذا قول طوائف من (المتكلمين)[2] ونظارهم[3]، والأول هو الغالب على عامتهم وعبادهم وأهل المعرفة والتحقيق منهم، والثاني هو الغالب على نظارهم ومتكلميهم وأهل البحث منهم[4].

وكثير منهم يجمع بين القولين؛ ففي حال نظره وبحثه

---

1) قال أبو الحسن الأشعري: (اختلفت المعتزلة في ذلك فقال قائلون: إن الله بكل مكان بمعنى أنه مدبر لكل مكان، وقال قائلون: البارئ لا في مكان بل هو على ما لم يزل عليه، وقال قائلون: البارئ في كل مكان بمعنى أنه حافظ للأماكن وذاته مع ذلك موجودة بكل مكان. . . وأجاز عليه بعضهم الحلول في الأجسام، وأصحاب الحلول إذا رأوا إنساناً يستحسنونه لم يدروا لعل إلههم فيه، وأجاز كثير مما أجاز رؤيته في الدنيا مصافحته وملامسته ومزاورته إياهم، وقالوا: إن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا أرادوا ذلك، حكي ذلك عن بعض أصحاب مضر وكهمس) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: 212 ـ 214)، وكان الحلاج يقول إلهي أنت تعلم عجزي عن مواضع شكرك فاشكر نفسك عني فإنه الشكر لا غير. انظر: طبقات الصوفية (ص: 237)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، وروي أن الحلاج مر يوما على الجنيد فقال له: أنا الحق، فقال الجنيد: أنت بالحق أية خشبة تفسد، فتحقق فيه ما قال الجنيد، لأنه صلب بعد ذلك، وقبله جماعة من الصوفية منهم أبو العباس بن عطا ببغداد وأبو عبد الله بن خفيف بفارس وأبو القاسم النصرابادى بنيسابور وفارس الدينورى بناحيته والذين نسبوه الى الكفر وإلى دين الحلولية، حكوا عليه أنه قال: من هذب نفسه فى الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقى فى درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ، حل فيه روح الإله الذى حلّ فى عيسى بن مريم، ولم يرد حينئذ شيئا إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله تعالى، وزعموا أن الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة. انظر:

يقول بسلب الوصفين المتقابلين كليهما، فيقول: لا هو داخل العالم ولا خارجه، وفي حال تعبده وتألهه يقول بأنه في كل مكان، ولا يخلو منه شيء حتى يصرحون بالحلول في كل موجود من البهائم وغيرها، بل بالاتحاد بكل شيء؛ بل يقولون بالوحدة التي معناها أنه عين وجود الموجودات[1].

وسبب ذلك أن الدعاء، والعبادة، والقصد، والإرادة[2]

الفرق بين الفرق (ص: 247)

2 () في المطبوع: (متكلميهم)

3) هذا كما سبق من جملة أقوال المعتزلة الذين يقولون: (إن الله ليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: 155)

4 () في المطبوع زيادة: (والقياس فيهم)

1) وفي هذا يقول ابن عربي: (وجوده إلا أنا فلا زمان لي. . . وإلا أنت فلا زمان لك. . . فأنت زماني وأنا زمانك)، وقال: (فليس عيني سواه. . فما أبيت إياه. . . فمن يشاهد بعين الوجود يشهد إياه. . . فنحن فيه سواء. . . كما يراني أراه)، وقال: (تعددت الأعيان والأمر واحد. . . وأشهدت الأكوان والله شاهد. . . ما ثم إلا الله ما ثم غيره. . . أقر بتوحيد ما هو جاهد)، انظر: الفتوحات المكية(3/546، 550، 567)، دار الكتب العربية، مصر.

وقال الغزالي: (والحلول قد ذهب اليه طوائف كثيرة فليس بطلان مذهب الحلولية ضروريا فكيف يكون ضروريا، وفيه من الخلاف المشهور ما لا يكاد يخفى حتى مال الى ذلك طائفة كبيرة من محققي الصوفية وجماعة من الفلاسفة وإليه أشار الحسين بن منصور الحلاج الذي صلب ببغداد حيث كان يقول أنا الحق أنا الحق، وكان يقرأ في وقت الصلب: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإليه أشار أبوزيد البسطامي بقوله: "سبحاني سبحاني ما أعظم شأني"، وقد سمعت أنا شيخا من مشايخ الصوفية تعقد عليه الخناصر ويشار إليه بالأصابع في متانة دين وغزارة علم، حكى لي عن

(تطلب)[1] موجودا؛ بخلاف [مجرد][2] النظر والبحث والكلام؛ فإن العلم، والكلام، والبحث، والقياس، والنظر (تتعلق)[3] بالموجود والمعدوم، فإذا لم يكن القلب في عبادة، وتوجه، ودعاء سهل عليه النفي والسلب، وأعرض عن الإثبات، بخلاف ما إذا كان في حال الدعاء والعبادة فإنه يطلب موجودا يقصده، ويسأله، ويعبده، والسلب لا يقتضي إلا النفي والعدم، فلا (يبقى)[4] في السلب ما يكون مقصودا أو معبودا.

فالمخالف لهذا (الناظم)[5] إذا كان من النفاة للمتقابلين يقول: أنا أقول: لا هو مباين ولا أقول بالحلول والاتحاد، فلم قلت: (إنه)[6] إذا لم أقل بالمباينة يلزمني القول بالحلول (و)[7] الاتحاد؟ هذا هو الذي يقوله أئمة النفاة لمثل هذا الناظم؛ وحينئذ فيقول المثبتة القائلون

شيخه المرموق في الدين والورع أنه قال ما تسمعه من أسماء الله الحسنى التي هي تسعة وتسعون كلها يصير وصفا للصوفي السالك بطريقه إلى الله، وهو يعد من جملة السائرين إلى الله لا من زمرة الواصلين، وكيف ينكر هذا وعليه مذهب النصارى في اتحاد اللاهوت بناسوت عيسى عليه السلام حتى سماه بعضهم إلها وبعضهم ابن الإله وبعضهم قالوا: هو نصف الإله، واتفقوا على أنه لما قتل إنما قتل منه الناسوت دون اللاهوت، كيف وقد تخيل جماعة من الروافض ذلك في علي رضي الله عنه؟ وزعموا أنه الإله، وكان ذلك في زمانه حتى أمر باحراقهم بالنار، فلم يرجعوا، وقالوا بهذا يبين صدقنا في قولنا أنه الإله، لأن رسول الله صلى الله عيه وسلم قال لا يعذب بالنار إلا ربها) فضائح الباطنية (1/109)، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

2 ()في المطبوع زيادة: (والتوجه).

1)في المطبوع: (يطلب).

2 ()ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3 ()في المطبوع: (يتعلق).

4 ()في المطبوع: (ينفي).

5 ()في المطبوع: (النظم).

6 ()في المطبوع: (إني).

7 ()في المطبوع: (أو).

بالمباينة والخروج، ومن قال من النفاة أنه في كل مكان، وهو الظاهر من قـولهم وقـول محققيهم وعـارفيهم؛ نحن نعلم بالضـرورة أن الموجـود إمـا أن يكـون مباينـا لغـيره، وإمـا أن يكـون محايثـا، ونعلم بالضـرورة أن من أثبت موجـودين ليس أحـدهما داخلا في الآخـر محايثـا لـه، ولا خارجا عنه مباينـا لـه؛ فقـد خـالف ضـرورة العقـل، وهـذا العلم مركـوز في فطـر جميـع النـاس إلا من يقلـد قـول النفاة.

ونفي هذين جميعا هـو من أقـوال القرامطـة الباطنيـة الذين هم أئمة الجهمية؛ فـإن جهمـا مـع القرامطـة وغلاة المتفلسفة يقولون: لا نقول: هـو شـيء ولا ليس بشـيء، كما يقولون: لا[1] هو موجود ولا معـدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قديم ولا محدث، وأمثال ذلك[2].

وهذه المقالات فسادها معلوم بالضـرورة العقليـة وإن كان قد تواطأ عليها جماعـة كثـيرة؛ فـإن الجماعـة الـذين (تقلـد)[3] مـذهبا تلقـاه بعضـهم عن بعض يجـوز اتفـاقهم على جحد الضروريات كما يجوز الاتفاق على الكـذب مـع المواطئة والاتفاق، ولهذا يوجد في أهل المذاهب الباطلـة كالنصـارى والرافضـة والفلاسـفة من يصـر على القـول الذي يعلم فساده بالضرورة.

وإنما الممتنع ما يمتنـع على أهـل التـواتر، وهـو اتفـاق الجماعة العظيمة على الكذب من غير مواطأة ولا اتفاق،

---

1 () في المطبوع زيادة: (نقول).

2 () القرامطـة الباطنيـة هم القـائلون بـإلهين قـديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثـاني، واسم العلة السابق واسم المعلول التالي، ثم قالوا: السـابق لا يوصف بوجود ولا عدم فإن العدم نفي والوجود سببه فلا هو موجـود ولا هـو معـدوم ولا هـو معلـوم ولا هـو مجهـول ولا هـو موصوف ولا غير موصوف وزعمـوا أن جميـع الأسـامي منتفيـة عنه. انظر: فضائح الباطنية (ص: 29).

3 () في المطبوع: (يقلدون).

فيمتنع عليهم جحد ما يعلم ثبوته بالاضطرار[1]، وأهل التواتر لا يتصور منهم الكذب؛ فأما إذا لقنوا قولا بشبهة وحجج واعتقدوا صحته جاز أن يصروا على اعتقاده، وإن كان مخالفا لضرورة العقل وإن كانوا جماعة عظيمة؛ ولهذا يطبع الله على قلوب (الكافرين)[2] فلا يعرفون الحق قال الله تعالى: □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □[3]، وقال تعالى: □ □ □ □ □ □□ وقال تعالى: □[ه][4] ٹ ٿ ٺ ڈ ڈ ڈ ژ□[5]، وإنما تؤخذ الضروريات من القلوب السليمة والعقول المستقيمة التي لم تمرض بما تقلدته من العقائد وتعودته من المقاصد.

والمثبتة يقولون: من ذكر له قول النفاة من أجناس بني آدم السليمة (الفطرة)[6]؛ علم بالضرورة فساده، وكلما كان أذكى (وأجد)[7] ذهنا كان علمه بفساده أشد؛ بل هم يقولون: إن العلم بالقضية المعينة المطلوب إثباتها، وهو علو الله تعالى على العالم معلوم بالفطرة والضرورة، (ويعلم)[8] بطلان نقيضها بالفطرة والضرورة[9]؛ فيعلمون أن الخالق فوق العالم، ويعلمون امتناع وجود موجودين ليس أحدهما مباينا للآخر ولا مداخلا له، ويعلمون أنه إذا لم يكن مباينا كان مداخلا محايثا فيلزم الحلول والاتحاد.

ولا ريب أن هذا هو الذي عليه جماهير الأمم من بني

---

[1] () في المطبوع زيادة: (وإثبات ما يعلم نفيه بالاضطرار؛ لأن هذا اتفاق على الكذب).

[2] () في المطبوع: (الكفار).

[3] () الأنعام110

[4] () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[5] () غافر 35

[6] ()في المطبوع: (الفطر).

[7] ()في المطبوع: (واحد).

[8] ()في المطبوع: (ويعلمون).

[9] () في المطبوع زيادة: (فيعلمون بالضرورة القضية العامة والقضية الخاصة).

آدم، أما من (يثبت)[1] العلو والمباينة فقوله ظاهر، وأما الذين لا يقرون بالعلو والمباينة فجمهورهم لا يعلمون ضد ذلك إلا أنه في كل مكان، ولو عرض عليهم نفي هذا وهذا لم يتصوروه ولم يعقلوه، وبهذا احتج أهل الحلول والاتحاد من محققيهم كالصدر القونوي[2]، وأمثاله على نفاة ذلك منهم، فقال: قد سلمتم لنا أنه ليس خارج العالم ولا مباينا له؛ وما لم يكن كذلك لم يعقل إلا أن يكون وجود الممكنات أو في وجود الممكنات؛ إذ لا يعقل إلا هذا أو هذا.

ثم هذا وأمثاله يقولون: هو الوجود المطلق، وإن فرق ما بينه وبين الأشياء فرق ما بين المطلق والمعين، وهذا يشبه الفرق بين جنس الإنسان وأعيان الناس وجنس الحيوان وأعيان (الحيوانات)[3]، فيكون الرب مثل الجنس أو العرض العام لسائر الموجودات، ومعلوم أن هذا لا يكون له وجود متميز بنفسه مباين للمخلوقات؛ إذ الكليات كالجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض العام، لا توجد في الخارج منفصلة عن الأعيان الموجودة، وهذا معلوم بالضرورة ومتفق عليه بين العقلاء، وإنما يحكى الخلاف في ذلك عن شيعة أفلاطون ونحوه الذين يقولون بإثبات المثل الأفلاطونية[4]، وهي الكليات المجردة عن الأعيان خارج الذهن، وعن شيعة فيثاغورس في إثبات العدد المطلق خارج الذهن[5].

---

1 () في المخطوط: (أنا).

2) القونوي هو: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الرومي، الصوفي، على مذهب أهل الوحدة، شيخ الاتحادية بقونية، صحب الشيخ محيي الدين ابن العربي، وله تصانيف في السلوك على مذهبه نسأل الله العافية، فمن ذلك كتاب النفحات، وكتاب تحفة الشكور، وكتاب التجليات، توفي سنة: 672 هـ. انظر: تاريخ الإسلام (15/240).

3 () في المطبوع: (الحيوان).

4) سبق التعريف به.

5) انظر في ذلك ما نقله الشهرستاني عن الفيثاغورس في

والمعلم الأول أرسطو وأتباعه متفقون على بطلان قول هؤلاء وهؤلاء[1]، فلو ظنوا أن الباري[2] هو الوجود المطلق بهذا الاعتبار لوقعوا فيما فروا منه؛ فإن هذا يستلزم مباينته لوجود المخلوقات وانفصاله عنها؛ مع أن عاقلا لا يقول: إن صفة تكون مبدعة للموصوف ولا إن الكليات هي المبدعة لمعيناتها.

والمقصود هنا أن جماهير الخلائق من مثبتة علو الله على خلقه ومن نفاة ذلك على اختلاف أصنافهم يقولون بإثبات هذا التقسيم والحصر، وهو أن الشيء إما أن يكون مباينا لغيره وإما أن يكون محايثا مداخلا؛ فإذا انتفى أحدهما ثبت الآخر.

ويقولون: إن هذا معلوم بالضرورة، قال النفاة: لا نسلم أن هذه القضية ضرورية؛ بدليل أنا نعقل الإنسانية المشتركة بين الأناسي وغيرها من الكليات المعقولة وغيرها، وليست داخل العالم ولا خارجه، وأيضا فإن أرسطو وأتباعه من الفلاسفة، وطائفة من أهل الكلام أثبتوا أن النفس الناطقة كذلك [وكذا][3] العقول والنفوس[4]، ولم يكونوا قائلين بما يعلم فساده بالضرورة.

وأيضا فإن العقل الصريح يعلم تقسيم الشيء إلى مباين ومحايث وما ليس بمباين ولا محايث، وتقسيمه إلى داخل وخارج وما ليس بداخل ولا خارج، وتقسيمه إلى متحيز وقائم بالمتحيز وما ليس بمتحيز ولا قائم بمتحيز،

كتابه: الملل والنحل للشهرستاني (2/133).

1) وفي هذا نقل الشهرستاني آراء الحكماء الذين خالفوا متقدميهم أمثال أفلاطون في الرأي، مثل أرسطو طاليس ومن تابعه على رأيه، مثل: الإسكندر الرومي، والشيخ اليوناني، وديوجانس الكلبي وغيرهم، انظر في ذلك كتابه: الملل والنحل (2/179).

2 () في المطبوع زيادة: (تعالى).

3 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) ينظر الملل والنحل (2/191-184)، حيث بين فيه آراء وعقائد أرسطو وأتباعه في العقول والنفوس والعقل الفعال والنفس الإنسانية الناطقة، واتصالها بالبدن.

(فلا)[1] يعلم فساد هذا التقسيم بالاضطرار كما يعلم أن الواحد نصف الاثنين.

وأيضا فهذا الذي ذكرتموه من لزوم المباينة والمحايثة والدخول (أو)[2] الخروج إنما يعقل فيما هو جسم متحيز، فإذا قدرنا متحيزين لزم أن يكون أحدهما إما داخلا في الآخر أو خارجا منه، فأما إذا قدرنا موجودا ليس بجسم ولا متحيز لم (يمتنع)[3] أن لا يكون مباينا لغيره ولا محايثا[4]، ولا داخلا فيه ولا خارجا عنه، بل ينفى عن (القسمان)[5] وحينئذ فهذا التقسيم والحصر يستلزم كون الباري جسما متحيزا في جهة وذلك باطل.

ولا نريد بالمتحيز[6] أن يكون قد أحاط به حيز وجودي كما أجاب عنه الناظم[7] بل نريد بالمتحيز[8] الذي في الجهة[9] بحيث يشار إليه بالحس أنه هاهنا أو هناك، ولا ريب أن ما[10] فوق العالم فلا بد أن يشار إليه بأنه هناك، وهذا هو القول بالتحيز والجهة عندنا.

وإذا كان هذا التقسيم مستلزما لإثبات الجهة والتحيز لم يكن هذا التقسيم صحيحا إلا أن يكون القول بالجهة والتحيز صحيحا، والناظم لم يذكر دليلا على صحة القول بالتحيز والجهة والجسم.

ثم نقول الأدلة النظرية الدالة على نفي التحيز والجهة والجسم تنفي صحة هذا التقسيم والحصر؛ فإنه إذا قدر

---

1 () في المطبوع: (ولا).
2 () في المطبوع: (و).
3 () في المطبوع: (يمنع).
4 () في المطبوع زيادة: (له).
5 () في المطبوع: (القسمين).
6 () في المطبوع: (بالتحيز).
7 () في المطبوع زيادة: (ولا بالجهة أن يكون في أين موجود كما أجاب الناظم أيضا).
8 () في المطبوع:) بالتحيز).
9 () في المطبوع زيادة: (أن يكون).
10 () في المطبوع: (كان).

موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا في جهة أمكن أن يعقل أنه ليس مباينا لغيره ولا محايثا له، وإذا كان كذلك فكلما ينفى القول [بالتحيز][1] والتجسيم يبطل هذا الاستدلال[2]، إذ القول بنفي (التجسيم)[3] مع إثبات هذا التقسيم تناقض بين، وإذا كان هذا القول مستلزما للتجسيم لزمه ما يلزم القائلين بالتجسيم، وقد خاطب نفاة ذلك بأنهم مفتونون وفاتنون، وادعى أن من قال ذلك فإنه معطل وأن الكفر في قوله كامن، وهذا يستلزم تكفير من نفى التجسيم، وقد علم ما في [هذا][4] القول من الوبال العظيم.

قالت المثبتة: نحن نجيبكم بجوابين: إجمالي وتفصيلي.

أما الجواب الإجمالي فإنا نقول: قولكم: لا نسلم أن هذه القضية ضرورية منع غير مقبول؛ فإن المقدمات الضرورية لا يجوز منعها، ولو جاز منع الضروريات لم يمكن الاستدلال ولا إقامة حجة على منكر؛ فإن المستدل غايته أن يستدل بدليل مؤلف من مقدمات ضرورية؛ فلو جاز منع (الضروريات)[5] لم (يمكن)[6] الاستدلال [بحال][7]؛ وكذلك ما (ذكر)[8] من الاستدلال على أنها ليست بضرورية أو ليست بصحيحة لا يقبل أيضا؛ فإن

---

1 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2) حصل تقديم وتأخير في هذا المكان بين المطبوع والمخطوط، ففي المطبوع بعدها: (وكذلك الاتحاد فإن الإتحاد إذا كان مع بقاء الاثنين على ما كانا عليه فلا اتحاد. . .) وهذه الفقرة موجودة في المخطوط في صفحة: (4)، بعد هذه الفقرة: (بل هو قائم بنفسه مستغن عن محل يقوم به، فلا يجوز عليه محايثة المخلوقات والحلول فيها).

3 ()في المطبوع: (الجسم).

4 ()ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5 ()في المطبوع: (الضرورية).

6 () في المطبوع: (يصح).

7 ()ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

8 () في المطبوع: (ذكروه).

الضـروريات هي الأصـل للنظريـات؛ فلـو جـاز القـدح في الضروريات بالنظريات لكان ذلك قدحا في الأصل بفرعه، وذلك يستلزم بطلان الفـرع والأصـل جميعـا؛ فـإن الفـرع (إن)[1] كان فاسدا لم تجز المعارضة به، وإن كان صحيحا لزم أن يكون أصله صحيحا؛ فلا يجوز أن يكون قادحـا في الأصل.

فثبت أنه على التقديرين لا يجوز معارضة الضروريات بالنظريات، فـإن قيـل: فهب أنـه لا يجـوز في المقـدمات الضرورية أن تمانع ولا أن تعارض بالنظريـات؛ فـإذا ادعى المستدل[2] أن المقدمة ضـرورية فهـل يكـون قولـه حجـة على مناظره؟ قيل: ليس مجـرد دعـواه الضـرورية حجـة على خصمه لكن من علم أن القضية ضرورية فقد حصـل له العلم بذلك وهو لا يكابر نفسه؛ وسواء علمهـا غـيره أو لم يعلمها؛ وسواء سلمها له أو نازعه فيها، فما علمـه هـو ضرورة لا (يمكن)[3] أن يشك فيه.

وأما طريـق إلزامـه لمنازعـه (فبـأن)[4] يستشـهد على ذلك بتسليم أرباب (القلوب)[5] السليمة التي لم يعارضـها عقـد ولا قصـد يخـالف فطرتهـا، فـإذا كـان أهـل العقـول السليمة التي لا هوى لها ولا اعتقاد يخالف ذلـك تقـر بـأن هـذه القضـية معلومـة عنـدهم بالضـرورة علم أن الأمـر كذلك، وأن المنـازع فيهـا قـد تغـيرت فطرتـه الـتي فطـر عليها لاعتقاد أو هوى، (وإن)[6]الحس كما قد يعرض له ما يوجب غلطه فكذلك العقل [قـد][7] يعـرض لـه مـا يـوجب غلطه.

---

1 ()في المطبوع: (إذا).
2 ()في المطبوع زيادة: (على).
3 () في المطبوع:)يمكنه).
4 () في المطبوع: (فإنه).
5 ()في المطبوع:)العقول).
6 ()في المطبوع: (فإن).
7 ()ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

ومما يبين أن هذه القضية حق؛ أن[1] الكتب المنزلة من السماء وجميع الأنبياء جاءوا بما يوافقها لا بما يخالفها، وكذلك سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يوافقون مقتضاها؛ لا يخالفونها، ولم يخالف هذه القضية الضرورية من له في الأمة لسان صدق؛ بل أكثر أهل الكلام والفلسفة يقولون بموجبها، وإنما خالفها طائفة من المتفلسفة وطائفة من المتكلمين كالمعتزلة ومن اتبعهم؛ والذين خالفوها عقلاؤهم وعلماؤهم تناقضوا في ذلك وادعوا الضرورة في قضايا من جنسها، وهي أبين منها، ومن أنكر منهم ذلك (آل)[2] به الأمر إلى جحد عامة الضروريات والحسيات.

فالمنكر لهذه القضية الضرورية هو بين أمرين: إما أن (يلتزم)[3] جحد عامة الضروريات، وإما أن يقر بقضايا من جنسها ضرورية دون هذه في القوة والجلاء، يبين ذلك أن الذين قالوا: إن الخالق سبحانه ليس هو جسم ولا متحيز تنازعوا بعد ذلك هل هو فوق العالم (أو)[4]ليس فوق العالم؟ فقال طوائف كثيرة: هو فوق العالم بل هو فوق العرش، وهو مع هذا ليس بجسم ولا متحيز، وهذا يقوله طوائف من الكلابية والكرامية والأشعرية وطوائف من أتباع الأئمة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث والصوفية وهذا هو الذي حكاه الأشعري عن أهل الحديث والسنة[5].

وقال طوائف منهم: ليس [هو][6] فوق العالم ولا

---

1 ()في المطبوع زيادة:)جميع).

2 ()في المطبوع:)أدى).

3 ()في المطبوع: (يستلزم).

4 ()في المطبوع:)أم).

5) قال الأشعري: (وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش). انظر: مقالات الإسلاميين (1/168).

6 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

فوق[1] شيء أصلا ولا فوق العرش شيء، وهذا قول الجهمية، والمعتزلة، وطوائف من متأخري الأشعرية والفلاسفة النفاة؛ والقرامطة الباطنية[2][3].

وقد وافقهم على ذلك طائفة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ومتأخري أهل الحديث والصوفية، ثم هؤلاء الذين ينفون علوه بنفسه على العالم هم في رؤيته على قولين: منهم من يقول: (بأنه)[4] تجوز رؤيته، وذلك واقع في الآخرة، وهذا قول[5] من انتسب إلى السنة والجماعة من طوائف أهل الكلام وغيرهم كالكلابية، والكرامية، والأشعرية، وقول أهل الحديث قاطبة، وشيوخ الصوفية، وهو المشهور عن[6] أتباع الأئمة الأربعة، وغيرهم من الفقهاء[7]، وعامة هؤلاء يثبتون الصفات؛ كالعلم والقدرة ونحو ذلك.

---

1 () في المطبوع زيادة: (العالم).

2) وقد سبق قولهم قريبا، فمنهم من يقولوا بالحلول والاتحاد، ومنهم من يؤول الاستواء إلى الاستيلاء، وانظر في ذلك: مقالات الإسلاميين (1/168).

3 () يوجد تقديم وتأخير في المطبوع والمخطوط، ففي المطبوع بعد هذه الفقرة ما يلي: (أو أنه في كل مكان بذاته. . .).

4)في المطبوع: (إنه).

5) في المطبوع زيادة: (كل).

6)في المطبوع: (عند).

7 () انظر في مسألة الرؤية في مقالات الإسلاميين (1/128)، و(1/171-173)، و(1/221)، وانظر: الملل والنحل (1/100)، و(1/112)، وانظر: بغية المرتاد(ص: 466)، وانظر أيضا: بيان تلبيس الجهمية(7/2).

ومنهم طائفة ينفون الصفات مع دعواهم أنهم يثبتون الرؤية: كابن حزم[1] وأبي حامد[2] في بعض أقواله.

والقول الثاني: قول من ينكر الرؤية كالمعتزلة وأمثالهم من الجهمية المحضة من المتفلسفة والقرامطة وغيرهم وكذلك ينفون الصفات ويقولون بإثبات ذات بلا صفات[3]، وهل يوصف بالأحوال[4]؟ على قولين[5]، (و)[6]يقولون بإثبات وجود مطلق بشرط الإطلاق لا يوصف بشيء من

---

[1]) قال ابن حزم: (الاستواء والاعوجاج منفيان عنه معا سبحانه وتعالى، وتعالى الله عن ذلك لأن كل ذلك من صفات الأجسام ومن جملة الأعراض والله قد تعالى عن الأعراض) الفصل في الملل والأهواء والنحل (2/97)، وقال أيضا: (والقول الرابع في معنى الاستواء هو أن معنى قوله تعالى: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ أنه فعل فعله في العرش وهو انتهاء خلقه إليه فليس بعد العرش شيء) نفس المصدر (2/98)، ولكنه مع ذلك يثبت الرؤية كما قال: (وذهب جمهور أهل السنة والمرجئة وضرار بن عمرو من المعتزلة إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة) وقال أيضا: (وإنما قلنا إنه تعالى يرى في الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة في العين) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/2)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

[2]) الغزالي لا يثبت إلا سبع صفات قديم لذاته وينفي الصفات الاختيارية عنه بدليل أنه يستلزم منه أن يكون الله محلا للحوادث، انظر: الاقتصاد في الاعتقاد (ص: 75-80)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ، وهو ينكر الاستواء، المصدر السابق (ص: 38)، وكذلك يؤل الرضا والغضب إلى إرادة الثواب والعقاب الذين هما ثمرتا الغضب والرضى ومسبباه في العادة، المصدر السابق (ص: 39)، ولكنه مع ذلك يثبت الرؤية فيقول: (ندعي أن الله سبحانه وتعالى مرئي، خلافاً للمعتزلة) المصدر السابق (ص: 42).

[3] () أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار، انظر: مقالات الإسلاميين (1/131)، وكذلك الجهمية، (1/128)، قال القاضي عبد الجبار: (ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية،...) شرح الأصول الخمسة (ص: 232)، وانظر عقائد المعتزلة والجهمية في نفي الصفات في كتاب مقالات الإسلاميين (1/114)ـ (1/130)، والملل والنحل (1/43)ـ (1/82)، وعقائد

الأمور الثبوتية كما هو قول ابن سينا(1)، وأمثاله مع قولهم في أصــولهم
المنطقية: إن المطلق بشرط الإطلاق [يوجد](2) في الأذهان لا في الأعيان(3)، فمن هــؤلاء
من الاتحادية والحلولية يقول هو الوجود المطلــق لا بشــرط الإطلاق و
يوجد في الخارج [لكن](4) هل هو نفس المعين أو كلي مقــارب للمعين، فالص
الأول، ولكن الثاني هو قول كثير من أهل المنطق مع تناقض أقوالهم
الجهالات ما لا يحصيه إلا الله تعالى(5)؛ كما قــد بســط في غير هذا الموضع(6).

وعلى هذا فإذا جعل هو الموجــود المطلــق لا بشــرط

الفلاسفة في الملل والنحل (2/116)، والفرق بين الفــرق (ص: 93، 119)، والباطنية (ص: 256).

والفلاسفة نفوا عن الله جميـع الصـفات باسـم نفي الـتركيب عنـه، ويعتقـدون في ذلـك أنهم موحـدون لذاتـه، انظـر: تهـافت الفلاســفة (ص: 163) ، تحقيــق: الــدكتور ســلمان دنيــا، دار المعارف، مصر.

(4) الأحوال هي: حالة لا توصـف بـالوجود ولا بالعـدم كمـا عرفهـا الشهرستاني، وقال ابن حزم هي: صفات ليسـت حقـا ولا بـاطلا ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومــة ولا هي معلومــة ولا هي مجهولــة ولا هي أشــياء ولا هي لا أشــياء، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (1/83)، والفصـل في الملـل والأهواء والنحل لابن حزم (5/31).

(5) فمن المعتزلة من لا يصـف اللـه تعـالى بـالأحوال، ومنهم من يصـف اللــه تعــالى بــالأحوال مثــل البهشــمية أتبــاع أبى هاشــم والجبائى، ويقـال لهم انظـر في ذلـك كتـاب: الفـرق بين الفـرق (ص: 169، 182).

(6) في المطبوع: (أو).

(1) انظــر كلام ابن ســينا في الإلهيــات في كتــاب الفــرق بين الفرق (3/17).

(2) في المطبوع زيادة: (يوجد في الخارج).

(3) ســبق الكلام على هــذه المســألة في رســالة: مســألة في الإستواء والنزول.

(4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

(5) اتفقت الفلاســفة على اســتحالة إثبــات العلم والقــدرة والإرادة للمبدأ الأول، كما اتفقت المعتزلـة عليـه وزعمـوا أن هذه الأسامي وردت شرعاً، ويجوز إطلاقهـا لغـة ولكن ترجـع إلى ذات واحدة كما سبق، ولا يجوز إثبات صفات زائـدة على ذاته، كما يجوز في حقنـا أن يكـون علمنـا وقـدرتنا وصـفاً لنـا

[الإطلاق][1]، وقيـل: إن المطلـق جـزء من المعين ملازم له؛ كان الوجود الواجب جـزءا من الموجـودات الممكنـة، وإذا قيـــل: ليس في الخـــارج مطلـــق مغـــاير للأعيـــان الموجودة وهو الصواب؛ إذ ليس في هذا الإنسـان جـواهر (تعد)[2][و][3]ما يوصف[به][4]، فإذا قيل هو جسم حسـاس قـائم متحـرك بـالإرادة نـاطق؛ لم يكن [في][5] الإنسـان المعين جـواهر قائمـة بأنفسـها غـير ذلـك المعين وهـذا المعلوم بالضرورة.

زائـداً على ذاتنـا، وزعمـوا أن ذلـك يـوجب كـثرة، لأن هـذه الصفات لو طرت علينـا لكنـا نعلم أنهـا زائـدة على الـذات إذ تجـددت، فبالتـالي هم لا يثبتـون إلا الوجـود المطلـق. انظـر: تهافت الفلاسفة (ص: 172).

6 () قـال شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: (الوجـود المطلـق بشـرط الإطلاق، أو بشرط سلب الأمـور الثبوتيـة، أو لا بشـرط، ممـا يعلم بصـريح العقـل انتفـاؤه في الخـارج، وإنمـا يوجـد في الـذهن، وهـذا ممـا قـرروه في منطقهم اليونـاني، وبينـوا أن المطلـق بشـرط الإطلاق كإنسـان مطلـق بشـرط الإطلاق، وحيوان مطلق بشرط الإطلاق، وجسم مطلق بشـر الإطلاق، ووجود مطلق بشـرط الإطلاق: لا يكـون إلا في الأذهـان دون الأعيان.

ولمـا أثبت قـدماؤهم الكليـات المجـردة عن الأعيـان الـتي يسمونها المثل الأفاطونية أنكر ذلك حـذاقهم، وقـالوا: هـذه لا تكون إلا في الذهن، ثم الذين ادعـوا ثبـوت هـذه الكليـات في الخارج مجردة قالوا: إنها مجردة عن الأعيـان المحسوسـة ن ويمتنع عندهم أن تكون هذه هي المبدعـة للأعيـان، بـل يمتنـع أن تكون شرطاً في وجود الأعيان، فإنهـا إمـا أن تكـون صـفة للأعيان، أو جزءاً منها.

وصفة الشيء لا تكون خالقة للموصوف، وجـزء الشـيء لا يكون خالقاً للجملة، فلـو قـدر أن في الخـارج وجـوداً مطلقـاً بشرط الإطلاق امتنع أن يكون مبدعاً لغـيره من الموجـودات، بـل امتنـع أن يكـون شـرطاً في وجـود غـيره، فـإذن تكـون المحدثات والممكنات المعلوم حدوثها وافتقارهـا إلى الخـالق المبدع مستغنية عن هذا الوجود المطلق بشرط الإطلاق) درء تعـارض العقـل والنقـل(1/278)، وأيضـا قـال شـيخ الإسـلام:

وعلى هذا فإذا قيل إن الحق هو الوجود المطلق لا بشرط[الإطلاق][1] كان الوجود الواجب هو عين وجود الممكنات، فلا يكون هناك موجودان أحدهما واجب والآخر ممكن، وهذا قول أهل الوحدة وهو تصريح بنفي واجب الوجود المبدع للموجودات الممكنة، وتصريح بأن الوجود الواجب يقبل العدم والحدوث كما نشاهده من حدوث الحوادث وعدمها، وهذا مع أنه كفر صريح فهو من أعظم الجهل القبيح، وكل من قال: إن الرب وجود مطلق (لزمه)[2] هذه الأقوال ونحوها التي مضمونها نفي وجوده، وكذلك إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات أمر يقدره الذهن، وإلا فوجوده في الخارج ممتنع ولفظ "ذات" يقتضي ذلك؛ فإن "ذات" هي في الأصل (تأنيث)[3]

(وبالغت ملاحدة الفلاسفة في نفي الصفات بنفي مسمى التركيب فقالوا: التركيب خمسة أنواع وكلها يجب نفيها عن الله، الأول: التركيب من الوجود والماهية فلا يكون له حقيقة سوى الوجود المطلق بشرط الاطلاق لأنه لو كان له حقيقة مغايرة لذلك لكانت موصوفة بالوجود وحينئذ فيكون الوجود الواجب لازما ومعلولا لتلك الحقيقة فيكون الواجب معلولا، الثاني: التركيب من العام والخاص كتركيب النوع من الجنس والفصل وهذا يجب نفيه، الثالث: التركيب من الذات والصفات وهذا يجب نفيه وهذه الثلاث تركيبات في الكيفية الرابع التركيب في الكم وهو تركيب الجسم من أبعاضه إما من الجواهر المفردة وهو التركيب الحسي وأما من المادة والصورة وهو التركيب العقلي وهذان النوعان هما الرابع والخامس) الصفدية (1/105).

[1]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[2] () في المطبوع: (بعدد).

[3]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[4]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[5]) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

[1]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[2]) في المطبوع: (لزمته).

[3]) في المخطوط: (ثابت).

"ذو"، وأصل الكلمة ذات الصفات، أي: (المتعين)[1] ذات)[2] الصفات فلفظ الــــذات معناه الصاحبة والمستلزمة للصفات هذا من جهة اللفظ[3].

وأما من جهة المعنى فلأن كل موجود لا بد له من حقيقة يختص بها يتميز بها عما سواه، وكل من الموجودات يقال له: ذات؛ فكلها مشتركة في مسمى الذات كما هي مشتركة في مسمى الوجود، فلا بد أن يكون لكل من الذاتين ما تختص به عن الأخرى، كما أنه لا بد لكل من الموجودين ما يميزه عن الآخر، فإذا قدر ذات مطلقة لا اختصاص لها؛ كان ذلك ممتنعا، كوجود مطلق لا اختصاص له، فلا بد أن تختص كل ذات بما يخصها، وذلك الذي يخصها ما توصف به من الخصائص؛ فذات لا (خصيصة)[4] لها توصف بها محال، والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع[5].

والمقصود: التنبيه على مجامع مقالات الناس في هذا المقام، وأن جميع الناس يلزمهم القول بهذه القضية الضرورية التي ذكرها أهل الإثبات، (وهي)[6] امتناع وجود موجودين ليس أحدهما داخلا في الآخر، ولا خارجا عنه، ولا مباينا له ولا محايثا له، وامتناع وجود موجود لا يشار إليه، ولا إلى محله، (وأن)[7] من أنكر هذه القضية لزمه

---

1) في المطبوع: (النفس).

2) مكتوب في هامش المخطوط: (لعل أصله: ذو).

3 () معنى ذو وذوات: ذواسم ناقص وتفسيره صاحب ذلك، كقولك: فلان ذومال أي صاحب مال، وقال الليث في تأنيث ذو ذات: تقول هي ذات مال. انظر: لسان العرب (15/456).

4) في المطبوع: (حقيقة).

5 () انظر مثلا شرح حديث النزول(ص: 11)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، والرد على الشاذلي (1/106)، تحقيق: على بن مجمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، 1429هـ، ودرء تعارض العقل والنقل (5/38).

6) في المطبوع: (وهو).

7 () في المطبوع: (إن).

أحد أمرين: إما الإقرار بقضايا ضرورية هذه أبين منها، وإما جحد عامة القضايا الضرورية[1]، وذكرت مقالات الناس ليتبين مناظرة بعضهم لبعض في هذا المقام.

فيقول المثبتون لمباينته[2] [للعالم وعلوه عليه، المنكرون لكونه جسما أو متحيزا: هو فوق العرش][3] مستو على عرشه ليس بجسم ولا متحيز، فاستواؤه على(العرش)[4] ثابت بالسمع، وعلوه ومباينته معلوم بالعقل مع السمع، وإذا لم يكن متحيزا بطلت دلائل النفاة لكونه على العرش كقولهم: إما أن يكون أكبر من العرش، وإما أن يكون أصغر، وإما أن يكون مساويا للعرش، وكقولهم: إذا كان كذلك كان له مقدار مخصوص فيستدعي مخصصا ونحو ذلك؛ فإن المثبتة تقول لهم: هذا إنما يلزم إذا كان جسما متحيزا؛ فأما إذا كان فوق العرش ولم يكن جسما متحيزا لم يلزم شيء من هذه اللوازم.

وحينئذ فنفاة العلو هم بين أمرين: إن سلموا أنه على العرش - مع أنه ليس بجسم ولا متحيز- بطل كل دليل لهم على نفي علوه على عرشه؛ فإنهم إنما بنوا ذلك على أن علوه على العرش مستلزم لكونه جسما متحيزا، واللازم منتف فينتفي الملزوم؛ فإذا لم تثبت الملازمة لم يكن لهم دليل على النفي، ولا يبقى للنصوص الواردة في الكتاب والسنة بإثبات علوه على العالم ما يعارضها، وهذا هو المطلوب.

وإن قالوا - متى (قلت)[5]:- "على العرش" لزم أن يكون متحيزا أو جوهرا منفردا، وإثبات العلو على العرش مع نفي التحيز معلوم الفساد بالضرورة، قيل لهم: لا

---

1) في المطبوع زيادة: (الحسية).

2) في المطبوع زيادة اسم الجلالة: (الله).

3 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) في المطبوع: (عرشه).

5) في المطبوع: (قلتم).

ريب أن هـذا القـول أقـرب إلى (العقـول)[1] من إثبـات موجود لا داخـل العـالم ولا خارجـه؛ فإنـا إذا عرضـنا على عقول العقلاء قول قائلين: أحدهما يقول بوجود موجـود[2] لا داخل العالم ولا خارجه، وآخر يقول بوجود موجود خارج العالم وليس بجسم كان القول الأول أبعـد عن (العقـول)[3] وكانت الفطرة والضرورة للأول أعظم إنكارا؛ فإن كـان حكم هـذه الفطـرة والضـرورة مقبـولا لـزم بطلان الأول، وإن لم يكن مقبولالم يجز إنكـارهم للقـول الثـاني، وعلى التقديرين لا يبقى لهم حجة على أنه ليس بخـارج العـالم، وهو المطلوب.

وهذا تقرير لا حيلة لهم فيه يبين بـه تنـاقض أصـولهم، وأنهم يقبلـون حكم الفطـرة ويردونـه بالتشـهي والتحكم؛ بل يـردون من أحكـام الفطـرة والضـرورة مـا هـو أقـوى وأبين (وأجلى)[4] للعقول مما يقبلونه.

والمقصود هنا بيان أنه مباين للعـالم خـارج عنـه، وهم إنما ينفون ذلك بأنه يستلزم أن يكون متحيزا؛ إمـا جسـما وإمـا جـوهرا منفـردا؛ وذلـك أنـه إن كـان مـا يحـاذي هـذا الجـانب من العـرش غـير مـا يحـاذي هـذا الجـانب كـان منقسما وكان جسما، وإن لم يكن غـيره كـان في الصـغر بمنزلة الجوهر الفرد وهذا لا يقوله (عاقل)[5].

فإذا قال لهم طوائف من المثبتة: يمكن أن يكون فوق العرش ولا يقبل إثبات هذه المحـاذاة ولا نفيهـا؛ لأن ذلـك إنما يكون أن لو كان متحـيزا؛ فـإذا لم يكن متحـيزا أمكن أن يكون فوق العالم ولا يوصف بإثبات ذلـك ولا (نفيـه)[6]، (فإن)[7] إثبات العلو مـع عـدم المحـاذاة والمسـامتة غـير

1) في المطبوع: (المعقول).
2) في المطبوع زيادة: (خارج).
3) في المطبوع: (المعقول).
4) في المطبوع: (وأبده).
5) في المخطوط: (عاقلا).
6) في المطبوع: (بنفيه).
7) في المطبوع: (وقالوا).

معقول أو معلوم الفساد.

فيقال لهم: إثبات الوجود مع عدم المباينة والمحايثة، والدخول والخروج، أبعد عن العقل وأبين فسادا في المعقول، وكل عاقل سليم الفطرة إذا عرضت عليه وجود موجود خارج العالم غير (محاذي[1] للعالم، ووجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه تكون نفرة فطرته عن الثاني أعظم وإن قدر أن فطرته تقبل الثاني فقبولها للأول أعظم.

وحينئذ فما يذكره النفاة من (إثبات)[2]وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، إما أن يكون مقبولا وإما أن لا يكون، فإن لم يكن مقبولا بطل أصل قولهم، وإن كان مقبولا فكلما دل على ذلك كانت دلالته على إمكان وجود موجود خارج العالم ليس بمتحيز أقوى وأظهر؛ فإنه إذا ثبت أن هذا ممكن في العقل فذاك أولى بالإمكان، وإذا كان ذلك ممكنا لم يكن ما يذكرونه من الأدلة على نفي التحيز نافيا لعلوه على العالم وارتفاعه على عرشه، فلا يكون لهم دليل على نفي ذلك وهذا هو المطلوب.

فإذا بطل ما ينفون به ذلك؛ فمعلوم أن السمعيات تدل على ذلك إما دلالة قطعية وإما ظاهرة، والظواهر التي لا معارض لها لا يجوز صرفها عن ظواهرها؛ فكيف إذا قيل: إن العلو والمباينة معلوم بالفطرة والضرورة والأدلة العقلية النظرية كما هو مبسوط في موضعه[3].

ومما يوضح هذا أن النفاة إذا أثبتوا موجودا لا داخل العالم ولا خارجه فإنهم لا (يثبتون بالضرورة)[4] لا وجوده ولا إمكان وجوده بل كلاهما يثبتونه بالنظر؛ بخلاف المثبتة فإنهم يقولون: امتناع هذا معلوم بالضرورة، وقد يقولون:

---

[1]) في المطبوع: (محايث).

[2]) في المطبوع: (إمكان).

[3] () انظر في ذلك مثلا: الفتوى الحموية الكبرى (ص: 201)، تحقيق: دكتور حمد بن عبدالمحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، 1425هـ.

[4]) في المطبوع: (يثبتونه بضرورة).

علو الخالق معلوم أيضا بالفطرة التي فطر الناس عليها التي هي من أقوى العلوم الضرورية؛ فإن ما فطر الناس عليه من المعارف أقوى من كونهم مضطرين إليه من المعارف التي لا يضطرون إليها إلا بعد تصور طرفيها، (و)[1] بعد نوع من التأمل.

والضروري قد يفسر بما يلزم نفس المخلوق لزوما لا (يمكن)[2] الانفكاك عنه، وقد يفسر بما يحصل للعبد بدون كسبه واختياره.

والمقصود أن القول بوجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه؛ لم يقل أحد من العقلاء إنه معلوم بالضرورة، وكذلك سائر لوازم هذا القول، مثل كونه ليس بجسم ولا متحيز ونحو ذلك لم يقل أحد من العقلاء إن هذا النفي معلوم بالضرورة؛ بل (غاية)[3] ما يدعى في ذلك أنه من العلوم النظرية، والعلوم النظرية لا بد أن تنتهي إلى مقدمات ضرورية؛ وإلا لزم الدور القَبْلي[4]، والتسلسل[5] فيما له مبدأ حادث وكل[من][6] هذين معلوم الفساد بالضرورة متفق على فساده بين العقلاء.

وإذا كان كذلك؛ فما من مقدمة ضرورية يبنى عليها الإمكان و[7]الإثبات كوجود موجود لا داخل العالم ولا

1) في المطبوع: (أو).

2) في المطبوع: (لا يمكنه).

3) في المطبوع: (عامة).

4 () الدور دوران، الأول: الدور القبلي، والثاني: الدور المعي، فالدور القبلي: مثل أن يقال لا يكون هذا إلا بعد ذاك، ولا يكون ذاك إلا بعد هذا، فهذا ممتنع باتفاق العقلاء، ومثلا لو نقول: لو كان جميع الموجودات ممكناً مفتقراً إلى فاعل غيره؛ فذلك الغير إن كان هو الغير الفاعل له؛ لزم كون كل منهما فاعلاً للآخر، وهذا من الدور القبلي الممتنع باتفاق العقلاء، وأما الدور المعي الاقتراني، مثل أن يقال: لا يكون هذا إلا مع ذاك، لا قبله ولا بعده؛ فهذا جائز، كما إذا قيل: لا تكون الأبوة إلا مع البنوة. انظر: درء تعارض العقل والنقل (3/145)، والصفدية (1/12).

5 () التسلسل سبق الكلام عليه في رسالة الصفات الإختيارية.

6) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

7) في المطبوع: (أو).

خارجه؛ [و][1]إلا وانتفاء هذه النتيجة أقـوى في العقـل من تلك المقدمة، والجزم بكونها ضرورية[الانتفاء][2](أولى)[3] من الجزم بكون مقدمة الدليل المعارض ضرورية.

يوضـح ذلـك: أن المعـارض غايتـه أن يقـول: لـو كـان خارج العالم لكان جسما أو لكان متحـيزا[4]، وذلـك منتـف فلا يكون خارج العـالم؛ والـدليل (الـذي)[5] ينفـون [بـه][6] ذلك؛ مقدماته فيها من الخفاء والاشتباه مـا لا يخفى على من نظر في ذلك، وبسبب ما فيهـا من الخفـاء والاشـتباه أحســن الظن بهـا كثـير من النــاس، وحُسْــن ظنهم بهـا مستند إلى تقليد من قالها؛ لا إلى جزم عقولهم بهـا؛ فهم ينهون العامة عن تقليد الرسل فيما أخبرت به من صفات الله تعالى؛ لزعمهم أن العقـل عارضـها؛ مـع الجـزم بـأن الرســل لا تقــول إلا حقــا، وهم يقلــدون رؤوســهم في معارضة ذلك بمقـدمات يزعمونهـا عقليـات، وأتبـاعهم لم تجزم بها عقولهم لكنهم يقلدون رؤوسهم فيها.

ولهذا تجدهم إذا حققوا الأمر فيها ونوزعـوا فيهـا، وبُيِّن لهم مستند المنع فيها لجأوا إلى الجهل الصـريح، فإمـا أن يحيلوا بالجواب على من مات وغاب، وهـو عنـد التحقيـق

---

[1]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[2] () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[3]) في المطبوع: (أقوى).

[4] () ومن أمثال هؤلاء المعارضين الغـزالي حيث يـؤول معـنى الاستواء، ويقـول: (وهـو الـذي لا ينـافي وصـف الكبريـاء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء، حيث قال في القرآن: [illegible] وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء، كما قال الشاعر: قـد استوى بشـر على العـراق. . . من غـير سـيف ودم مهـراق)، وقال أيضا: (وحمـل قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((الحجـر الأسود يمين الله في أرضه)) على التشريف والإكرام، لأنه لو ترك على ظاهره، للزم منه المحال، فكذا الاستواء، لـو تـرك على الاسـتقرار والتمكن، لــزم منــه كــون المتمكن جســما مماسا للعرض، إما مثله، أو أكبر منه، أو أصغر، وذلك محال، ومـا يـؤدي إلى المحـال، فهـو محـال)، قواعـد العقائـد (ص: 168).

[5]) في المخطوط: (الذين).

[6]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

(أَدْخَل)[1] منهم في الارتياب والاضطراب، وإما أن يخرجوا عما يجب في المناظرة والجدال إلى حال أهل الظلم وسفهاء الرجال، وإما أن يتوهموا أن هذا كفر يخالف الدين، وهم في قولهم قد خالفوا الكتاب والرسول واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وقالوا ما لم يقله أحد من الصحابة والتابعين ولا غيرهم من أئمة المسلمين.

ومما يوضح الأمر في ذلك أن النفاة ليس لهم دليل واحد اتفقوا على مقدماته؛ بل كل طائفة تقدح في دليل الأخرى؛ فالفلاسفة تقدح في دليل المعتزلة على نفي الصفات؛ بل على نفي الجسم والتحيز ونحو ذلك؛ لأن دليل المعتزلة مبني على أن القديم لا يكون (حاملا)[2] للصفات والحركات فلا يكون جسما ولا متحيزا؛ لأن الصفات أعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث الأعراض والحركات، وأن الجسم لا يخلو منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث[3]، بل الأشعري نفسه ذكر في رسالته إلى أهل الثغر: أن هذا الدليل الذي استدلوا به على حدوث العالم وهو الاستدلال على حدوث الأجسام بحدوث أعراضها، هو دليل محرم في شرائع الأنبياء لم يستدل به أحد من الرسل وأتباعهم[4]، وذكر

---

[1]) في المطبوع: (أوغل).

[2]) في المطبوع: (محلا).

[3] () قال القاضي عبد الجبار: (فإذا قد عرفت ذلك وأردت أن تستدل بالأعراض على الله تعالى، فمن حقك أن تثبتها أولا، ثم تعلم، حدوثها، ثم تعلم أنها تحتاج إلى محدث وفاعل مخالف لنا وهو الله تعالى... وإذا قد عرفت حدوثها، فالذي يدل على أنها تحتاج إلى محدث وفاعل، فهو ما قد ثبت أن تصرفاتنا في الشاهد محتاجة إلينا ومتعلقة بنا، وإنما احتاجت إلينا لحدوثها، فلكل ما شاركها في الحدوث وجب أن يشاركها في الاحتياج إلى محدث وفاعل، فعلى هذا الطريقة يجري الكلام في ذلك) شرح الأصول الخمسة (ص: 92-94).

[4] () انظر كلام أبي الحسن الأشعري في ذلك في الكتاب: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: 105-107)، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي

في مصنف له آخر بيان عجز المعتزلة عن إقامة الدليل على نفي أنه جسم[1]، وأبو حامد الغزالي وغيره من أئمة النظر بينوا فساد طريق الفلاسفة التي نفوا بها الصفات وبينوا عجزهم عن إقامة دليل [على][2] نفي أنه جسم؛ بل (عن دليل)[3] على التوحيد وأنه لا يمكن نفي الجسم إلا بالطريق الأول الذي هو طريق المعتزلة الذي ذكر فيه الأشعري (فيما)[4] ذكر[5].

فإذا كان كل من(فضلاء النظار وأزكيائهم)[6] يقدح في مقدمات دليل الفريق الآخر الذي يزعم أنه بني عليه النفي؛ كان في هذا دليل على أن (هذه)[7] المقدمات [الضرورية][8] ليست ضرورية؛ إذ الضروريات لا يمكن القدح فيها، وإن قيل: إن هؤلاء قدحوا في هذه المقدمات الضرورية، قيل: فإذا جَوَّزْتم على أئمة النفاة أن يقدحوا بالباطل في المقدمات الضرورية (فالتي)[9] يستدل بها أهل الإثبات أولى وأحرى.

وقد بسط في غير هذا الموضع الكلام على أدلة النفاة، ومقدمات تلك الأدلة على وجه التفصيل، (حيث تبين)[10] لكل [ذي][11] عقل خروج أصحابها عن سواء السبيل وأنهم قوم

بالجامعة الإسلامية، 1413هـ.

1 () ألف الأشعري كتابا في هذا سماه: (مسألة تعريف عجز المعتزلة عن جواب الجسمية) ولم أره مطبوعا.

2) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3) في المطبوع: (وعجزهم عن إقامة دليل).

4) في المطبوع: (ما ذكر).

5 () انظر: تهافت الفلاسفة (ص: 193-195)، مسألة في تعجيزهم عن إقامة الدليل على أن الأول ليس بجسم.

6) في المطبوع: (أذكياء النظار وفضلائهم).

7) في المطبوع: (تلك).

8 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع، ولعل المقصود من ذلك أنها ضرورية على حسب قولهم وزعمهم.

9) في المخطوط: (التي).

10) في المطبوع: (بحيث يبين).

11) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

سفسطوا[1] في العقليات وقرمطوا[2] في السمعيات ليس معهم على نفيهم لا عقل ولا سمع ولا رأي سديد ولا شرع؛ بل معهم شبهات يظنها من يتأملها بينات ﴿ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ﴾[3].

ولهذا تغلب عليهم الحيرة والارتياب والشك والاضطراب، وقد صارت تلك الشبهات عندهم مقدمات مسلمة يظنونها عقليات أو برهانيات وإنما هي مسلمات لما فيها من (الاشتباه والاشتراك)[4]، فلا تجد لهم مقدمة إلا وفيها ألفاظ مشتبهة فيها من الإجمال والالتباس ما يضل بها من يضل من الناس (فكيف)[5] تكون النتيجة المثبتة بمثل هذه المقدمات (رافعة)[6] لتلك القضايا الضروريات؟ وهذا الذي قد نبه عليه في هذا المقام كلما أمعن الناظر فيه؛ وفيما تكلم أهل النفي فيه ازداد بصيرة ومعرفة بما فيه؛ فإنه لا يتصور أن يبنى النفي على مقدمات ضرورية تساوي في جزم العقل بها مقدمات أهل الإثبات الجازمة [بفساد نتيجة قول النفاة وإذا كان العقل جازما][7](بفساد)[8] نتيجتهم وهو قولهم: إنه موجود لا داخل العالم ولا خارجه جزما لا يساويه فيه جزم العقل بالمقدمات التي تبنى عليها هذه النتيجة (النافعة)[9]؛ امتنع أن يزول ذلك الجزم العقلي الضروري بنتيجة مقدمات ليست مثله في الجزم.

وهذا الكلام قبل النظر في تلك المقدمات المعارضة

---

1 () سبق التعريف بها.

2 () قرمطوا مأخوذ من القرامطة الباطنية، أي: الذين يعتقدون باعتقادهم في السمعيات على أن النصوص لها ظاهر وباطن، وقد سبق تعريف القرامطة وبيان معتقداته في رسالة معارج الوصول.

3 () النور 39

4) في المطبوع: (الاشتراك والاشتباه).

5) في المطبوع: (وكيف).

6) في المطبوع: (دافعة).

7) ما بين المعقوفين سقطت من المطبوع.

8 () في المطبوع: (لفساد).

9) في المطبوع: (الثابتة).

لهذا الجزم هل هي صحيحة (أم)[1] فاسدة؟ وإنما المقصود هنا أنه لا يصلح (للناظر)[2] ولا يقبل (منالناظر)[3] أن يعارض هذا الجزم المستقر في الفطرة بما يزعمه من الأدلة النظرية وهذا المقام كاف في دفعه؛ وإن لم (يحل)[4] شبهاته كما يكفي في دفع (السوفسطائي)[5] أن يقال[له][6](فيما ينفيه)[7]: [هذه][8] قضايا ضرورية فلا يقبل نفيها بما يذكر من الشبه النظرية.

وأما الجواب الثاني التفصيلي: فهو بيان فساد حجج النفاة على (إمكان[9] ما ادعوه، قالت المثبتة: ما ذكرتموه من الحجج على إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارجه حجج (سوفسطائية)[10]، (أما)[11] الإنسانية المشتركة بين الأناسي ونحوها من الكليات فهذه لا يقال إنها موجودة خارج الذهن لا داخل العالم ولا خارجه؛ فإنها أمور ثابتة في الذهن والتصور وإذا قيل إنها موجودة في الخارج فلا بد أن تكون عينا قائمة بنفسها أو صفة قائمة بالعين، ولا ريب أنها لا توجد في الخارج كلية مطلقة[12] بشرط الإطلاق، وإنما توجد في الخارج معينة مشخصة.

فقول القائل: إن التفتيش يخرج من المحسوس ما هو معقول إن أراد[13] أنه معقول ثابت في العقل؛ فما هو ثابت في العقل ليس هو الموجود في الخارج بعينه.

---

1) في المطبوع: (أو).
2) في المطبوع: (للمناظرة).
3) في المطبوع: (في المناظرة).
4) في المطبوع: (تحل).
5 () سبق تعريف السفسطة قبل قليل.
6 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
7 () في المطبوع: (إنما تنفيه).
8) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
9) في المخطوط: (أن كان).
10 () في المطبوع: (سوفسطائي).
11) في المخطوط: (أن).
12) في المطبوع زيادة: (بشرط ما هو معقول).
13) في المطبوع زيادة: (به).

وإن أراد (يخرج من)[1] المحسوس الموجود في الخارج أمرا معقولا ليس هو في الذهن فهذا باطل؛ فليس في الإنسان المعين إلا ما هو معين وهو هذا الإنسان المعين؛ بدنه وروحه وصفاته[2] وهذا كله أمر معين مقيد مشخص ليس هو كليا ولا مطلقا.

وما (ذكره مع إثبات المتباينين)[3] عقولا ونفوسا لا داخل العالم ولا خارجه ليس بحجة بل هم مخصومون بهذه الحجة وغيرها كما يخصم بها نظراؤهم؛ لا سيما وقولهم بذلك أبين فسادا وأدحض حجة من أقوال نفاة الصفات والعلو، فكيف يستدل على القول بما هو أضعف منه وأبعد عن الحق؟ وقد علم أن عامة العقلاء من أهل الملل وغيرهم يردون هذا عليهم.

وأما قوله: إنهم لم يكونوا بذلك قائلين ما يعلم فساده بالضرورة؛ فليس الأمر كذلك؛ بل المثبتة الذين يقولون: إن الموجودين لا بد أن يكونا متباينين أو متحايثين، يقولون: إن ما ادعاه هؤلاء مما يخالف هذا معلوم الفساد بالضرورة.

بل أئمة أهل الكلام النافون للعلو يدعون (الأمر)[4] الضروري بأن الممكن إما جسم (وإما)[5] قائم بجسم[6]، وإنما أثبته هؤلاء المتفلسفة من موجودات ممكنة ليست أجساما ولا أعراضا قائمة بالأجسام كالعقل والنفس والهيولي[7] والصورة التي يدعون أنها جواهر

---

1) في المطبوع: (أن في).
2) في المخطوط زيادة: (ذلك).
3) في المخطوط: (وما ذكرتموه من إثبات المشائين)، والمشائين: من المشي، وكان أفلاطون يلقن الحكمة ماشيا، تعظيما لها، وتابعه على ذلك أرسطوطاليس، ويسمى هو وأصحابه المشائين. انظر: الملل والنحل (2/160).
4) في المطبوع: (العلم).
5) في المطبوع: (أو).
6) () انظر: تهافت الفلاسفة (ص: 176، 193).
7) () الهيولي: لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة، وفي

عقلية[1] موجودة خارج الذهن ليست أجساما ولا أعراضا لأجسام، فإن (أئمة)[2] النظر يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة، كما ذكر ذلك أبو المعالي الجويني[3] وأمثاله من أئمة النظر والكلام[4].

ومن لم يهتد لهذا كالشهرستاني والرازي والآمدي ونحوهم فهم ناظروا الفلاسفة مناظرة ضعيفة، ولم يثبتوا فساد أصولهم كما بين ذلك أئمة النظر الذين هم أجل

الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية، والنوعية، وقيل: كل جسم يعمل منه الصانع وفيه صنعة كالخشب للنجارين والحديد للحدادين ونحو ذلك فذلك الجسم هو الهيولي، كذلك الشيء المصنوع، انظر: التعريفات للجرجاني (ص: 257)، والكليات معجم في المصطحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الحنفي(ص: 951)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ.

1 () الجواهر العقلية: مصطلح فلسفي يطلقونها على الملائكة، ويعتقدون أن الملائكة هي العقول والنفوس المجردة وهي الجواهر العقلية، وانظر: منهاج السنة النبوية (2/553).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الفلاسفة أنهم يعتقدون أن: (الجواهر العقلية، أربعة، وهي: العقل، والنفس، والمادة، والصورة، وطائفة منهم كشيعة أفلاطون تثبت جوهرا عقليا هو الدهر، وجوهرا عقليا هو الخير، وتثبت جوهرا عقليا هو المادة الأولى المعارضة للصورة، وكل هذه العقليات التي يثبتونها إذا حققت غاية التحقيق تبين أنها أمور معقولة في النفس، فيتصورها في نفسه، فهي معقولات في قلبه، وهي مجردة عن جزئياتها الموجودة في الخارج ; فإن العقل دائما ينتزع من الأعيان المعينة المشهودة كليات مشتركة عقلية، كما يتصور زيدا وعمرا وبكرا، ثم يتصور إنسانا مشتركا كليا ينطبق على زيد وعمرو وبكر، ولكن هذا المشترك إنما هو في قلبه وذهنه، يعقله بقلبه، ليس في الخارج إنسان مشترك كلي يشترك فيه هذا وهذا، بل كل إنسان يختص بذاته وصفاته، لا يشاركه غيره في شيء مما قام به قط). منهاج السنة النبوية(5/448).

منهم، وسلم هؤلاء للفلاسفة[1] مقدمات باطلة استزلوهم بها عن أشياء من الحق بخلاف أئمة[2] النظر كالقاضي أبي بكر[3]، وأبي المعالي الجويني، وأبي حامد الغزالي، وأبي الحسين البصري، وأبي عبد الله [محمد][4] بن الهيصم الكرامي[5]، وأبي الوفاء علي بن عقيل.

ومن قبل هؤلاء: مثل أبي علي الجبائي[6]،

2) في المطبوع: (أهل).

3 () لأن أبو المعالي الجويني وغيره من أئمة النظر يعتقدون بالمباينة بين واجب الوجود وبين ممكن الوجود فبالتالي هم لا يقرون بوجود موجود خارج عن الأذهان خلاف الفلاسفة الذين يثبتون ذلك، فالعالَم عند أبي المعالي عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى أو بألفاظ آخر عبارة عن الجوهر والأعراض، وصانع العالم أزلي الوجود قديم الذات، وهو حي عالم بجميع المعلومات قادر على جميع المقدورات، وغير ذلك من المعتقدات التي يظهر منها جليا الفرق بين الموجودين ومباينتهما. انظر (بتصرف): لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني (86، 93، 94)، تحقيق: فوقية حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، 1407هـ.

4 () أئمة النظر يعتقدون أن كل موجود فهو إما واجب لذاته أو ممكن لذاته، أما الواجب لذاته فله خواص، الأول: أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يكون واجبا لذاته ولغيره معا، لأن الواجب لذاته هو الذي لا يتوقف على الغير، والواجب لغيره، هو الذي يتوقف على الغير، فكونه واجبا لذاته ولغيره معا، يوجب الجمع بين النقيضين، الثاني: أن الواجب لذاته لا يكون مركبا، لأن كل مركب فإنه يفتقر إلى جزئه، وجزؤه غيره، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره، المفتقر إلى الغير لا يكون واجبا لذاته على ما ثبت تقريره، الثالث: الوجوب بالذات لا يكون مفهوما ثبوتيا، وإلا لكان إما تمام الماهية، أو جزءا منها، أو خارجا عنها، والأول باطل، لأن صريح العقل ناطق بالفرق بين الواجب لذاته وبين نفس الوجوب بالذات وأيضا فكله حقيقة الله تعالى غير معلوم ووجوبه بالذات معلوم، والثاني باطل وإلا لزم كون الواجب لذاته مركبا، والثالث

وابنه أبي هاشم[1]، وأبي الحسن الأشعري، والحسن بن يحيى (النوبختي)[2] [3].

ومن قبل هؤلاء: كأبي عبد الله محمد بن كرام[4]، وابن كلاب، وجعفر بن مبشر)[5][6]، وجعفر بن حرب[7]، وأبي إسحاق النظام[8]، وأبو الهذيل العلاف[9]، وعمرو بن بحر الجاحظ[10]، وهشام الجواليقي[11]،

أيضا باطل لأن كل صفة خارجة عن الماهية لاحقة بها، فهي مفتقرة إليها، وكل مفتقر إلى الغير ممكن لذاته، فيكون واجبا بغيره، فيلزم أن يكون الوجوب بالذات ممكنا لذاته واجبا لغيره وهو محال، فمن هنا يظهر جليا أن أئمة النظر يفرقون بين الموجودين متباينين ولا يقرون بوجود موجود خارج الزهن ليست أجساما ولا أعراضا لأجسام. انظر: معالم أصول الدين (ص: 31-33)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي لبنان.

1) في المطبوع زيادة: (مناظرة ضعيفة ولم يبينوا فساد أصولهم؛ إلى).

2) في المطبوع زيادة: (أهل).

3 () هو الباقلاني.

4 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5 () محمد بن الهيصم أبوعبد الله، شيخ الكرامية، وعالمهم في وقته بخراسان، قال الذهبي: (وهو الذي ناظر الإمام أبا بكر بن فورك، بحضرة السلطان محمود بن سبكتكين. وليس للكرامية مثله في معرفة الكلام والنظر، فهو في زمانه رأس طائفته وأخبرهم وأخبثهم)، توفي ما بين عام401هـ وعام 410هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (9/171).

6 () أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، وله: كتاب (الأصول)، وكتاب (النهي عن المنكر)، وكتاب (التعديل والتجويز)، مات بالبصرة، سنة ثلاث وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (14/183).

1 () عبد السلام ابن أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، المعتزلي، من كبار الأذكياء، أخذ عن والده، وله: كتاب (الجامع الكبير)، وكتاب (العرض)، وكتاب (المسائل العسكرية)، وأشياء، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، وله عدة تلامذة. انظر: سير أعلام النبلاء (15/63).

وهشام بن الحكم[1]، وحسين بن محمد النجار[2]، وضرار بن عمرو الكوفي[3]، وأبي عيسى محمد بن عيسى [بن][4] برغوث[5]، وحفص الفرد[6]، وغير هؤلاء ممن لا يحصيهم إلا الله من أئمة[7] النظر والكلام [وغير هولاء][8]؛ فإن مناظرة هؤلاء للمتفلسفة خير من مناظرة أولئك، [وهؤلاء][9] وغيرهم لا يسلمون للفلاسفة إمكان وجود ممكن لا هو جسم ولا قائم بجسم.

2) في المخطوط: (البوشخجي)، وهو تصحيف والله أعلم.

3 () أبو محمد الحسن بن يحي النوبختي، قال الخطيب: (ثم وقع إلي كتاب لأبي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة، وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الإمامية). انظر: تاريخ بغداد (7/408)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، وانظر: تاريخ الإسلام (20/303).

4 () محمد بن كرام السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية، يروي الواهيات - كما قال: ابن حبان - خذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها، ثم جالس الجويباري، وابن تميم، ولعلهما قد وضعا مائة ألف حديث، قال الذهبي: (كان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب، وعمل جوارح، مات سنة خمس وخمسين ومائتين). انظر: سير أعلام النبلاء (11/523).

5) في المخطوط: (بشر).

6 () جعفر بن مبشر بن أحمد بن محمد، أبو محمد الثقفي المتكلم، أحد المعتزلة البغداديين، له كتب مصنفة في الكلام، صنف: كتاب (الأشربة)، وكتابا في (السنن)، وكتاب (الاجتهاد)، وكتاب (تنزيه الأنبياء)، توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين. انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (11/211)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ، وسير أعلام النبلاء (10/549).

7 () أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني، المعتزلي، وله كتاب (متشابه القرآن)، وكتاب (الاستقصاء)، وكتاب (الرد على أصحاب الطبائع)، وكتاب (الأصول)، وتوفي سنة ست وثلاثين ومائتين، عن نحو ستين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (10/549).

8 () سبق ترجمته.

9 () أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل البصري، رأس المعتزلة،

بل قد صرح أئمتهم بأن بطلان هذا القسم الثالث معلـوم بالضــرورة بــل قــد بين أبــو محمد[1] ابن كلاب[2] إمــام الصفاتية كأبي العبـــــاس القـــــلانسي[3]، وأبي الحسن الأشعري[4]، وأبي عبــــد الله بن مجـــــاهد[5]، وغـيرهم[6] إنحصار الموجودات في المباين والمحايث، وأن قــول من أثبت موجــودا غــير مبــاين ولا محــايث معلــوم الفســاد

الذي زعم أن نعيم الجنـة وعـذاب النـار ينتهي، بحيث إن حركـات أهـل الجنـة تسـكن، حـتى لا ينطقـون بكلمـة، وأنكـر الصـفات المقدسة حتى العلم والقدرة، وقال: هما الله، وأن لما يقـدر اللـه عليه نهاية وآخرا، وأن للقدرة نهايـة لـو خـرجت إلى الفعـل، فـإن خرجت، لم تقدر على، قال الذهبي: (وهـذا كفـر وإلحـاد)، وطـال عمر أبي الهذيل، وجاوز التسعين، وانقلع في سنة سبع وعشـرين ومائتين. سير أعلام النبلاء (10/542).

10 () الجاحـظ أبـو عثمـان عمـرو بن بحـر بن محبـوب البصـري، المعتزلي، صاحب التصانيف، أخذ عن: النظام، قال الذهبي: (كان ماجنا، قليل الدين، له نوادر) وله: كتاب (الحيـوان)، وأضـاف إليـه كتـاب (النسـاء)، وهـو فـرق مـا بين الـذكر والأنـثى، مـات سـنة خمسين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (11/527).

11 () هشام بن سالم الجواليقي، وإليه ينتسـب الفرقـة الهشـامية، وكان يـزعم أن معبـوده جسـم على صـورة الإنسـان، لكنـه ليس بلحم، ولا دم، نور ساطع يتلألأ بياضا، وله حـواس خمس كحـواس الإنسان، ونصفه الأعلى مجوف، ونصفه الأسـفل مصـمت، وعنـه أخذ داود الجواربي قوله: إن معبوده له جميـع أعضـاء الإنسـان إلا الفرج واللحية. انظر: اللبـاب في تهـذيب الأنسـاب (3/389)، دار صادر، بيروت، 1400هـ.

1 () هشـام بن الحكم الكـوفي، الرافضـي، المشـبه، المعـثر، ولـه نظـر، وجـدل، وتواليـف كثـيرة. قـال ابن حـزم: جمهـور متكلمي الرافضة كهشام بن الحكم، وتلميذه أبي علي الصـكاك، وغيرهمـا يقولـون: بـأن علم اللـه محـدث، وأنـه لم يعلم شـيئا في الأزل، فأحدث لنفسه علما، قـال: وقـال هشـام بن الحكم في مناظرتـه لأبي الهذيل: إن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه. انظـر: سـير أعلام النبلاء (10/543).

2 () الحسين بن محمد النجـار الـرازي، وكـان ينفى عـذاب القـبر، ورؤية الرب، وكان يقول بخلق القرآن على مـا نقـل عنـه، وكـان يقول: إن كلام الله حـادث، وإنـه إذا قـرئ فهـو عـرض، وإذا كتب

بالضـرورة مثـل مـا بين أولئـك انحصـار الممكنـات في الأجسام وأعراضها[1][2].

وطوائف من النظار قالوا: مـا ثم موجـود إلا جسـم أو قائم بجسم إذا فسـر الجسـم بـالمعنى الاصـطلاحي[3]: لا اللغوي كما هو مستقر في فطر العامة، وهـذا قـول كثـير من الفلاسفة أو أكثرهم وكذلك أيضا الأئمة الكبار كالإمام أحمـد في رده على الجهمية[4]، وعبـد العـزيز

فهو جسـم، وهـذا كفـر عظيم، لأنـه يلـزمهم على هـذا القـول أن يقولـوا إن كلام اللـه إذا كتب بـدم أو شـيء نجس، صـارت تلـك الحروف المقطعـة من الـدم والنجاسـة كلامـا للـه، فيصـير الـدم وغـيره من الأنجـاس كلامـا للـه، وزعم أن الخشـب والحجـر إذا نقرت فيه الحروف آية من الآيات، فصارت الأجـزاء من الخشـب والحجر، كلاما لله بعد أن كانت خشـبا أو حجـرا، تـوفي بعـد سـنة أربع وثلاثين وخمسمائة. انظر: الأنساب للسمعاني (ص: 37).

3 () ضرار بن عمرو الكوفي، من رؤوس المعتزلة، شيخ الضرارية، قال: يمكن أن يكون جميع الأمـة في البـاطن كفـارا، لجـواز ذلـك على كل فرد منهم، ويقول: الأجسام إنمـا هي أعـراض مجتمعـة، وإن النـار لا حـر فيهـا، ولا في الثلج بـرد، ولا في العسـل حلاوة، وإنما يخلق ذلـك عنـد الـذوق واللمس، وقـال حنبـل: دخلت على ضرار ببغداد، وكان مشوها، وبه فالج، وكان معتزليا، فـأنكر الجنـة والنار، وقـال: اختلـف فيهمـا: هـل خلقتـا بعـد أم لا؟ فـوثب عليـه أصحاب الحديث، وضربوه. قالوا: أخفاه يحيى بن خالد حتى مات، قلت(أي الإمام الذهبي): هـذا يـدل على موتـه في زمن الرشـيد. انظر: سير أعلام النبلاء (10/544).

4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5 () برغوث محمد بن عيسى الجهمي، وهو رأس البدعة، أحـد من كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة، صنف: كتـاب (الاسـتطاعة)، وكتاب (المقالات)، وكتاب (الاجتهاد)، وكتاب (الرد على جعفـر بن حـرب)، وكتـاب (المضـاهاة)، قيـل: تـوفي سـنة أربعين ومـائتين، وقيل: سنة إحدى وأربعين. انظر: سير أعلام النبلاء (10/554).

6 () حفص الفـرد، مبتـدع، قـال النسـائي: صـاحب كلام لا يكتب حديثه، قال محمد بن إسحاق بن خزيمـة: سـمعت الربيـع يقـول: لمـا كلم الشـافعي حفص الفـرد، فقـال حفص: القـرآن مخلـوق، فقال له الشافعي: كفرت بالله العظيم، انظر: لسـان المـيزان (2/330)، وانظر: سير أعلام النبلاء (8/246).

7) في المطبوع زيادة: (أهل).

المكي[1] في رده على الجهمية، وغيرهما بينوا أن ما ادعاه النفاة من إثبات قسم ثالث ليس بمباين ولا محايث معلوم الفساد بصريح العقل، وأن (هذا[2] من القضايا البينة التي يعلمها العقلاء بعقولهم.

وإثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لم يتكلم به أحد من السلف والأئمة؛ كما لم يثبتوا لفظ التحيز ولا نفوه، ولا لفظ الجهة ولا نفوه، ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة ونفوا مماثلة المخلوقات، ومن نظر في

---

8) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

9) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

1) في المطبوع زيادة: (عبد الله بن سعيد).

2 () سبق ترجمته في رسالة مسألة في الإستواء والنزول.

3 () أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي من معاصري أبي الحسن رحمه الله لا من تلامذته كما قال الأهوازي وهو من جملة العلماء الكبار الأثبات واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات، انظر: تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص: 398)، دار الفكر، دمشق، 1399هـ.

4 () سبق ترجمته في الصفات الإختيارية.

5 () محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد أبو عبد الله الطائي المتكلم صاحب أبي الحسن الأشعري، وهو من أهل البصرة، سكن ببغداد، وعليه درس القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الكلام، وله كتب حسان في الأصول، وذكر لنا غير واحد من شيوخنا عنه، أنه كان حسن السيرة، حسن التدين، جميل الطريقة، وكان أبو بكر البرقاني يثني عليه ثناء حسنا، وقد أدركه ببغداد فيما أحسب والله أعلم. انظر: تاريخ بغداد (2/200).

6) في المطبوع زيادة: (من).

1) في المطبوع زيادة: (وأبلغ).

2 () وأبو الحسن الأشعري صرح بالفرق بين المباين والمحايث في الموجودات حيث يقر بأن الله مستوى على عرشه، فيقول: (إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار، كما قال: ﴿ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﴾، وقد قال تعالى: ﴿ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﴾. . . فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه استواء منزها عن

كلام الناس في هذا الباب وجد عامة المشهورين بالعقل والعلم يصرحون بأن إثبات وجود موجود لا محايث للآخر ولا مباين ونحو ذلك معلوم الفساد[1] بصريح العقل وضرورته.

وأما الحجة الثالثة فقوله: إن العقل يقسم المعلوم إلى مباين ومحايث و[ما][2] ليس بمباين ولا محايث ونظائره، فيقال له: هذا (كتقسيمه)[3] المعلوم إلى واجب وممكن وما ليس بواجب ولا ممكن، وإلى قديم ومحدث وما ليس

الحلول والاتحاد) - ثم ذكر عدد من الأدلة من القرآن والسنة، ثم قال – (كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه، ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه سبحانه، بلا كيف ولا استقرار، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية؛ إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه، ونفي التشبيه على زعمهم، فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل). انظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: 105، 113، 116).

وقال الغزالي: (فإن قيل فنفي الجهة يؤدي إلى المحال، وهو إثبات موجود تخلو عنه الجهات الست ويكون لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه، وذلك محال، قلنا: مسلم أن كل موجود يقبل الاتصال فوجوده لا متصلاً ولا منفصلاً محال، وإن كان موجود يقبل الاختصاص بالجهة فوجوده مع خلو الجهات الست عنه محال، فإما موجود لا يقبل الاتصال، ولا الاختصاص بالجهة فخلو عن طرفي النقيض غير محال، وهو كقول القائل يستحيل موجود لا يكون عاجزاً ولا قادراً ولا عالماً ولا جاهلاً فإن أحد المتضادين لا يخلو الشيء عنه، فيقال له إن كان ذلك الشيء قابلاً للمتضادين فيستحيل خلوه عنهما وأما الجماد الذي لا يقبل واحداً منهما لأنه فقد شرطهما وهو الحياة، فخلوه عنهما ليس بمحال. فكذلك شرط الاتصال والاختصاص بالجهات التحيز والقيام بالمتحيز. فإذا فقد هذا لم يستحل الخلق عن متضادته فرجع النظر إذاً إلى أن موجوداً ليس بمتحيز، ولا هو في متحيز، بل هو فاقد شرط الاتصال، والاختصاص هل هو محال أم لا؟ فإن

بقديم ولا محدث، وإلى قائم بنفسه وقائم بغيره وما ليس بقائم بنفسه ولا بغيره، وأمثال ذلك[1] تقديرات الذهن.

ومعلوم أن مثل ذلك لا يدل على إمكان ذلك في الخارج فليس كل ما فرضه الذهن من الأقسام والتقديرات في الأذهان يكون (موجودا في الخارج أو ممكنا)[2] في الأعيان، بل الذهن يقسم ما يخطر له إلى واجب وممتنع وممكن، وإلى موجود ومعدوم، فالذهن يقدر كل ما يخطر بالبال ومعلوم أن في[3] الممتنعات ما لا يجوز وجوده خارج الذهن.

وأما قوله: إن التقسيم إلى مباين ومحايث لا يعلم

زعم الخصم أن ذلك محال وجوده فقد دللنا عليه بأنه مهما بان، أن كل متحيز حادث وأن كل حادث يفتقر إلى فاعل ليس بحادث فقد لزم بالضرورة من هاتين المقدمتين ثبوت موجود ليس بمتحيز) انظر: الإقتصاد في الإعتقاد (ص: 37)، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ.

[3] () سبق بيان معناه الإصطلاحي في رسالة مسألة في الاستواء والنزول.

[4] () انظر الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 99، 144).

[1] () عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون، الكناني المكي، وقدم بغداد في أيام المأمون، وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن، وهو صاحب كتاب الحيدة، وكان من أهل الفضل والعلم، وله مصنفات عدة، وكان ممن تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته، انظر: تاريخ بغداد (12/212).

وقد رد في كتابه الحيدة على الجهمية، انظر كتابه: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ.

[2]) في المطبوع: (هذه).

[1]) في المطبوع زيادة: (أو البطلان).

[2]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[3]) في المطبوع: (التقسيم).

[1]) في المطبوع زيادة: (من).

[2]) في المطبوع: (ممكنا أو موجودا).

[3]) في المطبوع زيادة: (ذلك من).

فساده كما [لا][1] يعلم[فساد][2] أن الواحد نصف الاثـنين، فنقـول: إن القضـايا الضـرورية ليس من شـرطها أن (يكون)[3] مفرداتها بينة [إبتداء][4] لكل أحـد؛ بـل شـرطها أن (يكون)[5] مفرداتها إذا تصورت جزم العقل بها، وتصور الواحـد (نصـف)[6] الاثـنين بين لكـل أحـد؛ فلهـذا كـان التصديق التابع له أبين من غـيره، ولهـذا لم يكن هـذا في العقل كبيان أن خمسة وخمسين وربعا وثمنا نصـف مائـة وعشـرة ونصـف وربـع، وكلاهمـا ضـروري، ونظـائر هـذا كثيرة.

ومعنى المباين والمحايث ليس بينا ابتـداء، إذ اللفـظ فيـه إجمال كما تقدم، ولكن إذا بين معناه لأهل العقـل جزمـوا بانتفـاء قسـم ثـالث، كمـا أن معـنى القـديم والمحـدث، والـواجب والممكن، والجـوهر[7] والعـرض[8] ونحـو

---

1) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

2) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

3) في المطبوع: (تكون).

4) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

5) في المطبوع: (تكون).

6) في المخطوط: (و).

7 () اختلف الناس في الجوهر وفي معنـاه على أربعـة أقاويـل: فقالت النصارى: الجـوهر هـو القـائم بذاتـه وكـل قـائم بذاتـه فجوهر وكل جوهر فقائم بذاته، وقال بعض المتفلسفة: الجوهر هو القائم بالذات القابل للمتضادات، وقال قائلون: الجـوهر مـا إذا وجد كان حاملاً للأعراض، وزعم صـاحب هـذا القـول أن الجـواهر جواهر بأنفسـها، وأنهـا تعلم جـواهر قبـل أن تكـون، والقائـل بهـذا القول هو الجبائي.

وقال الصالحي: الجوهر هو ما احتمل الأعراض وقـد يجـوز عنـده ن يوجد الجوهر ولا يخلق الله فيه عرضـاً ولا يكـون محلاً للأعـراض إلا أنه محتمل لها. انظر: مقالات الإسلاميين (2/238).

والجوهر عند ابن سينا: هو ما وجود ذاته ليس في موضوع، أي: في محل قريب، قد قام بنفسه دونه بالفعل لا بتقويمه، وقال: الجــوهر محل مستغن في قوامه عن الحـال فيـه، والعـرض حـال فيـه غـير مستغن في قوامه عنه، فكل ذات لم تكن في موضـوع ولا قوامهـا به فهو جوهر، وكل ذات قوامهـا في موضـوع فهـو عـرض. انظـر: الملل والنحل (3/14).

8 () قـال قـوام السـنة: (أخبرنـا أبـو المظفـر السـمعاني قـال:

ذلك؛ (مما)[1]لم يكن بينا بنفسه لعامة العقلاء لم يجزموا بانحصار الموجود في هذين القسمين؛ فإذا بين لهم المعنى جزموا بذلك.

فإذا قيل للعقلاء: (بوجود موجودين قائمين)[2]بأنفسهما لا يكون هذا خارجا عن الآخر مباينا له، ولا داخلا فيه ولا (معه)[3]، ولا قريبا منه ولا بعيدا عنه، ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا أمامه ولا وراءه، ولا يتصور أن (يسير)[4] أحدهما إلى الآخر ولا يذهب إليه، ولا يقرب منه ولا يبعد عنه، ولا يتحرك إليه ولا عنه، ولا يقبل إليه ولا يعرض عنه، ولا يحتجب عنه ولا يتجلى له، ولا يظهر لعينه ولا يستتر عنه، وأمثال هذه المعاني التي يقولها النفاة علم العقلاء بالاضطرار امتناع وجود مثل هذين.

وأما قول المعارض: إن هذا إنما يعقل فيما هو جسم متحيز، فإذا قدر ما ليس بجسم ولا متحيز خلا عن هذين القسمين، ولم تنحصر القسمة حينئذ في أحدهما.

فيقال: أولا لفظ الجسم والحيز والجهة ألفاظ فيها إجمال وإبهام، وهي ألفاظ إصطلاحية، وقد يراد بها معان متنوعة، ولم يرد [في][5] الكتاب والسنة في هذه الألفاظ لا (نفي)[6] ولا إثبات، ولا جاء عن أحد من سلف الأمة

والأصل الذي يؤسسه المتكلمون والطرائق التي يجعلونها قاعدة علومهم مسألة العرض والجوهر، وإثباتهما، وأنهم قالوا: إن الأشياء لا تخلو من ثلاثة أوجه: إما أن يكون جسما، أو عرضا، أو جوهرا، فالجسم: ما اجتمع من الافتراق، والجوهر: ما احتمل الأعراض، والعرض: ما لا يقوم بنفسه، إنما يقوم بغيره، وجعلوا الروح من الأعراض). الحجة في بيان المحجة (2/147)، وانظر تعريف الأعراض عند قاضي عبد الجبار في كتاب شرح الأصول الخمسة (ص: 94).

[1]) في المطبوع: (لما).

[2])في المطبوع: (موجودان قائمان)

[3]) في المطبوع: (بعيدا).

[4]) في المطبوع: (يشير).

[5])ما بين المعقوفين زيادة في المخطوط.

[6]) في المطبوع: (بنفي).

وأئمتها فيها نفي ولا إثبات أصلا، (والمعارضة)[1] بها ليست معارضة بدلالة شرعية؛ لا من كتاب ولا من سنة ولا إجماع؛ بل ولا أثر لا (من)[2] صاحب، (ولا)[3] تابع، ولا إمام من المسلمين بل الأئمة الكبار أنكروا على المتكلمين بها، (وجعلوهم)[4] من أهل الكلام الباطل المبتدع؛ وقالوا فيهم أقوالا غليظة معروفة عن الأئمة؛ كقول الشافعي رحمه الله: ((حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد[5]، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام))[6].

وبالجملة فمعلوم أن الألفاظ نوعان: لفظ ورد في الكتاب والسنة أو الإجماع؛ فهذا اللفظ يجب القول بموجبه سواء فهمنا معناه أو لم نفهمه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقا والأمة لا تجتمع على ضلالة.

والثاني: لفظ لم يرد به دليل شرعي كهذه الألفاظ التي تنازع فيها أهل الكلام والفلسفة، هذا يقول: هو متحيز، وهذا يقول: ليس بمتحيز، وهذا يقول: هو في جهة، وهذا يقول: ليس[7] في جهة، وهذا يقول: هو جسم

---

[1] في المطبوع: (فالمعارضة).

[2] في المطبوع: (عن).

[3] في المطبوع: (أو).

[4] في المطبوع: (وجعلوها).

[5] في المطبوع زيادة: (والنعال)، وهذه الزيادة لا يوجد في المصادر التالية.

[6] انظر: جامع بيان العلم وفضله (2/941)، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1414 هـ، وشرح السنة للبغوي (1/218)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1403هـ، وانظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله (ص: 99)، تحقيق: الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دارأطلس للنشر والتوزيع، 1417 هـ.

[7] في المطبوع زيادة: (هو).

أو جـوهر، وهـذا يقـول: ليس بجسـم ولا جـوهر، فهـذه الألفاظ ليس على أحد أن يقول فيها بنفي ولا إثبات حـتى يستفسر المتكلم بذلك، فإن بَيَّنَ أنه أثبت حقا أثبتـه، وإن أثبت بـاطلا رده، وإن نفى بـاطلا نفـاه، وإن نفى حقـا لم ينفـه، وكثـير من هـؤلاء يجمعـون في هـذه الأسـماء بين الحق والباطل في النفي والإثبات.

فمن قال: إنه في جهة وأراد بذلك أنـه داخـل محصـور في شيء من المخلوقات كائنا من كان؛ لم يسلم (لـه)[1] هذا الإثبـات، وهـذا قـول الحلوليـة، وإن قـال: إنـه مبـاين للمخلوقات فوقها لم يمانع في هذا الإثبات؛ بـل هـذا ضـد قول الحلوليـة، ومن قـال: ليس في جهـة (و)[2] أراد [أنـه ليس داخلا في شيء من المخلوقات سلّم لـه هـذا النفي وإن أراد][3] أنه ليس مباينا للعالم ولا فوقـه لم يسـلّم لـه هذا النفي.

وكذلك لفظ (التحـيز)[4] يـراد بـه مـا أحـاط بـه شـيء موجود كقوله تعالى ﴿ ﴾[5][6]، ويراد به ما انحاز عن غيره وباينه، فمن قال: إن الله متحـيز بـالمعنى الأول لم يسـلم لـه، ومن أراد أنـه مبـاين للمخلوقـات سـلم لـه المعنى، وإن لم يطلق اللفظ.

إذا تـبين هـذا: (فـإذا)[7] قـال[8] القائـل: هـذا التقسـيم معلوم بالاضطرار، فقيل له: هذا إنما يعقـل في متحـيز أو

---

[1]) في المطبوع: (إليه).
[2]) في المطبوع: (فإن).
[3]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
[4]) في المطبوع: (المتحيز).
[5] () الأنفال 16
[6] () قـال البغـوي: (أومتحـيزا إلى فئـة، أي: منضـما صـائرا إلى جماعة من المؤمـنين، يريـد العـود إلى القتـال)، انظـر: تفسـير البغـوي (2/277)، عبـد الـرزاق المهـدي، دار إحيـاء الـتراث العربي، بيروت، 1420 هـ.
[7]) في المخطوط: (وإذا).
[8]) في المطبوع زيادة: (هذا).

ذي جهة[1] لم يكن هذا قادحا فيما علم بالاضطرار؛ بل يقول: إما أن يكون هذا لازما وإما أن لا يكون، فإن لم يكن لازما بطل السؤال، وإن كان لازما فلازم الضروري حق؛ فإن القضايا الضرورية إذا كانت مستلزمة لأمور دل ذلك على صحة تلك اللوازم، ولم يكن الاستدلال على بطلانها بنفي تلك اللوازم؛ لأن نفيها نظري، والنظري لا يقدح في الضروري.

وقوله: إذا قدر موجود ليس بمتحيز ولا في جهة (لم)[2] يصح فيه هذا التقسيم، فيقال له: ثبوته على هذا التقدير لا يقتضي ثبوته في نفس الأمر إلا أن يكون التقدير ثابتا في نفس الأمر، وهذا التقسيم ينفي ثبوت هذا التقدير في نفس الأمر، وإذا كان التقسيم معلوما بالاضطرار كان من لوازم ذلك انتفاء هذا التقدير فلا يقبل إثبات هذا التقدير بالنظر؛ لأن ذلك يتضمن القدح في الضروري بالنظري، وإذا لم يكن إلى إثبات هذا التقدير سبيل لم (يظهر)[3] فساد التقسيم بتقدير ثبوته؛ لأن ذلك يتضمن فساد التقسيم بتقدير ثبوت ما لم يثبت ولا يمكن إثباته، وأيضا فلو قدر أن إثبات هذا التقدير ممكن كان هذا من باب المعارضة؛ لا من باب منع شيء من المقدمات، والمعارضة تحتاج إلى إقامة الدليل ابتداء وسوف نتكلم على ذلك.

ولو قال المعترض: أنا أمنع صحة التقسيم وأجعل هذا سند منعي لم يصح؛ لأنه يقال: المنع إنما (يقول في)[4] مقدمة لم يستدل[5] عليها، والمستدل قد بين صحة التقسيم بالضرورة فلا يصح منعه لكن إذا أثبت إمكان وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه كان هذا استدلالا على نقيض قول المنازع وحينئذ يكون غاصبا لمنصب

---

[1]) في المطبوع زيادة: (و).

[2]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[3]) في المطبوع: (يضر).

[4])في المطبوع: (إما أن يكون).

[5])في المطبوع: (يدل).

الاستدلال؛ فإن الغصب هو منع المقدمة بإثبات نقيض المطلوب.

وحقيقته (أن)[1] يقول: لو صح دليل المستدل لفسد مذهبي، ومذهبي لم يفسد لكيت وكيت؛ فهذا غصب لمنصب الاستدلال فلا يقبل، (وهكذا)[2] إذا منع التقسيم بإثبات هذا التقدير؛ فهذا التقدير هو مذهبه، إذ يدعي وجود موجود لا يقبل هذا التقسيم وهذا محل النزاع، فإذا استدل على إمكانه كان غاصبا فلا يقبل منه فتبين أن الدلالة تامة.

(فصار)[3] هذا الاعتراض بمنزلة أن يقال: إذا قدر موجود ليس بقديم ولا محدث لم يصح تقسيم الموجود إلى محدث وقديم؛ وإذا قدر موجود ليس بواجب ولا ممكن، ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره لم يصح تقسيم الموجود إلى الواجب والممكن والقائم بنفسه والقائم بغيره، ومعلوم أن التقسيم المعلوم بالاضطرار لا يفسد بتقدير نقيضه[4] وإنما يفسد التقسيم بثبوت ما يناقضه، (وإذا)[5] كان المناقض لا يعلم إلا بالنظر لم يصح أن يكون مناقضا فعلم أن هذا من باب معارضة الضروري بالنظري فلا يكون مقبولا ولا يكون حقا. ثم للناس في هذا المقام أربعة أجوبة:

قول من يقول: هذا التقسيم معقول مطلقا، وهذا التقدير لا أتكلم في ثبوته ولا نفيه؛ لأن ذلك (قدح)[6] في الضروريات بالنظريات (وهذا)[7] غير مقبول بمنزلة حجج السوفسطائية، فإن ما علمناه بالاضطرار وقدح فيه بعض الناس بالنظر والجدل لم يكن علينا أن نجيب عن

---

1)في المطبوع: (أنه).
2)في المطبوع: (هذا).
3) في المطبوع: (وصار).
4) في المطبوع زيادة: (أو ما يستلزم نقيضه).
5) في المطبوع: (فإذا).
6) في المطبوع: (يقدح).
7) في المطبوع: (وذلك).

المعارض جوابا مفصلا يبين (حكمه)[1]، بل يكفينا أن نعلم أنه فاسد لأنه عارض الضروري، وما عارضه فهو فاسد، وهذا جواب خلق[2] من (أصحاب)[3] الحديث، والفقه، والكلام، وغيرهم عن مثل هذا[4].

وهؤلاء يقول أحدهم: لا أقول إنه متحيز ولا غير متحيز؛ ولا في جهة ولا في غير جهة بل أعلم أنه مباين للعالم وأنه يمتنع أن يكون لا مباينا ولا مداخلا.

---

[1]) في المطبوع: (حله).

[2]) في المطبوع زيادة: (كثير).

[3]) في المطبوع: (أهل).

[4] () قال الإمام أحمد بن حنبل في الرد على هؤلاء الجهمية: (فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه، فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماسا؟ قال: لا. قلنا: فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين؟ فلم يحسن الجواب، فقال: بلا كيف. فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة ومَوَه عليهم، فقلنا: أليس إذا كان يوم القيامة، أليس إنما هو في الجنة والنار والعرش والهواء؟ و في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه، فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماسا؟ قال: بلى. فقلنا: فأين يكون ربنا؟ فقال: يكون في كل شيء. كما كان حين في الدنيا في كل شيء، فقلنا: فإن مذهبكم إن ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء، فعند ذلك تبين كذبهم على الله جل ثناؤه) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 159).

وقال قوام السنة الإمام إسماعيل بن محمد التيمي يقول: (أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض، وقالوا: لم يكن على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عن الصحابة ورحم التابعين، ولا يخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك، وهم عالمون به، فيسعنا السكوت عما سكتوا عنه، أو يكونوا سكتوا عنه، وهم غير عالمين به، فيسعنا أن لا نعلم ما لم يعلموه، والحديث الذي ذكرناه يقتضي أن ما تكلم فيه الآخرون من ذلك ولم

وهذا كما(إذا)[1] قال القرمطي الباطني: لا أقول: هو موجود ولا معدوم، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز؛ لأن ذلك من صفات الأجسام[2]، فإن الجسم ينقسم إلى حي وميت، وعالم وجاهل، وقادر وعاجز، وموجود ومعدوم، فإذاقدرنا ما ليس بجسم لم يكن عالما ولا جاهلا، ولا قادرا ولا عاجزا، ولا حيا ولا ميتا؛ كان كلام القرمطي هذا بمنزلة (قول)[3] هؤلاء الجهمية أنه لا داخل العالم ولا خارجه[4].

وقول جهم والقرامطة من جنس واحد؛ كما نقله عن الفريقين أصحاب المقالات وقالوا: إنه لا يقال: [هو][5] شيء ولا ليس بشيء، فمن نفى عنه (هذه المتقابلات التي)[6] لا بد للموجود من أحدهما لمن يمكنه قطع

يتكلم فيه الأولون يكون مردودا، قال علماء السلف: ما وجدنا أحدا من المتكلمين في ماضي الأزمان إلى يومنا هذا رجع إلى قول خصمه، ولا انتقل عن مذهبه إلى مذهب مناظره، فدل أنهم اشتغلوا بما تركه خير من الاشتغال به، وقد ذم السلف الجدال في الدين ورووا في ذلك أحاديث وهم لا يذمون ما هو الصواب) الحجة في بيان المحجة (1/110).

1) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2 () فالقرامطة الباطنية الذين يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة السابق واسم المعلول التالي، ثم قالوا السابق لا يوصف بوجود ولا عدم فان العدم نفي والوجود سببه فلا هو موجود ولا هو معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف، وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه، فسموا هذا النفي تنزيها وسموا مناقضه تشبيها حتى تميل القلوب الى قبوله. انظر: فضائح الباطنية (ص: 29).

3) في المطبوع: (كلام).

4 () انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 159).

5) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

6) في المخطوط: (هذين متقابلين الذين).

القرامطـة؛ ولهـذا (كـان)[1] منـاظرة هـؤلاء للقرامطة[2] ضعيفة كما هو مبسوط في موضعه[3].

الجواب الثاني: قـول من يقـول؛ بـل أقـول: إنـه ليس بمتحيز ولا في جهة، وأقول مـع ذلـك: إنـه مبـاين للعـالم، وهذا قول من يقـول: إنـه فـوق العـالم وليس بجسـم ولا جوهر ولا متحيز؛ كما يقـول ذلـك من يقولـه من الكلابيـة، والأشـعرية، والكراميـة ومن وافقهم من الفقهـاء[من][4] أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث والصوفية[5].

(وإذا)[6] قيل لهؤلاء: إثبات مباين ليس بمتحيز مخـالف لضرورة العقل، قالوا: إثبات موجـود لا محـايث ولا مبـاين أظهر فسادا في ضرورة العقل من هذا؛ فإن كـان قضـاء العقل مقبولا كان قولكم فاسدا وحينئذ حصـل المطلـوب من كونـه مباينـا للعـالم، وإن كـان قضـاء العقـل مـردودا بطلت حجتكم على إبطال قولنا: إنه فوق العالم مباين له وليس بجســـم ولا جـــوهر، وإذا لم يكن ثم حجـــة على

---

1) في المطبوع: (كانت).

2)في المطبوع زيادة: (مناظرة).

3 () انظـــر مثلا: بيـــان تلـــبيس الجهميـــة (1/236)، وانظـــر: الصــواعق المرســلة في الــرد على الجهميــة والمعطلــة (1/310).

4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

5 () قال أبو الحسـن الأشـعري: (وقـال أهـل السـنة وأصـحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشـبه الأشـياء وأنـه على العـرش)، انظر: مقالات الإسـلاميين (1/168)، وانظـر عقيـدة الكلابيـة في كتاب مقالات الإسلاميين (1/138)، والأشعرية في كتـاب الملل والنحل (1/94)، والكرامية في كتـاب اعتقـادات فـرق المسـلمين (ص: 67)، وفي كتـاب الملـل والنحـل (1/108)، وقـال السـفاريني: (وليس ربنـا بجـوهر ولا عـرض ولا جسـم تعالى ذو العلا، سبحانه قد استوى كما ورد، من غير كيف قـد تعالى أن يحد)، انظر: شـرح العقيـدة السـفارينية (ص: 81)، تحقيـق: أبومحمـد أشـرف بن عبـدا لمقصـود، مكتبـة أضـواء السلف، الرياض، 1418هـ.

6) في المطبوع: (فإذا).

بطلانكونه فوق العالم لم يجز نفي ذلك؛ وحينئذ فالسمعيات قد دلت على ذلك مع الفطرة (فيلزم)[1] على هذا التقدير أن يكون مباينا للعالم.

فهذا تحقيق جيد قد تقدم التنبيه عليه أيضا؛ فإن هؤلاء النفاة يجعلون العقل حجة لهم ولا يجعلونه حجة عليهم، ويحتجون على خصومهم بقضايا ضرورية، ويخالفونهم في القضايا الضرورية (التي هي)[2]أبين منها، وكل ما يطعنون به [في][3] حجة على (مخالفيهم)[4]، مثل قولهم: هذا من قضايا الوهم والخيال؛ لا من قضايا العقل فيطعن به في حجتهم هذه، فيقال: نفيكم لوجود موجود مباين ليس بجسم ولا متحيز هو من قضايا الوهم والخيال؛ لا من قضايا العقل فليتدبر الفاضل هذا المقام.

الجواب الثالث: قول من يلتزم أنه متحيز أو في جهة أو أنه جسم[5]، ويقول: لا دلالة على نفي شيء من ذلك وأدلة النفاة لذلك أدلة فاسدة، فإنهم متفقون على أن نفي ذلك ليس معلوما بالضرورة وإنما يدعون النظر، ونفاة ذلك لم يتفقوا على دليل واحد بل كل[6] منهم يطعن في دليل الآخر، فالفلاسفة الذين ينفون ذلك بناء على نفي الصفات يطعن النفاة من أهل الكلام مع غيرهم من العقلاء، وأهل الإثبات في أدلتهم[7]وهو الدليل المبني على حدوث ما قامت به الأعراض والأفعال،

---

1) في المطبوع: (فلزم).

2) في المطبوع: (فيما هو).

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) في المطبوع: (مخالفتهم).

5 () وهؤلاء هم الفرق المشبهة، مثل الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي، وأصحاب هشام بن سالم الجواليقي، انظر: مقالات الإسلاميين (1/44، 165).

6) في المطبوع زيادة: (واحد).

7) في المطبوع زيادة: (بالطعون المعروفة التي تبين فساد أدلتهم، والمتكلمون الذين ينفون ذلك يطعنون على الفلاسفة النفاة مع غيرهم من العقلاء).

والكلام على أقوال أهل الإثبات المثبتة لفساد أدلة النفـاة ومـا في هـذه المواضـع من الأقــوال المشـتبهة والكلام الدقيق والبحـوث العقليـة مبسـوط مـذكور في غـير هـذا الموضع[1].

الجواب الرابع: (قول)[2] أهـل الاستفصـال وهم الـذين يقولون: لفظ التحيز والجهة [والجسم][3] والجـوهر ونحـو ذلك ألفاظ مجملة ليس لهـا أصـل (من)[4] كتـاب اللـه ولا (من)[5] سنة رسـول اللـه ولا قالهـا أحـد من سـلف الأمـة وأئمتها في حق الله تعالى؛ لا نفيا ولا إثباتا.

وحينئـذ فـإطلاق القـول بنفيهـا (و)[6]إثباتهـا ليس من مـذهب أهـل السـنة والجماعـة بلا ريب، ولا عليـه دليـل شرعي؛ بل الإطلاق من الطرفين مما ابتدعه أهـل الكلام الخائضـون في ذلـك، فـإذا تكلمنـا معهم بـالبحث العقلي استفصـلناهم عمـا (أرادوا)[7] بهـذه الألفـاظ، فـإن قـال المثبت: المـراد بكونـه متحـيزا (أو)[8] جسـما (أو)[9] في جهة إنه في جوف المخلوقات؛ أو إن المخلوقـات تحـوزه أو إنه يماثلها أو يجـوز عليـه مـا يجـوز عليهـا (أو)[10] نحـو ذلك فهذا باطل، ومباينته للعالم لا (تقتضـي)[11] أن يكـون على هذا التقدير متحيزا ولا في جهة ولا جسما.

وإن قال النافي لذلك: إن ما كان فوق العالم فهو في

---

1 () انظـر مثلا: الـرد على المنطقـيين (ص: 148)، والرسـالة الأكمليـة (ص: 30)، مطبعـة المـدني، المؤسسـة السـعودية، القاهرة، مصر، الطبعة: 1403هـ، الصفدية (1/46)،.

2) في المطبوع: (جواب).

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) في المطبوع: (في).

5) في المطبوع: (في).

6) في المطبوع: (أو)ـ

7) في المطبوع: (أرادوه).

8) في المطبوع: (و).

9) في المطبوع: (و).

10) في المطبوع: (و).

11)في المطبوع: (يقتضي).

جهة وهو متحيز وهو جسم وذلك محال.

قيل له: نفي أنه مباين للعالم باطل وملزوم الباطل باطل، فإذا كان نفي مسميات هذه الألفاظ ملزوما لنفي المباينة كان نفيها باطلا؛ والأدلة المذكورة على نفي مسماها بهذا الاعتبار باطلة، ويقول المثبت نفي مباينته للعالم وعلوه على خلقه باطل؛ بل هذه الأمور مستلزمة لتكذيب الرسول فيما أثبته لربه وأخبر به عنه، وهو كفر أيضا لكن ليس كل من تكلم بالكفر يكفر حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره (وإذا)[1]قامت عليه الحجة كفر حينئذ؛ بل نفي هذه الأمور مستلزم(لتكذيب)[2]الرسول فيما أثبته لربه وأخبر به عنه؛ بل نفي للصانع وتعطيل له في الحقيقة.

وإذا كان نفي هذه الأشياء مستلزما للكفر بهذا الاعتبار، وقد نفاها طوائف كثيرة من أهل الإيمان، فلازم المذهب ليس بمذهب؛ إلا أن (يلتزمه)[3] صاحب المذهب، فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظا أو يثبتونها بل ينفون معاني أو يثبتونها، ويكون ذلك مستلزما لأمور هي كفر، وهم لا يعلمون (باللازم)[4] بل يتناقضون، وما أكثر تناقض الناس لا سيما في هذا الباب وليس التناقض كفرا.

ويقول الناظم[5]: أنا أخبرت أن من قال ذلك: (فهو)[6] مفتون وفاتن وهذا حق؛ لأنه فتن غيره بقوله، وفتنه غيره؛ وليس كل من فتن يكون كافرا، وادعيت أن من قال ذلك كان قوله مستلزما للتعطيل؛ فيكون الكفر كامنا في قوله، والكامن في الشيء لا يجب أن يكون

---

1)في المطبوع: (فإذا).

2)في المطبوع: (للتكفير للرسول).

3)في المطبوع: (يستلزمه).

4)في المطبوع: (بالملازمة).

5 () هو السائل الذي سأل شيخ الإسلام ابن تيمية بالأبيات في بداية هذه الرسالة.

6)في المطبوع: (هو).

ظاهرا فيه، ولو كان الكفر ظاهرا في قوله (لـزم)[1] تكفـير القائل، أما إذا كان (كامنا)[2] وهـو خفي لم يكفـر بـه من لم يعلم حقيقة ما تضـمنه من الكفـر وإن كـان متضـمنا للكفـر ومستلزما له.

وأما لفظ (الجسم)[3] فهذا لفظ مجمل لا أصل لـه في الشرع؛ فنفيه وإثباته يفتقر إلى تفصيل ودليل كمـا تقـدم، وأما إن قال المثبت لذلك المراد[4] أنه فوق العالم ومباين له، قيل له: هـذا المعـنى صـحيح، وإن قـال النـافي لـذلك المراد أنه لا تحوزه المخلوقات ولا تماثلـه، قيـل لـه: هـذا المعنى صحيح، ولا منافاة بين قوليكما؛ فإنه فـوق العـالم مباين له والمخلوقات لا تحصره ولا تحوزه ولا يفتقــر إلى العـرش ولا غـيره؛ مـع أنـه عـال عليهـا مبـاين لهـا وليس مماثلا لها ولا يجوز عليـه مـا يجـوز عليهـا، فهـذه المعـاني صحيحة من النافي والمثبت مقبولة؛ وتلك المعاني منهمـا مردودةوالحمد لله رب العالمين.

و[5]هذا الذي يجيب به أهل الإثبـات للدهريـة من أنه سبحانه تقوم به الأفعال التي (يشاؤها)[6] ويقدر عليها، وبذلك يخلق المخلوقات المنفصلة عنه مطابق لما جاءت به الآثار المأثورة عن الرسل صلوات الله عليهم فإن الله أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وقبـل استوائه على العـرش: [7] فهذا (ونحوه)[8] مما جاء في مبدأ الخلق.

وأما [في][9] الإعادة فقد قال تعالى:

1) في المطبوع: (للزم).

2) في المخطوط: (كامن).

3) في المطبوع: (التجسيم).

4)في المطبوع زيادة: (به).

5)في المطبوع زيادة: (لأن).

6) في المخطوط: (تشاهد).

7 () فصلت 11

8)في المخطوط: (ونحو).

9) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[illegible][1]، وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك؛ أين ملوك الأرض؟))[2]، وفي الصحيحين عن ابن عمر: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر هذه الآية ثم قال: يطوي الله السموات بيمينه ويقبض الأرض بيده(اليمنى)[3] الأخرى ثم يقول: أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا، أنا الذي أعدتها، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض (يديه)[4] ويبسطهما، والمنبر يتحرك من أسفله حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم))[5]، وعن ابن عباس أنه قال: ((ما السموات السبع والأرضون السبع وما (فيهما)[6] في يد الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم))[7]، (ويروا)[8] أنه قال: ((يرمي بها كما يرمي الصبي بالكرة))[9]، فهذا يبين أن الأفلاك لا

---

1 () الزمر 67

2 () أخرجه البخاري في صحيحه (8/108)، رقم الحديث: (6519)، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، وأخرجه مسلم في صحيحه(4/2148)، رقم الحديث: (2787)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) في المطبوع: (بيديه).

5 () الحديث بألفاظ متقاربة في البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: [illegible]، رقم الحديث: (4811)، (2/162) وباب قوله: [illegible]، رقم الحديث: (4812)، (2/162)، وأخرجه مسلم في صحيحه(4/2148)، رقم الحديث: (2788)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. والحديث بهذا اللفظ في الأسماء والصفات للبيهقي، (1/83)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، 1413 هـ.

6) في المطبوع: (فيهن).

7 () أخرجه الطبري في تفسيره(21/324).

8) في المطبوع: (وروي).

9 () أخرجه الطبري بلفظ: (ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة)، (21/325).

نسبة لها إلى قدرة الله تعالى مع كونه سبحانه[1] يطوي السماء ويقبض الأرض.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود: ((أن رجلا من اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله إذا كان يوم القيامة فإنه يمسك السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والجبال على إصبع، والخلائق على إصبع، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر؛ ثم قرأ[2]﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ ﴾ الآية))[3]. فهذا (يبين)[4] من عمل الرب (سبحانه)[5] ما يدفع (شبهة)[6] المتفلسفة.

---

1) في المطبوع زيادة: (وتعالى).

2) في المطبوع زيادة: (قوله تعالى).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ ﴾، (6/126)، رقم الحديث: (4811)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم الحديث: (2786)، (4/2148).

4) في المطبوع: (بين).

5) في المطبوع: (تبارك وتعالى).

6) في المطبوع: (شبه).

فصل

وهذا التقسيم الذي ذكره السائل هو معروف في كلام السلف والأئمة يحتجون به على الجهمية النفـاة (لمباينتـه لمخلوقاته)[1] وعلوه على عرشه.

قال الإمام أحمد في كتابه الذي كتبـه في الـرد على الجهمية والزنادقة: ((بيان ما أنكرت الجهمية الضـلال أن يكون الله على العرش، وقد قال تعالى: ﴿ ڈ ژ ڑ ڑ ﴾[2]، [قلنـا لهم: مـا أنكـرتم أن يكـون اللـه تعـالى على العرش؟ وقد قال تعالى: ﴿ڈ ژ ڑ ڑ﴾: ﴿ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ﴾][3]، فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هـو على العـرش،[4] وفي السـموات، وفي الأرض، وفي كل مكـان لا يخلـو منـه مكـان، ولا يكـون في مكـان دون مكان، (ويتلوا)[5] آيات من القرآن: ﴿ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾[6]، (فقلنا)[7]: قد (علم)[8] المسلمون أمـاكن كثـيرة ليس فيها من (عظم)[9] الرب شيء، [فقالوا: أي شـيء؟ قلنـا][10]: (أحشـــاؤكم) وأجـــوافكم، وأجـــواف، الخنـــازير، والحشوش، والأماكن القـذرة ليس فيهـا من (عظمـة)[11] الرب شيء، وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال: ﴿ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ﴾[12]﴾[13]

1) في المطبوع: (كمباينته لخلقه)

2 () طه 5

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) في المطبوع زيادة: (فهو على العرش).

5) في المطبوع: (يتلون).

6 ()الأنعام 3

7) في المطبوع: (قلنا).

8) في المطبوع: (عرف).

9) في المطبوع: (عظيم).

10) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

11) في المطبوع: (عظيم).

12) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

13 () الملك 16

ﮃ ﮄ[1]][2]، (وقال جل ثناؤه)[3]: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ وقال تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ[4]، وقال تعالى: ﮋ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ[5]، وقال تعالى: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ[6]، الآية، [وقال: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ[7]][8]، وقال تعالى: ﮋ ﯿ ﰀ ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﮊ[9]، وقال تعالى: ﮋ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ[10]، وقال تعالى: ﮋ ﯸ ﯹ ﯺ ﮊ[11].

(قال: فقد أخبر الله تعالى أنه في السماء)[12]، ووجدنا كل شيء من[13]أسفل مذموما يقول جل ثناؤه: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ[14]، وقال تعالى: ﮋ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﮊ[15].

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس مكانه مكان والشياطين مكانهم مكان؟ فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد.

---

1 () الملك 17

2 () ما بين المعقوفين من الآية الكريمة سقطت من المطبوع والمخطوط، وأثبتها من كتاب: (الرد على الجهمية)، وهي تتمة الأية السابقة.

3) في المطبوع: (وقد قال جل ثناؤه).

4 () آل عمران 55

5 () النساء 158

6 () الأنبياء 19

7 () النحل 50

8 () ما بين المعقوفين من الآية الكريمة سقط من المخطوط.

9 () المعارج 3

10 () الأنعام 18

11 () البقرة 255

12 () في المطبوع: (قال فهذا خبر من الله أنه في السماء).

13) في المطبوع: (في)

14 () النساء 145

15 () فصلت 29

(و)[1]معنى قوله[2]: 3ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ[4] يقول: هو إلـه من في السـموات وإلـه من في الأرض، وهو[5] على العرش وقـد أحـاط علمـه بمـا دون العـرش؛ لا يخلـو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكـان، وذلك قوله: ﮋ ﮊ[6] [7] قال: [و][8]من الاعتبار في ذلك: لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير صاف وفيـه شـيء[9] لكـان نظـر ابن آدم قد أحـاط بالقـدح من غـير أن يكـون ابن آدم في القدح، (فالله سبحانه)[10] -ولـه المثـل الأعلى- قـد أحـاط بجميـع (مـا خلـق)[11] من غـير أن يكـون في شـيء من خلقه.

وخصلة أخرى: لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها وخرج[منها][12] كـان ابن آدم لا يخفى عليـه كم بيت في داره، وكم سـعة كـل بيت من غـير أن يكـون صاحب الـدار في جـوف الـدار؛ فاللـه (سـبحانه)[13] -ولـه المثل الأعلى- قد أحاط بجميع مـا خلـق وعلم كيـف هـو؟ وما هو؟ من غير أن يكون في شيء مما خلق.

وما تأول الجهمية من قول اللـه (تعـالى)[14]: ﮋ ﭫ ﭪ

---

1) في المطبوع: (ولكن)

2) في المطبوع زيادة: (عز وجل)

3

4 () الأنعام 3

5) في المطبوع زيادة لفظ الجلالة: (الله)

6 () الطلاق 12

7) في المطبوع زيادة: (و)

8 () مابين المعقوفين سقط من المطبوع.

9) في المطبوع زيادة: (صاف)

10) في المطبوع: (والله)

11) في المطبوع: (خلقه)

12) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

13) في المطبوع: (عز وجل)

14) في المطبوع: (عز وجل)

ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﴾[1] فقالوا: إن الله[2] معنا وفينا، (فقلنا)[3]: لم قطعتم الخبر من (أوله)[4]؟ إن الله يقول: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﴾ يعني(علمه)[5] فيهم ﴿ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﴾[6] ففتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه.

ويقال للجهمي: [إذا قال][7] إن الله[8] معنا بعظمة نفسه. [قيل لهم][9]: هل يغفر الله لكم فيما (بينكم)[10] وبين خلقه؟ فإن قال نعم فقد زعم أن الله[11] مباين خلقه وأن خلقه دونه، وإن قال: لا كفر، قال: وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله [تعالى][12] حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس(كان الله)[13] ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: (فحين)[14] خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا عن نفسه؟ فإنه يصير إلى [أحد][15] ثلاثة أقاويل:

[واحدا منها][16]: إن زعم أن الله [تعالى][17] خلق

---

1 () المجادلة 7
2) في المطبوع زيادة: (عز وجل)
3) في المطبوع: (قلنا)
4) في المطبوع: (قوله)
5) في المطبوع: (بعلمه)
6 () المجادلة 7
7 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
8) في المطبوع زيادة: (إذا كان)
9) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
10) في المطبوع: (بينه)
11) في المطبوع زيادة: (تعالى)
12 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
13) في المطبوع: (الله كان)
14) في المطبوع: (حين)
15) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
16) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
17 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

الخلـق في نفسه[1] كفـر حين زعم (أنـه)[2] [خلـق][3] الجن والإنس والشياطين [وإبليس][4] في نفسه.

وإن قـال: خلقهم خارجـا من نفسـه ثم دخـل فيهم؛ (كفر أيضا)[5] حين زعم أنه دخل في[كل][6] مكان (وحش وقذر)[7]، وإن قال: خلقهم خارجا عن نفسه ثم لم يـدخل فيهم رجع عن قوله[كله][8] أجمع وهو قول أهل السنة[9].

فقد بين الإمام أحمـد مـا هـو معلـوم بالعقـل الصـريح والفطـرة البديهيـة؛ من أنـه لا بـد أن يكـون خلـق الخلـق داخلا في نفسـه أو خارجـا (منـه)[10] وأنـه إذا كـان[خلـق الخلق][11] خارجا عن نفسه فإما أن يكـون حـل فيـه بعـد ذلك أو لم يزل مباينا [له][12] فذكر الأقسام الثلاثة.

وقال أيضا:[13] (فلما ظهرت الحجة على الجهمي بمـا ادعى على الله[سبحانه][14] أنه مع خلقـه؛ [قـال: هـو][15] في كل شيء [من][16] غير أن يكون مماسـا (لشـيء)[17] ولا مباينا له، فقلنا إذا كان غير مبـاين [للشـيء][18] (أهـو)

1) في المطبوع زيادة: (قد)
2) في المخطوط: (أن)
3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
4) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
5) في المطبوع: (كان هذا أيضا كفرا)
6) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
7) في المطبوع: (رجس وقذر رديء)
8) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
9) من هنا انتهى كلام الإمام أحمد بن حنبل، انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 142-156)
10) في المطبوع: (عنه)
11) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
12) مابين المعقوفين سقط من المطبوع.
13) في المطبوع زيادة: (في أثناء كلامه)
14) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
15) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
16) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.
17) في المطبوع: (للشيء)
18) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

[1] (مماس له)[2]؟ قال: لا، قلنا: فكيف يكون في[كل][3] شيء غير مماس (لشيء)[4]ولا مباين[له][5]؟ فلم يحسن الجواب، فقال: بلا كيف، (ليخدع)[6] الجهال بهذه الكلمة (ويموه)[7] عليهم[8].

وكذلك قال عبد العزيز المكي صاحب الشافعي صاحب الحيدة المشهورة في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية[9] باب قول الجهمية في قول الله (عزوجل)[10]: ﴿ڈ ژ ژ ڑ﴾،[11] إنما المعنى: استولى، كقول العرب استوى فلان على مصر، استوى على الشام، يريد استولى عليها[12].

---

1) في المطبوع: (أليس هو)

2 () في المطبوع زيادة: (مماسا)

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) في المطبوع: (له)

5 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

6) في المطبوع: (فخدع)

7) في المطبوع: (ومموه)

8 () انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 159)

9) في المطبوع زيادة: (قال)

10) في المطبوع: (تعالى)

11) في المطبوع زيادة: زعمت الجهمية أن قول الله: ﴿ ڈ ژ ژ ڑ﴾.

12 () هذا الكلام ما وجدته في كتابه الحيدة وإنما هو في كتاب آخر لم أطلع عليه وهو كتاب الرد على الزنادقة والجهمية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (6/115) (قال في الرد على الزنادقة والجهمية: زعمت الجهمية في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: 5]، إنما المعنى، استولى، كقول العرب: استوى فلان على مصر، استوى فلان على الشام، يريد استولى عليها)، وكذلك قال ابن القيم: (قول الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب الشافعي رحمهما الله تعالى له كتاب في الرد على الجهمية قال فيه: باب قول الجهمي في قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: 5]، زعمت الجهمية أن معنى استوى: استولى من قول العرب استوى فلان على مصر يريدون استولى عليها). انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: 219).

باب البيان لذلك

يقال له: (هل يكون)[1] خلق من خلـق اللـه أتت عليـه مدة ليس[2] بمستول عليه فـإذا قـال: لا، قيـل: فمن زعم ذلك؟ قال[3]من زعم ذلك فهو كافر، يقال لـه: يلزمـك أن تقول: إن العرش قد أتت عليـه مـدة ليس اللـه بمسـتول عليه، وذلـك أن اللـه أخـبر أنـه خلـق العـرش قبـل خلـق السموات والأرض في ستة أيـام ثم اسـتوى على عرشـه بعد خلقه السموات والأرض قال الله عز وجل: ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﴾[4]، (وقال عزوجل)[5]: ﴿ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﴾[6]، (وقال عز وجل)[7]: ﴿ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﴾[8]، (وقال عز وجل)[9]: ﴿ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﴾[10] فأخبر أنه استوى على العرش [بعـد خلـق السـموات والأرض في سـتة أيـام][11] فيلزمك أن تقول: المدة الـتي[12]كـان العـرش فيهـا قبـل خلـق السـموات والأرض ليس اللـه[تعـالى][13] بمسـتول عليـه [فيهـا][14] (إذا)[15] كـان ﴿ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﴾ معنـاه عنـدك استولى فإنما استولى بزعمك في ذلك الوقت لا قبله.

---

1) في المطبوع: (أيكون)
2) في المطبوع: (الله)
3) في المخطوط: (فمن قوله)
4 () الفرقان 59
5) في المطبوع: (وقوله)
6 () غافر 7
7) في المطبوع: (وقوله)
8 () البقرة 29
9) في المطبوع: (وقوله)
10 () فصلت 11
11) ما بين المعقوفين سقطت من المطبوع.
12) في المطبوع: (الذي)
13) ما بين المعقوفين سقطت من المطبوع.
14 () ما بين المعقوفين سقطت من المطبوع.
15) في المطبوع: (إذ)

وقد روي عن عمران بن حصين[1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اقبلوا البشرى يا بـني تميم، قـالوا: بشرتنا فأعطنا، قال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، قـالوا: قَبِلنا، فأخبرنا عن أول هذا الأمـر كيـف كـان؟ قـال: كـان الله قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح[المحفوظ][2] ذكـر كـل شـيء))[3]، وروي عن أبي رزين العقيلي[4] -وكان يعجب النبي صلى الله عليه وسـلم مسألته- أنه قال: يا رسول الله: أين كان ربنا قبـل أن يخلـق السموات والأرض؟ قال: [كان][5] في عمـاء [6] فوقـه هـواء وتحته هواء))[7].

---

1 () عمران بن حصـين بن عبيـد بن خلـف الخـزاعي، القـدوة، الإمام، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو نجيـد الخزاعي، أسلم هو، وأبوه، وأبو هريرة في وقت، سنة سـبع، روى عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم عـدة أحـاديث، وكـان إسلامه عـام خيـبر، وغـزا عـدة غـزوات، وكـان صـاحب رايـة خزاعة يوم الفتح، قاله ابن البرقي، انظر: سير أعلام النبلاء (3/508)، والإصـابة في تمـيز الصـحابة (4/584)، دارالكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ.

2) سقط من المطبوع.

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﴾، رقم الحديث: (3191).

4 () أبو رزين العقيلي هو: لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري، روى عنه ابن أخيه وكيـع بن عـدس، وعبـد اللـه بن حـاجب، وعمـرو بن أوس الثقفي. انظـر: الإصـابة في تمـيز الصحابة (5/508)، وانظر: الاستيعاب (4/1657).

5) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

6()) يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن معـنى العمـاء هـو: ليس معه شيء، فيكون فيه دلالة على أن اللـه تعـالى كـان وليس معه شيء. انظر: بيان تلبيس الجهمية(1/464).

7 () أخرجـه الترمـذي في السـنن، أبـواب تفسـير القـرآن(5/288)، رقم الحديث: (3109)، باب ومن سورة هود، وابن ماجه في سننه (1/64)، رقم الحديث: (182)، أبواب السنة، باب فيما أنكرت الجهمية، ، قال الإمام الترمذي: (هذا حـديث حسن)، وقال الألبـاني: وفيـه نظـر؛ لأن وكيعـا هـذا مجهـول،

(فقال الجهمي)[1]: أخبرني كيف استوى على العرش؟ أهو كما يقول: استوى فلان على السرير؛ فيكون السرير قد حوى فلانا وحده إذا كان عليه؟ فيلزمك أن تقول: إن العرش قد حوى الله وحده إذا كان عليه[2].

فيقال[له][3]: أما قولك: كيف استوى؟ فإن الله تعالى لا (تجري)[4] عليه كيف، وقد أخبرنا أنه ﴿ ک ڪ گ ﴾ ولم يخبرنا [عن][5] كيف استوى، لأنه لم يخبرهم كيف ذلك، ولم تره العيون في الدنيا؛ فتصفه بما رأت، وحرم عليهم أن يقولوا عليه ما لا يعلمون، فآمنوا بخبره عن الاستواء ثم ردوا علم كيف استوى إلى الله (عز وجل)[6].

~~ولكن يلزمك أيها الجهمي أن تقول: إن الله[7] محدود،[8] قد حوته الأماكن، إذ زعمت في دعواك أنه في الأماكن؛ لأنه لا يعقل شيء في مكان إلا والمكان قد حواه كما تقول العرب: فلان في البيت، والماء في الجب، فالبيت قد حوى فلانا والجب قد حوى الماء.~~

ويلزمك أشنع من ذلك؛ لأنك قلت أفظع مما قالت به النصارى، وذلك أنهم قالوا: إن الله عز وجل [حل][9] في عيسى، وعيسى بدن إنسان واحد، فكفروا بذلك، وقيل لهم: ما عظمتم الله إذ جعلتموه في بطن مريم، وأنتم تقولون: إنه في كل مكان، وفي بطون النساء كلهن، وبدن عيسى وأبدان الناس كلهم.

وضعفه في سلسلة الأحاديث الضغيفة (11/501).

1) في المطبوع: (فيقال).

2) في المطبوع زيادة: (لأنا لا نعقل الشيء على الشيء إلا هكذا).

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) في المطبوع: (يجري)

5) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

6) في المطبوع: (تعالى)

7) في المطبوع زيادة: (تعالى)

8) في المطبوع زيادة: (و)

9) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

ويلزمك[1] أن تقول: إنه في أجواف الكلاب والخنازير؛ لأنها أماكن، وعندك أنه في كل مكان، تعالى الله (عما يقولون)[2] علوا كبيرا.

قال: فلما شنعت مقالته، قال: أقول إن الله في كل مكان لا كالشيء في الشيء، ولا كالشيء على الشيء، ولا كالشيء خارجا عن الشيء، ولا مباينا للشيء.

قال: يقال له: أصل قولك [هو][3] القياس [العقلي][4] والمعقول فقد دللت بالقياس والمعقول على أنك لا تعبد شيئا؛ لأنه لو كان شيئا(ما خلا)[5] في القياس والمعقول (من)[6]أن يكون داخلا في الشيء أو خارجا (منه)[7]، فلما لم يكن في قولك شيئا استحال أن يكون (كالشيء)[8] في الشيء أو خارجا (عن)[9] الشيء، فوصفت لعمري (شيئا)[10] لا وجود له، وهو دينك وأصل مقالتك التعطيل[11].

فهذا عبد العزيز المكي قد بين أن القياس والمعقول يوجب أن ما لا يكون داخلا في الشيء ولا خارجا (عنه)[12]فإنه لا يكون شيئا، وأن ذلك صفة المعدوم الذي لا وجود له، فالقياس هو الأدلة العقلية والمعقول العلوم الضرورية.

---

1) في المطبوع زيادة: (أيضا)

2) في المطبوع: (عن ذلك)

3) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

4) ما بين المعوقوفين سقط من المطبوع.

5) في المطبوع: (داخلا)

6) في المطبوع: (لأن يكون)

7) في المطبوع: (عنه)

8 () في المطبوع: (الشيء)

9) في المطبوع: (من)

10) في المطبوع: (ملتبسا)

11 () من هنا انتهى كلام عبد العزيز المكي، وقد سبق أن كلامه ليس من كتابه المشهور (الحيدة) وإنما من كتابه الرد على الزنادقة والجهمية، ولم أره مطبوعا.

12) في المطبوع: (منه)

وكذلك[1]: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب إمـام المتكلمة الصفاتية كالقلانسي، والأشـعري، وأتباعـه فيمـا جمعه أبو بكر بن فـورك من كلام [الأشـعري أيضـا فـذكر ابن فورك كلام][2] ابن كلاب أنه قـال: وأخـرج من النظـر والخبر قول من قال: لا هو في العالم ولا خارج منه فنفاه نفيا مستويا؛ لأنه لو قيل له: صفه بالعدم ما قدر أن يقول فيه أكـثر من هـذا، ورَدَّ أخبـار اللـه نصـا، (وقـال)[3] مـا لا يجـوز في نص ولا معقـول، وزعم أن هـذا هـو التوحيـد الخالص، والنفي الخالص عندهم هو الإثبات الخـالص وهم عند أنفسهم قياسون[4].

قـال: ((فـإن قـالوا: هـذا إفصـاح [منكم][5] (بخلـو)[6] الأماكن منه وانفراد العرش به، قيل: إن كنتم تعنون بخلو الأماكن [منه؛ خلوهـا][7] من تـدبيره، وأنـه [غـير][8] عـالم فلا، وإن كنتم تذهبون إلى خلـوه من اسـتوائه عليهـا كمـا استوى على العـرش فنحن لا نحتشـم أن نقـول: اسـتوى اللـه على العـرش، ونحتشـم أن نقـول: اسـتوى على الأرض، واستوى على الجدار، وفي صدر البيت)).

وقال أبو محمد بن كلاب أيضا: ((يقال لهم: أهـو فـوق ما خلق، فإن قالوا: نعم، قيل: ما تعنون بقولكم إنه فـوق ما خلق، فإن قالوا: بالقدرة والعـزة، قيـل لهم: ليس هـذا

1) في المطبوع زيادة: (قال)
2) في المطبوع زيادة: (الأشعري أيضا فذكر ابن فورك كلام)
3) في المطبوع زيادة: (في ذلك)
4 () انظر: مقالات الأشعري لابن فـورك، فصـل آخـر في بيـان مذهبه في دلائل العقول وفي معنى العقل والنظـر والخـاطر وكيفيـة تـرتيب الغـائب عن الحس على المشـاهد بـالحس بالنظر والعقل (ص: 29)، وفصـل اخـر في بيـان مذهبـه في معنى التضاد وحقيقة الضدين (ص: 268)، تحقيق: أحمد عبد الرحيم الصايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ.
5 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
6) في المخطوط: (يخلو)
7) ما بين المعقوفين سقط من ا لمطبوع.
8) ما بين المعقوفين سقط من ا لمطبوع.

سؤالنا، وإن قالوا: المسألة خطأ، قيل لهم: (أفليس)[1] هو فوق؟ فإن قالوا: نعم ليس هو فوق، [قيل لهم][2]: وليس هو تحت، فإن قالوا: [نعم لا فوق][3] ولا تحت أعدموه؛ لأن ما كان (لا فوق ولا تحت)[4](عدم)[5]، وإن قالوا: هو تحت وهو فوق، قيل لهم: [فيلزم][6] (أن يكون تحت وفوق)[7].

وقال ابن كلاب أيضا: ((يقال لهم: إذا قلنا: الإنسان لا مماس ولا مباين للمكان، فهذا محال فلا بد من نعم، قيل لهم: فهو [عزوجل][8] (لا مماس ولا مباين)[9]؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فهو بصفة المحال الذي لا يكون ولا يثبت في الوهم؟ فإذا قالوا: نعم، [قيل][10]: فينبغي أن يكون بصفة المحال من كل جهة كما كان[11] المحال من هذه الجهة، وقيل لهم: (أيقال)[12] لما هو [غير][13] ثابت في الإنسان لا مماس ولا مباين؟

فإذا قالوا: نعم، قيل: فأخبرونا عن معبودكم مماس هو أو مباين؟ فإذا قالوا: لا يوصف بهما، قيل لهم: فصفة إثبات الخالق كصفة عدم المخلوق، فلم لا (تقولون)[14] عدم كما (تقولون)[15] للإنسان عدم؛ إذا وصفتموه بصفة العدم؟.

---

[1]) في المطبوع زيادة: (فليس)
[2]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
[3]) ما بين المعقوفين سقط من ا لمطبوع.
[4]) في المطبوع: (لا تحت ولا فوق)
[5] () في المطبوع: (فعدم)
[6]) ما بين المعقوفين سقط من ا لمطبوع.
[7]) في المطبوع: (فوق تحت وتحت فوق)
[8]) ما بين المعقوفين سقط من ا لمطبوع.
[9]) ففي المطبوع: (لا مباين ولا مماس)
[10]) في المطبوع زيادة: (قيل)
[11]) في المطبوع زيادة: (بصفة)
[12]) في المطبوع: (أليس لا)
[13]) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
[14]) في المطبوع: (يقولون)
[15]) في المطبوع: (يقولون)

وقيل لهم: إذا كان عدم المخلوق وجودا له كان جهل المخلوق علما له؛ لأنكم (جعلتم)[1] العدم الذي هو للمخلوق وجودا له، وإذا كان العدم وجودا كان الجهل علما والعجز قدرة)).

وقال ابن كلاب أيضا: ((ورسول الله صلى الله عليه وسلم (الذي)[2] هو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته وأعلمهم جميعا (يخبر)[3] (بالأين)[4] يقوله ويستصوب قول القائل: إنه في السماء، وشهد له بالإيمان عند ذلك؛ وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين ويحيلون)[5] القول به، [قال][6]: ولو كان خطأ (لكان)[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالإنكار له، وكان ينبغي أن يقول لها: لا تقولي ذلك فتوهمي أنه عز وجل محدود وأنه في مكان دون مكان، ولكن قولي إنه في كل مكان؛ لأنه هو الصواب دون ما قلت، كلا فلقد أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمه بما فيه، وأنه (من)[8] الإيمان، بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله، ومن أجله شهد (للجارية)[9] بالإيمان حين قالته[10]، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك

---

1) في المطبوع: (وصفتم).
2) في المطبوع: (و).
3) في المطبوع: (يجيز)
4) في المطبوع: (الأين)
5) في المطبوع: (ويحرمون)
6) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.
7 () في المطبوع: (كان)
8) في المطبوع: (أصوب)
9) في المطبوع: (لها)
10 () حديث الجارية المشهورة: عن معاوية بن الحكم السلمي. . .كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ((ائتني بها)) فأتيته بها، فقال لها: ((أين الله؟)) قالت: في السماء، قال: ((من أنا؟)) قالت: أنت رسول الله، قال: ((أعتقها، فإنها مؤمنة)). أخرجه مسلم في صحيحه (1/381)، رقم الحديث: (537)، كتاب الصلاة، باب تحريم

والكتاب ناطق به وشاهد له؟

[قال][1]: ولو لم يشهد لصحة[2] مذهب الجماعة في هذا[3] خاصة إلا ما (ذكرناه)[4] من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي، [كيف][5] وقد غرس في (بيت)[6] الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد؛ لأنك لا تسأل أحدا من الناس عنه عربيا ولا عجميا ولا مؤمنا ولا كافرا فتقول: أين ربك؟ إلا قال في السماء، إن أفصح أومأ بيده، أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح، ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل، ولا رأينا أحدا إذا (دعا الله عز وجل)[7] إلا رافعا (يديه)[8] إلى السماء، ولا وجدنا أحدا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول: في كل مكان كما يقولون، وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول وسقطت الأخبار، واهتدى جهم (وخمسون رجلا)[9] معه، نعوذ بالله من مضلات الفتن))[10].

الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.

1) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

2) في المطبوع: (بصحة).

3) في المطبوع زيادة: (الفن).

4 () في المطبوع: (ذكرنا).

5) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

6) في المطبوع: (تبينه في)

7) في المطبوع: (دعاه)

8) في المطبوع: (يده)

9) في المطبوع: (ورجلان)

10 () جميع مقالات السابقة لابن كلاب من كتاب مقالات أبي محمد عبد الله بن سعيد، ولم أره مطبوعا، وقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن لابن الفورك كتاب في مذهب ابن كلاب كما في الإستقامة(1/43)، (1/105)، وفي بيان تلبيس الجهمية(1/69)، وانظر عقائد ابن الكلاب السابقة وكلامه في كتاب بيان تلبيس الجهمية (1/44، 69)، ودرء التعارض (6/119)، ومقالات الإسلاميين(ص: 169)، تحقيق: هلموت ريتر.

فهذا (آخر)[1] كلام ابن كلاب و[هو شيخ][2] أبي الحسن الأشعري وأتباعه، وعنه أخذ الحارث المحاسبي[3]، وقد ذكر الحارث المحاسبي[4] في كتاب فهم القرآن[5]، هو وغيره من ذلك ما هو مذكور في غير هذا الموضع[6]؛ فإن كلام السلف والأئمة في ذلك كثير، والله [تعالى][7] أعلم.

[تمت ولله تعالى الحمد والمنة على عونه وحسن توفيقه، وصلى الله تعالى علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم][8][9].

---

1) في المطبوع: (وأمثاله)

2) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

3) في المطبوع زيادة: (هذا)

4 () الحارث بن أسد، أبو عبد الله المحاسبي، وله كتب كثيرة في الزهد، وفي أصول الديانات، والرد على المخالفين من المعتزلة، والرافضة، وغيرهما، وكان أحمد بن حنبل يكره لحارث نظره في الكلام، وتصانيفه الكتب فيه، ويصد الناس عنه، وعن سعيد بن عمرو البرذعي قال: شهدت أبا زرعة -وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه- فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس. وسفيان الثوري والأوزاعي، والأئمة المتقدمين، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتونا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد(9/104)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ.

5 () انظر: فهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبي(ص: 250)، دار الفكر، بيروت، 1397هـ.

6 () انظر مثلا درء تعارض العقل والنقل(2/45).

7 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

8 () ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

9 () يقول الكاتب في نهاية الرسالة: (يقول الفقير إلى ربه تعالى عبد المتعال بن محمد بن محمد بن عبد القادر

المزلاوي، قد فرغت من نسخ هذه الرسالة الجليلة الفريدة في بابها التي أجهزت على كل قول من أقوال الجهمية والمعطلة والمعتزلة والفلاسفة والقرامطة الحلولية، وغير ذلك من فرق التجهم والتعطيل في صباح يوم الجمعة أربعة من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وسنة وخمس هجرية من خط شيخنا وأستاذنا الشيخ شحاته مصطفي عليه من الله تعالى الرحمة والرضوان، قال رحمه الله تعالى بقوله: كاتبها الفقير لرحمة الله سبحانه وتعالى شحاته بن مصطفي بن شحاته بن عويضة السوهائي قد فرغت من كتابة هذه الرسالة النفيسة المباركة الشريفة يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة اثنين وأربع بعد الألف وثلاثمائة من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية من نسخة مخطوطة بخط الشيخ السلفي محمد بن عبد الرزاق بن حمزة بن تقي الدين يقول في آخر صحيفة منها قد فرغ من نسخ هذه الرسالة في مساء الجمعة سابع ذي القعدة من سنة أحدى وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية من رسالة مخطوطة بدار الكتب الأميرية المصرية ضمن مجموعة نمرة سنة وثلاثين وأربع مائة وألفين في فن التصوف، والمجموعة كلها أجوبة للشيخ ابن تيمية والرسالة التي نقلت عنها قال كاتبها أنه نقلها من خط الشيخ الإمام العالم برهان الدين إبراهيم بن الشيخ الإمام العلامة الورع الزاهد العابد أبي العباس أحمد بن محب الدين عبد الله بن محمد المقدسي نفعه الله تعالى ونفع به-آمين- قال الشيخ محمد بن عبد الرزاق المذكور: وقابلتها بمعاونة الأخ محمد محمد عبد العزيز بتاريخ صباح يوم الأربعاء التاسع عشر من ذي القعدة من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف من هجرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله

تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا).